

بروايـة أهـل البيـت

علي الكوراني العاملي

الجزء الأول

دار المرتضى
بيروت

السيرة النبوية

بنظر أهل البيت عليهم السلام

علي الكوراني العاملي

المجلد الأول



دار المرتضى
بيروت

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أهمية السيرة النبوية

للسيرة النبوية أهمية خاصة عند المسلم ، فهي إيمان وعلم ، وفقه للرسول والرسالة ، وتعريف للمسلم بنبيه الذي ينتمي اليه ، ويتقرب الى ربه بالإقتداء به .

وأشهر كتاب وصل الينا في سيرة نبيناﷺما كتبه محمد بن إسحاق (توفي١٥١) وعُرف باسم سيرة ابن إسحاق ثم اختصره وغيَّرَ فيه عبد الملك بن هشام (توفي٢١٨) فعُرف باسم سيرة ابن هشام ، وذكر في أوله أنه تارك من سيرة ابن إسحاق: «أشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يُشَنِّعُ الحديث به ، وبعضٌ يسوءُ بعض الناس ذكره» !

ومعناه أنه أراد كسب رضا العباسيين الذين ألف لهم كتابه ، والذين يزعمون أن جدهم العباس وارث النبيﷺ، ويزعم أبوهم المنصور أنه رأى النبيﷺفي منامه:«وعقد له لواءً أسود وعممه بعمامة من ثلاثة وعشرين دوراً ، وأوصاه بأمته وقال له: خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة» ! فأصدر أمره للمسلمين بتدوين رؤياه وقال:«ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان»!

(تاريخ بغداد:٨٥/١ ، وتاريخ دمشق:٣٠١/٣٢ ، وابن كثير في نهايته:١٢٩/١٠، وحكم بصحة المنام» !

على أن سيرة ابن إسحاق فيها مشكلات ، فقد كان يتشيع للحسنيين ، ثم صار مع خصومهم العباسيين . وعاش في المدينة ، ثم نفي منها الى البصرة ، وفارس ، ثم عاش في بغداد . كما أن لكتابه روايات متعددة ، ويبدو أنه أجرى فيه تغييرات في مراحل من حياته .

وقد اعتمد ابن هشام على رواية زياد البكائي دون غيرها ، بينما قال في مقدمة القطعة التي عثروا عليها في المغرب من سيرة ابن إسحاق:« ولسيرة ابن إسحق رواة غير البكائي ، وابن بكير ، وبكر بن سليمان ، وسلمة بن الفضل ، أوصلها مطاع الطرابيشي إلى٦١ راوياً ، في كتابه: رواة المغازي والسير». (ابن إسحاق: موقع الوراق).

ويظهر أن نسخ هؤلاء الرواة فيها (تعديلات) على كتاب ابن إسحاق ، وأنه حُذف منها كثير من مناقب أهل البيت عليهم السلام ، وما يمس بني أمية وبني عباس !

ومن أمثلة ذلك حذفهم إسم العباس من أسرى بدر ، مع أنه متواتر ، وقد حذف ابن هشام حديث الدار الذي نص على وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ، عند نزول قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ !

لذلك ، فإن القيمة العلمية لسيرة ابن هشام وابن إسحاق محدودة ، حيث يحتاج الباحث الى فحص روايتها ، ومقارنتها برواية أهل البيت عليهم السلام وبقية المؤرخين .

كانت (الخلافة) تحرق مصادر السيرة !

اتفقت المصادر على أن أول من صنف في السيرة عبيد الله بن أبي رافع خادم النبي صلى الله عليه وآله.

قال في: الذريعة:١٥٣/١٧:« هو أول من صنف في المغازي والسير».

وقال في الشيعة وفنون الإسلام/٨٤:« الفصل الثامن في تقدم الشيعة في علم السير فأول من وضعه عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، صنف في ذلك على

عهد أمير المؤمنين عليه السلام». انتهى.

وكان أبوه أبو رافع رضي الله عنه مرجعاً في السيرة: «كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع النبي صلى الله عليه وآله يوم كذا ؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها». (تقييد العلم لابن عبد البر/٩٢ ، والإصابة لابن حجر: ١٢٥/٤). فأين هذا الكنز الثمين: كتاب ابن أبي رافع رضي الله عنه؟!

لا تعجب إن أحرقته الحكومات ، فقد كان الإحراق من سياستهم !

قال الزبير بن بكار في الموفقيات/٢٢٢، وهو من علماء السلطة: « قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجاً سنة ٨٢ هـ ، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي صلى الله عليه وآله ومغازيه ، فقال له أبان: هي عندي قد أخذتها مصححةً ممن أثق به. فأمر سليمان عشرة من الكتاب بنسخها فكتبوها في رق ، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وفي بدر ، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل ! فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم ، وإما أن يكونوا ليس هكذا !

فقال أبان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق ، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا ! فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه ، ثم أمر بالكتاب فحُرق !

ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب ، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تَقْدِمْ بكتاب ليس لنا فيه فضل ، تُعَرِّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها؟! قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته » !

فالميزان عند الخليفة: أن يكون في الكتاب مدحٌ لعشيرته ! أما إذا كان فيه مدحٌ لآخرين فيقول لابنه: « وما حاجتك أن تَقْدِم بكتاب ليس لنا فيه فضل» !

وقد طبق الإبن ما أراده الأب ، قال: « فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته» !!

كنوزٌ من السيرة وعلوم الإسلام أحرقتها السلطة

حرصت الحكومات القرشية على إحراق كتب شيعة أهل البيت عليهم السلام وإبادتها ، ومع ذلك سلمت من نارهم ثروة ، وهي تغطي كثيراً من فصول السيرة النبوية وليس كلها ، ونراها تستفيض أحياناً بأوسع من السيرة الحكومية .

ويكفيك مثالاً على سياستهم في إبادة العلم: كُتب جابر بن يزيد الجعفي ، وكُتب أحمد ابن عقدة ، وكُتب سليمان الأعمش ، وهم علماء موثقون عندنا وعندهم ! فقد أحرقوا كتبهم أو فقدت من تلاميذهم في سنوات تشريدهم وتقتيلهم ! وقد بلغت مؤلفاتهم نحو أربع مئة ألف حديث ، أو مئتي مجلداً !

قال مسلم في مقدمة صحيحه:١٥/١: «الجراح بن مليح يقول: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر (الباقر عليه السلام) عن النبي (ص) كلها» !

وقد أحضر المنصور سليمان الأعمش ليلاً ليمنعه من رواية مناقب علي عليه السلام وقال له: «فأخبرني بالله وقرابتي من رسول الله كم رويت من حديث علي بن أبي طالب ، وكم من فضيلة من جميع الفقهاء؟ قلت: شئ يسير يا أمير المؤمنين ! قال: كم؟ قلت: مقدار عشرة آلاف حديث وما يزداد ! قال: يا سليمان ألا أحدثك بحديث في فضائل علي يأكل كل حديث رويته عن جميع الفقهاء؟ فإن حلفت لا ترويه لأحد من الشيعة حدثتك به» ! (فضائل علي عليه السلام لابن المغازلي/٢٢٦).

وقال الشهيد نور الله التستري في الصوارم المهرقة/٢١٤: «إن أهل بغداد أجمعوا على أنه لم يظهر من زمان ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة من يكون أبلغ منه في حفظ الحديث . وأيضاً قال الدارقطني: سمعت منه أنه قال: قد ضبطت ثلاث مائة

ألف حديث من أحاديث أهل البيت وبني هاشمعليهم السلام، وحفظت مائة ألف حديث بأسانيدها ! ونقل الذهبي عن عبد الغني بن سعيد أنه قال: سمعت عن الدارقطني قال: إن ابن عقدة يعلم ما عند الناس ، ولا يعلم الناس ما عنده !

وقال الثلاثة: إن ابن عقدة كان يقعد في جامع براثا من الكوفة ، ويذكر مثالب الشيخين عند الناس ، فلهذا تركوا بعض أحاديثه ، وإلا فلا كلام في صدقه».

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ:٨٤٠/٣:« قال الحاكم ابن البيِّع: سمعت أبا علي الحافظ يقول: ما رأيت أحفظ لحديث الكوفيين من أبي العباس بن عقدة . وعن ابن عقدة قال: أنا أجيب في ثلاث مائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبني هاشم . حدث بهذا عنه الدارقطني . وعن ابن عقدة قال: أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها.. وقال أبو سعد الماليني: أراد ابن عقدة أن ينتقل فكانت كتبه ست مائة حملة». وذكر نحوه في وسائل الشيعة: ١٣١/٢٠ ، ونقل قول الشيخ الطوسي فيه: «أمره في الثقة والجلالة والحفظ أشهر من أن يذكر ».

وفي مجلة تراثنا: ١٨٠/٢١:« أفرد الذهبي رسالة عن حياته ، مذكورة في مؤلفاته في مقدمة سير أعلام النبلاء باسم: ترجمة ابن عقدة. ترجم له أعلام العامة بكل تجلة وتبجيل ووثقوه ، وأثنوا على علمه وحفظه وخبرته وسعة اطلاعه ، وأرخوا ولادته ليلة النصف من المحرم سنة٢٤٩، ووفاته في٧ ذي القعدة سنة٣٣٢، ومن المؤسف أن هذا الرجل العظيم لم يبق من مؤلفاته الكثيرة الكبيرة سوى وريقات توجد في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ضمن المجموعة رقم٤٥٨١ ، باسم: جزء من حديث ابن عقدة من الورقة ٩-١٥» !

أما اليوم فلا تجد حتى الترجمة التي كتبها الذهبي لابن عقدة !

ويتضح حجم جريمة الحكومات في تضييع علم العترة عليهم السلام إذا عرفت أن كل ألفي حديث تبلغ مجلداً تقريباً ، وأن صحيح بخاري ومسلم وبقية الكتب الستة مع حذف المكرر تبلغ:٩٧٨٠ حديثاً ، وكل ما في الصحيحين:٢٩٨٠ حديثاً .

http: //www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٥٨٦٩

فتكون أحاديث جابر بن يزيد الجعفي خمساً وثلاثين مجلداً ! وحجم العشرة آلاف حديث التي يرويها سليمان الأعمش في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من مجموع الكتب الستة ! أما أحاديث أحمد بن عقدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله فتبلغ خمسين مجلداً ، وعن أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم ، مئة وخمسين !

ولم تكتف السلطة بمصادرة الكتب وإحراقها ، حتى أفتى علماؤها بأن كل من روى شيئاً فيه نقد ولو بسيط لأبي بكر وعمر ، فحكمه أن يدفن حياً في بئر !

قال الذهبي في ميزان الإعتدال:٧٥/٢، عن العلل لأحمد بن حنبل:٨/٣: «قال عبد الله بن أحمد: سألت ابن معين عنه فقال: رجل سوء يحدث بأحاديث سوء.. قلت: فقد قال لي: إنك كتبت عنه؟ فحول وجهه وحلف بالله إنه لا أتاه ولا كتب عنه. وقال: يستأهل أن يحفر له بئر فيلقى فيها » !

فهل يجوز أن تخسر أجيال الأمة هذه الثروة العظيمة بسبب روايات تنتقد بعض الصحابة ؟ أمَا كان الواجب عليهم أن يرووها ويردوا عليها ؟!

لكنها سياسة التجهيل التي قال عنها الحاكم لابنه:«تُعَرِّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها» ! فهو الذي يحدد مايسمح بمعرفته لأجيال المسلمين ويحرق كل ما خالفه !

القرآن مصدر للسيرة لكنهم ضيعوا أسباب نزوله !

كان جبرئيل عليه السلام ينزل بآيات القرآن لأكثر من عشرين سنة ، فيبلغها النبي صلى الله عليه وآله للصحابه ، لكنهم لم يحفظوا أسباب نزول الآيات والسور وأوقاتها !

بل نراهم صلوا مع النبي صلى الله عليه وآله على مئات الجنائز ، ثم اختلفوا هل كان يُكبِّر على الجنازة أربع تكبيرات أو خمساً !

وهذه الحالة من عدم الضبط في الأمة تستوجب وجود إمام بعد النبي صلى الله عليه وآله عنده علم الكتاب ليبينه للأجيال بعلمٍ ويقين ، لا بظنون واحتمالات كما فعل الصحابة ! ولذا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله فأعدَّ علياً عليه السلام وصياً وخليفة وإماماً ، وعلمه علم الكتاب ، فجمعه بأمر النبي في حياته ، وأكمل جمعه عند وفاته صلى الله عليه وآله.

لكن قريشاً أبعدت علياً وأهل البيت النبوي عليهم السلام عن السلطة ، ولم تقبل منهم حتى نسخة القرآن التي جاءهم بها علي عليه السلام، خوفاً أن تكون في غير مصلحتها «فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وهذا الكتاب وأنا العترة ! فقام إليه الثاني فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما ! فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجة» ! (المناقب: ١/٣٢٠). فقد كان علي عليه السلام مأموراً أن يعرضه عليهم فإن لم يقبلوه احتفظ به عند الأئمة من ذريته حتى يظهره المهدي عليه السلام ، ويتركهم يجمعونه كما يريدون ، حتى لايكون للأمة كتابان .

راجع: تدوين القرآن/١٨٢ ، وألف سؤال وإشكال: ١/٢٤٣.

وبسبب هذا الواقع تخبطت الأمة في علوم القرآن وأسباب نزول آياته !

وكمثال لذلك رواياتهم في آخر آية نزلت ، مع أنهم كانوا ألوفاً !

١. روى أحمد: ٣٦/١، في مسنده عن ابن المسيب أن عمر سئل عن آية الربا فلم يعرفها فقال إنها آخر آية ! «وإن رسول الله قبض ولم يفسرها »!

٢. وفي البخاري: ١١٥/٥:«وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء: يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة».

٣. وفي البخاري: ١٨٢/٥: «نزلت هذه الآية: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ، هي آخر ما نزل وما نسخها شيء » !

٤. وفي مستدرك الحاكم: ٣٣٨/٢، وصححه على شرط الشيخين:«آخر ما نزل من القرآن: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...». يقصد الآيتين: ١٢٨ و١٢٩ من سورة التوبة.

٥. وفي صحيح مسلم: ٢٤٣/٨:« تَعْلَمُ آخر سورة نزلت من القرآن نزلت جميعاً ؟ قلت نعم ، إذا جاء نصر الله والفتح. قال: صدقت».

٦. وفي معجم الطبراني الكبير: ١٩/١٢:« آخر آية أنزلت: واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ». يقصد الآية:٢٨١ من سورة البقرة !

٧. ولعل السيوطي استحى من تهافت أحاديثهم الصحيحة في آخر ما نزل من لقرآن فأجملها في الإتقان:١٠١/١، ولم يعددها كما عدد الأقوال في أول ما نزل !

إن هذا التناقض يوجب سقوط رواياتهم في أسباب النزول ، فلا يبقى للباحث في السيرة إلا ما قاله أهل البيت عليهم السلام أو المجمع عليه وهو قليل ، كسبب نزول آية: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، وأنها نزلت بعد ثلاث سنين من البعثة ، وأن دعوته صلى الله عليه وآله كانت قبلها لبني هاشم خاصة حتى كفاه الله المستهزئين .

شعر أبي طالب رحمه الله مصدر للسيرة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يُرْوَى شعر أبي طالب وأن يُدَوَّن ، وقال: تَعَلَّمُوهُ وعلموه أولادكم ، فإنه كان على دين الله ، وفيه علمٌ كثير». (وسائل الشيعة: ٣٣١/١٧، وإيمان أبي طالب للمفيد/١٠، ومكاتيب الرسول للأحمدي:٣٧٨/١).

وقد وصلنا منه نحو ألف بيت ، وهي تكشف حقائق مهمة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله من قبل البعثة ، في كفالة عمه ومشاهدة الراهب بحيرا آياته صلى الله عليه وآله ، ومحاولة اليهود قتله ، ثم في بعثته وتكذيب قومه له صلى الله عليه وآله، الى قرب هجرته !

قال الصالحي الشامي في سبل الهدى: ١٤٢/٢: « وقال أبو طالب في هذه السفرة قصائد منها ما ذكره ابن إسحاق ، وأبو هفان في ديوان شعر أبي طالب..الخ».

وأبو هفان أقدم من جمع شعر أبي طالب رحمه الله وشرحه ، وهو عبد الله بن أحمد بن حرب بن مهزِّم البصري النحوي ، صاحب كتاب أشعار عبد القيس (الذريعة:١٩٥/١٤، وإيضاح المكنون:٤٩/٢).

وذكره النجاشي كتبه في رجاله/٢١٨، وقال:« مشهور في أصحابنا وله شعر في المذهب . وبنو مهزم بيت كبير بالبصرة في عبد القيس ، شيعة» .

لكن أتباع السلطة لم يستفيدوا من شعر أبي طالب كما ينبغي، وأعرضوا عنه لعقدتهم من ابنه علي والأئمة من ذريته عليهم السلام ! ولا عذر لهم حتى لو اعتبروا أبا طالب كافراً رحمه الله ، لأن شعره وثائق لشاهد وشريك في صناعة الحدث .

أهل البيت عليهم السلام أدرى بسيرة جدهم صلى الله عليه وآله وأصدق

يشهد الجميع بأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام: علي والحسنين وزين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام أعرف بسيرة جدهم صلى الله عليه وآله وأصدق من غيرهم ، ومع ذلك يأخذون السيرة من رواة السلطة ، ويُعرضون متعمدين عن أهل البيت عليهم السلام ويقدمون غيرهم عليهم في الولاء والتلقي وكل شئ ! وكأن ترك رواة السلطة عندهم ، تركٌ لمذاهبها !

وكمثال على ذلك ما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله بأنه اقتص من أشخاص قتلوا رعاة إبل الصدقة ، ففقأ عيونهم بمسامير محماة ، ثم أحرقهم بالنار ! فقد رواه بخاري عن أنس(٦٤/١):« قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتووا المدينة (مرضوا من هوائها) فأمر لهم النبي بلقاح (نوق حلوبة) وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا ، فلما صحوا قتلوا راعي النبي(ص) واستاقوا النعم ، فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم ، فلما ارتفع النهار جئ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسُمِّرَتْ أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون»! وفي:٢٢/٤:« أمر بمسامير فأحميت فكحَّلهم بها وطرحهم بالحرة..حتى ماتوا» !

وقد رووا استنكار أهل البيت عليهم السلام لهذه التهمة للنبي صلى الله عليه وآله لكنهم لم يقبلوا منهم ! فقد أفتى الشافعي بجواز التعذيب (الأم:٢٥٩/٤) وقال:« وكان علي بن حسين ينكر حديث أنس في أصحاب اللقاح.. قال: والله ما سمل رسول الله عيناً ، ولا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم وأرجلهم».

لكن الشافعي لم يذكر قول الإمام الباقر عليه السلام:« إن أول ما استحل الأمراء العذاب

لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله ﷺ أنه سمَّرَ يد رجل إلى الحائط ! ومن ثم استحل الأمراء العذاب» ! (علل الشرائع:٥٤١/٢ ، وراجع ألف سؤال وإشكال:٤٤٠/٢).

فقد اتبعوا السلطة التي أمرت أنساً بالكذب على النبي ﷺ لإثبات مشروعية تعذيب مخالفيها وانتزاع الإعتراف منهم وقتلهم ! ولو قبلوا من أهل البيت عليهم السلام تبرئة النبي ﷺ ، لوجب عليهم تكذيب السلطة ورواتها !

هدف الكتاب

اهتم علماء الشيعة قديماً وحديثاً بالسيرة ، فألفوا فيها كتباً وفصولاً . وكتب في عصرنا العالم الباحث الصديق السيد جعفر مرتضى العاملي ، موسوعته: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، في نحو ثلاثين مجلداً ، حاكم فيها بتفصيل مسائل السيرة الرسمية ، التي نشرتها الحكومات في المسلمين .

لكن بقيت الحاجة الى سيرة مركزة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام وكلمات علماء مذهبهم . لذا قمت بتدوين أحداث السيرة بتسلسلها ، متتبعاً أولاً رواية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ثم كلام علماء مذهبهم ، أو ما ارتضوه من رواية غيرهم .

وكان لابد أحياناً من محاكمة الرواية المشهورة بما يناسب الكتاب ، لتكتمل الصورة الناصعة لسيرة النبي ﷺ ، منزهةً عن أهواء الحكام ، وتخليط رواتهم .

وقد بلغت فصولها بشكل عفوي ثلاثةً وستين فصلاً ، فتفاءلت بالتوفيق والقبول ، لأنها بعدد سنوات العمر المبارك لسيد المرسلين ﷺ.

أهم فروق هذه السيرة عن السيرة الرسمية

يمكنك أن تلاحظ الفرق بمقارنة بين فهرس هذه السيرة ، وفهرس السيرة الحكومية الرسمية ، لتجد إضافة بعض العناوين وغياب بعضها ، وفروقاً في تفاوت أسباب الأحداث وتسلسلها ، ثم في إظهار بعض الحقائق وكشف التحريف في الرواية الحكومية . ونشير فيما يلي الى أهم الفروق:

١. نعتقد بعصمة نبينا صلى الله عليه وآله عصمة شاملة قبل البعثة وبعدها ، في تبليغ الرسالة وفي أموره الشخصية ، بدليل: قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، وقول علي عليه السلام: ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم . فقد كان النبي صلى الله عليه وآله من طفولته نبياً ، أما في الأربعين فبعث رسولاً .

٢. نعتقد بإيمان آبائه صلى الله عليه وآله الى إسماعيل وإبراهيم وآدم عليهم السلام ، وأن أجداده وعمه أبا طالب كانوا على حنيفية إبراهيم عليه السلام ، ولم يكونوا مكلفين باليهودية ولا بالمسيحية .

٣. كان اليهود ينتظرون بعثة النبي الخاتم من الجزيرة ، وجاءت لذلك مجموعات منهم بعد عيسى عليه السلام ، وسكنت في وادي القرى وخيبر والمدينة ومكة ، وغيرها .

٤. في السابعة والثلاثين من عمره صلى الله عليه وآله كان يأتيه جبرئيل عليه السلام ويعلمه ، وفي الأربعين بدأ نزول الوحي عليه ، وكان في أفق مبين واضح كما نص القرآن ، ولم يكن في جو عنف وشك كما ترويه حكومات قريش ، بل نعتبر ذلك من طعنهم في نبينا صلى الله عليه وآله.

٥. انتشر خبر بعثته صلى الله عليه وآله فاستشاط زعماء قريش غضباً ، واتخذوا قراراً بقتله قبل أن يسمعوا حجته ! لأنه بزعمهم نقض اتفاقية توزيع المناصب بين قبائل قريش ، ودعا الى زعامة بني هاشم ! وأمره الله أن يدعو عشيرته الأقربين ويتخذ منهم وزيراً ووصياً ، فقام بذلك ، فزاد ذلك من غضبهم قريش واعتبروه نبأ عظيماً !

فالمرحلة الأولى من الدعوة ،كانت خاصة ببني هاشم وتوحيدهم لحماية النبي صلى الله عليه وآله ومدتها ثلاث سنوات ، لم يدع النبي صلى الله عليه وآله فيها غيرهم حتى أهلك الله الفراعنة المستهزئين الخمسة ، وأوحى اليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، فبدأ بمرحلة الدعوة العامة .

وقد حرَّف رواة السلطة سِرِّيَّة الدعوة ، لأن النبوة وآيات القرآن وسوره المتواصلة كانت علنية ، وانحصرت السِّرية بأشخاص أسلموا وكتموا إسلامهم خوفاً من قريش كعمار ، أو حرصاً على نجاح الدعوة كأبي طالب وحمزة .

٦. ضخَّم رواة السلطة دار الأرقم وجعلوها مرحلة في دعوة النبي صلى الله عليه وآله ، من أجل إثبات مناقب لبعضهم ، وادعوا أن المسلمين خرجوا من دار الأرقم الى المرحلة العلنية ، لكن الواقع ينفي ذلك، وكذا ما زعموه من إسلام عمر وأبي بكر.

٧. كانت الهجرة الى الحبشة مرة واحدة، ولم يرجع المسلمون خطأ كما زعموا.

٨ بيَّنا الرواية الصحيحة لمحاصرة النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم في شعب أبي طالب ، وردنا ما ادعوه من أن بعض زعماء قريش عملوا لنقض صحيفة المحاصرة !

٩. الصحيح أن وفاة أبي طالب وخديجة عليها السلام كانت قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله بسنة وأشهر وليس بثلاث سنوات كما قيل .

١٠. عرض النبي صلى الله عليه وآله نفسه على نحو ثلاثين قبيلة ليحموه من قريش ليبلغ رسالة ربه ، وقبلت بعضه القبائل حمايته بشرط أن تكون لها الخلافة بعده ، فرفض ، وأخذ البيعة من الأنصار على أن يحموه وأهل بيته كما يحمون أنفسهم وذراريهم وأن لا ينازعوهم الأمر بعده .

١١. زاد الخطر على حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة عمه أبي طالب رضي الله عنه فكان يتغيب عن

بيته ويختفي في الحجون ، وعندما طوقوا بيته لاغتياله عند الفجر أمره الله تعالى فخرج مهاجراً بدون أن يشعروا ، وفداه علي عليه السلام بنفسه فنام في مكانه .

وفي طريقه صلى الله عليه وآله وجد أبا بكر فأخذه معه ، وجاءهم علي عليه السلام في اليوم التالي وجهزهم ، فهاجروا على غير الطريق العام ودليلهم ابن أريقط الجهني .

١٢. أدى علي عليه السلام أمانات النبي صلى الله عليه وآله في مكة ، ونجا من محاولة اغتيال ، وكانت هجرته ببقية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الهجرة العلنية الوحيدة ، وبعثت له قريش مجموعة فرسان ليردوه فقتل قائدهم وانهزم الباقون . والتحق بالنبي صلى الله عليه وآله الذي كان في انتظاره في قباء ، فأخبره أنه الله أنزل فيه ومن معه آيات .

١٣. أراد أبو بكر أن يدخل النبي صلى الله عليه وآله المدينة ولاينتظر علياً في قباء ، فأصر النبي صلى الله عليه وآله على انتظاره ، فغضب أبو بكر وتركه في قباء وذهب الى السنح ، ولم يحضر هو ولا عمر دخول النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة ، ولا بنائه المسجد .

١٤. أرسى النبي صلى الله عليه وآله أسس دولته في المدينة ، وعقد معاهدة مع اليهود ، وآخى بين المسلمين ، واختار علياً عليه السلام فآخاه .

١٥. كان انتصار المسلمين في بدر كاسحاً ، وقامت المعركة على أكتاف بني هاشم وكان بطلها الأكبر علي عليه السلام حيث قتل أكثر من نصف السبعين فارساً ، وقتل المسلمون أقل من نصفهم . ونزل تشريع الخمس لبني هاشم على أثرها .

١٦. نزلت سورة الأنفال بعد بدر وفيها ذم لمرضى القلوب من الصحابة ، وتوبيخ لبعضهم لجبنهم وطمعهم بالغنائم ، حتى اتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه أخفى عباءة !

ولم يستفد الصحابة من توبيخ الله لهم في بدر فانهزموا في أُحُد وتركوا النبي صلى الله عليه وآله لسيوف المشركين ، وطعنوا في قيادته وإدارته وقالوا: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ! وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله عليٌّ عليه السلام وقاتل وحده ، حتى دفع الله المشركين وهزمهم !

١٧. في غزوة الأحزاب طالت محاصرة المشركين للمدينة نحو شهر ، فخاف المسلمون وفروا من المرابطة وتسللوا الى المدينة بأعذار مختلفة ! حتى بقي مع النبي ﷺ ذات ليلة في حراسة الخندق اثنا عشر شخصاً فقط !

وتواطأ بعضهم مع المشركين فعبر فرسان منهم من نقطة من الخندق بقيادة فارس العرب عمرو بن ود العامري ، فدعا النبي الصحابة الى مبارزته فخافوا ، فبرز اليه علي عليه السلام وقتله وقتل بعض رفقائه ، فهرب الباقون ووقع الرعب في المشركين ، وأرسل الله عليهم الريح فانهزموا.

١٨. في غزوة النبي ﷺ ليهود بني قينقاع والنظير وقريظة ، كان بطل الإسلام عليٌ عليه السلام فقتل عدداً من أبطالهم فخضعوا لشروط النبي ﷺ بالجلاء عن المدينة .

١٩. وكان لعلي عليه السلام أدوار في غزوة الحديبية ، فعتَّم عليها رواة السلطة ، وبيناها !

٢٠. وكانت خيبر قسمين: حصون النطاة وأهمها حصن ناعم ، وحصون الشق وأهمها حصن القموص . فحاصر النبي ﷺ حصن ناعم وهاجمه علي عليه السلام فدحا بابه وفتحه ، ثم أبقاه النبي ﷺ هناك أو بعثه الى المدينة .

وحاصر حصن القموص لمدة شهر أو نحوه ، فكان المسلمون يهاجمونه يومياً تقريباً ويرجعون مهزومين ! حتى أحضر النبي ﷺ علياً عليه السلام فهاجم الحصن وحده وقتل بطلهم مرحباً ودحا بابه ، وقتل فرسانه ، وفتحه !

٢١. وفي غزوة حنين انهزم المسلمون جميعهم وكانوابضعة آلاف غير الطلقاء ، فثبت مع النبي ﷺ بنو هاشم فقط ، وقاتل علي عليه السلام وحده فقتل أبطال هوازن وقطف النصر ! ثم حاصر النبي ﷺ حصن الطائف ، وكان المسلمون يهاجمونه بين حين وآخر فلم يستطيعوا فتحه ، لأن علياً عليه السلام كان في مهمة ، فاتفق النبي ﷺ مع ثقيف وأنهى حصار الطائف .

٢٢. بعد حنين أرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام الى اليمن مرات ، فاستكمل فتحها وترتيب أوضاعها ، وكانت له فيها جولات وبطولات ، أخفاها رواة السلطة .

٢٣. تتميز هذه السيرة بتسليط الضوء على خلافة النبي صلى الله عليه وآله التي كانت مطروحة من بعثته حيث أمره الله تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين ، ويطلب منهم وزيراً يبايعه على دعوته ليتخذه أخاً ووصياً ، فاستجاب له علي عليه السلام وأعلنه من يومها (أخاه ووزيره ووصيه وخليفته من بعده) وأمرهم بطاعته ، فسخر أبو لهب وقال لأبي طالب: لقد أمرك بأن تطيع ابنك هذا الغلام !

وكانت خلافة النبي صلى الله عليه وآله مطروحة عندما عرض نفسه على القبائل لتحميه فاستجابت له عدة قبائل ، لكنها اشترطت أن تكون لها الخلافة بعده ، فلم يقبل.

ثم كانت مطروحة عند منافسي علي عليه السلام حتى انقسم المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وآله الى شيعة علي عليه السلام ومبغضيه ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يمدح علياً وشيعته ، ويذم من أبغضهم .

ثم كانت مطروحة بعد فتح مكة ، وكانت الشغل الشاغل لقريش وحلفائها اليهود ، فحاولوا اغتيال النبي صلى الله عليه وآله مراراً ، ليأخذوا دولته ويفرضوا خليفة منهم !

في الختام ننبه الى المصادر التي لم نذكر طبعتها فهي من الطبعة المذكورة في برنامج «مكتبة أهل البيت عليهم السلام».

نسأل الله تعالى بأحب خلقه اليه محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وآله أن يتقبل منا هذا العمل ، ويشملنا بشفاعتهم صلوات الله عليهم .

كتبه بقم المشرفة: علي الكَوْراني العاملي

غرة ربيع المولد ١٤٢٩

الفصل الأول

أول ما خلق الله نور النبي ﷺ

١- عوالم وجودنا قبل هذا العالم

إن وجودنا الفعلي ليس أول وجودنا ولا آخره ! فقد تظافرت الأدلة من العلم والتجربة والقرآن والسنة ، على وجود عوالم قبل عالمنا هذا وبعده ، واشتهر منها عالم الذر لقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا..

ومنها: عالم الأنوار الأولى ، وهو أول ظلال أو فَيْءٌ خلقه الله تعالى من نور عظمته ، ويسمى أيضاً عالم الأشباح النورانية.

ومنها: عالم الأظلة ، الذي خلق فيه الناس وتعارفوا.

ومنها: عالم الطينة ، وهي الأصل الذي خلق منه الناس.

كما أن قوله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ، يشير الى عالم حين كان الإنسان شيئاً غير مذكور. (راجع العقائد الإسلامية: ١/٦٠).

وقد دلت الآيات والأحاديث على أن امتحان الإنسان قد تمَّ في تلك العوالم ، فيكون عمله في هذا العالم تطبيقاً لما اختاره بإرادته الحرة الكاملة هناك .

٢- خلق نور نبينا وآله صلى الله عليه وآله قبل هذا العالم

وأحاديثه في مصادرنا متواترة ، وفي مصادرهم كثيرة ، بحثها آية الله الميلاني في المجلد الخامس من كتابه «نفحات الأزهار» ، ونكتفي هنا ببعضها:

أ. فمنها ما نص على أن الله تعالى خلق نور النبي صلى الله عليه وآله قبل خلق الخلق ، كما في **الخصال/٤٨١** ، عن علي عليه السلام: « إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى... وخلق الله عز وجل معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة ، وحجاب العظمة ، وحجاب المنة ، وحجاب الرحمة ، وحجاب السعادة وحجاب الكرامة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الهداية ، وحجاب النبوة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الشفاعة. ثم حبس نور محمد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان ربي الأعلى ، وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السر ، وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يلهو..الخ. ». ومعاني الأخبار/٣٠٦.

ب. ومنها أن عترة النبي عليهم السلام خلقوا من نوره صلى الله عليه وآله ، ففي الكافي:١/٤٤٢: « قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين ،

فكانوا أشباح نور بين يدي الله . قلت: وما الأشباح ؟ قال: ظل النور ، أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس ، فبه كان يعبد الله . وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء ، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ، ويصلون الصلوات ، ويحجون ويصومون ».

ج. ومنها أن نبينا ﷺ أول من أجاب في عالم الذر عندما خلق الله البشر وامتحنهم

ففي بصائر الدرجات/٨٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأي شئ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقر بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين و: أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، وكنت أنا أول نبي قال بلى فسبقتهم بالإقرار بالله».

٣- أحاديث خلق نور النبي ﷺ في مصادر السنيين

أ. روت عدداً منها مصادرهم ، وصححوا بعضها ، وضعفوا أكثرها ، وجردوها من ذكر العترة ! ففي مجمع الزوائد: ٢٢٣/٨:«عن ميسرة العجر قال: قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد». رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح».

ب. وأشهر ما رووه في ذلك حديث: كنت أنا وعليٌ نوراً بين يدي الرحمان ، رواه ابن حنبل في فضائل الصحابة:٢٦٢/٢، عن سلمان قال:« سمعت حبيبي رسول الله (ص) يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي».

وقد بتره ابن حنبل، لأن نصه كما في تاريخ دمشق: ٤٢/٦٧: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله، مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شئ واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا وجزء علي».

وهذا النص مبتور أيضاً فقد نقله في شرح النهج: ٩/١٧١، عن فردوس الأخبار وقال: «رواه أحمد في المسند وفي كتاب فضائل علي. وفي كتاب الفردوس: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية». راجع الملحق رقم (١)

٤- ملاحظات على أحاديث خلق نور النبي صلى الله عليه وآله

أ. لا يمكن لأحد أن ينفي أن الله تعالى بدأ خلق الكون بنور محمد صلى الله عليه وآله، لأن قدرتنا المعرفية لا تسمح لنا بالنفي أو الإثبات! فلا وسائل عندنا لمعرفة كيف يعمل الله تعالى، وكيف بدأ خلقه، إلا بما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى.

فيجب أن نعترف بمحدودية معلوماتنا رغم تطور العلم وكشفه الكثير عن النور والأشعة، واستفادة العلماء منها في الطب والحرب. ورغم اكتشاف آينشتاين نظرية النسبية الخاصة والعامة، اللتين تجعلان الزمن ركناً في وجود المادة، وتقدمان حقائق جديدة عن النور والحركة، وقوانين تحول المادة الى طاقة وبالعكس، وتقرران إمكانية سفر الإنسان في المستقبل وفي الماضي!

إلا أنا مع كل ذلك، لا نعرف كيف بدأ الله تعالى خلق الكون، فغاية ما توصل

اليه العلماء مرحلة الغيوم السديمية ، ثم وصلوا الى مرحلة قبلها هي بحر الغاز السائل . لكن بقيت مسائل بدء الخلق وتنويعه وتطويره ، من الأسرار !

ب. من دلالات خلق نور النبي أنه صلى الله عليه وآله مشروع خاص لا يقاس به أحد حتى الأنبياء عليهم السلام الذين أخذ الله ميثاقهم بنبوته صلى الله عليه وآله . وكذلك عترته المعصومون: علي وفاطمة والحسنان والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام ، الذين خلق الله نورهم مع نوره صلى الله عليه وآله ، أو اشتقه منه ، فهم جزء لا يتجزأ من الحقيقة المحمدية .

ج. نلاحظ أن أخبار خلق نور النبي صلى الله عليه وآله مغيبةٌ عن ثقافتهم وتثقيفهم ، فلا تسمعها في مساجدهم ومعاهدهم وخطبهم ، ولا تراها في مناهجهم التربوية ، اللهم إلا ما أخذه بعض الصوفية وبنوا عليه بناءاتهم .

وهذا السلوك المتعمد في الإعراض عن ذكر مقامات النبي صلى الله عليه وآله موروث من طلقاء قريش الذين كانوا زمن النبي صلى الله عليه وآله يسمون خيار الصحابة (عُبَّاد محمد) ! ويتهمونهم بالغلو فيه لأنهم يؤمنون بمقاماته صلى الله عليه وآله ، ويتعبدون بأوامره ونصوصه !

ولذلك أعلنوا بعد وفاته صلى الله عليه وآله: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات !

وقد ورثهم في عصرنا بدوٌ متعصبون لقريش وبني أمية ، فقالوا (محمد طارش ومات) أي مبعوث أوصل رسالة وانتهى وهو الآن لا ينفع !

بل قال عالمهم (عصاي هذه أنفع من محمد) !

وحرموا زيارة قبره صلى الله عليه وآله !

وحكموا على المسلمين بالغلو والشرك لمجرد خطابهم للنبي صلى الله عليه وآله وقولهم:«يا رسول الله إشفع لنا عند الله» !

وقد بحثنا ذلك في المجلد الخامس من كتاب العقائد الإسـلامية ، والمجلـد الثاني من ألف سؤال وإشكال ، وذكرنا أن طعن (القرشيات) في شخصية النبـي صلى الله عليه وآله أسوأ من طعن الإسرائيليات في أنبياء الله عليهم السلام.

○ ○

الفصل الثاني

جزيرة العرب في عصر النبي ﷺ

دول العرب ودياناتهم في عصر النبي ﷺ

أ. كان للعرب في عصر النبي ﷺ دولة في اليمن ، وكانوا في جزيرة العرب قبائل لاتضمهم دولة ، وفي العراق قبائل على شكل دولة تحت نفوذ الفرس ، وفي الشام والأردن دولة تحت نفوذ الروم ، وكانت مصر تحت حكم الروم .

ويمكن تقدير عدد العرب في كل الجزيرة بنصف مليون نسمة ، لأن غاية ما أمكن لقريش أن تحشده لحرب الأحزاب أربعة آلاف مقاتل ، فلو حسبنا مقاتلاً من كل عشرة أشخاص يكون عدد قريش وأحابيشها في مكة وحولها ، نحو أربعين ألفاً . وحشدت قبائل عرب الجزيرة في حرب الأحزاب نحو عشرين ألفاً ، فلا يزيد عددها جميعها عن نصف مليون نسمة .

وكان عدد سكان المدينة في حرب الأحزاب نحو خمسة آلاف نسمة ، (الصحيح من السيرة:٩/١٨٢) أما عند وفاة النبي ﷺ فكانوا اثني عشر ألفاً ، وقد يكون سكان المناطق القريبة من المدينة مثل عددها . فقد ذكر ابن حجر (فتح الباري: ١٥/٨١) أن

عدد الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وآله مع أسامة ليبعدهم عن المدينة ثلاثة آلاف فيهم سبع مئة قرشي ! قال:« لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر... وعند الواقدي أيضاً أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة من قريش ». وهذا يعني أن بضعة آلاف من طلقاء قريش جاؤوا الى المدينة بعد فتح مكة ، فوصل عددها الى اثني عشر ألفاً .

والخلاصة: أن عدد عرب الجزيرة في عهد النبي صلى الله عليه وآله قد يبلغ نصف مليون ، وعرب اليمن مليوناً ، ومجموع عرب العراق والشام وفلسطين ، نحو مليون .

ب. أما وضعهم الإقتصادي ، فكان اليمانيون يعيشون على الزراعة وتربية المواشي ، والتجارة الداخلية وبعض الصناعات ، وكذا في مصر والعراق والشام وفلسطين .

أما عرب الجزيرة فكانوا في فقر شديد ، تكثر فيهم الغارات والنهب ، فليس في الجزيرة إلا واحات قليلة للزراعة ومراعٍ شحيحة للماشية ، وكان لقريش تجارة بين الحجاز واليمن والشام ومصر ، في رحلتي الشتاء والصيف .

ج. أما دياناتهم فكان عرب الجزيرة وعرب العراق وثنيين ، يعبدون أصناماً عديدة ، أهمها هُبَل واللات والعُزَّى ومُنَاة ، وكان فيهم بقية من دين إبراهيم عليه السلام. وفيهم أقليات يهودية ، في وادي القرى ، وتيماء ، وخيبر ، وضواحي المدينة ، ومكة.

وكان اليمنيون وثنيين ، لكن وثنيتهم أقل حدة ، وفيهم أقلية يهودية في صنعاء وغيرها ، وأقلية مسيحية في نجران وحولها . أما عرب الشام وفلسطين ومصر ، فكانت تنتشر فيهم المسيحية ، بحكم كونهم تحت نفوذ الدولة الرومانية .

عن الإمام الصادق (الكافي: ٢١٢/٤) قال: «إن العرب لم يزالوا على شئ من الحنيفية: يصلون الرحم، ويُقْرُون الضيف، ويحجُّون البيت، ويقولون إتقوا مال اليتيم فإن مال اليتيم عِقال، ويكفُّون عن أشياء من المحارم مخافة العقوبة، وكانوا لا يُمْلَى لهم إذا انتهكوا المحارم، وكانوا يأخذون من لحاء شجر الحرم فيعلقونه في أعناق الإبل فلا يجترئ أحد أن يأخذ من تلك الإبل حيثما ذهبت، ولا يجترئ أحد أن يعلق من غير لحاء شجر الحرم، أيهم فعل ذلك عوقب. وأما اليوم فأمليَ لهم! ولقد جاء أهل الشام فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس فبعث الله عليهم سحابة كجناح الطير، فأمطرت عليهم صاعقة، فأحرقت سبعين رجلاً حول المنجنيق».

يقصد عليه السلام أن الله تعالى أملى للعرب بعد الإسلام فلم يعاقبهم إذا تعدوا على حرمة الحرم، إلا في حالات قليلة، منها عندما تحصن ابن الزبير في الحرم وهاجمه يزيد سنة٦٣ هجرية، ثم هاجمه عبد الملك سنة ٧٣، فعاقبهم الله تعالى بصاعقة، فلم يتعظوا ولم ينتهوا فتركهم في غيهم!

وقد ذكرت المصادر أن عنادهم كان بإغواء الحجاج، ففي تاريخ الطبري: ٢٩/٥: «فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها (غلب صوتها)! فأعظم ذلك أهل الشأم فأمسكوا أيديهم، فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال: إرموا، ورمى معهم! قال: ثم أصبحوا، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام فقال الحجاج: يا أهل الشأم لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة

هذه صواعق تهامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشروا ! إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم ! فصَعَقَتْ من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة » !

وفي نهاية ابن كثير: ٣٦٣/٨:«فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته ، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم ! فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته ! فعادوا إلى المحاصرة » !

د. وكانت فيهم صفات جاهلية، فقد وصف جعفر بن أبي طالب حالهم قبل الإسلام

فقال للنجاشي:«كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه » ! (مسند أحمد: ٢٠٢/١).

وفي صحيح بخاري:٦٣/٤:«حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً ، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم ، فقال المغيرة: سل عما شئت ؟ قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب ، كنا في شقاء شديد ، وبلاء شديد ، نمص الجلد والنوى من الجوع ، ونلبس الوبر والشعر ، ونعبد الشجر والحجر ، فبينا نحن كذلك ، إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته ، الينا نبياً من أنفسنا ، نعرف أباه وأمه ».

وفي نهج البلاغة: ١٩٩/١، من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: « أما بعد فإن الله سبحانه بعث

محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدَّعي نبوةً ، ولا وحياً ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، يسوقهم إلى منجاتهم ، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم . يحسر الحسير ، ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته ، إلا هالكاً لا خير فيه حتى أراهم منجاتهم ، وبوأهم محلتهم ، فاستدارت رحاهم ، واستقامت قناتهم . وأيم الله لقد كنتُ من ساقتها ، حتى تولت بحذافيرها ، واستوسقت في قيادها ، ما ضعفتُ ولا جبنتُ ، ولا خنتُ ولا وهنتُ . وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته ».

ومن خطبة له عليه السلام: «إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل وأنتم معشر العرب على شر دين ، وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خشن ، وحيات صم ، تشربون الكدر ، وتأكلون الجشب ، وتسفكون دماءكم ، وتقطعون أرحامكم ، الأصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة ». (نهج البلاغة: ٦٦/١).

وكان العرب مجتمعاً مقاتلاً يعيشون هاجس الحرب ، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٨١/٢: « قلت له: جعلت فداك ، لم سموا العرب أولادهم بكلب ونمر وفهد وأشباه ذلك؟ قال: كانت العرب أصحاب حرب ، فكانت تهول على العدو بأسماء أولادهم ، ويسمون عبيدهم فرج ومبارك وميمون ، وأشباه ذلك يتيمنون بها ».

هـ . استطاع كعب الأحبار أن يقنع عمر بأن الإسلام كالبعير ، سوف يكبر ويموت !

وأن قريشاً والعرب سَيُبَادون ! وأن الكعبة ستهدم فلا تبنى أبداً ! ومكة ستخرب فلا تعمر أبداً ! ففي مسند أحمد:٤٦٣/٣ ، و:٥٢/٥: « كنت في مجلس فيه عمر بن

الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله ينعتُ الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله يقول: إن الإسلام بدأ جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديسياً ثم بازلاً. فقال عمر بن الخطاب: فما بعد البزول إلا النقصان» ! «السلوغ لذوات الأظلاف ، والبزول لذوات الأخفاف أقصى أسنانهما ». (الصحاح: ١٣٢١/٤)

وروى أحمد: ٢٣/١، عن عمر أنه سمع رسول الله يقول:« سيخرج أهل مكة ثم لايعبر بها إلا قليل ، ثم تمتلئ وتبنى . ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً» !
ورواه مسلم: ١٨٣/٨، ورواه بخاري وعقد باباً (١٥٩/٢) بعنوان: باب هدم الكعبة !

وفي الفتن لنعيم بن حماد/٢٤٦:« لا تستريبوا في هلكة قريش ، فإنهم أول من يهلك حتى أن النعل لتوجد في المزبلة فيقال خذوا هذه النعل إنها لنعل قرشي».

لكن أهل البيت عليهم السلام طمأنوا المسلمين والعرب ، فروى الصدوق في الخصال/٤٧٥، عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشروا ثم أبشروا ، ثلاث مرات ، إنما مثل أمتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره ، إنما مثل أمتي كمثل حديقة أطعم منها فوج عاماً ، ثم أطعم منها فوج عاماً ، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعمقها طولاً وفرعاً وأحسنها جَنَاً ! وكيف تهلك أمة أنا أولها واثنا عشر من بعدي من السعداء وأولي الألباب ، والمسيح عيسى بن مريم آخرها ؟ ولكن يهلك بين ذلك نَتَجُ الهَرَج ، ليسوا مني ولست منهم ».

وأخبر أهلُ البيت عليهم السلام بأنه رغم مع كل ما سيفعله العرب وقريش بالأمة ، فإن الله عز وجل سينقذ الأمة والعرب وقريشاً بأهل البيت عليهم السلام، ففي كمال الدين/٢٣٠: «قال علي

لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله أمنا الهداة أم من غيرنا ؟ قال: بل منا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة ، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالة الشرك ، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة ، وبنا يصحبون إخواناً بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك. وبنا يختم الله كما بنا فتح الله ».

وفي أمالي المفيد/٢٨٨، عن علي عليه السلام قال: « لما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، قال لي: يا علي إنه قد جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، فإذا رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا. يا علي إن الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي ، فقلت: يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد ؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون لسنتي وطاعنون في ديني ! فقلت: فعلامَ نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ؟ فقال: على إحداثهم في دينهم وفراقهم لأمري واستحلالهم دماء عترتي !

قال: فقلت: يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة فسل الله تعالى أن يعجلها لي ! فقال: أجل ، قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا وأومى إلى رأسي ولحيتي؟ فقلت: يا رسول الله أما إذا بينت لي ما بينت فليس بموطن صبر ، ولكنه موطن بشرى وشكر. فقال: أجل فأعد للخصومة فإنك مخاصم أمتي. قلت: يا رسول الله أرشدني الفلج ، قال: إذا رأيت قوماً قد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فخاصمهم فإن الهدى من الله والضلال من الشيطان. يا

علي إن الهدى هو اتباع أمر الله دون الهوى والرأي ! وكأنك بقوم قد تأولوا القرآن ، وأخذوا بالشبهات ، واستحلوا الخمر بالنبيذ ، والبخس بالزكاة ، والسحت بالهدية ! قلت: يا رسول الله فما هم إذا فعلوا ذلك ، أهم أهل ردة أم أهل فتنة ؟ قال: هم أهل فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل !

فقلت: يا رسول الله العدل منا أم من غيرنا ؟ فقال: بل منا ، بنا يفتح الله وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك ، وبنا يؤلف الله بين القلوب بعد الفتنة ، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله ». وأمالي الطوسي/٦٥ ، وكمال الدين/٢٣٠.

وقد وصفت مصادر الطرفين الرخاء الذي يحققه الإمام المهدي عليه السلام في بلاد العرب والعالم ، ففي مسند أحمد:٢/٣٧٠: « عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) : لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة ، لا يخاف ضلال الطريق » . راجع الملحق رقم (١٩).

○ ○

الفصل الثالث

اليهود في الجزيرة العربية

١- هاجر اليهود الى الجزيرة ينتظرون النبي الموعود

هاجر عدد من حاخامات اليهود وأتباعهم بعد المسيح عليه السلام الى الجزيرة بانتظار النبي الموعود ظهوره منها .

في الكافي: ٣١٠/٨ ، عن إسحاق بن عمار قال:« سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؟ قال: كانوا قوماً فيما بين محمد وعيسى صلى الله عليهما ، وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي صلى الله عليه وآله ويقولون: ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم وليفعلن بكم وليفعلن ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله كفروا به» .

وفي الكافي: ٣٠٨/٨ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد صلى الله عليه وآله ما بين عير وأحد ، فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى حَداد فقالوا: حداد وأحد سواء ، فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر ، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم ، فمرَّ بهم أعرابي من قيس فتكاروا منه وقال لهم أمرُّ بكم ما بين عير وأحد ، فقال له: إذا مررت بهما فآذنَّا بهما ، فلما توسط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عير

وهذا أحد ، فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا: قد أصبنا بغيتنا ، فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت ! وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: أنا قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا ، فكتبوا إليهم: أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما أقربنا منكم ، فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم . فاتخذوا بأرض المدينة الأموال ، فلما كثرت أموالهم بلغ تُبَّعٌ فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ، وكانوا يَرِقُّونَ لضعفاء أصحاب تُبَّع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير ، فبلغ ذلك تُبع فرقَّ لهم وآمنهم ، فنزلوا إليه فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم فقالوا له: إنه ليس ذاك لك ، إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم: إني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره ، فخلف حيين الأوس والخزرج ، فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمد ليخرجنكم من ديارنا وأموالنا ، فلما بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود ، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ .

وفي المحتضر/٢٧٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « إن الله تعالى أخبر رسوله صلى الله عليه وآله بما كان من إيمان الأمم السابقة . وإن اليهود قبل ظهوره كانوا يستفتحون على أعدائهم بذكره والصلاة عليه ، وكان الله عز وجل أمر اليهود في أيام موسى وبعده إذا دهمهم أمرٌ ودهمتهم داهية أن يدعوا الله بمحمد وآله صلى الله عليه وآله ، وكانوا يفعلون ذلك ويستنصرون به ، حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور النبي صلى الله عليه وآله بسنين كثيرة يفعلون ذلك ، ويكفون البلاء والداهية الدهياء ».

وفي تفسير القمي: ٣٢/١: « فكانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النبي صلى الله عليه وآله:

أيها العرب هذا أوان نبي يخرج بمكة ويكون هجرته بالمدينة ، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم ، في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة ، يلبس الشملة ويجتزي بالكسرة والتميرات ، ويركب الحمار عرية ، وهو الضحوك القتال ، يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى . يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر ، وليقتلنكم الله به يا معشر العرب قتل عاد ، فلما بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال الله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٣٩٣: « قال أمير المؤمنين عليه السلام: وكانت اليهود قبل ظهور محمد صلى الله عليه وآله بعشر سنين تعاديهم أسد وغطفان ويقصدون أذاهم ، وكانوا يستدفعون شرورهم وبلاءهم بسؤالهم ربهم بمحمد وآله الطيبين ، حتى قصدتهم في بعض الأوقات أسد وغطفان في ثلاثة آلاف فارس إلى بعض قرى اليهود حوالي المدينة ، فتلقاهم اليهود وهم ثلاثمائة فارس ، ودعوا الله بمحمد وآله الطيبين الطاهرين فهزموهم وقطعوهم... فلما ظهر محمد صلى الله عليه وآله حسدوه ، إذ كان من العرب ، فكذبوه» !

وفي الدر المنثور:٨٨/١:«كانت يهود بني قريظة والنضير قبل أن يبعث محمد يستفتحون الله به يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم ، فينصرون ».

أقول: الإستفتاح على العدو: طلب الفتح والنصر عليه ، ويشمل الإستعانة عليه بأحد أو شيء أو دعاء . وكان اليهود يستفتحون بالنبي صلى الله عليه وآله بالتوسل به في معاركهم مع العرب ، كما كانوا يتوعدونهم بأنهم سينتصرون به عليهم .

وجبل حَدَد:«مطل على تيماء..قال النابغة: ساق الرفيدات من جَوْشٍ ومن حَدَدِ»

(معجم البلدان:٢/٢٢٩). واحتمل المجلسي تصحيفه عن حداد بزيادة ألفه . وقد يكون تخفيفاً .

هذا، ويتضح من روايات أهل البيت عليهم السلام أن هجرة اليهود الى الجزيرة كانت بعد بعثة المسيح عليه السلام ، وهو يرد ما زعمه بعض الكتاب الغربيين من أنه كان في الجزيرة العربية مواطنون يهود كأبناء إسماعيل عليه السلام .

كما يتضح أن تُبَّعاً ملك اليمن والجزيرة كان بعد عيسى عليه السلام، وأنه أسكن الأنصار اليمانيين في المدينة فهابهم اليهود وتحالفوا معهم .

٢- أخبر اليهود العرب بولادة النبي الموعود صلى الله عليه وآله

اشتهر في مكة وغيرها خبر يوسف اليهودي ! ففي كمال الدين/١٩٦: «كان بمكة يهودي يقال له يوسف ، فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك قال: هذا نبي قد ولد في هذه الليلة ، وهو الذي نجده في كتبنا أنه إذا ولد وهو آخر الأنبياء ، رُجمت الشياطين وحجبوا عن السماء..الخ.». وسيأتي في ولادة النبي صلى الله عليه وآله!

أقول: هذا الحديث الذي رواه الجميع يثبت أن اليهود سكنوا في مكة بانتظار النبي وعرفوا علامة مولده عليه السلام. وقد أخطأ محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد»/٦٥، فقال: «كان يُحظر على اليهود والنصارى سكنى مكة ، إلا أن يكون أجيراً لا يتحدث بشئ من أمر دينه ومن أمر كتابه ».(راجع الصحيح من السيرة: ٢/٢٢٢).

كما انتشر بين العرب خبر بحيرا الراهب الآتي ، وإخباره بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وتحذيره عمه أبا طالب رضي الله عنه من خطر اليهود عليه !

أما الأوس والخزرج فقد ملأت آذانهم بشائر حلفائهم اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله ، فكان ذلك سبباً لإيمانهم به ، ورووت مصادر الجميع قصة إسلام أسعد بن زرارة

وهو أحد زعماء الأوس عندما ذهب الى مكة ليتحالف مع قريش ضد الخزرج فرأى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم: ففي إعلام الورى:١/١٣٨: «وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم النضير وقريظة وقينقاع أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة ، لنقتلنكم به يا معشر العرب.. فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله... والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك ويبشروننا بمخرجك ، ويخبروننا بصفتك ، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك ، فقد أعلمنا اليهود ذلك ، فالحمد لله الذي ساقني إليك ، والله ما جئت إلا لطلب الحلف على قومنا ، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له » !

٣- سبب معاداة اليهود للنبي صلى الله عليه وآله أنه من بني إسماعيل !

صرح اليهود بأن سبب عدائهم وتكذيبهم للنبي صلى الله عليه وآله أنه من غيرهم وهم يريدون أن يكون منهم ! وقد تقدم أنه أغمي على الحاخام يوسف في مكة عندما ولد النبي صلى الله عليه وآله ، ولما أفاق سأله القرشيون ماذا دهاه؟ فقال لهم: ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد» ! « وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل ، فما بال هذا من بني إسماعيل » ! (أسباب النزول/١٧).

وقد طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن يعلن أنه رسولٌ خاص اليهم ليؤمنوا به !

ففي أمالي الصدوق/٢٥٤ ، عن علي عليه السلام قال: « جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد ، أنت الذي تزعم أنك رسول الله ، وأنك الذي يوحى إليك كما أوحي إلى موسى بن عمران ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله ساعة ، ثم قال: نعم ، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين .

قالوا: إلى من ، إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا ؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية: قُلْ (يا محمد) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ».

ونشط اليهود في تعليم قريش الخطط لعداء النبي صلى الله عليه وآله ومحاولة قتله ! فكانوا يتبادلون الرسل والرسائل بينهم ، وقد بدأت مشاوراتهم من أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله ، ففي تفسير الطبري:١٥/٢٣٨:« بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ». وتطورت اتصالاتهم الى تعاون حتى وصلت الى تحشيد الأحزاب لغزو المدينة واستئصال محمد صلى الله عليه وآله وبني عبد المطلب .

وبعد هزيمة الأحزاب وفتح النبي صلى الله عليه وآله مكة ، واصل اليهود عملهم مع قريش ، وأخذوا يعلمونهم الخطط لقتله وأخذ خلافته ، وإبعاد عترته !

لذا يجب في دراسة السيرة رصد نشاط اليهود في حياة النبي صلى الله عليه وآله وتأثيرهم على قادة قريش ، وعلى مجموعة الصحابة الذين كانوا يدرسون عندهم ، الذين ابتكر لهم النبي صلى الله عليه وآله إسم (المُتَهَوِّكِين) وحذر المسلمين منهم مراراً !

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمر وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ . (محمد: ٢٥-٢٦) . فهذه الآية نص على اتفاقية سرية أبرمت ضد النبي صلى الله عليه وآله بينهم وبين اليهود على أمر مستقبلي !

لقد طالت إقامة اليهود في جزيرة العرب خمسة قرون ، وتكلم كثير منهم العربية ، وكان لهم صلات وثيقة بالقرشيين بحكم مكانة قريش بين العرب ، وأنهم أبناء عمهم إسماعيل عليه السلام. وكان العرب يحترمونهم كعلماء ويرجعون

إليهم في مسائل التاريخ والتنبؤ بالمستقبل ، واستمر ذلك في بعض الصحابة حتى بعد بعثة النبي ﷺ وإسلامهم ! فقد كانت عائشة زوجة النبي ﷺ وأباها معجبين بالثقافة اليهودية ! روى مالك في الموطأ:٩٤٣/٢: « أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها ! فقال أبو بكر: إرقيها بكتاب الله ».

فهي تثق بدعاء تلك العجوز اليهودية أكثر مما تثق بنفسها وما علمها النبي ﷺ من دعاء ! وسواء قصد أبو بكر بقوله: إرقيها بكتاب الله ، القرآن أو التوراة ، فهو يعني أن اليهودية بمستوى أن ترقي زوجة النبي ﷺ !

وقد أفتى فقهاء مذاهب السلطة بأنه يجوز للمسلم أن يسترقي اليهودي !

والخلاصة: أن علاقة اليهود كانت وثيقة بقريش ، وقد عاونوها في عدائها للنبي ﷺ وحروبها معه ، وواصلوا تعاونهم مع خلفائه القرشيين ، فكان لهم كلمتهم في (دار الخلافة) في المدينة ، وفي (بلاط الخلافة) بالشام ، وكان حاخاماتهم في مناصب مستشارين ثقافيين وسياسيين للخليفة ، فأثروا في ثقافة المذاهب السنية تأثيراً كبيراً !

٤- كتب النبي ﷺ عهداً مع اليهود للتعايش

وعندما هاجر النبي ﷺ الى المدينة كتب مع فئات اليهود معاهدة تعايش:

أما بنو قينقاع الصاغة ، فنقضوا الصلح فسار إليهم النبي ﷺ بعد عشرين يوماً من وقعة بدر ، فتحصنوا فحاصرهم خمسة عشر يوماً حتى نزلوا على حكمه فأوثقهم كتافاً ، ووهبهم لحليفهم المنافق عبدالله بن سلول ، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ، فخرجوا إلى أذرعات الشام ، وكانوا ست مئة مقاتل .

وأما بنو النضير ، فتآمروا على قتل النبي ﷺ ونزلت فيهم سورة الحشر ، فبعث

إليهم أن أخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها ، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي أن لاتخرجوا من دياركم ، فإن معي ألفين يموتون دونكم ، وينصركم بنو قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فبعث رئيسهم حيي بن أخطب إلى النبي صلى الله عليه وآله: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ! فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبر أصحابه !

وأمر علياً عليه السلام بالمسير إليهم فحاصرهم وقتل نخبة من فرسانهم ، ولم ينصرهم عبد الله بن أبيّ ، ولا بنو قريظة ، ولاحلفاؤهم من غطفان !

وبعد أيام من الحصار قالوا للنبي صلى الله عليه وآله: نخرج من بلادك فأعطنا أموالنا فقال: لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل ، فخرجوا إلى وادي القرى والشام.

وأما بنو قريظة ، فبقوا على صلحهم مع النبي صلى الله عليه وآله حتى ذهب زعماء اليهود الى مكة وتحالفوا مع أبي سفيان لغزو المدينة في حرب الأحزاب ، ثم تجولوا على قبائل نجد والجزيرة يحثونهم على حرب النبي صلى الله عليه وآله ووعدوهم بتمر خيبر .

وعندما حاصر الأحزاب المدينة نقض بنو قريظة عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله لكنهم طلبوا من الأحزاب رهائن حتى لا يتركوهم وحدهم مقابل النبي صلى الله عليه وآله ، فلم يعطوهم ، ولما انهزم الأحزاب سار إليهم النبي صلى الله عليه وآله فحاصرهم حتى نزلوا على حكم حليفهم سعد بن معاذ فحكم بقتل من حرض منهم وكانوا نحو ثلاث مئة .

وأما يهود خيبر ، فكانوا أكبر قوة لليهود ، وشاركوا في مؤامرات اليهود على النبي صلى الله عليه وآله فقصدهم في السنة السابعة للهجرة ، وأخضعهم وانتصر عليهم .

○ ○

الفصل الرابع

مكانة الكعبة عند العرب

١- بوّأ الله الكعبة لإبراهيم وذريته عليهم السلام وسماهم الأمة المسلمة

فقد دعا إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليه وآله عند بناء البيت: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

وهذه الأمة من ذرية إسماعيل عليه السلام لا تنطبق إلا على النبي والأئمة من آله صلى الله عليه وآله.

وروى الثقفي في الغارات:٢٠٠/١، رسالة علي عليه السلام لمعاوية ، وفيها:« ولكل نبي دعوة في خاصة نفسه وذريته وأهله... قال إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليه وآله وهما يرفعان القواعد من البيت: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، فنحن الأمة المسلمة. وقالا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . فنحن أهل هذه الدعوة ورسول الله صلى الله عليه وآله منا ونحن منه ، بعضنا من بعض وبعضنا أولى ببعض في الولاية والميراث: ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ».

وفي الكافي:١٤/٥، أن الإمام الصادق عليه السلام حصر الأمة المأذون لها بالدعوة الى الله في قوله تعالى: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ..بالأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام، فقال:«ثم أخبر عن هذه الأمة ومن هي وأنها من ذرية إبراهيم وذرية إسماعيل من سكان الحرم ، ممن لم يعبدوا غير الله قط ! الذين وجبت لهم الدعوة دعوة إبراهيم

وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أذهب عنهم الرجس».

وفي كتاب سليم/٤٠٦:« إنا أهل بيت دعا الله لنا أبونا إبراهيم عليه السلام فقال: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، فإيانا عنى الله بذلك خاصة . ونحن الذين عنى الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ..إلى آخر السورة ، فرسول الله الشاهد علينا ، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه».

وفي الكافي:٣٩٢/١ ، أن الإمام الباقر عليه السلام: « نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية ! إنما أمروا أن يطوفوا بها ، ثم ينفروا إلينا فيُعْلمونا ولايتهم ومودتهم ، ويعرضوا علينا نصرتهم ! ثم قرأ هذه الآية: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ». أي لم يقل: إليها !

وفي تفسير العياشي:٢٣٣/٢، عنه عليه السلام قال:« ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت ويعظموه لتعظيم الله إياه ، وأن يلقونا حيث كنا ، نحن الأدلاء على الله».

وفي دعائم الإسلام: ٣١/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:« لم يكن من الأمم السالفة والقرون الخالية والأسلاف الماضية ولا سمع به أحد أشد ظلماً من هذه الأمة ، فإنهم يزعمون أنه لافرق بينهم وبين أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله ولا فضل لهم عليهم ، فمن زعم ذلك من الناس فقد أعظم على الله الفرية وارتكب بهتاناً عظيماً وإثماً مبيناً ! وهو بذلك القول برئ من محمد وآل محمد حتى يتوب ويرجع إلى الحق بالإقرار بالفضل لمن فضله الله عز وجل عليه... فأصحاب دعوة إبراهيم وإسماعيل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام، ومن كان متولياً لهؤلاء

من ولد إبراهيم وإسماعيل فهو من أهل دعوتهما ، لأن جميع ولد إسماعيل قد عبدوا الأصنام ، غير رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وكانت دعوة إبراهيم وإسماعيل لهم». يعني غير هذا الفرع من أولاد إسماعيل عليه السلام.

٢- أولياء الكعبة هم إبراهيم وذريته المنصوص عليهم عليهم السلام

جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الحَرَامَ وَالهَدْيَ وَالقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. إعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.(المائدة: ٩٧-٩٨).

إنَّ أولَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ للذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ. (آل عمران: ٩٦-٩٧).

وَإذْ بَوَّأْنَا لإبْرَاهِيمَ مَكَانَ البَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ . ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ. حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ . وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا

اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ.الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلادِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ. (الحج: ٢٥-٣٧).

٣- الإمامة عهد الله لإبراهيم وإسماعيل ومن لم يظلم من ذريتهما عليهما السلام

وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. (الأنفال: ٣٤-٣٥).

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لايَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ

إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ. (البقرة: ١٢٤-١٣١).

٤- نصوص التوراة عن إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل عليه السلام في مكة

تقول التوراة الموجودة إن سارة حسدت ضرتها هاجر ، فطلبت من إبراهيم عليه السلام أن يطردها مع طفلها فطردهما الى برية سيناء ، ثم سكنا في برية فاران أي مكة !

وتؤكد توراتهم أن عهد الله تعالى بالإمامة والخلافة في الأرض ، إنما كان لإبراهيم وابنه إسحاق وذريته ، ولا يشمل إسماعيل وذريته أبداً !

والفقرات التالية من العهد القديم/٢٥-٣٠ ، تصور معالم القصة:« وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو إسمه إسحاق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد. وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية... ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح فقالت لإبراهيم: أطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه ، فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة إسمع لقولها ، لأنه بإسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك. فبكر

إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر ، واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها ، فمضت وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام وشدي يدك به ، لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران، وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر). «وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار لأنها كانت عاقراً ، فطردتها سيدتها ولاقاها ملاك الرب في الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم، ووعدها بأنها ستلد إبناً تسميه إسماعيل ، وأنه يكون أباً لجمهور من الناس وأنه سيسكن البرية كحمار وحشي» ! (قاموس الكتاب المقدس/٧٤ (تك ١٦: ٥-١٤)

وفي سفر التثنية/الإصحاح٣٣: « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم ».

وفي سفر حيقوق/إصحاح٣: « الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من

يده شعاع. وهناك استتار قدرته ».

وسيناء: محل نزول الوحي على موسى. وسعير: محل بعثة عيسى. وفاران: جبال مكة المكرمة التي تلألأت بنور محمد ﷺ !

وفي التوراة والإنجيل/١١٤٠ موقع: arabicbible:«ستبيتين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الددانيين. فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان واستقبلوا الهاربين بالخبز. لأنهم قد فروا من السيف المسلول والقوس المتوتر ومن وطيس المعركة. لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار ، وتكون بقية الرماة الأبطال من أبناء قيدار قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم ». انتهى.

هذا كل ما أوردته توراتهم عن سكن إسماعيل عليه السلام في مكة ، وقد أهملت عن عمد تجديد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء الكعبة ! لأنه تخطيطٌ ربانياً للأمة الآخرة من إسماعيل وذريته عليهم السلام ، وإبعادهم عن أجواء التعقيدات التي سيبتلى فيها فرع إسحاق عليه السلام ،وإخبار بأن الله سينقل النبوة الى هذا الفرع المذخور عند بيته الحرام .

٥- وفرة أحاديث أهل البيت في الكعبة وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

اهتمت أحاديث أهل البيت عليهم السلام ببيان مكانة الكعبة الشريفة ، وأن أصلها كان قبل آدم عليه السلام ، وأنها نزلت على آدم عليه السلام ياقوتة حمراء وكانت قواعدها زبرجدة خضراء ، ثم عفيت بعد نوح فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يسكن عندها طفله

إسماعيل وأمه هاجر ، وبعث جبرئيل عليه السلام فاحتفر بئراً يكون منها شرابهم وشراب الحاج .

ثم أمر إبراهيم أن يجدد بناءها مع ابنه إسماعيل عندما صار شاباً ، فجدداها ، وأمره أن يحج اليها ويدعو الناس الى حجها ، ويريهم مناسكهم ، فدعا الناس واستجابوا له وحج بهم ، ثم أمره الله تعالى أن يذبح إسماعيل عليه السلام فأطاعه وبعث الله كبشاً كما قص في القرآن ، وتوفيت هاجر أم إسماعيل عليه السلام فدفنها في المسجد عند الكعبة ، وجعل حول قبراً حجراً وأدخله في المطاف ، حتى لايدوس الناس قبرها !

كما بينت أحاديثهم عليهم السلام تقديس العرب للكعبة ، والتزامهم بالعمرة في رجب والحج في ذي الحجة.. الى عشرات العناوين والتفصيلات عن الكعبة ومكانتها ، وعن آل إبراهيم عليهم السلام. (راجع الكافي: ٢٠١/٤ ، وعلل الشرائع: ٥٨٦/٢ ، وتفسير القمي: ٦٠/١ وغيرها .

وروت شبيهاً به مصادر السنيين كالبخاري: ١١٤/٤. لكن رواياتهم تأثرت بالإسرائيليات .

○ ○

الفصل الخامس

مكانة آباء النبي صلى الله عليه وآله عند العرب

١ - تفوّق هاشم جد النبي صلى الله عليه وآله على قريش

فقد أسس رحلتي الشتاء والصيف . قال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة العلوية/٣: « أول من رفع الله تعالى من قريش قبل النبوة أربعة: هاشم والمطلب ، وعبد شمس ونوفل ، خرج هاشم في ألف من قريش إلى الشام فأخذ من قيصر ملك الروم عهداً لقريش ليتجروا في بلاده... وخرج المطلب إلى اليمن فأخذ من ملوك اليمن عهداً لهم ، وركب نوفل البحر فأخذ لهم من النجاشي عهداً ».

«وكان هاشم يُدعى القمر ، ويسمى زادُ الركب ». (عمدة الطالب/٢٥).

«وكان يقال لهاشم والمطلب: البدران لجمالهما ». (كامل ابن الأثير: ١٧/٢).

وفي الطبقات:٧٨/١: «كان هاشم رجلاً شريفاً ، وهو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تختلف آمنة . وأما من على الطريق فآلفهم على أن تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق ، فكتب له قيصر كتاباً...وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام حتى بلغ غزة فاشتكى ، فأقاموا عليه حتى مات ، فدفنوه بغزة ورجعوا بتركته إلى ولده» .

«وكان هاشم أول من سنَّ الرحلتين ، فكان يرحل في الشتاء إلى اليمن ، وإلى الحبشة فيكرمه النجاشي ، ويرحل في الصيف إلى الشام ، وبها مات ، وربما وصل إلى أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه . ومن خصال بني هاشم ما عبر عنها علي بن أبي طالب: خصصنا بخمس: فصاحة، وصباحة ، وسماحة ، ونجدة ، وحظوة». (معجم قبائل العرب لعمر كحالة:١٢٠٧/٣، وذكر مصادره: ابن خلدون:٣٢٨/٢، والطبري:٢٣/٥ و:٤٨/٩).

ومعنى تأسيسه رحلتي الشتاء والصيف ، أنه عقد معاهدات مع قيصر وكسرى والقبائل التي تمر فيها قوافلهم بين مكة واليمن ، وبين مكة والشام وفلسطين ومصر ، بعدم التعرض لها وحمايتها !

وقد مَنَّ الله على قريش بفعل هاشم فقال: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ . إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

لكن قريشاً لاتشكر نعم ربها ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وآله يقرأ السورة فيقول:« ويل أمكم قريش رحلة الشتاء والصيف ! في موضع: لإيلاف قريش». (تاريخ دمشق: ٢٢٨/٢٣، والزوائد:١٤٣/٧، وكبير الطبراني: ١٧٨/٢٤، وأحمد: ٤٦٠/٦).

وقد أسس هاشم إطعام الحجيج:«وإنما سمي هاشماً لهشمه الثريد للحاج ، وكانت إليه الوفادة والرفادة ، وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

عمرو العلى هَشَم الثريد لقومه   ورجالُ مكةَ مُسْنِتُونَ عجافُ ».

« أصاب الناس سنة جدب شديد ، فخرج هاشم إلى الشام ، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام ، فاشترى دقيقاً وكعكاً ، وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز

والكعك ونحر الجزر ، وجعله ثريداً وأطعم الناس حتى أشبعهم ، فسمي بذلك هاشماً، وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء». (تاريخ الطبري: ٨/٢، واليعقوبي: ٢٤٥/١).

وفي العدد القوية/١٤٠: «كان لهاشم خمسة بنين: عبد المطلب وأسد ونضلة وصيفي وأبو صيفي . وسمي هاشماً لهشمه الثريد للناس في زمن المسغبة ، وكنيته أبو نضلة ، واسمه عمرو العلى . قال ابن الزبعري:

كانت قريشٌ بيضةً فتفلَّقَتْ ... فالمخُّ خالصُها لعبد مَناف

الرايشون وليس يوجد رايشٌ ... والقائلونَ هلمَّ للأضياف

والخالطونَ فقيرهم بغنيهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي

عمرو العلى هشمَ الثريد لقومه ... ورجالُ مكة مسنتون عجافِ

٢- أمية وهاشم كقابيل هابيل

نصَّت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أن الله تعالى أمر آدم عليه السلام أن يوصي لابنه الأصغر هابيل ، فحسده قابيل ، فتباهلا بالقربان ، فزاد حسد قابيل لهابيل وقتله !

ففي تفسير العياشي: ٣١٢/١: «عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنهم يزعمون أن قابيل إنما قتل هابيل لأنهما تغايرا على أختهما؟ فقال له: يا سليمان تقول هذا ! أما تستحيي أن تروى هذا على نبي الله آدم ؟! فقلت: جعلت فداك ففيمَ قتل قابيل هابيل ؟ فقال: في الوصية . ثم قال لي: يا سليمان إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم

إلى هابيل وكان قابيل أكبر منه ، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية ! فأمرهما أن يقربا قرباناً بوحي من الله إليه ففعلا ، فقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله .

فقلت: جعلت فداك فممن تناسل ولد آدم هل كانت أنثى غير حواء ، وهل كان ذكر غير آدم؟ فقال: يا سليمان إن الله تبارك وتعالى رزق آدم من حواء قابيل وكان بكر ولده ومن بعده هابيل ، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له جنية وأوحى إلى آدم أن يزوجها قابيل ففعل ذلك آدم ، ورضي بها قابيل وقنع ، فلما أدرك هابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له حوراء وأوحى الله إلى آدم أن يزوجها من هابيل ففعل ذلك ، فقتل هابيل والحوراء حامل فولدت الحوراء غلاماً فسماه آدم هبة الله ، فأوحى الله إلى آدم أن ادفع إليه الوصية واسم الله الأعظم . وولدت حواء غلاماً فسماه آدم شيث بن آدم ، فلما أدرك ما يدرك الرجال أهبط الله له حوراء وأوحى إلى آدم أن يزوجها من شيث ابن آدم ، ففعل فولدت الحوراء جارية فسماها آدم حورة ، فلما أدركت الجارية زوج آدم حورة بنت شيث من هبة الله بن هابيل ، فنسل آدم منهما . فمات هبة الله بن هابيل فأوحى الله إلى آدم أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم وما أظهرتك عليه من علم النبوة وما علمتك من الأسماء إلى شيث بن آدم . فهذا حديثهم يا سليمان». انتهى.

واتفق المؤرخون على نُبل هاشم رضي الله عنه وتميزه ، وأن أباه عبد مناف أوصى له بمفتاح البيت ومواريث إسماعيل عليه السلام: « وكان مناف وصى إلى هاشم ، ودفع إليه

مفتاح البيت ، وسقاية الحاج وقوس إسماعيل». (العدد القوية/١٤٠).

وقال الطبري:١٣/٢: « ووليَ هاشم بعد أبيه عبد مناف السقاية والرفادة ».

ورووا كلهم أن أخاه أمية حسده وعاداه ودعاه الى المنافرة ! ومعنى المنافرة أن يحتكم المتنافران الى كاهن أو حكيم يقبلان بحكمه !

قال الطبري: ١٣/٢ ، بعد أن ذكر مدح الشعراء لهاشم: « فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا مال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة ! فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ، ولم تدعه قريش وأحفظوه ، قال فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضي بذلك أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي ، فنفَّر هاشماً عليه (حكم لهاشم أنه أفضل) فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية ».

وفي السيرة الحلبية:٧/١: « فعاد هاشم إلى مكة ونحر الإبل وأطعم الناس ، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارث ذلك بنوهما». والطبقات:٧٥/١ ، وعامة مصادر التاريخ والسيرة.

وقد ورَّث أمية حسده وعداوته الى أبنائه ! قال الطبري:١٣/٢: « تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي».

واشتهر حسد بني أمية لهاشم حتى قال الناس إنهما ولدا توأماً ورِجْلُ هاشم ملتصقة بجبهة أمية ! قال الطبري:٢/١٣: « وقيل إن عبد شمس وهاشماً توأمان وإن أحدهما ولد قبل صاحبه وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه ، فنحيت عنها فسال من ذلك دم ، فتطير من ذلك فقيل تكون بينهما دماء ».

وروى ابن عساكر:٩/٢٢٠، قصة المعمر اليماني مع معاوية في وصف أمية وهاشم: «قال معاوية: إني لأحب أن ألقى رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأى الناس ، يخبرنا عما رأى ، فقال بعض جلسائه: ذلك رجل بحضرموت ! فأرسل إليه فأُتيَ به فقال له... فأخبرني هل رأيت هاشماً ؟ قال: نعم رأيته رجلاً طوالاً حسن الوجه ، بين عينيه غرة بركة. قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيته رجلاً قصيراً أعمى يقال إن في وجهه لشراً أو شؤماً ! قال: فهل رأيت محمداً ؟ قال: من محمد ؟ قال: رسول الله ، قال: ويحك ألا فخَّمته كما فخمه الله فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلاً تاجراً. قال: فما بلغت تجارتك ؟ قال: كنت لا أشتري عيباً ولا أرد ربحاً ! قال له: سلني ، قال: أسألك أن تدخلني الجنة» ! ورواه أبو حاتم في كتاب المعمرين/٣٤.

وقالوا كان هاشم شاباً ابن خمس وعشرين فمرض ومات في غزة ، قال الحموي في معجم البلدان: ٤/٢٠٢، و: ٣/٤٠: «مات هاشم بغزة وعمره خمس وعشرون سنة وذلك الثبت». أقول: لعله كان الخمسينات كماتشير رواية منافرته مع أمية ، ولأنهم ذكروا أنه أنشأ علاقات مع ملوك عصره ، وكانت له سفرات كثيرة الى

الحبشة والشام واليمن وكان يصل الى أنقرة فيكرمه قيصر . ويحتمل أن يكون سقي السم ، لأنه أول رجل من أولاد إسماعيل عليه السلام كانت له زعامة مطلقة في العرب واحترام من ملوك عصره . وقد كان لأمية علاقات باليهود في بلاد الشام ، فقد يكون أمية دبَّر سُمَّه بعد أن نافره وحكم العراف عليه بالنفي .

قال ابن قتيبة في المعارف/٣١٩: «كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، فوقع على أمة للخم يهودية من أهل صفورية يقال لها ترنا ، وكان لها زوج من أهل صفورية يهودي ، فولدت له ذكوان ، فادعاه أمية واستلحقه وكناه أبا عمرو ، ثم قدم به مكة ، فلذلك قال النبي (ص) لعقبة يوم أمر بقتله: إنما أنت يهودي من أهل صفورية ». ولا مجال لتفصيل ذلك .

وفي الصحيح من السيرة:١٠٣/٥:« فقال عقبة: يا محمد ناشدتك بالله والرحم ! فقال له ﷺ: وهل أنت إلا علج من أهل صفورية... ما أنت إلا علج أو يهودي من أهل صفورية ، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له».

وفي المنمق/٩٧:«خرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين ، ومن ثم يقال إن أمية استلحق أبا عمرو ابنه وهو ذكوان وهو رجل من أهل صفورية فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبان وهو أبو معيط ! ويقال استحلق ذكوان أيضاً أبان». راجع: الطبقات: ٧٥/١ ، والمنمق/٩٧، والطبري: ٣٧١/١و١٣/٢، وكامل ابن الأثير: ١٦/٢، والنزاع والتخاصم بين بني أمية وهاشم للمقريزي/٤٩ ، وإمتاع الأسماع: ٦/١٠، وسبل الهدى: ٢٧١/١، والسيرة الحلبية: ٧/١ ، والمنتظم: ٢١٢/٢ ، وأعلام النبوة/٢٥١ ، ونهاية الإرب/٣٢٥٣، وأنساب الأشراف/٣٩، ومعجم ما استعجم: ٨٣٧/٣ ، والعدد القوية/١٤٠ ، وشيخ المضيرة أبو هريرة/١٥٩ .

٣- عبد المطلب بن هاشم والكعبة

أ. تعاظمت مكانة الكعبة فبنى نصارى نجران كنيسة ، ودعوا العرب للحج اليها ،

ففي معجم البلدان: ٢٦٨/٥: «كعبة نجران هذه يقال بِيعَة بناها بنو عبد الملك بن الديان الحارثي على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة ، وسموها كعبة نجران ، وكان فيها أساقفة مقيمون ، وهم الذين جاؤوا إلى النبي (ص) ودعاهم إلى المباهلة».

«كان لآل عبد المدان بن الديان سادة بني الحارث بن كعب ، وكان بناؤه مربعاً مستوي الأضلاع والأقطار ، مرتفعاً من الأرض ، يُصعد إليه بدرجة على مثال بناء الكعبة ، فكانوا يحجونه هم وطوائف من العرب ممن يحل الأشهر الحرم ولا يحجون الكعبة ، وتحجه خثعم قاطبة. وكان أهل ثلاثة بيوتات يتبارون في البِيَع وزيها: آل المنذر بالحيرة ، وغسان بالشام ، وبنو الحارث بن كعب بنجران ، ويعتمدون ببنائها المواضع الكثيرة الشجر والرياض والمياه ، وكانوا يجعلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب ، وكان على ذلك بنو الحارث إلى أن أتى الله بالإسلام ، فجاء النبيَّ(ص) منهم العاقب والسيد وغيرهما للمباهلة ، فاستعفوا منها». (معجم ما استعجم:٦٠٣/٢). وبنو عبد الديان كانوا يهوداً فتنصروا .

ب. وبنى حاكم اليمن كعبة بصنعاء ، وقصد بجيشه الكعبة ليهدمها ! قال الله تعالى:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ !

قال في معجم البلدان:٤٢٧/٣ ، و٤٩٤:« وبنى أبرهة بصنعاء (القَلِيس) وأخذ الناسَ

بالحج إليه وبناه بناء عجيباً... مدينة لم يَرَ الناس أحسن منها ، ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء ، وألوان الأصباغ ، وصنوف الجواهر ، وجعل فيها خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ، ولكّكَهَا بأنواع الأصباغ ، وجعل لخارج القبة بُرنساً ، فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تلمع البصر... محمد بن زياد الصنعاني قال: رأيت مكتوباً على باب القليس وهي الكنيسة التي بناها أبرهة على باب صنعاء بالمسند: بنيتُ هذا لك من مالك ليذكر فيه إسمك ، وأنا عبدك .كذا بخط السكري: بفتح القاف وكسر اللام.

قال عبد الرحمن بن محمد: سميت القليس لارتفاع بنيانها وعلوها ، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس.. وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعاً من السخر ، وكان ينقل إليها آلات البناء كالرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكهم ، فاستعان بذلك على ما أراده من بناء هذه الكنيسة وبهجتها وبهائها ، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ، ومنابر من العاج والآبنوس . وكان أراد أن يرفع في بنيانها حتى يشرف منها على عدن... فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والآلات من الذهب والفضة ذات القيمة الوافرة والقناطير من المال ، لا يستطيع أحد أن يأخذ منه شيئاً ، إلى زمان أبي العباس السفاح ، فذكر له أمرها فبعث إليها خاله الربيع بن زياد الحارثي عامله على اليمن ، وأصحبه رجالاً من أهل الحزم والجلَد ، حتى

استخرج ما كان فيها من الآلات والأموال ، وخربها حتى عفى رسمها وانقطع خبرها ، وكان الذي يصيب من يريدها من الجن منسوباً إلى كعيت وامرأته ، صنمان كانا بتلك الكنيسة بنيت عليهما ! فلما كُسر كعيت وامرأته أصيب الذي كسرهما بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وقالوا: أصابه كعيت !

ولما استتم أبرهة بنيان القليس كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب..». انتهى.

أقول: ذكر الرواة هنا أن رجلاً من العرب دخل الى كعبة أبرهة وأحدث فيها ، فغضب أبرهة وحلف أن يهدمَ الكعبة في مكة ، وخرج بجيشه ليهدم الكعبة .

ولا أستبعد أن تكون القصة ملفقة من أبرهة لتبرير غزوه للكعبة ، ولو صحت فليست هي السبب ، لأن هدفه كان إجبار العرب على حج كعبته ولو بهدم الكعبة. راجع عن كعبة صنعاء: تاريخ الطبري: ٥٥٠/١ ، وتفسيره: ٣٨٦/٣٠ ، وابن خلدون: ٢ ق ٦١/١.

وفي الكافي: ٢١٦/٤، عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة مروا بإبل لعبد المطلب فاستاقوها فتوجه عبد المطلب إلى صاحبهم يسأله رد إبله عليه فاستأذن عليه فأذن له وقيل له: إن هذا شريف قريش أو عظيم قريش ، وهو رجل له عقل ومروة ، فأكرمه وأدناه ثم قال لترجمانه: سله ما حاجتك؟ فقال له: إن أصحابك مروا بإبل لي فاستاقوها فأحببت أن تردها عليَّ ، قال: فتعجب من سؤاله إياه رد الإبل وقال: هذا الذي

زعمتم أنه عظيم قريش وذكرتم عقله يدع أن يسألني أن أنصرف عن بيته الذي يعبده ! أما لو سألني أن أنصرف عن هده لانصرفت له عنه ! فأخبره الترجمان بمقالة الملك فقال له عبد المطلب: إن لذلك البيت رباً يمنعه وإنما سألتك رد إبلي لحاجتي إليها فأمر بردها عليه. ومضى عبد المطلب حتى لقي الفيل على طرف الحرم ، فقال له: محمود ! فحرك رأسه فقال له: أتدري لما جئ بك ؟ فقال برأسه: لا ، فقال: جاؤوا بك لتهدم بيت ربك أفتفعل؟ فقال برأسه: لا. قال: فانصرف عنه عبد المطلب. وجاؤوا بالفيل ليدخل الحرم ، فلما انتهى إلى طرف الحرم امتنع من الدخول فضربوه فامتنع ، فأداروا به نواحي الحرم كلها ، كل ذلك يمتنع عليهم فلم يدخل ! وبعث الله عليهم الطير كالخطاطيف في مناقيرها حجر كالعدسة أو نحوها ، فكانت تحاذي برأس الرجل ثم ترسلها على رأسه فتخرج من دبره ، حتى لم يبق منه أحد إلا رجل هرب ! فجعل يحدث الناس بما رأى إذا طلع عليه طائر منها فرفع رأسه فقال: هذا الطير منها وجاء الطير حتى حاذى برأسه ثم ألقاها عليه فخرجت من دبره فمات » .

«وخرجوا هاربين يطلبون الشعاب ، ومنهم من طلب الجبال ، ومنهم من ركب البحر ، قال: فعند ذلك قالوا لعبد المطلب: ما يمنعك أن تهرب مع الناس ؟ قال: أستحيي من الله أن أهرب عن بيته وحرمه ، فوالله لا برحت من مكاني ولا نأيت عن بيت ربي حتى يحكم الله بما يشاء.. قال: فلما نظر عبد المطلب إلى الكعبة خالية قال: « اللهم أنت أنيس المستوحشين ولا وحشة معك ، فالبيت بيتك والحرم

حرمك والدار دارك ، ونحن جيرانك تمنع عنه ما تشاء ».(البحار: ١٥/٦٦).

وفي الطبقات: ٩٢/١، والطبري: ٥٥٧/١: « فأمر برد إبله عليه ، فلما قبضها قلدها النعال وأشعرها وجعلها هدياً وبثها في الحرم لكي يصاب منها شئ فيغضب رب الحرم ! وأوفى عبد المطلب على حراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومطعم بن عدي وأبو مسعود الثقفي ، فقال عبد المطلب:

لاهُمَّ إن المرءَ يمنعُ رحله فامنع حلالك

لا يغلبنَّ صليبهم ومحالهم عدواً محالك

ونزل عبد المطلب من حراء فأقبل عليه رجلان من الحبشة فقبلا رأسه وقالا له: أنت كنت أعلم » .

وفي كنز الفوائد/٨١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«لما ظهرت الحبشة باليمن وجَّه يكسوم ملك الحبشة بقائدين من قواده ، يقال لأحدهما أبرهة والآخر أرباط ، في عشرة من الفيلة كل فيل في عشرة آلاف ، لهدم بيت الله الحرام ، فلما صاروا ببعض الطريق وقع بأسهم بينهم واختلفوا ، فقتل أبرهة أرباط واستولى على الحبش ، فلما قارب مكة طرد أصحابه عيراً لعبد المطلب بن هاشم فصار عبد المطلب إلى أبرهة ، وكان ترجمان أبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبد المطلب ، فقال الترجمان لأبرهة: هذا سيد العرب وديانها فأجلَّه وأعظمه ، ثم قال لكاتبه: سله ما حاجته؟ فسأله فقال: إن أصحاب الملك طردوا لي نعماً ! فأمر بردها ثم أقبل على الترجمان فقال: قل له عجباً لقوم سودوك ورأسوك عليهم حيث تسألني في عير لك ، وقد جئت لأهدم شرفك ومجدك ، ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت !

فقال: أيها الملك إن هذه العير لي وأنا ربها فسألتك إطلاقها ، وإن لهذه البَنِيَّة رباً يدفع عنها ! قال: فإني غاد لهدمها ، حتى أنظر ماذا يفعل !

فلما انصرف عبد المطلب حلَّ أبرهة بجيشه ، فإذا هاتف يهتف في السحر الأكبر: يا أهل مكة أتاكم أهل عكة ، بجحفل جرار ، يملأ الأنذار ، ملء الجفار فعليهم لعنة الجبار ! فأنشأ عبد المطلب يقول:

أيها الداعي لقد أسمعتني	كلَّمَا قُلْتَ وما بي من صَمَمْ
إن للبيت لرباً مانعاً	من يُرده بأثام يصطلم
رامهُ تُبَّعُ في أجناده	جميرٌ والحيُّ من آل إرم
هلكت بالبغي فيه جرهمٌ	بعد طَسْمٍ وجَديسٍ وجُشَمْ
وكذاك الأمر فيمن كاده	ليس أمر الله بالأمر الأَمَم
نحن آلُ الله فيما قد خلا	لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَمْ
لم يزل لله فينا حجةٌ	يدفع الله بها عنها النقم
نعرف الله وفينا شيمة	صلة الرحم ونوفي بالذمم
ولنا في كل دور كرة	نعرف الدين وطوراً في العجم
فإذا ما بلغ الدور إلى	منتهى الوقت أتى طيْرُ القدم
بكتاب فصلت آياته	فيه تبيان أحاديث الأمم

فلما أصبح عبد المطلب جمع بنيه وأرسل الحرث ابنه الأكبر إلى أعلى جبل أبي قبيس فقال: أنظر يا بني ماذا يأتيك من قبل البحر ؟ فرجع فلم ير شيئاً ، فأرسل واحداً بعد آخر من ولده ، فلم يأته أحد منهم عن البحر بخبر ، فدعا ولده عبد الله

وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابه تضرب إلى عجزه فقال له: إذهب فداك أبي وأمي فاعلُ أبا قبيس وانظر ماذا ترى يجيء من البحر؟ فنزل مسرعاً فقال: يا سيد النادي رأيت سحاباً من قبل البحر مقبلاً ، يُسْفِلُ تارة ويرتفع أخرى ! إن قلت غيماً قلته ، وإن قلت جهاماً خلته ، يرتفع تارة وينحدر أخرى !

فنادى عبد المطلب: يا معشر قريش ، أدخلوا منازلكم فقد أتاكم الله بالنصر من عنده ، فأقبلت الطير الأبابيل في منقار كل طير حجر وفي رجليه حجران ، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب أبرهة ! كان يلقي الحجر في قمة رأس الرجل فيخرج من دبره ! وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم فقال سبحانه:« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...». السجيل الحجر الصلب ، والعصف ورق الزرع .

وفي البحار:٦٢/٢٣٣:« وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ! حتى انصدع صدره عن قلبه ، وانفلت وزيره وطائرٌ يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي ، فقص عليه القصة ، فلما انتهى وقع عليه الحجر فخرَّ ميتاً بإذن الله بين يديه» !

٤- نذر عبد المطلب رضي الله عنه أحد أبنائه قرباناً للكعبة !

كان عرب الحجاز وعرب العراق يقدسون صنم العزى أكثر من غيره ، ويقدمون له القرابين في مكان قرب منى:« وكان للعزى منحر ينحرون فيه هداياهم ، يقال له الغبغب... والراقصات إلى منى بالغبغب». (معجم البلدان: ٤/١٨٥).

«ونادى المشركون بشعارهم: يا للعزى يا لهبل ، وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً وولّى من ولّى منهم يومئذ ، وثبت رسول الله ﷺ». (الطبقات: ٤٢/٢).

وكانت حروبٌ بين دولة المناذرة التابعة للفرس والغساسنة التابعة للروم ، وكان المنذر بن ماء السماء وثنياً ، فأسر ابن ملك الغساسنة الحارث بن شمر في حربه معه ، فذبحه قرباناً للعزى! (تاريخ الأدب العربي للطتور ضيف/٤١ ، ط. دار المعارف المصرية).

في هذا الجو كان نذر عبد المطلب رضي الله عنه لربه تعالى إذا رزقه بعشرة أبناء أن يذبح أحدهم قرباناً له هدياً لكعبته ، فكان عمله دعوة لعبدة الأصنام وللنصارى أن يعبدوا رب بيت إبراهيم ، ويقدموا قرابينهم له وليس الى أصنامهم !

أما الإشكالات التي نراها في عمله ، فسببها جهلنا بالمستند الشرعي له في نذره وطريقة وفائه به ، غير أن ما ثبت عن شخصيته عليه السلام وإيمانه العميق وإلهام الله تعالى إياه حفر زمزم ، وظهور المعجزة له لما أرادت قريش أخذها منه ، وإخباره بآية أصحاب الفيل، يدل على أنه لم ينذر ولا تحلل من نذره إلا بحجة من ربه تعالى.

وفي دعائم الإسلام: ٥٢٢/٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه تجب القرعة فيما أشكل وذكر القرعة في قصة يونس في السفينة ، وقصة زكريا في كفالته لمريم عليها السلام: وقصة عبد المطلب:«نذر ذبح من يولد له فولد له عبد الله أبو رسول الله ﷺ فألقى الله عليه محبته فألقى عليه السهام وعلى إبل ينحرها يتقرب بها مكانه ، فلم تزل السهام تقع عليه وهو يزيد حتى بلغت مائة ، فوقع السهم على الإبل فأعاد السهام مراراً وهي تقع على الإبل ، فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي ونحرها ».

٥- كانت قريش تسمي عبد المطلب: إبراهيم الثاني

أ. وذلك بعد هزيمة أصحاب الفيل ، وما ظهر لهم من آيات عبد المطلب وكراماتـه

قال المؤرخ اليعقوبي: ١٠/١: « فكانت قريش تقول: عبد المطلب إبراهيم الثاني».

وفي الكافي: ٤٤٧/١ ، قال الإمام الصادق عليه السلام: «يبعث عبد المطلب أمة وحده ، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء عليهم السلام ، وذلك أنه أول من قال بالبداء ».

ومعناه أنه على درجة عالية من الإيمان هي التسليم المطلق لله تعالى فيما يفعله حتى لو كان على خلاف توقعنا . فقد أنبأ الله عبد المطلب أنه سيدفع جيش أبرهة عن البيت ، فأخبر أهل مكة وأبرهة بذلك ، وفي نفس الوقت دعا ربه أن يدفع عن بيته ، ثم خاطبه قائلاً: إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمرٌ ما بدا لك ».

أي: اللهم إني مسلِّمٌ لأمرك ومؤمن بك حتى لو لم تفعل ما أحبه وأخبرتني به !

ب. ورَّث عبد المطلب بهاءه وسيماءه الى أولاده / قال اليعقوبي: ١١/٢: « وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد . وحج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال: رجال كأنهم جمالٌ جون (دُهْم) فقال: بهؤلاء تمنع مكة ! وحج أكثم بن صيفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحفون الأرض بحبراتهم (جببهم الطويلة)! فقال: يابني تميم إذا أحب الله أن ينشئ دولة نبت لها مثل هؤلاء . هؤلاء غرس الله لا غرس الرجال».

وفي المنمق/٣٤: « لم يكن في العرب عدة بني عبد المطلب ، أشرف منهم ولا أجسم ، ليس منهم رجل إلا أشم العرنين ، يشرب أنفه قبل شفتيه ، ويأكل الجذع

ويشرب الفرق». (يأكل الخروف الصغير ويشرب سطل المخيض).

ج. تفرد مذهب أهل البيت عليهم السلام بأن آباء النبي صلى الله عليه وآله كلهم مؤمنون ، قال أبو حيان

الأندلسي:« ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي صلى الله عليه وآله كانوا مؤمنين».

أما غير الإمامية فذهب أكثرهم إلى أن آباء النبي صلى الله عليه وآله كانوا كفاراً ، وذهب بعضهم إلى إيمانهم ، وممن صرح بإيمانهم: المسعودي ، واليعقوبي ، وهو ظاهر كلام الماوردي ، والرازي في كتابه أسرار التنزيل ، والسنوسي ، والتلمساني محشي الشفاء ، والسيوطي ، وألف رسائل لإثبات ذلك . (الصحيح من السيرة:١٨٦/٢).

فالصحيح أن آباءه صلى الله عليه وآله وأخيار أسرته كانوا مؤمنين على دين إبراهيم عليه السلام وأن الله كلف فرع إسماعيل عليه السلام بالحنيفية ولم يكلفهم باليهودية ولا المسيحية ، فانحرفت قريش عن ملة إبراهيم عليه السلام وثبت عليها آباء النبي صلى الله عليه وآله وخيار أسرته .

والأدلة عليه عديدة ، منها ما رواه الأصبغ بن نباتة رحمه الله قال:« سمعت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط ! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به». (كمال الدين/١٧٤).

وفي فتح الباري: ١٢٥/٧: « وقد روى أبو جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر من حديث ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد ، على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير».

وفي كمال الدين/١٧١، قال:« وكان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم

بشأن النبي صلى الله عليه وآله ، وكانا يكتمان ذلك عن الجهال ، وأهل الكفر والضلال».

وفي الكافي: ٤٤٤/١ ، من خطبة للإمام الصادق عليه السلام: « فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم ، أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، في حومة العز مولده ، وفي دومة الكرم محتده ، غير مشوب حسبه ، ولا ممزوج نسبه ، ولا مجهول عند أهل العلم صفته ، بشرت به الأنبياء في كتبها ، ونطقت به العلماء بنعتها ، وتأملته الحكماء بوصفها ، مهذب لا يداني ، هاشمي لا يوازى ، أبطحي لا يسامى ، شيمته الحياء ، وطبيعته السخاء ، مجبول على أوقار النبوة وأخلاقها ، مطبوع على أوصاف الرسالة وأحلامها ، إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها ، وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهايتها ، أداه محتوم قضاء الله إلى غايتها ، تبشر به كل أمة من بعدها ، ويدفعه كل أب إلى أب من ظهر إلى ظهر ، لم يخلطه في عنصره سفاح ، ولم ينجسه في ولادته نكاح ، من لدن آدم إلى أبيه عبد الله ، في خير فرقة ، وأكرم سبط ، وأمنع رهط ، وأكلأ حمل ، وأودع حِجْر...الخ.».

د. وقد دافع الأئمة عليهم السلام عن عبد المطلب ، وركزوا مكانته في المسلمين ، ففي الكافي:

٥٤٤/٤ ، قال داود الرقي رحمه الله: « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل مال قد خفت تَوَاهُ (ذهابه) فشكوت إليه ذلك ، فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين ، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها

ركعتين ، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين ، ثم ادع أن يرد عليك مالك. قال ففعلت ذلك ، ثم خرجت من باب الصفا وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني ! تعال أقبض مالك ».

٦- وهب الله ماء زمزم لعبد المطلب

«كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف ، فلما غلبت خزاعة جرهم على الحرم ، ألقت جرهم الأسياف والغزالين في بئر زمزم ، وألقوا فيها الحجارة وطموها وعَمَّوْا أثرها ، فلما غلب قصي على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم ، وعميَ عليهم موضعها ، فلما غلب عبد المطلب ، وكان يفرش له في فناء الكعبة ولم يكن يفرش لأحد هناك غيره ، فبينما هو نائم في ظل الكعبة فرأى في منامه أتاه آت فقال له: إحفر بَرَّة ، قال: وما برة ؟ ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: إحفر طيبة ، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال: إحفر المصونة ، قال: وما المصونة ؟ ثم أتاه في اليوم الرابع فقال: إحفر زمزم لا تنزح ولا تذم ، سَقْيُ الحجيج الأعظم ، عند الغراب الأعصم ، عند قرية النمل.

وكان عند زمزم حجر يخرج منه النمل فيقع عليه الغراب الأعصم في كل يوم يلتقط النمل ، فلما رأى عبد المطلب هذا عرف موضع زمزم ، فقال لقريش: إني أمرت في أربع ليال في حفر زمزم ، وهي مأثرتنا وعزنا فهلموا نحفرها ، فلم يجيبوه إلى ذلك ، فأقبل يحفرها هو بنفسه ، وكان له ابن واحد وهو الحارث

وكان يعينه على الحفر ، فلما صعب ذلك عليه تقدم إلى باب الكعبة ثم رفع يديه و دعا الله عز وجل ونذر له إن رزقه عشر بنين أن ينحر أحبهم إليه ، تقرباً إلى الله عز وجل ، فلما حفر وبلغ الطويَّ طويَّ إسماعيل وعلم أنه قد وقع على الماء ، كبَّر وكبرت قريش وقالوا: يا أبا الحارث هذه مأثرتنا ولنا فيها نصيب ، قال لهم: لم تعينوني على حفرها هي لي ولولدي إلى آخر الأبد ». (الكافي: ٢١٩/٤ ، ونحوه سيرة ابن إسحاق: ٣/١ عن علي عليه السلام، وكذا سيرة ابن هشام: ٩٢/١).

وفي الكافي: ٢٢٠/٤ ، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:« لما احتفر عبد المطلب زمزم وانتهى إلى قعرها ، خرجت عليه من إحدى جوانب البئر رائحة منتنة أفظعته ، فأبى أن ينثني ، وخرج ابنه الحارث عنه ، ثم حفر حتى أمعن فوجد في قعرها عيناً تخرج عليه برائحة المسك ، ثم احتفر فلم يحفر إلا ذراعاً حتى تجلاه النوم فرأى رجلاً طويل الباع حسن الشعر جميل الوجه جيد الثوب طيب الرائحة ، وهو يقول: أحفر تغنم ، وجُدَّ تسلم ، ولا تدخرها للمقسم ، الأسياف لغيرك والبئر لك ، أنت أعظم العرب قدراً ، ومنك يخرج نبيها ووليها ، والأسباط النجباء الحكماء العلماء البصراء ، والسيوف لهم وليسوا اليوم منك ولا لك ، ولكن في القرن الثاني منك . بهم ينير الله الأرض ويخرج الشياطين من أقطارها ، ويذلها في عزها، ويهلكها بعد قوتها ، ويذل الأوثان ويقتل عُبَّادها...فخرج عبد المطلب وقد استخرج الماء..».

أقول: ظهر ماء زمزم لهاجر وإسماعيل بمعجزة ، وكان نبعاً صغيراً ، ثم كثر العرب الواردون عليه ، فشكى إسماعيل لأبيه قلة الماء ، فأمر الله إبراهيم أن يحفر بئراً فحفره ونزل جبرئيل عليه السلام وأمره أن يسمي ويضرب في زوايا البئر الأربعة فضرب إبراهيم

فانفجرت أربع عيون ، فقال جبرئيل: « إشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيهـا بالبركـة ، وخرج إبراهيم وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: أفض عليك يا إبراهيم وطف حـول البيت ، فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل ». (الكافي: ٢٠٤/٤).

فزمزم سقيا لبني إسماعيلعليه السلام ، ومنهم تصل بركتها الى الناس .

وبعد قرون غاض ماء زمزم ، حتى أعاده الله تعالى على يد وليه عبد المطلب ، الذي كان أخيار قريش يسمونه: إبراهيم الثاني .

وحسد زعماء قريش عبد المطلب ، وأرادوا أن يأخذوا منه زمزم ! وأخذوه ليحتكموا الى كاهنة في مشارف الشام ، فأظهر الله له آية ، ونبع الماء من تحت خف ناقته ، فسلموا له لكن موقتاً !

وقد روى ذلك عامة المؤرخين ، قال السيوطي في الدر المنثور: ٢٢٠/٣: «وأخرج الأزرقي والبيهقي في الدلائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال إحفر طيبة... فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر إسماعيل ، وان لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها ، فقال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم. قالوا: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نحاكمك. قال: فجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم. قالوا: كاهنة من سعد هذيل. قال: نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف ، وركب من كل ركب من قريش نفر ، والأرض إذ ذاك مفاوز ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين

الحجاز والشام فنيَ ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم ، وقالوا: إنا في مفازة نخشى فيها على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت . قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه لما بكم الآن من القوة ، وكلما مات رجل دفنه أصحابه في حفرته ثم واروه ، حتى يكون آخركم رجلاً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً ! قالوا: سمعنا ما أردت فقام كل رجل منهم يحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا لعجز ، ما نبتغي لأنفسنا حيلة ! عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، إرحلوا فارتحلوا حتى فرغوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم وما هم فاعلون ، فقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب ! فكبَّر عبد المطلب وكبَّر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشربوا واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل التي معه من قريش فقال: هلم الماء قد سقانا الله تعالى فاشربوا واستقوا ! فقالت: القبائل التي نازعته: قد والله قضى الله لك يا عبد المطلب علينا ! والله لا نخاصمك في زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً ! فرجع ورجعوا معه ، ولم يمضوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم».

ونحوه عامة المصادر كالطبقات: ٨٣/١، واليعقوبي: ٢٤٨/١، والنهاية: ٣٠٣/٢، وابن إسحاق: ٥/١، وابن هشام: ٩٤/١، وابن كثير: ١٦٩/١، والحلبية: ٥٥/١، وابن الأثير: ١٣/٢، ومعجم البلدان: ١٤٩/٣.

ثم تفاقم حسد زعماء قريش لعبد المطلب رحمه الله فأعلنوا عليه الحرب !

فبعد آية طير الأبابيل وهزيمة جيش أبرهة ، سطع إسم الكعبة وإسم عبد المطلب في بلاد العرب ووصل الى خارجها ! وتوافد العرب الى الحج أكثر من السابق ، معتزين بحجهم الى الكعبة ، ومتبركين بوارث إبراهيم ولي الله عبد المطلب ، وتولى سقايتهم من زمزم التي وهبها له الله ، وضيافتهم بثريد أبيه هاشم المشهور . وصار سيد العرب بلا منازع ، فزاد الحسد في صدور زعماء قريش !

وعزز من مكانة عبد المطلب رحمه الله أن أبرهة ملك اليمن مات بعد رجوعه خاسئاً تولى ابنه مسروق ، وبعد سنتين من حكمه نجح سيف بن ذي يزن باستقدام كتيبة من جيش كسرى وجمع أنصاره وقاتل مسروق بن أبرهة ، فقتله بهرز قائد جيش الفرس ، ودخل صنعاء فاتحاً ، وتَوَّج سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن .

روى الصدوق رحمه الله في كمال الدين/١٧٦، عن ابن عباس:« لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين ، أتاه وفد العرب وأشرافها وشعراؤها بالتهنئة ، تمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه ، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن خويلد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف ، في أناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء». في حديث طويل ذكر فيه احترام ابن ذي يزن لعبد المطلب احتراماً خاصاً ، وأنه أخبره بقرب عصر النبي ﷺ وتمنى لو يدركه لينصره ، فقال له:« إذا ولد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الدعامة إلى يوم

القيامة .

فقال له عبد المطلب: أبيت اللعن ، لقد أبتُ بخبر ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته (جزيته) عن مسارّه إياي ما ازداد به سروراً ، فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه ، إسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ويكلفه جده وعمه ، وقد ولد سراراً والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ليعز بهم أولياؤه ويذل بهم أعداءه... فهل أحسست شيئاً مما ذكرته ؟

فقال: كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً ، فزوجته بكريمة من كرائم قومي إسمها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه ، فقال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت لك ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً». والمنمق/٤٢٦. راجع: الأخبار الطوال/٦٣ ، واليعقوبي: ١/١٦٥و: ٢/٩ ، والطبقات: ٥/٥٣٣.

٧- أسس حلف الفضول لمنع قريش من الإعتداء على الحجاج

كل ما تقرؤه من عداء قريش للنبي وآله صلى الله عليه وآله ، فأصله قبل الإسلام ! قال رسول الله صلى الله عليه وآله:« الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». (بخاري: ٤/١٢٢) .

ورويناه عن الإمام الصادق عليه السلام بلفظ أدق: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الإسلام أصل». (الكافي:٨/١٧٧).

فعندما تحسن وضع قريش الإقتصادي ، بفضل رحلتي الشتاء والصيف ، وتعاظم موسم الحج بعد آية أصحاب الفيل ، ازدحمت مكة في الموسم ، وكثرت قصص تعديات القرشيين على الحجاج والتجار الوافدين الى مكة !

ورأى عبد المطلب أنه يحتاج الى تحالف قبلي ، ليأخذ على يد الظالم في الحرم ويمنع قبيلته أن تنصره ، فأسس حلف الفضول .

وأصل هذا الحلف لأخوال أبناء إسماعيل عليه السلام، ففي أنساب الأشراف/١٣، أنه «كان في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم فضيل وفضال ومفضل وفضل ، فتحالفوا على ذلك ». فجدده عبد المطلب مع خزاعة ، وتعاطف معه غيرها .

قال اليعقوبي:٢٤٨/١: « ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر ، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزُّوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب ، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف... فتطيَّب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر ، فسموا حلف المطيبين . فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرةً وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منا ! فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم ، فسموا اللعقة ».

أقول: لاحظ عداوة عبد الدار وسهم لبني هاشم ! قال ابن بكار: «كان بنو سهم وبنو جمح أهل بغي وعدوان ، فأكثروا من ذلك ». (شرح النهج:٢٢٤/١٥).

وفي المقابل كانت خزاعة ركناً في حلف عبد المطلب ، قال في المنمق/٨٧: «وكتبوا

كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وكان بنو زهرة يكرمون عبد المطلب لصهره ، فكان الكتاب: هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفاً جامعاً غير مفرق ، الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأكابر، والشاهد على الغائب ، تعاهدوا وتعاقدوا ما شرقت الشمس على ثبير وما حن بفلاة بعير... عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو فصاروا يداً دون بني النضر ، فعلى عبد المطلب النصرة لهم على كل طالب وتر في بر أو بحر أو سهل أو وعر ، وعلى بني عمرو النصرة لعبد المطلب وولده على جميع العرب في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب ، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً ، وكفى بالله حميلاً. ثم علقوا الكتاب في الكعبة ، فقال عبد المطلب:

سأوصي زبيراً إن توافت منيتي ... بإمساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه ... ولا يلحدن فيه بظلم ولاغدر
هم حفظوا الإلَّ القديم وحالفوا ... أباك فكانوا دون قومك من فهر

وفي تصديق ذلك قول عمرو بن سالم للنبي(ص) حين أغارت عليهم بنو بكر فقتلوا من قتلوا من خزاعة: لا هُمَّ إني ناشدٌ محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا »

وقد جدَّد الزبير بن عبد الطلب حلف الفضول وحضره النبي صلى الله عليه وآله ، وروت ذلك عامة المصادر كمحمد بن حبيب في كتابه المنمق/١٨٦، عن حكيم بن حزام قال: «كان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار وبينه وبين الفيل عشرون سنه ،

ورسول الله صلى الله عليه يومئذ ابن عشرين سنة ، قالوا: وكان الفجار في شوال وكان الحلف في ذي القعدة ، وكان هذا الحلف أشرف حلف جرى ، وكان أول من تكلم فيه ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وذلك أن الرجل من العرب أو غيرها من العجم ممن كان يقدم بالتجارة ربما ظلم بمكة ، وكان الذي جرَّ ذلك أن رجلاً من بني زبيد قدم بسلعة فباعها من العاص بن وائل السهمي فظلمه ثمنها ، فناشده الزبيدي في حقه فلم يعطه ، فأتى الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعدياً ، فأبوا أن يعينوه وزبروه وزجروه !

فلما رأى الزبيدي الشر وافى على أبي قبيس قبل طلوع الشمس ، وقريش في أنديتهم حول الكعبة وصاح:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر

إن الحرام لمن تمَّتْ كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

قال فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مَتْرك ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً فتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياماً يتماسحون صعداً وتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة ، وفي التأسي في المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقال الزبير بن عبد المطلب فيه شعراً:

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم ... وإن كنا جميعا أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا ... يعز به الغريب لذي الجوار

ويعلـم مـن حـوالي البيـت أنـا أباة الضـيم نمنـع كـل عـار...»

« ذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، ومعه ابنة له يقال لها القَتُول ، من أوضأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه ، فقال الخثعمي: من يعديني على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ونادى: يالِ حلف الفضول ! فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب ، وقد انتضوا أسيافهم يقولون: جاءك الغوث فما لك ؟! فقال: إن نبيهاً ظلمني في بنتي وانتزعها مني قسراً. فساروا معه حتى وقفوا على باب داره فخرج إليهم فقالوا له: أخرج الجارية ويحك ، فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ! فقال: أفعل ولكن متعوني بها الليلة ! فقالوا: قبحك الله ، ولا شخب لقحة ، فأخرجها إليهم...».

«وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعاً أبياً ، وجميلاً بهياً ، وكان خطيباً شاعراً ، وسيداً جواداً.. وبنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته ، وكانت عند العاص بن وائل ، وأخذوا للبارقي ثمن سلعته من أبي بن خلف الجمحي... وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتول الحسناء». (شرح النهج: ٢٠٣/١٥ و٢٠٥).

وقال اليعقوبي:١٧/٢:«حضر رسول الله صلى الله عليه وآله حلف الفضول وقد جاوز العشرين ، وقال بعد ما بعثه الله: حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت. وكان سبب حلف الفضول أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة ، فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف وبنو

أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر ، على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بلَّ بحرٌ صوفة. وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه... فتذممت قريش فقاموا فتحالفوا ألا يظلم غريب ولا غيره ، وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم ». وابن هشام:٨٥/١، والمنمق/١٨٧.

وبذلك أمضى النبي ﷺ بوحي ربه هذا الحلف وأثبتته مصادر الحديث والفقه ، ودعا به الإمام الحسين عليه السلام عندما منعوا دفن أخيه الإمام الحسن عليه السلام قرب جده ﷺ ثم عندما أراد معاوية أن يصادر أمواله. (أنساب الأشراف/١٣، والمنمق/٥٣).

٨- النبي ﷺ وارث عبد المطلب

أ. أولاد عبد المطلب أحد عشر ، وخيرهم عبدالله وأبو طالب والزبير وحمزة ، وذرية عبد الله وأبي طالب خير البشر ، وشذ من أبناء عبد المطلب أبو لهب الى النار . في الخصال/٤٥٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر قال:«سئل رسول الله ﷺ عن ولد عبد المطلب فقال: عشرة ، والعباس ».

وقال الصدوق رحمه الله: « وهم عبد الله ، وأبو طالب ، والزبير ، وحمزة ، والحارث وهو أسنهم ، والغيداق ، والمقوم ، وحجل ، وعبد العزى وهو أبو لهب ، وضرار ، والعباس ».

وفي تاريخ اليعقوبي: ١١/٢: «وكان لعبد المطلب من الولد الذكور عشرة ، ومن الإناث أربع: عبد الله أبو رسول الله ، وأبو طالب وهو عبد مناف ، والزبير وهو أبو

الطاهر ، وعبد الكعبة وهو المقوم ، وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم أم حكيم البيضاء . وعاتكة وبرة وأروى وأميمة بنات عبد المطلب ، والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى ، وقثم ، وأمهما صفية بنت جندب بن حجير بن زباب بن حبيب بن سوأة بن عامر بن صعصعة. وحمزة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله ، وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم صفية بنت عبد المطلب. والعباس ، وضرار ، أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط. وأبو لهب وهو عبد العزى ، وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعي. والغيداق وهو جحل وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم للطعام ، وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعي. فهؤلاء أعمام رسول الله وعماته ».

ب. كان النبي صلى الله عليه وآله يجهر بأن الله تعالى اختار من العالم بني عبد المطلب: قال صلى الله عليه وآله:

« قسم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين فجعلني في خيرهما ، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثة فكنت خير الثلاثة ، ثم اختار العرب من الناس ، ثم اختار قريشاً من العرب ، ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب».(الخصال/٣٦، وغيره).

ج. وكان النبي صلى الله عليه وآله يفتخر بنبوته وبجده عبد المطلب عليه السلام ! فعندما انهزم المسلمون

في حنين ثبت النبي صلى الله عليه وآله ومعه بنو هاشم:« كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضايقه فما راعنا إلا كتائب الرجال ، فانهزم بنو سليم وكانوا على المقدمة

وانهزم من وراءهم وبقي علي ومعه الراية ، فقال مالك بن عوف: أروني محمداً ، فأروه إياه فحمل عليه فلقيه أيمن بن عبيدة وهو ابن أم أيمن فالتقيا فقتله مالك... فقام النبي صلى الله عليه وآله في ركاب سرجه حتى أشرف عليهم وقال: الآن حمي الوطيس: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب». وفي صحيح بخاري: ٢٨/٤: «نزل فجعل يقول: أنا النبي لاكذب أنا ابن عبد المطلب. قال فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه ».

وفي الكافي: ١١٢/٨، أن علياً عليه السلام ارتجز في إحدى معاركه:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

د. بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب ثم للناس ، فجمعهم أول بعثته وقال لهم: « يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة ، وبعثني إليكم خاصة ، فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم ، وتنقاد لكم بهما الأمم ، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به يكن أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي» . (الإرشاد:٤٩/١ ، ومسند الشاميين:٦٦/٢، وغيرهما).

هـ وعندما طلب أسرى خيبر من النبي صلى الله عليه وآله أن يطلقهم ، قال لهم:« أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم . وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله ، فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال ». (أمالي الصدوق/٥٩١).

و. من صفات بني عبد المطلب أنهم لا يفرون أبداً ! وبهم قامت معارك الإسلام ! فقد كانوا أبطال بدر ، وفي أحد وخيبر فرَّ الجميع وثبتوا ، وفي حنين:« انهزموا بأجمعهم فلم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عشرة أنفس ، تسعة من بني هاشم خاصة وعاشرهم أيمن بن أم أيمن ، فقتل أيمن رحمه الله وثبت تسعة النفر الهاشميون حتى ثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهزم ، فرجعوا أولاً فأولاً ». (الإرشاد: ١٤٠/١).

ز. وقال الإمام الباقر عليه السلام: « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع بمن مات من بني هاشم خاصة شيئاً لا يصنعه بأحد من المسلمين ! كان إذا صلى على الهاشمي ونضح قبره بالماء وضع كفه على القبر حتى ترى أصابعه في الطين ، فكان الغريب يقدم أو المسافر من أهل المدينة فيرى القبر الجديد عليه أثر كف رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: من مات من آل محمد صلى الله عليه وآله ». (الكافي:٢٠٠/٣، والتهذيب:٤٦٠/١).

ح. وعد النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب بشفاعة خاصة قبل شفاعته لأحد من الناس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم ، ولكني قد وعدت الشفاعة (قال أبو عبد الله عليه السلام: إشهدوا لقد وعدها) فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أتروني مؤثراً عليكم غيركم». (التهذيب: ٥٨/٤).

ط. واتفق الجميع أن الله أكرم بني هاشم فشرَّع لهم ميزانية خاصة هي الخمس ، ومع ذلك حرموهم منه ! قال ابن قدامة في المغني:٥١٩/٢: « لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة ، وقد قال النبي(ص): إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس . أخرجه مسلم . وعن أبي هريرة قال: أخذ

الحسن تمرة من تمر الصدقة فقال النبي(ص): كخ كخ ، ليطرحها ! وقال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة ! متفق عليه ».

وفي الكافي:١/٥٤٠ ، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:« وإنما جعل الله هذا الخمس خاصة لهم ، دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم ، عوضاً لهم من صدقات الناس ، تنزيهاً من الله لقرابتهم برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكرامةً من الله لهم عن أوساخ الناس ، فجعل لهم خاصة من عنده ما يغنيهم به عن أن يصيرهم في موضع الذل والمسكنة . ولا بأس بصدقات بعضهم على بعض .

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي صلى الله عليه وآله الذين ذكرهم الله فقال: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ، وهم بنو عبد المطلب الذكر منهم والأنثى ، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ، ولا من العرب أحد ، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم » .

ي. وحذرهم في فتح مكة أن يغتروا بنسبهم وأن النبي صلى الله عليه وآله منهم ، فعن الإمام

الباقر عليه السلام قال: « قام رسول الله صلى الله عليه وآله على الصفا فقال: يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب إني رسول الله إليكم وإني شفيق عليكم ، وإن لي عملي ولكل رجل منكم عمله ، لا تقولوا إن محمداً منا وسندخل مدخله ، فلا والله ما أوليائي منكم ولا من غيركم يا بني عبد المطلب إلا المتقون . ألا فلا أعرفكم يوم القيامة تأتون تحملون الدنيا على ظهوركم ويأتون الناس يحملون الآخرة ، ألا إني قد أعذرت إليكم فيما بيني وبينكم ، وفيما بيني وبين الله عز وجل فيكم ». (الكافي: ١٨٢/٨).

ك. وأتم النبي صلى الله عليه وآله عليهم الحجة في مرض وفاته وأوصاهم أن يطيعوا علياً عليه السلام ،

فعن الإمام زين العابدين في حديث وفاة النبي صلى الله عليه وآله قال: «قال علي عليه السلام: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه ليثقل ضعفاً وهو يقول يسمع أقصى أهل البيت وأدناهم: إن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب ، يقضي ديني وينجز موعدي . يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب ، لا تبغضوا علياً ، ولا تخالفوا أمره فتضلوا ، ولا تحسدوه وترغبوا عنه ، فتكفروا ». (أمالي الطوسي/٦٠٠).

ل. وكان حقد اليهود وقريش على كل بني عبد المطلب فتواثقوا على قتلهم جميعاً

قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب حاخام يهودي:«وأما الخامسة يا أخا اليهود ، فإن قريشاً والعرب تجمعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب ، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى أناخت علينا بالمدينة ، واثقة بأنفسها فيما توجهت له ». (الخصال/٣٦٨).

م. وصححوا حديث النبي صلى الله عليه وآله بأن أبناء عبد المطلب عليهم السلام هم سادة أهل الجنة ، رواه

ابن ماجة: ١٣٦٨/٢، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي».

والحاكم: ٢١١/٣، وصححه على شرط مسلم، وتاريخ بغداد: ٤٣٤/٩ وفيه: نحن سبعة بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة ، أنا وعلي أخي وعمي حمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي». وتلخيص المتشابه: ١٩٧/١ ، والفردوس: ٥٣/١ ، والبيان للشافعي/٤٨٨ ، وغيرها.

وفي كتاب سُلَيم بن قيس رحمه الله/٢٤٥، قال: «كانت قريش إذا جلست في مجالسها ، فرأت رجلاً من أهل البيت قطعت حديثها ، فبينما هي جالسة إذ قال رجل منهم ما

مثل محمد في أهل البيت إلا كمثل نخلة نبتت في كناسة !

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب ثم خرج فأتى المنبر فجلس عليه حتى اجتمع الناس ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال... وأورد خطبة طويلة في فضله وفضل أهل بيته عليهم السلام جاء فيها: « ألا ونحن بنو عبد المطلب سادة أهل الجنة ، أنا وعلي وجعفر وحمزة والحسن والحسين وفاطمة والمهدي ». ونحوه أمالي الصدوق/٣٨٤ ، وغيبة الطوسي/١١٣، والعمدة/٥٢ و ٤٣٠ ، والطرائف: ١٧٦/١.

وفي دلائل الإمامة/٢٥٦، عن الأصبغ بن نباتة ، قال: «كنا مع علي بالبصرة وهو على بغلة رسول الله ، وقد اجتمع هو وأصحاب محمد فقال: ألا أخبركم بأفضل خلق الله عند الله يوم يجمع الرسل؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين ، قال: أفضل الرسل محمد وإن أفضل الخلق بعدهم الأوصياء ، وأفضل الأوصياء أنا ، وأفضل الناس بعد الرسل والأوصياء الأسباط، وإن خير الأسباط سبطا نبيكم ، يعني الحسن والحسين وإن أفضل الخلق بعد الأسباط الشهداء ، وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب قال ذلك النبي ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ، مخضبان ، بكرامة خص الله عز وجل بها نبيكم ، والمهدي منا في آخر الزمان ، لم يكن في أمة من الأمم مهدى ينتظر غيره ». وعنه إثبات الهداة: ٥٧٤/٣.

أقول: كفى بهذا الحديث الشريف حجة ودليلاً على مكانة هؤلاء العظماء من أبناء عبد المطلب عليهم السلام، فهويفضح كل ما رووه من أفضلية زيد وعمرو !

٩- سبب إصرار (الخلفاء) على التنقيص من شخصية آباء النبي صلى الله عليه وآله

فقد رووا أن الله تعالى اختار بني هاشم وميزهم على قريش، ومع ذلك ادعو كفر آباء النبي صلى الله عليه وآله وكفر ناصره وحاميه أبي طالب، وفضلوا أنفسهم عليهم وعلى عترة النبي صلى الله عليه وآله! فوقعوا في التناقض وأصرُّوا عليه!

فقد عقد الهيتمي في مجمع الزوائد: ٢١٥/٨، باباً في كرامة أصل النبي صلى الله عليه وآله روى فيه عن ابن عباس ووثقه في قوله تعالى: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ، قال: وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ: قال: «من صلب نبي إلى نبي حتى صرت نبياً». انتهى.

فدل ذلك على أن كل آبائه صلى الله عليه وآله مؤمنون مصلون لربهم عز وجل، بل دل على أنهم أنبياء ولو لأنفسهم! وروى ووثقه أيضاً: «عن عبد الله بن عمر قال: إنا لقعود بفناء رسول الله(ص)إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم هذه ابنة محمد، فقال رجل من القوم: إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن!

فانطلقت المرأة فأخبرت النبي (ص) فجاء النبي يعرف في وجهه الغضب، ثم قام على القوم فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام! إن الله عز وجل.. خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فلحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فلبغضي أبغضهم».

وحديثاً آخر وصححه:«أتى ناس من الأنصار النبي فقالوا إنا نسمع من قومك حتى

يقول القائل منهم: إنما مثل محمد نخلة نبتت في الكبا. (المزبلة) ! فقال رسول الله (ص): أيها الناس من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله ، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، قال: فما سمعناه ينتمي قبلها . ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً». انتهى.

كما رووا أحاديث امتياز أسرة النبي صلى الله عليه وآله على قريش وغيرها ، كالذي رواه الدر المنثور: ٢٩٤/٣ ، والحاكم في: ٧٣/٤ ، ومصادرنا ، كالخصال/٣٦: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قسم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين فجعلني في خيرهما ، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثة فكنت خير الثلاثة ، ثم اختار العرب من الناس ، ثم اختار قريشاً من العرب ، ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم ثم اختارني من بني عبد المطلب » .

وقد بحثنا عداوة قريش لأسرة النبي صلى الله عليه وآله في العقائد الإسلامية: ٢٧٥/٣ ، ورد النبي صلى الله عليه وآله عليهم رداً عنيفاً ، حتى أنه أعلن لأول مرة أن بعض صحابته أولاد زنا !

لكنهم مع كل ذلك يُصرون على التنقيص من آباء النبي صلى الله عليه وآله وأسرته لسببين:

الأول: لأنهم إذا اعترفوا بإيمان عبد المطلب ومناقبه ، ثبتت له ولذريته وراثة إبراهيم عليه السلام ، كما قال الله تعالى: ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، ولم يبق محل لأبي بكر وعمر وبني أمية ، بل تكون السقيفة انقلاباً قرشياً على هذا الفرع الذي اختاره الله تعالى ! لذا قالوا إن آباء النبي صلى الله عليه وآله كلهم كفار في النار وإن عمه

أبا طالب في النار ، وإنه نصره ولم يؤمن به ! وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله شفع له فلم تنفعه شفاعته ، بل أخرجه من قعر جهنم الى ضحضاح من نار يغلي منه دماغه !

لكن الواقع الذي تجهر به سيرة أبي طالب وعبد المطلب وآباء النبي صلى الله عليه وآله أنهم من كبار المؤمنين ، وأنهم الخط الوارث لإبراهيم عليه السلام وأنهم لم يعبدوا الأصنام ، بل كانوا يفتخرون بأنهم على ملة أبيهم إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليه وآله ، وقد ميزهم الله تعالى حتى في شكلهم فورّثهم جمال إبراهيم وبهاءه ! فعندما رأى أبرهة عبد المطلب:« **فجعل ينظر في وجهه ، فراقه حسنه وجماله وهيئته فقال له: هل كان في آبائك مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال؟ قال: نعم أيها الملك ، كل آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء**».

وفي أمالي الطوسي/٦٨٢،أن:« سرير أبرهة لما دخل عليه عبد المطلب ، انحنى ومال» !
«هو أول من خضب بالسواد من العرب وكان أبيض مديد القامة». (الأعلام: ١٥٤/٤).

ومع كل ما رووه في عبد المطلب رحمه الله، أغمضوا عيونهم عن معجزاته وكرامته في حفر زمزم ، وإخباره عن آية أصحاب الفيل ، وإخباره بنبوة حفيده صلى الله عليه وآله ، وافتخار النبي صلى الله عليه وآله يوم حنين بنبوته وجده عبد المطلب ! (بخاري: ٢٨/٤) . بل زعموا أن رجلاً سأله صلى الله عليه وآله عن أبيه أين هو؟ فأجابه: « إن أبي وأباك في النار » ! (مسلم: ١٣٢/١). وحاشا أباه صلى الله عليه وآله من النار ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الكلام وهذه القسوة !

والسبب الثاني: هو التغطية على آبائهم الذين حسدوا هاشماً وعبد المطلب ونصبوا لهما العداء ، ثم حسدوا النبي صلى الله عليه وآله ونصبوا له العداء وحاربوه ، واستعانوا

عليه باليهود وقبائل العرب ، فانهزموا واضطروا أن يستسلموا له ويخلعوا سلاحهم !

فابتكر هؤلاء الأبناء حلاً يساوي بين آباء النبي صلى الله عليه وآله وآبائهم بأنهم جميعاً كفار ، ولا أحد أفضل من أحد ، ولا أحد أولى بوراثة سلطان النبي صلى الله عليه وآله من أحد !

ولهذا تجد الطامعين في سلطان النبي صلى الله عليه وآله أكثرهم حماسة للتنقيص من آبائه وأسرته والطعن فيهم ! يقولون لك: يحرم أن تذكر مناقب آباء النبي صلى الله عليه وآله ولا مثالب آبائنا لأنهم مثلهم كفار ! وهم صادقون في حق آبائهم لأنهم نكرات وقبائل مغمورة وتاريخهم غير مشرف ، وأكثرهم ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وآله .

١٠- كان عبد المطلب شاعراً ، وكذا ابنه أبو طالب عليهما السلام

وقد تقدمت أبياته في غزو أبرهة للكعبة ، وكلها إيمان ويقين بالنصر ، وفيها نبوءة بنبوة حفيده صلى الله عليه وآله وبدولة العدل الإلهي على يد ولده المهدي عليه السلام! قال:

نحن آلُ الله فيما قد خلا	لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَمْ
لم يزل لله فينا حجةٌ	يدفع الله بها عنها النقم
نعرف الله وفينا شيمة	صلة الرحم ونوفي بالذمم
ولنا في كل دور كرة	نعرف الدين وطوراً في العجم
فإذا ما بلغ الدور إلى	منتهى الوقت أتى طيْرُ القدم
بكتاب فصلت آياته	فيه تبيان أحاديث الأمم

وطير القدم مثلٌ ضربه عبد المطلب رحمه الله لأصحاب ولده الإمام المهدي عليه السلام الذين

يجمعهم الله له في ليلة من أقاصي العالم ليكونوا وزراءه في دولته. فقد روى علي بن يقطين عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: « من أعز أخاه في الله وأهان أعداءه في الله ، وتولى ما استطاع نصيحته ، أولئك يتقلبون في رحمة الله ، ومثلهم مثل طير يأتي بأرض الحبشة في كل صيفة يقال له "القدم" فيبيض ويفرخ بها ، فإذا كان وقت الشتاء صاح بفراخه فاجتمعوا إليه وخرجوا معه من أرض الحبشة ، فإذا قام قائمنا اجتمع أولياؤنا من كل أوب ! ثم تمثل بقول عبد المطلب:

فإذا ما بلغ الدور إلى ... منتهى الوقت أتى طيْرُ القدم

بكتاب فصلت آياته ... فيه تبيان أحاديث الأمم

(مستدرك الوسائل: ١٣٧/١٣ ، وجامع أحاديث الشيعة: ٢٩٧/١٧).

وفي أمالي الصدوق/٢٤٣: « قال الريان بن الصلت: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطلب:

يعيب الناس كلهم زماناً ... وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا

وأن الذئب يترك لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

لبسنا للخداع مسوك طيب ... وويلٌ للغريب إذا أتانا»

وعيون أخبار الرضا: ١٩٠/٢.

○ ○

ولادة النبي صلى الله عليه وآله ونشأته

١- مكان مولده الشريف صلى الله عليه وآله وزمانه

قال رواة السلطة إن النبي صلى الله عليه وآله ولد يوم الإثنين ، وقال أئمة أهل البيت عليهم السلام: ولد يوم الجمعة فجراً ، ففي قرب الإسناد/٢٩٩ ، عن علي بن جعفر قال: « جاء رجل إلى أخي (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) فقال له: جعلت فداك ، إني أريد الخروج فادع لي. قال: ومتى تخرج؟ قال: يوم الإثنين. فقال له: ولم تخرج يوم الإثنين؟ قال: أطلب فيه البركة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ولد يوم الإثنين.

فقال: كذبوا ، ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة ، وما من يوم أعظم شؤماً من يوم الإثنين يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وانقطع فيه وحي السماء ، وظُلمنا فيه حقنا ! ألا أدلك على يوم سَهْلٍ ألانَ الله تبارك وتعالى لداود فيه الحديد؟ فقال الرجل: بلى جعلت فداك . قال: أخرج يوم الثلاثاء ».

وفي الحدائق الناضرة: ٤٢٣/١٧: « كان مولده بمكة في شعب أبي طالب يوم الجمعة بعد طلوع الفجر ، سابع عشر شهر ربيع الأول عام الفيل ، وهذا هو المشهور بين أصحابنا رضوان الله عليهم . وقيل: لاثني عشر مضت من الشهر ، وقيل اليوم العاشر منه ، وقيل الثاني . وقال شيخنا الطبرسي في كتاب إعلام الورى: وفي

رواية العامة أن مولده صلى الله عليه وآله يوم الإثنين ، ثم اختلفوا فمن قائل يقول: لعشر ليال خلون منه ، إلى آخر كلامه .

وبعث صلى الله عليه وآله في اليوم السابع والعشرين من رجب ، وله أربعون سنة .

وقبض بالمدينة يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . ونقل في الدروس قولاً بأنه قبض لاثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة واختاره الشيخ محمد بن يعقوب الكليني...

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وتزوج خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وتوفي عمه أبو طالب وعمره ستة وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوماً. وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام ، فسمي ذلك العام عام الحزن .

وأقام بعد المبعث بمكة ثلاث عشرة سنة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيام ، ودخل المدينة يوم الإثنين الحادي عشر من شهر ربيع الأول وبقي بها عشر سنين ، وذكر جمع من أصحابنا منهم الشيخ في التهذيب والعلامة في المنتهى أنه صلى الله عليه وآله قبض مسموماً ». انتهى.

وقال الكليني في الكافي:٤٣٩/١: « ولدته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف ، في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار ، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلي الناس فيه... وتوفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين ، وماتت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو ابن أربع سنين ، ومات عبد المطلب وللنبي صلى الله عليه وآله نحو ثمان سنين ، وتزوج خديجة

وهو ابن بضع وعشرين سنة ».

« في الدار التي اشتراها محمد بن يوسف أخو الحجاج من ورثة عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه بمائة ألف دينار ، ثم صيرتها الخيزران أم الرشيد مسجداً يصلي فيه الناس ويزورونه ويتبركون به. وبقي على حالته تلك ، فلما أخذ الوهابيون مكة في عصرنا هذا هدموه ومنعوا من زيارته ! على عادتهم في المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مربطاً للدواب ». (الصحيح من السيرة: ٦٨/٢، وأعيان الشيعة: ٢١٩/١).

أقول: أصل اسمه شعب أبي طالب رضي الله عنه ، أو شعب بني هاشم ، ويسمونه الآن شعب علي عليه السلام ، وقد رأيتُه قبل أكثر من أربعين سنة وكان واضح المعالم ، وفي يسار مدخله بيت عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وهو مكان مولده الشريف ، وكانوا جعلوه مكتبة باسم مكتبة مكة ، ثم أراد مشايخهم هدمه فمنعتهم الحكومة خوفاً من ردة فعل المسلمين ، فأبقوه مكاناً خالياً الى يوماً هذا سنة١٤٢٩ ، ينتظرون فرصة لهدمه !

ورأيت يومها بيت أبي طالب رضي الله عنه داخل الشعب الى اليمين ، في مكان مرتفع قليلاً ، وقد جعلوه مدرسة باسم مدرسة النجاح ، ثم أزالوه مع البيوت ، وأزالوا أكثر الجبلين اللذين يقع الشعب بينهما .

كما كنا نزور في الجهة الغربية المقابلة لشعب أبي طالب ، بيت خديجة عليها السلام وكان في سوق الليل أو سوق الذهب ، ويسمى مولد فاطمة الزهراء عليها السلام ، وكانوا جعلوه مدرسة للبنات ، ثم أزالوه فيما أزالوا !

فكأن هؤلاء عندهم عداوةً مع آثار النبي وآله الأطهار صلى الله عليه وآله ، فهم يبادرون الى إزالتها حتى لو كانت مساجد ، أو أماكن مملوكة للناس !

لكنهم حافظوا على حصن عدو الإسلام اليهودي كعب بن الأشرف ! بسوره وساحته وبئره وغرفه العشرة ، وصنفوه في الآثار ، وحافظت عليه بلدية المدينة المنورة الى جانب حديقتها العامة ! وتجد صوره في شبكة النت !

٢- نَسَبٌ طاهرٌ شامخٌ الى إبراهيم وآدم عليهما السلام

في الصحيح من السيرة: ٦٣/٢: «هو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وآله بن عبد الله ، بن عبد المطلب شيبة الحمد ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب، بن مرة، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن نضر ، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان.. قالوا: إن هذا هو المتفق عليه من نسبه الشريف ، أما ما فوقه ففيه اختلاف كثير ، غير أن مما لا شك فيه هو أن نسب عدنان ينتهي إلى إسماعيل عليه السلام.

وروي أنه صلى الله عليه وآله قال: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا ».

وفي نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب: ١٠/١: «أما عمود نسب النبي (ص) فعلى ما ذكره ابن إسحاق في السيرة وتبعه عليه ابن هشام... ثم أكمل النسب فقال: بن عدنان ، بن أدد ، بن مقوم ، بن ناحور ، بن تارخ ، بن يعرب ، بن يشجب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم ، بن تارخ وهو آزر ، بن تاخور بن شارخ، بن أرغو، بن فالغ ، بن عابر ، بن شالخ ، بن أرفخشد ، بن سام ، بن نوح ، بن لامك ، بن متوشلخ ، بن أخنوخ وهو إدريس ، بن يرد ، بن مهلائيل ، بن قنين ، بن يافت بن شيث ، بن آدم عليه السلام. والاتفاق على هذا النسب الشريف إلى عدنان. وفيما بعد عدنان إلى إسماعيل فيه خلاف كثير...».

وفي شعب الإيمان للبيهقي:١٣٧/٢: « نسبة رسول الله (ص) صحيحة إلى عدنان ، وما وراء ذلك فليس فيه شئ يعتمد.. وذلك لاختلاف النسابين في ذلك ، منهم من يزيد ومنهم من ينقص ، ومنهم من يُغَيِّر» .

أقول: اتفق المؤرخون على ما تقدم من أسماء أجداد النبي صلى الله عليه وآله الى عدنان وهم واحد وعشرون جداً ، ثم ذكروا ثمانية أجداد الى إبراهيم عليه السلام ، وسبعاً وعشرين جداً الى آدم عليه السلام ، ولكن ذلك لاينسجم مع المدة الزمنية التي اعترفوا بها ، وهي ست مئة سنة الى عيسى عليه السلام ، ثم ١٢٧٠ سنة الى موسى عليه السلام ، ثم نحو ٥٠٠ سنة الى إبراهيم عليه السلام، خاصة إذا افترضنا ثلاثة آباء لكل قرن . وقد بنوا كلامهم وكتبهم على قول اليهود بأن عمر الأرض سبعة آلاف سنة !

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله أسكن في الأرض الملائكة والجن قبل آدم وأنه قدر لآدم عشرة آلاف عام. (تفسير العياشي:٣١/١). وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال لأبي حمزة الثمالي:« أتظن أن الله لم يخلق خلقاً سواكم ؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم ، وألف ألف عالم ، وأنت والله في آخر تلك العوالم». (مشارق أنوار اليقين/٦٠) .

ولايتسع المجال لبحث أقوال المؤرخين في عمر الإنسان على الأرض ، لكنها جميعاً ظنونٌ واحتمالات ، ليس فيها ما يوجب العلم أو الإطمئنان ، وكذلك أقوال علماء الطبيعة ، الذين زعموا أن عمر الإنسان يمتد ملايين السنين .

والقدر المتيقن في موضوعنا أن النبي صلى الله عليه وآله ينتسب الى إبراهيم عليه السلام وأن أسماء أجداده الطاهرين الى عدنان صحيح في الجملة ، أما بقية أسماء أجداده الى إبراهيم وآدم وعددهم ، فليست إلا ظنوناً واحتمالات !

ويؤيد ذلك ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا بلغ نسبي الى عدنان فأمسكوا ، ومعناه أن ما بأيديهم بعد عدنان غير صحيح ، ولعله صلى الله عليه وآله لم يبين الصحيح لأنه يرتبط بخطأ معلوماتهم عن التاريخ كله ، وتصحيحه قضية متشعبة لم يؤمر بها صلى الله عليه وآله !

راجع: الإختصاص/٥٠ ، والبحار: ٨٦/٥٤، وابن خلدون: ٢ ق٣/١ ، و٢٩٨ ، والحاكم: ٥٩٨/٢ ، وكشف الخفاء: ٣١٤/٢ ، وتفسير الرازي: ١٧٩/١٩، وأضواء على السنة المحمدية/٢٤٠، وقصة الحضارة أول مجلد ٣٤.

٣- والد النبي صلى الله عليه وآله عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ثاني الذبيحين !

مع تقديس العرب لإبراهيم عليه السلام وللكعبة ، فقد اعتنقوا الوثنية وعبادة الأصنام واشهرها هبل واللات والعزى ومناة ، حتى ذبح ملك المناذرة أسيره ابن ملك الغساسنة قرباناً لصنم العُزّى ! وفي ذلك الظرف نذر عبد المطلب رحمه الله إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم لله تعالى ، قرباناً للكعبة .

وعندما تم له عشرة أولاده اقترع بينهم فخرجت القرعة على عبدالله والد النبي صلى الله عليه وآله ، فعزم أن يذبحه فأمره الله تعالى أن يفديه بقربان من الإبل ، فاقترع فجاءت القرعة على مئة من الإبل . فكانت قصته كجده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: أنا ابن الذبيحين ، يقصد إسماعيل وعبد الله عليهما السلام.

وفي الخصال/٥٥ ، والعيون:١٨٩/٢ ، عن علي بن فضال قال: « سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين؟ قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وعبد الله بن عبد المطلب . أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح ، يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد ، ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد ، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً ، وما خرج من رحم أنثى ، وإنما قال الله جل وعز له كن فكان ليفدي به إسماعيل ، فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة. فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة ، ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ، ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته ، فلما بلغوا عشرة قال: قد وفى الله لي فلأفينّ لله عز وجل ، فأدخل وُلده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه ، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله ، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله ، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه ، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك ، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن ، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك. قال: فكيف أعذر يا بنية ، فإنك مباركة؟ قالت: أعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل ، وأعط ربك حتى يرضى. فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله ، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل ، فكبّرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة ، فقال عبد المطلب: لا ، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات ، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل ، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجليه ، فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض ، وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب .

وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة ، ولا يمنع أحد منها وكانت مائة .

وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء ، وسن الدية في القتل مائة من الإبل ، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس ، وسمى زمزم لما حفرها سقاية الحاج». وأضاف الصدوق رحمه الله:« ولولا أن عبد المطلب كان حُجَّةً وأن عزمه على

ذبح ابنه عبد الله شبيهُ بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل ، لمّا افتخر النبي صلى الله عليه وآله بالإنتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين . والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله ، وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في صلبهما فببركة النبي والأئمة صلى الله عليه وآله رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم».

وفي الخصال/٣١٢، من وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: «يا علي إن عبد المطلب سنَّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام ، حرم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله عز وجل: وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ .

ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به ، فأنزل الله عز وجل: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ..الآية . ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج فأنزل الله: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ.. الآية .

وسن في القتل مائة من الإبل فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام .

ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط ، فأجرى الله ذلك في الإسلام.

يا علي إن عبد المطلب كان لايستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام ، ولا يأكل ما ذبح على النصب ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم». وأمالي الطوسي/٤٥٧.

وفي الفقيه: ٣٦٨/٤: «يا علي أنا ابن الذبيحين. يا علي أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام».

وتدل الرواية التالية عن الإمام الباقر عليه السلام أن الله تعالى نهى عبد المطلب عن ذبح ولده وأمره بالقرعة ، وقد يكون ذلك بعد كلام عاتكة ، قال عليه السلام:« أول من سوهم عليه مريم بنت عمران ، وهو قول الله عز وجل: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ . والسهام ستة ، ثم استهموا في يونس عليه السلام لما ركب مع القوم

فوقعت السفينة في اللجة ، فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه .

ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه ، فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله في صلبه ، فجاء بعشر من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله ، فزاد عشراً فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً ، فلما أن خرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي فنحرها»(الفقيه:٨٩/٣).

ومعناه أنه نهاه الله تعالى عن ذبحه وأمره أن يفديه بما استقرت عليه القرعة . ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله ضحى في حجة الوداع بمئة ناقة ، وهي عدد فداء جده لأبيه صلى الله عليه وآله ، وأشرك فيها علياً عليه السلام لشراكته في وراثة عبد المطلب .

وقد صحح علماء السنة حديث: أنا ابن الذبيحين: رواه الحاكم: ٥٥٤/٢، وصححه الذهبي، والسرخسي: ١٤١/٨، وبدائع الصنائع: ٨٥/٥، وتخريج الأحاديث: ١٧٧/٣ وفيض القدير: ٧٦٢/٣، وكشف الخفاء: ١٩٩/١، وفيه: «إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين».

وفي أمالي الطوسي/٤٥٧: «والصحيح أنه إسماعيل لمكان الخبر ، ولإجماع علماء أهل البيت عليهم السلام على أنه إسماعيل».وفي أضواء على المسيحية للدكتور شلبي/٦٦: «يقول برنابا: فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك البكر واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. والبكر هو إسماعيل عليه السلام ، وقد ولد إسحاق عليه السلام بعده بسبع سنين».

٤- والدة النبي صلى الله عليه وآله آمنة بنت وهب عليها السلام

في الكافي: ٤٥٤/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فُتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام ، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة ، فأعلمته ما قالت آمنة ، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا إنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره».

وفي الكافي:٣٠٢/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«كان حيث طَلَقَتْ آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي صلى الله عليه وآله ، حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب ، فلم تزل معها حتى وضعت ، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب !

فبينما هما كذلك إذا دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: ما لكما من أي شئ تعجبان ؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك ؟ فقالت: بلى ، فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود».

وفي الكافي:٤٥٢/١:«إصبري سبتاً أبشرك بمثله إلا النبوة ، وقال: السبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة».ومعاني الأخبار/٤٠٣. وهو يدل على أن أبا طالب كان كأبيه يعلم بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وإمامة علي عليه السلام.

وفي الكافي:٣٠٠/٨ ، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« لما ولد النبي صلى الله عليه وآله جاء رجل من أهل الكتاب (الحاخام يوسف) إلى ملأ من قريش فيهم هشام بن المغيرة ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن هشام ، وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أمية ، وعتبة بن ربيعة ، فقال: أوُلِدَ فيكم مولودٌ الليلة ؟ فقالوا: لا ، قال: فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد به شامة كلون الخز الأدكن ، ويكون هلاك أهل

الكتاب واليهود على يديه ، قد أخطاكم والله يا معشر قريش !

فتفرقوا وسألوا فأخبروا أنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فطلبوا الرجل فلقوه ، فقالوا: إنه قد ولد فينا والله غلام ! قال: قبل أن أقول لكم أو بعد ما قلت لكم ؟ قالوا: قبل أن تقول لنا ، قال: فانطلقوا بنا إليه حتى ننظر إليه ، فانطلقوا حتى أتوا أمه فقالوا: أخرجي ابنك حتى ننظر إليه ، فقالت: إن ابني والله لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان ، لقد اتقى الأرض بيديه ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها ، ثم خرج منه نور حتى نظرت إلى قصور بصرى ، وسمعت هاتفاً في الجو يقول: لقد ولدتيه سيد الأمة فإذا وضعتيه فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وسميه محمداً ، قال: فأخرجيه فأخرجته فنظر إليه ثم قلبه ونظر إلى الشامة بين كتفيه فخر مغشياً عليه !

فأخذوا الغلام فأدخلوه إلى أمه وقالوا: بارك الله لك فيه . فلما خرجوا أفاق فقالوا له: ما لك ويلك ؟ قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة ! هذا والله من يُبيرهم ! ففرحت قريش بذلك ، فلما رآهم قد فرحوا قال: قد فرحتم ؟! أما والله ليسطون بكم سطوةً يتحدث بها أهل المشرق والمغرب».

وفي الكافي:١/٤٤٦ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب ، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت أسد ».

وفي الخصال/٢٩٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « هبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن الله عز وجل قد شفعك في خمسة: في بطن حملك وهي آمنة

بنت وهب بن عبد مناف ، وفي صلب أنزلك وهو عبد الله بن عبد المطلب ، وفي حجر كفلك ، وهو عبد المطلب بن هاشم ، وفي بيت آواك وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب ، وفي أخ كان لك في الجاهلية . قيل: يا رسول الله من هذا الأخ؟ فقال: كان أنسي وكنت أنسه ، وكان سخياً يطعم الطعام .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: إسم هذا الأخ الجلاس بن علقمة».

أقول: هم من أهل الجنة عليهم السلام، وهذه الشفاعة كرامة خاصة أهداها الله لنبيه وكرمه بتكريم هؤلاء برفع درجتهم في الجنة . وليس معناها كما تخيل البعض أنهم بدون شفاعته من أهل النار .

وروى في الكافي:٥/٥٠ ، عن الإمام الصادق افتخار النبي صلى الله عليه وآله بأمه وجداته قال عليه السلام: «أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد: يا سوء صباحاه ! فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله في الخيل ، فركب فرسه في طلب العدو وكان أول أصحابه لحقه أبو قتادة على فرس له وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وآله سرج دفتاه ليف ليس فيه أشر ولا بطر ، فطلب العدو فلم يلقوا أحداً ، وتتابعت الخيل فقال أبو قتادة: يا رسول الله إن العدو قد انصرف فإن رأيت أن نستبق؟ فقال: نعم ، فاستبقوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله سابقاً عليهم ، ثم أقبل عليهم فقال: أنا ابن العواتك من قريش ، إنه لهو الجواد البحر ، يعني فرسه».

وفسره في الحدائق:٣٥٦/٢٢ ، فقال:« جمع عاتكة وهي المرأة المجمرة بالطيب ، وكان هذا الاسم لثلاث نسوة من أمهاته صلى الله عليه وآله إحداهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي ، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال ، أم هاشم بن عبد مناف ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، أم وهب أبي آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله ، فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة ، قيل: وبنو سليم كانوا

يفتخرون بهذه الولادة. وقيل: العواتك في جدات النبي ﷺ تسع ثلاث من بني سليم وهن المذكورات، والباقي من غيرهم».

وفي كمال الدين/١٩٦: «فروي عنها أنها قالت: لما حملت به لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، فرأيت في نومي كأن آت أتاني فقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلما حان وقت الولادة خفَّ عليَّ ذلك حتى وضعته، وهو يتقي الأرض بيده وركبتيه، وسمعت قائلاً يقول: وضَعْتِ خير البشر فعوِّذيه بالواحد الصمد من شر كل باغ وحاسد. فولد رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة مضت (بقيت) من ربيع الأول يوم الإثنين.

فقالت آمنة: لما سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه وركبتيه ورفع رأسه إلى السماء، وخرج مني نور أضاء ما بين السماء والأرض...

وكان بمكة يهودي يقال له يوسف، فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك، قال: هذا نبي قد ولد في هذه الليلة، وهو الذي نجده في كتبنا أنه إذا ولد وهو آخر الأنبياء، رجمت الشياطين وحجبوا عن السماء! فلما أصبح جاء إلى نادي قريش فقال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا قال: أخطأتم والتوراة ولد إذاً بفلسطين وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، فتفرق القوم. فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل رجل منهم أهله بما قال اليهودي فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن في هذه الليلة، فأخبروا بذلك يوسف اليهودي فقال لهم قبل أن أسألكم أو بعده؟ قالوا: قبل ذلك، قال: فاعرضوه عليَّ، فمشوا إلى باب آمنة فقالوا: أخرجي ابنك ينظر إليه هذا اليهودي، فأخرجته في قماطه فنظر في عينيه، وكشف عن كتفيه فرأى شامة سوداء بين كتفيه وعليها شعرات، فلما نظر إليه وقع على الأرض مغشياً عليه، فتعجبت منه قريش وضحكوا منه! فقال:

أتضحكون يا معشر قريش ، هذا نبي السيف ليتبرنكم ، وقد ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد ! وتفرق الناس وهم يتحدثون بخبر اليهودي !

ونشأ رسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم كما ينشأ غيره في الجمعة ، وينشأ في الجمعة كما ينشأ غيره في الشهر ». ونحوه في أمالي الصدوق/٣٦١.

٥- بعض الآيات الربانية عند ولادته صلى الله عليه وآله

في أمالي الصدوق/٣٦٠ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع ، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات . وكان يخترق أربع سماوات ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله حجب عن السبع كلها ، ورميت الشياطين بالنجوم ، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه ! وقال عمرو بن أمية ، وكان من أزجر أهل الجاهلية: أنظروا هذه النجوم التي يهتدى بها ، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف ، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شئ ، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث !

وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي صلى الله عليه وآله ليس منها صنم إلا وهو منكبٌّ على وجهه ، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشر شرفة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وفاض وادي السماوة ، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى المؤبذان (عالم المجوس) في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم ، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه ، وانخرقت عليه دجلة العوراء ، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، ولم يبق سرير

لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح مُنكَّساً ، والملك مُخْرَسَاً ، لا يتكلم يومه ذلك ، وانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة ، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها ، وعظمت قريش في العرب ، وسموا آل الله عز وجل .

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إنما سموا آل الله عز وجل ، لأنهم في بيت الله الحرام. وقالت آمنة: إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده ، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها ، ثم خرج مني نور أضاء له كل شئ ، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً ، وأتي به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه فأخذ فوضعه في حجره ، ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردانْ
قد ساد في المهد على الغلمانْ

ثم عوذه بأركان الكعبة وقال فيه أشعاراً . قال: وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه فقالوا: ما الذي أفزعك يا سيدنا ؟ فقال لهم: ويلكم ، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة ، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ، ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم ، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث ، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً ! فقال إبليس: أنا لهذا الأمر . ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة ، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع ، ثم صار مثل الصِّر وهو العصفور فدخل من قبل حراء ، فقال له جبرئيل: وراءك لعنك الله . فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل ، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد صلى الله عليه وآله ! فقال له: هل لي فيه نصيب ؟ قال: لا. قال: ففي أمته ؟ قال: نعم. قال: رضيت». ومناقب آل أبي طالب:٢٩/١.

وفي دعائم الإسلام:١٤٢/٢، في تفسير قوله تعالى في سورة الجن: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ

فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا: « عن علي قال: كنا مع رسول الله ذات ليلة إذ رمي نجم فاستضاء ، فقال رسول الله: للقوم: ما كنتم تقولون في وقت الجاهلية إذا رأيتم مثل هذا ؟ قالوا: كنا نقول: مات عظيم وولد عظيم ، فقال: فإنه لايرمى بها لموت أحد ولا لحياة أحد ، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش فقالوا: قضى ربنا بكذا ، فيسمع ذلك أهل السماء التي تليهم فيقولون ذلك . حتى يبلغ ذلك أهل السماء الدنيا ، فتسترق الشياطين السمع فربما اعتقلوا شيئاً فأتوا به الكهنة ، فيزيدون وينقصون ، فتخطئ الكهنة وتصيب .

ثم إن الله منع السماء بهذه النجوم فانقطعت الكهانة فلا كهانة ، وتلا قول الله عز وجل: إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ، وقوله جل ثناؤه: وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا». ومفصلاً في تفسير القمي:٤/٢.

٦- رضاع النبي من أمه آمنة ونشأته في البادية

« روى أبو الحسن البكري في كتابه الأنوار قال: حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة أنه كان من عادة أهل مكة إذا تم للمولود سبعة أيام ، التمسوا له مرضعة ترضعه... ثم ذكر أن الهاتف أخبر آمنة بأن مرضعته في بني سعد ، وإسمها حليمة ، فظلت تتوقع مجيئها حتى جاءت فأعطتها إياه ». (الصحيح من السيرة: ٨٣/٢).

أقول: أكثروا الروايات في رضاع النبي فضاعت الحقيقة في مكذوباتهم ! قالوا إن أمه لم ترضعه لأنها كانت قليلة اللبن ، أو أرضعته أياماً قليلة ، ثم أرضعته ثويبة أمة أبي لهب أياماً ، ثم جاءت حليمة !

والصحيح أن أمه أرضعته مدة قد تزيد علة السنة ، ثم أعطاه جده لزوج حليمة لينشأ في باديتهم قرب الطائف ، فقد صحح الشهيد الثاني وغيره افتخار

النبي صلى الله عليه وآله برضاعه الأول من أمه ، ثم بنشأته في بني سعد . قال في شرح اللمعة:١٦٥/٥، والمسالك:٣٧٦/١: « قال النبي صلى الله عليه وآله: أنا أفصح العرب ، بَيْدَ أني من قريش ونشأت في بني سعد ، وارتضعت من بني زهرة. وكانت هذه القبائل أفصح العرب ، فافتخر صلى الله عليه وآله بالرضاع كما افتخر بالنسب». والمجموع: ٢٢٧/١٨.

فرضاعه الأول من أمه آمنة بنت وهب الزهرية عليها السلام ، هو المؤثر في شخصيته ورضاعه الثاني من حليمة مكمل له ! وقوله صلى الله عليه وآله: « ارتضعت من بني زهرة» لا يتحقق إلا بأن يكون رضع من حليب أمه شهوراً ، أو سنة حتى صار يأكل .

أما الحديث المشهور: « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد» « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد» (الفايق: ٩/١و١٢٦).

فقد شهد علماء الجرح والتعديل بأنه لا أصل له ! (كشف الخفاء: ٢٠٠/١).

ومع ذلك صححوه ! فهل رأيت حديثاً صحيحاً لا أصل له !

وقد تناقضت روايتهم في كيفية أخذ حليمة له ومدة إرضاعه ! ولم أجد ما يطمأن اليه في ذلك عن أئمة أهل البيت عليهم السلام . والأمر المؤكد أن عبد المطلب رضي الله عنه سلمه الى زوجها الحارث السعدي ، فأخذه الى منازلهم في بادية الطائف ، وربما أرضعته حليمة مدة من الزمن ، وأعادته الى جده فأكرمهم .

ومن مقولاتهم الكاذبة أن ثويبة مولاة أبي لهب أو امرأته أرضعته صلى الله عليه وآله!

ولعل غرضهم تخفيف العذاب عن أبي لهب (البخاري: ١٢٥/٦) لأنه حليف أعداء النبي الذين حكموا دولته بعده !

ومنها ، قولهم إنه صلى الله عليه وآله كان يتيماً فزهدت فيه المرضعات ، مع أنه حفيد عبد المطلب زعيم العرب على الإطلاق !

ومنها ، قولهم إن الله أرسل ملكين فشقّا صدره صلى الله عليه وآله وغسلا قلبه من الرجس !

وكأنه كان فيه رجس ! وقد صححه الذهبي في تاريخه:٤٩/١ ، وقال:« إن جبريل شرح صدره مرتين في صغره ووقت الإسراء به».

ولم أجد في ذلك عن أهل البيت عليهم السلام شيئاً يطمأن اليه .

وقد روي أن حليمة السعدية رحمها الله توفيت قبل هجرته صلى الله عليه وآله فبكى لها ، كما وقعت ابنتها الشيماء في أسر المسلمين ، وكانت تحضنه صلى الله عليه وآله فأكرمها .

ففي الكافي: ١٦١/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سُرَّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟! فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه ».

وفي جواهر العقود: ١٦١/٢: « روي أن وفد هوازن قدموا على النبي(ص) فكلموه في سبي أوطاس: فقال رجل من بني سعد: يا محمد ، إنا لو كنا ملَّحنا للحارث بن أبي شمر (ملك الشام) أو للنعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ثم نزل منزلك هذا منا لحفظ ذلك لنا ، وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك. وإنما قالوا له ذلك لأن حليمة التي أرضعت النبي كانت من بني سعد ». وفسروا ملَّحْنَا بأرضعنا .

وفي البحار:٢٦٢/٢٢:« لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله قرابة من جهة أمه إلا من الرضاعة فإن أمه آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أخت.. إلا أن بني زهرة يقولون: نحن أخواله لأن آمنة منهم ، ولم يكن لأبويه عبد الله وآمنة ولد غيره.. وكان له خالةٌ من الرضاعة يقال لها سلمى ، وهي أخت حليمة بنت أبي ذؤيب ، وله أخوان من الرضاعة عبد الله بن الحارث وأنيسة بن الحارث ، أبوهما الحارث بن عبد العزى بن سعد بن بكر بن هوزان ». انتهى.

وقد سمتها بعض الروايات الشيماء ، وسماها في الفضائل/٨٧: حُرَّة ، وروى قصتها مع الحجاج ، قال:« لما وردت حرة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي فمثلت بين يديه قال لها: الله جاء بك ، فقد قيل عنك إنك تفضلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان؟! فقالت: لقد كذب الذي قال إني أفضله على هؤلاء خاصة ؟ قال: وعلى من غير هؤلاء ؟ قالت: أفضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وعلى موسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم ! فقال لها: ويلك أقول لك إنك تفضلينه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل؟ إن لم تأت ببيان ما قلت وإلا ضربت عنقك ! فقالت: ما أنا مفضلته على هؤلاء الأنبياء ، ولكن الله عز وجل فضله عليهم في القرآن..الخ.».

أقول: لعل هذه ابنة الشيماء أخت النبي صلى الله عليه وآله ، فلو كانت نفسها لكان عمرها في زمن الحجاج أكثر من مئة سنة !

وفي كنز الفوائد/٧٢، مرسلاً:« وشرف الله تعالى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه وخصها بتربيته ، وكانت ذات عقل وفضل ، فروت من آياته ما يبهر عقول السامعين ، وأغناها الله ببركته في الدنيا والدين ، وكان لايرضع إلا من ثديها اليمين. قال ابن عباس: ألهم العدل حتى في رضاعه ، لأنه علم أن له شريكاً فناصفه عدلاً منه صلى الله عليه وآله !

قالت حليمة... ولم أر قط ما يرى للأطفال طهارة ونظافة ، وإنما كان له وقت واحد ثم لايعود إلى وقته من الغد ، وما كان شئ أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً ، فكنت إذا كشفته يصيح حتى أستر عليه...

وكان بنو سعيد يرون البركات بمقامه معهم وسكناه بينهم ، حتى أنهم كانوا إذا عرض لدوابهم بؤس أتوا بها إليه ليمسها بيده فيزول ما بها وتعود إلى أحسن

حالها ! ولم يزل كذلك الى أن ردته حليمة إلى أهله فاشتمل عليه جده عبد المطلب يحبوه التحف ويمنحه الطرف ، ويعد قريشاً به ويخبرهم بما يكون من حاله ، إلى أن دنت وفاته فوضعه في حجر أبي طالب وأوصاه به ، وأمره بحياطته ورعايته ، وعرفه ما يكون من أمره».

وفي مناقب آل أبي طالب:٣٢/١: « وروي عن حليمة أنه جلس محمد وهو ابن ثلاثة أشهر ، ولعب مع الصبيان وهو ابن تسعة ، وطلب مني أن يسير مع الغنم يرعى وهو ابن عشرة ، وناضل الغلمان بالنبل وهو ابن خمسة عشر ، وصارع الغلمان وهو ابن ثلاثين ، ثم رددته إلى جده».

وفي الإختصاص/١٨٧، أن أعرابياً سأله:«يا رسول الله من أدبك ؟ قال: الله أدبني وأنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش وربيت في حجر من هوازن ، بني سعد».

٧- يُتْمُ النبي صلى الله عليه وآله ووفاة والديه قبل السابعة من عمره

قال اليعقوبي: ١٠/٢:« توفي عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله على ما روي عن جعفر بن محمد عليه السلام بعد شهرين من مولده...عند أخوال أبيه بني النجار في دار تعرف بدار النابغة ، وكانت سنه يوم توفي خمساً وعشرين سنة...

وتوفيت أمه آمنة بنت وهب...بعد ما أتى عليه ست سنين وثلاثة أشهر ، ولها ثلاثون سنة. وكانت وفاتها بموضع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة ».

وقال الحموي في معجم البلدان:٧٩/١: « وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي وكان السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله (ص) كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً فمات بالمدينة ، فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف

بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره ، فلما أتى على رسول الله (ص) ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله (ص) ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها ، ويقال إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه آمنة أم رسول الله فلما رجع منصرفاً إلى مكة ، ماتت آمنة بالأبواء».

وقال ابن سعد:١١٦/١:«كان رسول الله (ص) مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين ، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. فكان رسول الله (ص) يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك: لما نظر إلى أطَم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم ، وكنت مع غلمان من أخوالي نطيِّر طائراً كان يقع عليه.

ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه ، فقالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك كله من كلامه ، ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما كانوا بالأبواء توفيت آمنة بنت وهب فقبرها هناك ، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة ، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت. فلما مرَّ رسول الله(ص) في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه ، فأتاه رسول الله(ص) فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله (ص)». راجع في ترجمة أم أيمن الملحق رقم (٥) .

أقول: زعم أتباع مذاهب (الخلافة) أن والدة النبي صلى الله عليه وآله آمنة عليها السلام في جهنم ! وأنه استأذن ربه في زيارة قبرها وهو في طريقه الى الحديبية فأذن له ، فبكى وأجهش بالبكاء طويلاً وأبكى المسلمين معه ، واستأذن ربه أن يستغفر لها فلم يأذن له ، وأبقاها في نار جهنم والنبي يرى عذابها !

ففي شرح مسند أبي حنيفة للقاري/٣٣٥: «فمكث طويلاً ثم اشتد بكاؤه حتى ظننا أنه لا يسكن.. قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، فاستأذنته في الشفاعة فأبى ، فبكيت رحمة لها » !

وفي تفسير الطبري: ١١/٥٨: « وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » !

وفي السيرة الحلبية: ١/١٧٣: «وفي رواية إن جبريل ضرب في صدره قال: لا تستغفر لمن مات مشركاً ، فما رؤي باكياً أكثر منه يومئذ » ! انتهى.

وقال محمد ناصر الألباني في أحكام الجنائز/١٨٧: «عن أبي هريرة قال: زار النبي (ص) قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي» ! (مسلم: ٣/٦٥، وأبو داود: ٢/٧٢).

أقول: هكذا صوروا ربهم عز وجل قاسياً لايرحم عواطف نبيه الإنسانية تجاه والدته ، ولا يعبأ ببكائه وحرقته عليها ، ولايسمح له أن يقول: اللهم اغفر لها ! فالمهم عندهم أن يكون آباء النبي صلى الله عليه وآله وأمهاته في النار! لأنهم إذا كانوا مؤمنين كان آله عليهم السلام ورثة إسماعيل دونهم ! وكانت الخلافة في عترة النبي صلى الله عليه وآله دونهم ! والحمد لله أنهم كذبوا أنفسهم ، فرووا أن هذه الآية نزلت قبل الحديبية وأن

سبب نزولها غير هذا ! ثم كذبوا أنفسهم فرووا أن النبي ﷺ شفع لعمه أبي طالب عليه السلام فنقله من قعر جهنم الى ضحضاحها ! (صحيح بخاري: ٢٤٧/٤) !

ثم كذبوا أنفسهم فرووا في قوله تعالى: فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، «قال (ص):« أجورهم: يدخلهم الجنة ، ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ، ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا ». (الدر المنثور: ٢٤٩/٢).

وروى ابن ماجة: ١٢١٥/٢: « يُصَفُّ الناس يوم القيامة صفوفاً فَيَمُرُّ الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة ؟ قال: فيشفع له. ويمر الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ؟ فيشفع له » !

لكنهم ضيقوا رحمة الله على والدي النبي ﷺ وأجداده وعمه أبي طالب عليهم السلام، وقلدوا اليهود فنسبوا الى الله تعالى القسوة على رسوله وأحب خلقه اليه ﷺ! وكل ذلك لأنهم بحاجة الى تكفير أسرته عليهم السلام ، ليرثوا سلطانه ويبعدوا عترته !

٨- زيارة النبي ﷺ قبر والديه عبدالله وآمنة ﷺ

كان قبر عبد الله والد النبي ﷺ مزاراً الى الأمس ، بناه المسلمون من قديم وآخرهم سلاطين مصر والدولة العثمانية ، وقد زرته قبل نحو أربعين سنة وكان بيتاً في سكك المدينة غربي المسجد ، وكانت واجهة بابه الخارجي وعتبته أحجاراً نقشت عليها كتيبة بالعربية والتركية . وقد أقفله مشايخ الوهابية يومها مقدمة لهدمه ! أما الآن فقد أزالوه ودخل مكانه في توسعة ساحة المسجد النبوي ولم يبق له أثر !

كما أن قبر والدته آمنة عليها السلام كان مزاراً للأوفياء لنبيهم وأسرته ﷺ ، وهو في

الأبواء في طريق مكة ، ويعرف مكانه اليوم باسم (الخريبة) في منطقة الفرع.

قال في مراصد الإطلاع:١٩/١: «الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. وبالأبواء قبر آمنة أم النبي».

وقد أفتى فقهاؤنا باستحباب زيارة قبر والديه صلى الله عليه وآله ، وهذا نص زيارة أمه آمنة عليها السلام:

السلام عليك أيتها الطاهرة المطهرة، السلام عليك يا من خصها الله بأعلى الشرف، السلام عليك يا من سطع من جبينها نور سيد الأنبياء فأضاءت به الأرض والسماء. السلام عليك يا من نزلت لأجلها الملائكة وضربت لها حجب الجنة. السلام عليك يا من نزلت لخدمتها الحور العين وسقنها من شراب الجنة وبشرنها بولادة خير الأنبياء. السلام عليك يا أم رسول الله ، السلام عليك يا أم حبيب الله. فهنيئاً لك بما آتاك الله من فضله ، والسلام عليك وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته».

وشذ الوهابية فحرموا زيارة قبر أم النبي صلى الله عليه وآله وعاقبوا من زاره ! ثم طغوا وفجَّروا القبر بالديناميت ! وقد كتب الشيخ عبد الحسين البصري في شبكة الموسوعة الشيعية بتاريخ: ٢٠٠٠/٣/٢٨، موضوعاً بعنوان (ديناميت السلفية) ! قال فيه:

« للتاريخ فقط ، ولتبقى صفحة سوداء في وجة خوارج العصر ، نؤرخ لحدث وقع أصاب كبد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ألا وهو تفجير قبر آمنه بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله ، الواقع في الأبواء وذلك في الثامن من مارس سنة ٢٠٠٠ ميلادي !

ألا لعنة الله على القوم الظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ».

ثم كتب في ردَّ زعم الوهابيين بأن زيارة قبر آمنة عليها السلام ، شرك بالله تعالى !

٩- في كفالة جده الحنون عبد المطلب

في الكافي: ٤٤٨/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام: « كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة ، لا يفرش لأحد غيره ، وكان له وُلْدٌ يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذيه ، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه ، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه » !

وروى نحوه كمال الدين/١٧١، عن ابن عباس ، قال: « كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، لا يجلس عليه أحد إلا هو إجلالاً له ، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش ، فيَعْظُم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً عظيماً ، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم ، إني أرى غرته غرة تسود الناس ، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويقول: ما رأيت قبلة أطيب منه ولا أطهر قط ، ولا جسداً ألين منه ولا أطيب منه. ثم يلتفت إلى أبي طالب ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم واحدة ، فيقول: يا أبا طالب إن لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه واستمسك به ، فإنه فرد وحيد ، وكن له كالأم ، لا يوصل إليه بشئ يكرهه ، ثم يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً...

وكانت هذه حاله حتى أدركت عبد المطلب الوفاة فبعث إلى أبي طالب ، ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت ، وهو يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول: يا أبا طالب أنظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ، ولا ذاق شفقة أمه ، أنظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك ،

فإني قد تركت بنيَّ كلهم وأوصيتك به لأنك من أم أبيه ، يا أبا طالب إن أدركت أيامه فاعلم أني كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به ، فإن استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك ، فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي.

يا أبا طالب ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه ، ولا أمه على حال أمه ، فاحفظه لوحدته ، هل قبلت وصيتي فيه ؟

فقال: نعم قد قبلت ، واللهُ عليَّ بذلك شهيد ، فقال عبد المطلب: فمدَّ يدك إليَّ فمد يده إليه فضرب يده على يده ثم قال عبد المطلب: الآن خفَّ عليَّ الموت ! ثم لم يزل يقبله ويقول: أشهد أني لم أقبل أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك ولا أحس وجهاً منك ، ويتمنى أن يكون قد بقي حتى يدرك زمانه !

فمات عبد المطلب وهو صلى الله عليه وآله ابن ثمان سنين ، فضمه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار ، وكان ينام معه لا يأتمن عليه أحداً » !

وروى نحوه اليعقوبي:١٢/٢، وفيه: أن عبد المطلب أوصى لأبي طالب برسول الله وبسقاية زمزم ، وقال لأبي طالب:

« أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بمفرد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد ... فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد ... فأنت من أرجى بَنِيَّ عندي
لدفع ضيم أو لشد عقد

وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ثماني سنين ، ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة وقيل مائة وأربعون سنة ، وأعظمت قريش موته وغسل بالماء والسدر ، وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر ، ولف في حلتين من حلل اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى سترة ، وحمل على أيدي

الرجال عدة أيام ، إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب !

واحتبى ابنه بفناء الكعبة لما غيب عبد المطلب ، واحتبى ابن جدعان التيمي من ناحية ، والوليد بن ربيعة المخزومي ، فادعى كل واحد الرئاسة.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء عليهم السلام وزي الملوك ».

١٠- استسقى به جده عبد المطلب فسقاهم الله تعالى

قال اليعقوبي: ٢/١٢:« كان أصحاب الكتاب لايزالون يقولون لعبد المطلب في رسول الله منذ ولد ، فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطلب ، فقال: أما والله لئن نَفَستني قريش الماء ، يعني ماءً سقاه الله من زمزم وذي الهرم (بئر) لتنفسني غداً الشرف العظيم والبناء الكريم والعز الباقي والسناء العالي إلى آخر الدهر ويوم الحشر !

وتوالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع ، ففزعوا وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى ، فادع الله أن يسقينا ، وسمعوا صوتاً ينادي من بعض جبال مكة: معشر قريش إن النبي الأمي منكم وهذا أوان تَوَكُّفه ألا فانظروا منكم رجلاً عظاماً جساماً له سن يدعو إليه وشرف يعظم عليه ، فليخرج هو وولده ليمسوا من الماء ويلتمسوا من الطيب ويستلموا الركن ، وليدع الرجل وليؤمِّن القوم ، فخصبتم ما شئتم إذاً وغثتم !

فلم يبق أحد بمكة إلا قال: هذا شيبة الحمد ، هذا شيبة الحمد ! فخرج عبد المطلب ومعه رسول الله ، وهو يومئذ مشدود الإزار ، فقال عبد المطلب:

اللهم سادَّ الخَلة وكاشف الكُربة ، أنت عالمٌ غير مُعلم ، مسؤولٌ غير مُبَخَّل ، وهؤلاء عُبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك ، يشكون إليك سنيهم التي أقحلت

الضرع وأذهبت الزرع ، فاسمعنّ اللهم وأمطرنّ غيثاً مَريعاً مغدقاً. فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجه ، وفي ذلك يقول بعض قريش:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا — وقد فقدنا الكرى واجلوذ المطر

منا من الله بالميمون طائره — وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به — ما في الأنام له عدل ولا خطر »

وقد اشتهرت رواية رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم ، وفيها:« قام فاعتضد ابن ابنه محمداً فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب ، ثم قال.... فورب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها... فسمعت شيخان قريش وجلتها: عبد الله بن جدعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك سيد البطحاء» ! (الدعاء للطبراني/٦٠٦ ، ومعجمه الكبير: ٢٦٠/٢٤ ، والزوائد: ٢١٤/٢ ، وشرح النهج: ٢٧١/٧، وغيرها).

ومعنى: قد أيفع أو كرب: أنه صلى الله عليه وآله كان صبياً يافعاً قارب البلوغ . أي كان يبدو كبير السن للناظر ، وإن كان سنه أصغر من ذلك .

وتدل الرواية التالية على أنه صلى الله عليه وآله كان في زمن جده عبد المطلب ناضجاً يعتمد عليه جده في إدارة الرعاة كالرجل الكبير ! ففي الكافي:٤٤٧/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« كان عبد المطلب أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رعاته في إبل قد ندَّت له ليجمعها فأبطأ عليه ، فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول: يا رب أتهلك آلك إن تفعل فأمرٌ ما بدا لك ! فجاء رسول الله بالإبل وقد وجه عبد المطلب في كل طريق وفي كل شعب في طلبه.. ولما رأى رسول الله أخذه فقبله وقال: يا بني لا وجهتك بعد هذا في شئ ، فإني أخاف أن تغتال فتقتل».

وفي رواية:« ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها ولم يرسله في حاجة قط إلا

جاء بها ، وقد احتبس عليه فما برحت حتى جاء محمد وجاء بالإبل فقال: يا بني لقد حزنت عليك حزناً ، لا تفارقني أبداً ». (تاريخ الذهبي: ٥١/١).

وروى اليعقوبي:١٠/٢، أنه« رجع من بني سعد ابن أربع سنين أو خمس وهو في خلق ابن عشر وقوته». فمن خصائصه صلى الله عليه وآله أنه أنبته ربه نباتاً حسناً ، وسيأتي أن أبا طالب استسقى به لأهل مكة أيضاً بعد وفاة عبد المطلب ، وقال في لاميته:

وأبيضُ يُستسقى الغَمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

١١- نبوته وعصمته صلى الله عليه وآله من طفولته ، ومرافقة الملائكة له

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المسماة بالقاصعة ، وهي من أبلغ خطبه وأطولها ، وفيها فقرات تتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وآله تأتي في محالها:

« ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علَماً ويأمرني بالإقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ، ولكنك وزير وإنك لعلى خير». (نهج البلاغة: ١٥٧/٢).

وفي شرح النهج: ٢٠٧/١٣ ، أن الإمام الباقر عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل: إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ؟ فقال:« يوكل الله

تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة ، ووكل بمحمد صلى الله عليه وآله ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق ، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله ، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد ، فيظن أن ذلك من الحجر والأرض ، فيتأمل فلا يرى شيئاً ».

أقول: نعتقد نحن الشيعة أن نبينا صلى الله عليه وآله كان نبياً منذ ولادته ، وكان على هدى ربه ، وفي الأربعين بُعثَ رسولاً. بل يجب أن يعتقد بذلك أتباع المذاهب لأنهم صحت عندهم أحاديث أنه صلى الله عليه وآله كان نبياً وآدم بين الماء والطين ، أو بين الروح والجسد ، فهو إذن يعرف الملائكة من صغره ، ويعرف أنه نبي من الله تعالى.

وفي تاريخ اليعقوبي:٢/١٤:« ولما بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ويتذاكرون أمره ويتوصفون حاله ويقربون ظهوره ، فقال يوماً لأبي طالب: يا عم إني أرى في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجلان فيقولان: هو هو ، وإذا بلغ فشأنك به ، والرجل لايتكلم ! فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم فلما نظر إلى رسول الله قال: هذه الروح الطيبة ! هذا والله النبي المطهر. فقال له أبو طالب: فاكتم على ابن أخي لا تُغْر به قومه ، ولقد أنبأني أبي عبد المطلب بأنه النبي المبعوث ، وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغرى به الأعادي ». وتقدمت أحاديثهم ومنها في مجمع الزوائد:٨/٢٢٣:«إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته» . وقد صححوه .

○ ○

الفصل السابع

النبي صلى الله عليه وآله في بيت عمه الحنون أبي طالب رحمه الله

١- عاش صباه وشبابه في بيت عمه الحنون أبي طالب عليه السلام

في كنز الفوائد/٧٢: « توفي عبد المطلب في شهر ربيع الأول وللنبي صلى الله عليه وآله ثماني سنين من عمره ، فكفله أبو طالب أحسن كفالة».

وفي تاريخ اليعقوبي:١٣/٢:« فكان خير كافل ، وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً... وخرج به إلى بُصْرَى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين وقال: والله لا أكلك إلى غيري ! وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأم أولاده جميعاً. ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة أنه قال: اليوم ماتت أمي ! وكفنها بقميصه ونزل على قبرها واضطجع في لحدها ، فقيل له: يا رسول الله ، لقد اشتد جزعك على فاطمة ! قال: إنها كانت أمي ! إنْ كانت لتُجيع صبيانها وتشبعني ، وتشعثهم وتدهنني ، وكانت أمي ».

وفي بصائر الدرجات/٣٠٧ ، من حديث طويل:« صلى عليها النبي صلى الله عليه وآله صلاة لم يصلِّ قبلها ولا بعدها على أحد مثلها ، ثم نزل على قبرها فاضطجع فيه ثم قال لها: يافاطمة! قالت: لبيك يا رسول الله ! فقال: فهل وجدت ما وعد ربك حقاً ؟ قالت: نعم فجزاك

الله جزاء ، وطالت مناجاته في القبر... فما زلت أسال ربي في قبرها حتى فتح لها روضة من قبرها روضة من رياض الجنة ».

وفي علل الشرائع: ٤٦٩/٢، قال صلى الله عليه وآله:«إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان عليَّ ويؤثراني على أولادهما ، فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها».

وفي الحدائق: ٦٣٤/٢٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها».

وفي أمالي الصدوق/٣٩٠ ، عن ابن عباس من حديث:« قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر ، فإن أتاك منكر ونكير فسألاك: من ربك؟ فقولي: الله ربي ومحمد نبيي، والإسلام ديني ، والقرآن كتابي ، وابني إمامي ووليي. ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت . وروى أنه صلى الله عليه وآله قال:« يا علي أدخل ، يا حسن أدخل ، فدخلا القبر ، فلما فرغ مما احتاج إليه قال له: يا علي أخرج يا حسن أخرج فخرجا ، ثم زحف النبي صلى الله عليه وآله حتى صار عند رأسها ، ثم قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر ، فإن أتاك منكر ونكير فسألاك: من ربك؟ فقولي: الله ربي ومحمد نبيي ، والإسلام ديني ، والقرآن كتابي ، وابني إمامي ووليي».

أقول: توفيت عليها السلام في شوال السنة الرابعة أو الخامسة ، وقد يكون النبي صلى الله عليه وآله دعا سبطه الإمام الحسن عليه السلام وعمره سنتين أو ثلاثاً لينزل في قبرها ، لأن قبره سيكون في هذه البقعة بجوارها ! (مستدرك سفينة البحار: ٢٠٧/٥، و:٢٥٦/٨، وشرح إحقاق الحق: ٢٣٠/٣٣).

وروى الحاكم:١٠٨/٣، ووثقه:«لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها فجعل

يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا في قبرها. فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد ! فقال: يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي التي ولدتني ! إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه. وإن جبريل أخبرني عن ربي عز وجل أنها من أهل الجنة ، وأخبرني جبريل أن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها»! وفي مجمع الزوائد:٢٥٦/٩ ، باب: مناقب فاطمة بنت أسد رضي الله عنها . وصحح فيه أحاديث ، وكذا الممدوح في رفع المنارة/١١.

٢- استسقى أبو طالب بالنبي صلى الله عليه وآله كما استسقى به عبد المطلب

اشتهر قول أبي طالب رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وآله في قصيدته اللامية العصماء:

وأبيضُ يُستسقى الغَمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

ورووا أن النبي صلى الله عليه وآله طلب أن يُنشدوه القصيدة ، كما في بدائع الصنائع: ٢٨٣/١ ، وصحيح بخاري: ١٥/٢، ومسند أحمد: ٩٣/٢ .

وفي أمالي المفيد/٣٠١ ، عن مسلم الغلابي قال: « جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: والله يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا غنم يغط ، ثم أنشأ يقول:

أتيناك يا خير البرية كلها لترحمنا مما لقينا من الأزل

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى استكانة من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي

ولا شئ ممـا يأكـل النـاس عنـدنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
ولـيس لنـا إلا إليـك فرارنـا وأين فرار النـاس إلا إلـى الرسـل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: إن هذا الأعرابي يشكو قلة المطر وقحطاً شديداً، ثم قام يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما حمد ربه أن قال: الحمد لله الذي علا في السماء فكان عالياً، و في الأرض قريباً دانياً، أقرب إلينا من حبل الوريد. ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اسقنا غيثاً، مغيثاً، مريئاً، مريعاً، غدقاً طبقاً، عاجلاً غير رائث، نافعاً غير ضائر، تملأ به الضرع، وتنبت به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها. فما رد يديه إلى نحره حتى أحدق السحاب بالمدينة كالإكليل والتقت السماء بأردافها، وجاء أهل البطاح يضجون يا رسول الله: الغرق الغرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن السماء، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله ؟ فقام عمر فقال: عسى أردت يا رسول الله:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرَّ وأوفى ذمةً من محمد

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس هذا من قول أبي طالب، بل من قول حسان بن ثابت فقام علي بن أبي طالب فقال: كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقى الغمـام بوجهـه ربيـع اليتـامى عصـمة للأرامـل
يلوذ به الهـلاك مـن آل هاشـم فهم عنده فـي نعمـة وفواضـل
كذبتم وبيـت الله نبـزي محمـداً ولمـا نطـاعن دونـه ونقاتـل
ونسـلمه حتـى نصـرع حولـه ونـذهل عـن أبنائنـا والحلائـل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أجل، فقام رجل من بني كنانة فقال:

لك الحمد والحمد ممن شكر	سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة	وأشخص منه إليه البصر
ولم يك إلا كقلب الرداء	وأسرع حتى أتانا المطر
دفاق العزائل جم البعاق	أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه	أبو طالب ذا رواء غزر
به الله يسقي صيوب الغمام	فهذا العيان وذاك الخبر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بوأك الله يا كناني بكل بيت قلته بيتاً في الجنة».

قال في الغدير: ٣٤٠/٧:« هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته:٢٨٦/١ ، أربعة وتسعين بيتاً ، وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة ». وستأتي في مكانها .

وقال ابن حجر في فتح الباري:٤١٢/٢:« قال السهيلي: فإن قيل: كيف قال أبو طالب يستسقى الغمام بوجهه ، ولم يره قط استسقى ، إنما كان ذلك منه بعد الهجرة؟ وأجاب بما حاصله أن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي(ص) معه غلام...وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب ذكرها ابن إسحاق في السيرة بطولها وهي أكثر من ثمانين بيتاً قالها لما تمالأت قريش على النبي ونفروا عنه من يريد الإسلام».

وفي خزانة الأدب: ٦١/٢:« قال السهيلي في الروض الأنف: إن أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب ما دله على ما قال». وقد أصاب السهيلي والبغدادي فقد أجدبت قريش فشكت الى أبي طالب فاستسقى بالنبي صلى الله عليه وآله ، وإنما حذفوه من السيرة لأنه يثبت إيمان أبي طالب عليه السلام وهم يريدون إثبات كفره !

وقال عنها في مناقب آل أبي طالب:١١٩/١:«والسبب في ذلك أنه كان قحط في زمن أبي طالب فقالت قريش إعتمدوا اللات والعزى ، وقال آخرون إعتمدوا مناة الثالثة الأخرى ، فقال ورقة بن نوفل: أنى تؤفكون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل ، أبو طالب فاستسقوه ، فخرج أبو طالب وحوله أغيلمة من بني عبد المطلب ، وسطهم غلام كأنه شمس دجنة (مشرقة)تجلت عنها غمامة ، فأسند ظهره إلى الكعبة ولاذ بإصبعه وبصبصت الأغلمة حوله ، فأقبل السحاب في الحال ، فأنشأ أبو طالب اللامية » !

وروى هذه المعجزة آخرون بتفصيل ، منهم فخار بن معد في كتابه: الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/٣١١، والصالحي في سبل الهدى: ١٣٧/٢، والذهبي في تاريخه: ٥٢/١ ، بسند صحيح عنده ، عن أبان بن تغلب ، عن جلهمة بن عرفطة قال: «إني لبالقاع من نمرة إذ أقبلت عير من أعلى نجد فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه عن عجز بعير فجاء حتى تعلق بأستار الكعبة ، ثم نادى يا رب البنية أجرني ! وإذا شيخ وسيم قسيم عليه بهاء الملك ووقار الحكماء ، فقال: ما شأنك يا غلام فأنا من آل الله وأجير من استجار به ؟ قال: إن أبي مات وأنا صغير وإن هذا استعبدني وقد كنت أسمع أن لله بيتاً يمنع من الظلم ، فلما رأيته استجرت به. فقال له القرشي: قد أجرتك يا غلام قال: وحبس الله يد الجندعي إلى عنقه .

قال جلهمة: فحدثت بهذا الحديث عمرو بن خارجة وكان قعدد الحي فقال: إن لهذا الشيخ ابناً يعني أبا طالب. قال: فهويت رحلي نحو تهامة أكسع بها الحدود وأعلوا بها الكدان حتى انتهيت إلى المسجد الحرام ، وإذا قريش عزين قد

ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى ! وقائل يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى. وقال شيخ وسيم قسيم حسن الوجه جيد الرأي: أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسماعيل ؟ قالوا له: كأنك عنيت أبا طالب ! قال: إيهاً. فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه مصفر عليه إزار قد اتشح به ، فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب قحط الوادي وأجدب العباد فهلم فاستسق ، فقال: رويدكم زوال الشمس وهبوب الريح ، فلما زاغت الشمس أو كادت خرج أبو طالب معه غلام كأنه دجن (سماء لحسنه) تجلت عنه سحابة قتماء ، وحوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ بأضبعه الغلام وبصبصت الأغيلمة حوله ، وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا ، وأغدق واغدودق ، وانفجر له الوادي ، وأخصب النادي والبادي ! وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل

تطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة ... ووزان صدق وزنه غير عائل »

أقول: كفى بهذا الحديث وهذه القصيدة دليلاً على إيمان أبي طالب بنبوة النبي ﷺ من صغره ! ولكن الذهبي وأمثاله أشربوا في قلوبهم بني أمية والإعراض عن عترة نبيهم ﷺ ! بل أعرضوا عن مناقب نبيهم ﷺ كرهاً لعترته !

٣- حديث بحيرا الراهب في سفر النبي صلى الله عليه وآله مع عمه الى الشام

قال علي بن يوسف الحلي رحمه الله في العدد القوية/١١٨:« وخرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام وله تسع سنين ، وقيل: اثنتا عشرة سنة ».

وفي الخرائج: ٧١/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« ثم إن أبا طالب خرج به معه إلى الشام في تجارة قريش ، فلما انتهى به إلى بصرى وفيها راهب لم يكن يكلم أهل مكة إذا مروا به ، ورأى علامة رسول الله صلى الله عليه وآله في الركب ، رأى غمامة تظله في مسيره ونزل تحت شجرة قريبة من صومعته فتثنت أغصان الشجرة عليه والغمامة على رأسه بحالها ، فصنع لهم طعاماً فاجتمعوا عليه وتخلف محمد صلى الله عليه وآله ، فلما نظر بحيرا إليهم ولم ير الصفة التي يعرف قال: فهل تخلف منكم أحد ؟ قالوا: لا واللات والعزى إلا صبي ، فاستحضره فلما لحظ إليه نظر إلى أشياء من جسده قد كان يعرفها من صفته ، فلما تفرقوا قال: ياغلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ قال: سل. قال: أنشدك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ! وإنما أراد أن يعرف لأنه سمعهم يحلفون بهما ، فذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: لا تسألني باللات والعزى ، فإني والله لم أبغض بغضهما شيئاً قط !

قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه ؟ قال: فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ، فكان يجدها موافقة لما عنده.

فقال له: إكشف عن ظهرك فكشف عن ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الموضع الذي يجده عنده ، فأخذه الإفكل وهو الرعدة ، واهتز الديراني

فقال: من أبو هذا الغلام ؟ قال أبو طالب: هو ابني. قال: لا والله لا يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: إنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه ؟ قال: مات وهو ابن شهرين. قال: صدقت. قال: فارجع بابن أخيك إلى بلادك واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأته وعرفوا منه الذي عرفت ليبغينه شراً ! فخرج أبو طالب فرده إلى مكة ».

وفي كمال الدين/١٨٧: « عن أبان بن عثمان يرفعه قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في عير قريش ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وتشبث بالزمام وقال: يا عم على من تخلفني لا على أمٍ ولا على أب ؟! وقد كانت أمه توفيت فرقَّ له أبو طالب ورحمه وأخرجه معه ، وكانوا إذا ساروا تسير إلى رأس رسول الله صلى الله عليه وآله غمامة تظله من الشمس ، فمروا في طريقهم برجل يقال له: بحيرى فلما رأى الغمامة تسير معهم نزل من صومعته واتخذ لقريش طعاماً وبعث إليهم يسألهم أن يأتوه ، وقد كانوا نزلوا تحت شجرة ، فبعث إليهم يدعوهم إلى طعامه فقالوا له: يا بحيرى والله ما كنا نعهد هذا منك ! قال: قد أحببت أن تأتوني ، فأتوه وخلفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحل ، فنظر بحيرى إلى الغمامة قائمة فقال لهم: هل بقي منكم أحد لم يأتني؟ فقالوا: ما بقي منا إلا غلام حدث خلفناه في الرحل ، فقال: لا ينبغي أن يتخلف عن طعامي أحد منكم ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أقبل أقبلت الغمامة ، فلما نظر إليه بحيرى قال: من هذا الغلام ؟ قالوا: ابن هذا وأشاروا إلى أبي طالب ، فقال له بحيرى: هذا ابنك ؟ قال أبو طالب: هذا ابن أخي قال: ما فعل أبوه؟ قال: توفي وهو حمل ، فقال بحيرى لأبي طالب: رُدَّ هذا الغلام

إلى بلاده ، فإنه إن علمت به اليهود ما أعلم منه قتلوه ! فإن لهذا شأناً من الشأن ، هذا نبي هذه الأمة ، هذا نبي السيف ».

وفي قرب الإسناد/٢١٣-٢٢٣: من حديث طويل للإمام الكاظم عليه السلام مع حاخامات اليهود جاء فيه: « قالوا: إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى آتى إبراهيم وولده الكتاب والحكم والنبوة وجعل لهم الملك والإمامة ، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا تتعداهم النبوة والخلافة والوصية ، فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم ونلقاكم مستضعفين مقهورين لا تُرقب فيكم ذمة نبيكم؟!

فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام ثم قال: نعم لم تزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق ، والظلمة غالبة ، وقليل من عباد الله الشكور !

قالوا: صدقت ، فما أعطي نبيكم من الآيات اللاتي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليهم. قلت: آيات كثيرة أعدها إن شاء الله...

ومن ذلك: أنه توجه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش ، فلما كان بحيال بحيراء الراهب نزلوا بفناء ديره ، وكان عالماً بالكتب وقد كان قرأ في التوراة مرور النبي صلى الله عليه وآله به وعرف أوان ذلك ، فأمر فدعى إلى طعامه ، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها ، فقال: هل بقي في رحالكم أحد ؟ فقالوا: غلام يتيم. فقام بحيراء الراهب فاطَّلع فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله نائم وقد أظلته سحابة ! فقال للقوم: أدعوا هذا اليتيم ، ففعلوا وبحيراء مشرف عليه ، وهو يسير والسحابة قد أظلته فأخبر القوم بشأنه ، وأنه سيبعث فيهم رسولاً ، وما يكون من حاله وأمره !

فكان القوم بعد ذلك يهابونه ويجلونه ، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك ، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه وهي سيدة نساء قريش ، وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم ، فزوجته نفسها للذي بلغها من خبر بحيراء ».

وروى في كمال الدين/١٨٢ ، عن العباس عن أبي طالب رضي الله عنه، بتفصيل وفيه: « لما فارقه بحيرى بكى بكاء شديداً وأخذ يقول: يا ابن آمنة ، كأني بك وقد رمتك العرب بوترها ، وقد قطعك الأقارب ! ولو علموا لكنت لهم بمنزلة الأولاد ، ثم التفت إليَّ وقال: أما أنت يا عم فارع فيه قرابتك الموصولة ، واحتفظ فيه وصية أبيك ، فإن قريشاً ستهجرك فيه فلا تبال ، وإني أعلم أنك لا تؤمن به ظاهراً ولكن ستؤمن به باطناً ، ولكن سيؤمن به ولد تلده وسينصره نصراً عزيزاً إسمه في السماوات البطل الهاصر، وفي الأرض الشجاع الأنزع ، منه الفرخان المستشهدان ، وهو سيد العرب ورئيسها وذو قرنيها وهو في الكتب أعرف من أصحاب عيسى ! فقال أبو طالب: والله قد رأيت كل الذي وصفه بحيرى وأكثر ».

وفي العدد القوية/١٣٢، عن ابن عباس ، عن أبي طالب ، أن بحيرا قال للنبي ﷺ: «يا من بذكره تعمر المساجد ،كأني بك قد قدمت الأجناد والخيل الجياد ، وتبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً ، وكأني باللات والعزى قد كسرتهما ، وقد صار البيت العتيق لا يملكه غيرك ، تضع مفاتيحه حيث تريد ، كم من بطل من قريش والعرب تصرعه ، معك مفاتيح الجنان والنيران ، ومعك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام ! أنت الذي لا تقوم الساعة حتى يدخل الملوك كلها في دينك صاغرة

قمئة ! فلم يزل يقبل رجليه مرة ويديه مرة ويقول: لئن أدركت زمانك لأضربن بين يديك بالسيف ضرب الزند بالزند. أنت سيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ، والله لقد بكت له البيع والأصنام والشياطين ، فهي باكية إلى يوم القيامة ! وأنت دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ، أنت المقدس المطهر من أنجاس الجاهلية » !

أقول: روى ابن هشام قصة بحيرا في سيرته(١١٦/١) وحذف منها ما يتعلق بإيمان أبي طالب عليه السلام ، وفي سيرة ابن إسحاق الموجودة:٥٥/٢: « فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام . فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيراً وتماماً ودريساً ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء فأرادوه ، فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله عز وجل وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا !

فقال أبو طالب في ذلك من الشعر يذكر مسيره برسول الله صلى الله عليه وآله ، وما أرادوا منه أولئك النفر ، وما قال لهم فيه بحيرا:

إن ابن آمنة النبي محمداً ... عندي بمثل منازل الأولاد

لما تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالأزواد

فارفضَّ من عينيَّ دمعٌ ذارفٌ ... مثلُ الجمان مفرَّق الأفراد

راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومه بيض الوجوه مصالت الأنجاد
ساروا لأبعد طيةٍ معلومة فلقد تباعدُ طيةُ المرتاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا لاقوا على شرف من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً عنه وردَّ معاشر الحساد
قوماً يهوداً قد رأوا ما قد رأى ظل الغمام وعز ذي الأكياد
ساروا لقتل محمد فنهاهم عنه وأجهد أحسن الإجهاد
فثنى زبيراً بحيرا فانثنى في القوم بعد تجادل وبعاد
ونهى دريساً فانتهى عن قوله حبر يوافق أمره برشاد

وقال أبو طالب أيضاً:

ألم ترني من بعد همٍّ هممته كأن لا يراني راجعاً لمعاد
بأحمد لما أن شددت مطيتي برحلي وقد ودعته بسلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا وأخذت بالكفين فضل زمام
ذكرى أباه ثم رقرقتُ عبرة تجود من العينين ذات سجام
فقلت: تروح راشداً في عمومة مواسين في البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التي راح أهلها شآمي الهوى والأصل غير شآمي
فلما هبطنا أرض بصرى تشوفوا لنا فوق دور ينظرون بسام
فجاد بحيرا عند ذلك حاشداً لنا بشراب طيب وطعام
فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا فقلنا جمعنا القوم غير غلام
يتيم ، فقال: ادعوه إن طعامنا كثير ، عليه اليوم غير حرام

فلمـــا رآه مقـــبلاً نحـــو داره يوقيه حـر الشـمس ظـل غمـام
حنا رأسه شبه السـجود وضـمه إلـى نحـره والصـدر أي ضـمام
وأقبل ركب يطلبون الـذي رأى بحيرا مـن الأعـلام وسـط خيـام
فثـار إلـيهم خشـية لعـرامهم وكـانوا ذوي دهـى معـا وعـرام
دريساً وتمَّاماً وقـد كـان فـيهم زبيـراً وكـل القـوم غيـر نيـام
فجاءوا وقد هموا بقتـل محمـد فـردهم عنـه بحسـن خصـام
بتأويلـه التـوراة حتـى تفرقـوا وقـال لهـم: مـا أنـتم بطغـام
فـذلك مـن أعلامـه وبيانـه ولـيس نهـار واضـح كظـلام

وقال أبو طالب أيضاً:

بكـى طربـاً لمـا رآنـا محمـد بفرقـة حـر الوالـدين كـرام
فبـت يجـافيني تهلـل دمعـه وقربته مـن مضـجعي ووسـادي
فقلت له: قرب قعودك وارتحـل ولا تخشى منـي جفـوة بـبلادي
وخل زمام العيسى وارتحل بنـا علـى عزمـة مـن أمرنـا ورشـاد
ورح رائحاً في الراشدين مشـيعاً لذي رحم في القـوم غيـر معـاد
فرحنا مع العير التي راح ركبهـا يؤمون علـى غـوري أرض إبـاد
فما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديـث تجلـو غـم كـل فـؤاد
وحتـى رأوا حبـار كـل مدينـة سـجوداً لـه مـن عصـبة وفـراد
زبيراً وتماماً وقـد كـان شـاهداً دريسـاً وهمـوا كلهـم بفسـاد
فقال لهـم قـولاً بحيـرا وأيقنـوا لـه بعـد تكـذيب وطـول بعـاد
كما قال للرهط الـذين تهـودوا وجاهـدهم فـي الله كـل جهـاد

فقال ولم يملك له النصح: رده   فإن له أرصاد كل مضاد
فإني أخاف الحاسدين وإنه   أخو الكتب مكتوب بكل مداد »

وابن عساكر:١٠/٣، وسبل الهدى:١٤٢/٢. والبيهقي في دلائل النبوة:٢٩/٢، وغيرهم.

٤- شاعت نبوءة بحيرا عند العرب

قال الله تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالأنْجِيلِ..(الأعراف: ١٥٧) وقال: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ (الأنعام: ٢٠) وقال: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يدي مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...(الصف: ٦)

وقال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الأنْجِيلِ كَزَرْعٍ أخرج شَطْأَهُ... (آخر سورة الفتح). وغيرها من الآيات.

وقد شاعت وذاعت قصص علماء النصارى واليهود في مكة والجزيرة، واتفقت الرواية على أن بحيراء الراهب النصراني واسمه نسطور(تاريخ دمشق: ١٠/٣) قد آمن بالنبي ﷺ عندما رآه وكلمه وكان في الثانية عشرة من عمره أو دونها، وأن أحبار اليهود أرادوا قتله ﷺ كما قال أبو طالب في أبياته فنهاهم بحيراء وأقنعهم بأنهم إن أرادوا فسيمنعهم الله تعالى لأنه قضى أن يكون النبي الخاتم ﷺ.

وفي الخرائج: ٧١/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« فنشأ رسول الله في حجر أبي طالب، فبينا هو غلام يجئ بين الصفا والمروة إذ نظر إليه رجل من أهل الكتاب فقال: ما اسمك؟ قال: إسمي محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن عبد الله. قال: ابن من؟

قال: ابن عبد المطلب. قال: فما اسم هذه وأشار إلى السماء ؟ قال السماء. قال: فما اسم هذه وأشار إلى الأرض ؟ قال: الأرض. قال فمن ربهما ؟ قال: الله. قال: فهل لهما رب غير الله ؟ قال: لا ».

أقول: إحفظ عندك أن علماء اليهود والنصارى كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وآله، كما نصت الآيات وتواترت الأحاديث والأخبار ، وأنهم بشروا به قبل ولادته ، وعرفوا يوم ولادته من علامات النجوم ، ثم عرفوه بصفته لما رأوه ، وأخبروا عمه أبا طالب وغيره ، وشاع ذلك وذاع في مكة وبين العرب !

ويضاف ذلك الى ما دل على أنه صلى الله عليه وآله كان نبياً يرافقه ملك من طفولته، وأن جده عبد المطلب وعمه أبا طالب كان يعرفان أن سيبعث نبياً ، وسيكذبه قومه ويحاولون قتله فيهاجر ، ويحاربونه فينصره الله ويخضع له العرب .

إحفظ هذه الحقائق ، لأنك سترى أن رواة الحكومات يظهرونها أحياناً ، ويطمسونها أحياناً ! فقد طمسوها عند حديث عائشة في كيفية بدء الوحي ! وطمسوها لنفي وجود صحابة قرشيين منافقين ، بحجة أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله دولة أو قوة تجذب أحداً ليسلم طمعاً ، مع أن خبر نبوته صلى الله عليه وآله كان يستهوي مغمورين في قبائلهم أو في مجتمعهم للدخول في الإسلام طمعاً بموقع في دولته ! فهو ابن عبد المطلب زعيم العرب ، وقد شهد له علماء اليهود والنصارى بأنه سينتصر ويحكم بلاد العرب ، وهو يؤكد أنه سيملك كنوز كسرى وقيصر !

فمن الطبيعي أن يدخل في الإسلام في مكة من يطمع أن يكون له موقع في

دولة النبي صلى الله عليه وآله فيخرج بذلك من فقره وذلته ومهانته ! وهؤلاء الأشخاص أخطر على الإسلام من المنافقين العاديين ، لأنهم منافقون من أجل طموح سياسي، ولذلك سماهم الله تعالى (مرضى القلوب) وذكرهم في أوائل سور القرآن فقال في سورة المدثر: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً...وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً.. (المدثر: ٣١) .

ثم تحدث عنهم في اثنتي عشرة آية ! ووصفهم بأنهم وقحون يفرون في الحرب ويحملون النبي صلى الله عليه وآله مسؤولية الهزيمة ، لأنه لم يشركهم في القيادة ! فقال عنهم في آيات أحُد: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمر مِنْ شَئٍ قُلْ إِنَّ الأمر كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالايُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَئٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ! (آل عمران: ١٥٤).

وكاد القرآن يسميهم عندما وصفهم بأنهم كانوا في مكة مستعجلين لأن يقاتل النبي صلى الله عليه وآله قريشاً ببني هاشم الشجعان لينكصوا هم ثم يقطفوا الثمار إن استطاعوا ! ولما كتب عليهم القتال في بدر نكصوا وخوفوا النبي صلى الله عليه وآله من قريش في بدر ! فذكَّرهم الله بنفاقهم في مكة وقال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً.. (النساء: ٧٧).

قال الطبري:٥/٢٣٣:« نزلت في قوم من أصحاب رسول الله (ص)كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد... فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم » !

وفي برهان الزركشي: ٤٢٢/١: «فَمَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ! هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا ، من القوم الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ».

وكشف بعضهم ابن حجر فقال:« نزلت في عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وهما من بني زهرة ، وقدامة بن مظعون والمقداد بن الأسود ، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال ، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال ، كره بعضهم ذلك» ! (أسباب النزول: ٩١٨/٢).

وفي تفسير الرازي:١٨٤/١٠:« والأولى حمل الآية على المنافقين لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ الله وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، ولا شك أن من هذا كلام المنافقين... فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً». وروى الحاكم: ٦٦/٢، تفسيرها بابن عوف وأصحابه وصححه على شرط بخاري. وكذا النسائي: ٣/٦، والبيهقي: ١١/٩.

وقد كذبوا على المقداد رضي الله عنه فجعلوه منهم مع أنهم رووا في البخاري (١٨٧/٥) قوله للنبي صلى الله عليه وآله: « يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، ولكن إمض ونحن معك ! فكأنه سُرِّيَ عن رسول الله». ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله كان غاضباً من آخرين خوفوه من قريش ، وهم أهل آية: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ، وليس من المقداد رضي الله عنه ! وسيأتي تفصيل ذلك.

○ ○

الفصل الثامن

زواجه ﷺ بخديجة عليها السلام ومقدمات بعثته

زواجه ﷺ بخديجة عليها السلام في العقد الثالث من عمره

أ- سبب زواجه ﷺ بخديجة عليها السلام أنها أحبته لمّا سمعت كراماته . ففي تفسير الإمام

العسكري عليه السلام/١٥٥ ، عن الإمام الهادي عليه السلام قال: « أما الغمامة فإن رسول الله ﷺ كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد ، وكان من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر فكانوا في حَمَارَّة القيظ يصيبهم حر تلك البوادي ، وربما عصفت عليهم فيها الرياح وسفت عليهم الرمال والتراب ، وكان الله تعالى في تلك الأحوال يبعث لرسول الله ﷺ غمامة تظله فوق رأسه ، تقف بوقوفه وتزول بزواله ، إن تقدم تقدمت وإن تأخر تأخرت ، وإن تيامن تيامنت وإن تياسر تياسرت ، فكانت تكفُّ عنه حر الشمس من فوقه ، وكانت تلك الرياح المثيرة لتلك الرمال والتراب ، تُسفيها في وجوه قريش ووجوه رواحلهم حتى إذا دنت من محمد ﷺ هدأت وسكنت ، ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب ، وهبَّت عليه ريحٌ باردة لينة ، حتى كانت قوافل قريش يقول قائلها: جوار محمد أفضل من خيمة. فكانوا يلوذون به ويتقربون إليه ، فكان الرَّوْح يصيبهم بقربه وإن كانت الغمامة مقصورة عليه. وكان إذا اختلط بتلك القوافل غرباء ، فإذا الغمامة تسير في موضع بعيد منهم ».

وروى في الهداية الكبرى/٥١ ، من حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «وكان لخديجة منظرة في مستشرف الطريق تقعد فيها ونساء قومها ، وكانت قاعدة في المنظرة تنظر إليه ومن معها من النساء فقالت لهن: يا هؤلاء ما ترين أن لهذا الرجل قدراً عظيماً ؟ أما ترينه منفرداً وعلى رأسه غمامة تسير بمسيره وتقف لوقوفه ، وتظله من الحر والبرد... وأقبل النبي صلى الله عليه وآله وعمه وبنو عمه وأهل بيته من بني عبد المطلب خاصة ، وأرسلت خديجة إلى عمها وأهل بيتها فدعتهم ».

وفي شرح الأخبار: ١/١٨٣: « ولما انتهى إليها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما قد فشا واستفاض عنه من الخبر ، أرسلت إليه في أن تعطيه مالاً يتجر لها به إلى الشام ، ففعل... وربح في تلك التجارة ما لم يربح أحد مثله ، فلما قدم بذلك على خديجة قالت لغلامها ميسرة: ما أعظم أمانة محمد وبركته ، ما ربحت في تجارة قط كربحي فيما أبضعته معه. فقال لها ميسرة: وأعظم من ذلك ما سمعته فيه ورأيته منه ! قالت: وما هو؟ فأخبرها بخبر الراهب وخبر الغمامة ».

وفي مسارّ الشيعة للمفيد/٤٩: «وفي اليوم العاشر منه (ربيع الأول) تزوج النبي صلى الله عليه وآله بخديجة بنت خويلد أم المؤمنين ، لخمس وعشرين سنة من مولده ، وكان لها يومئذ أربعون سنة ».

وفي سيرة ابن إسحاق: ٢/٥٩ ، وابن هشام: ١/١٢١: « فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له فيما يزعمون: يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك ، وسطتك فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ».

ب- روت عامة المصادر مراسم خطبة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله، ففي الكافي: ٣٧٤/٥ ، والفقيه: ٣٩٧/٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوج خديجة بنت خويلد ، أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش ، حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة ، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت ، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل ، وأنزلنا حرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ، ثم إن ابن أخي هذا يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، ممن لايوزن برجل من قريش إلا رجح به ، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق. وإن كان مقلاً في المال فإن المال رِفْدٌ جارٍ وظلٌّ زائل ، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة ، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها ، والمهر عليَّ في مالي ، الذي سألتموه عاجله وآجله. وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل ، ثم سكت أبو طالب، وتكلم عمها وتلجلج وقَصُر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر ! وكان رجلاً من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة: يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود ، فلست أولى بي من نفسي ، قد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليَّ في مالي ، فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك ، قال أبو طالب: إشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها !

فقال بعض قريش: يا عجباه ، المهر على النساء للرجال ! فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه ، وكان ممن يهابه الرجال ويُكره غضبه ، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر ، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي ! ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهله ، وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت	لك الطير فيما كان منك بأسعد
تزوجته خير البرية كلها	ومن ذا الذي في الناس مثل محمد
وبشر به البر ان عيسى بن مريم	وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقرت به الكتاب قدماً بأنه	رسول من البطحاء هاد ومهتد »

ج- وهبت خديجة كل أموالها للنبي صلى الله عليه وآله يتصرف فيها كيف شاء ، فقد ورد تفسير قوله تعالى: وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ، عن ابن عباس:« فأغناك بمال خديجة ، ثم زادك من فضله فجعل دعائك مستجاباً ، حتى لو دعوت على حجر أن يجعله الله لك ذهباً لنقل عينه إلى مرادك ، وأتاك بالطعام حيث لا طعام ، وأتاك بالماء حيث لاماء ، وأغاثك بالملائكة حيث لا مغيث ، فأظفرك بهم على أعدائك».

(علل الشرائع:١/١٣٠ ، ومعاني الأخبار/٥٣. وفي عمدة القاري:١٩/٢٩٩، عن الثعلبي: بمال خديجة ، والغنائم ، ونحوه الكشاف:٤/٢٦٥، ومجمع البيان:١٠/٣٨٤).

وفي البحار: ١٦/٧١:« يا معاشر العرب إن خديجة تشهدكم على أنها قد وهبت نفسها ومالها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشي والصداق والهدايا لمحمد». وفسرها الإمام الرضا عليه السلام (العيون:٢/١٧٧)بأنه جعله مستجاب الدعاء ، وهو أعم من مال خديجة ، والآية مطلقة ، تشمل مال خديجة واستجابة دعائه صلى الله عليه وآله ، والغنائم التي أحلها الله له ، وغيرها من مصاديقها .

د- وصار بيت خديجة عليها السلام بيت النبي صلى الله عليه وآله ويقع في الجهة المقابلة لشعب بني هاشم

وكان الى وقت قريب معروفاً ببيت خديجة ومولد فاطمة عليها السلام ، ويقع في سوق الليل وقد زرته في الستينات والسبعينات ميلادية ، حتى هدمه الوهابيون وأزالوه في حملتهم على آثار النبي صلى الله عليه وآله وآثار الإسلام !

وعندما كتبت قريش صحيفة المقاطعة لبني هاشم حتى يسلموهم النبي صلى الله عليه وآله

ليقتلوه ! اضطر النبي صلى الله عليه وآله أن يترك بيته ويدخل مع بني هاشم في شعب أبي طالب ، فتحملت خديجة معه صلى الله عليه وآله بضع سنوات من المحاصرة ، فأرسل الله جبرئيل عليه السلام ليقرئها السلام ويسليها عن فقدان بيتها ، ويبشرها بأن الله تعالى بنى لها بيتاً في الجنة . وكان النبي صلى الله عليه وآله يذكرها كل عمره ويمدحها ، فكانت عائشة تحسدها وتغار منها:« قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة » ! (صحيح بخاري: ١٩٥/٨). راجع الملحق رقم (٧) من سيرة أم المؤمنين خديجة عليها السلام .

هـ - المشهور أن زينب وأم كلثوم بنات النبي صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام ، ويوجد قول

قوي بأنهن بنات أخت خديجة ، توفيت أمهن فربتهن خالتهن خديجة فعرفن بنات محمد صلى الله عليه وآله ! وأن خديجة لم تتزوج قبل النبي صلى الله عليه وآله وأن عمرها عند زواجها كان بضعاً وعشرين ، ولما ماتت خمسين سنة ، حسب رواية البيهقي .

قد تبنى هذا الرأي بعض كتاب السيرة القدماء والمعاصرين .

قال ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب:١٣٨/١:«وروى أحمد البلاذري ، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما ، والمرتضى في الشافي ، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج بها وكانت عذراء ، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع ، أن وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة» . وقد ألف السيد جعفر مرتضى كتاب: (بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه؟) تجده في:

http: //www.aqaed.com/shialib/books/all/banat/index.html

ذكر فيه تناقض رواياتهم في تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وآله منها ، وفي ولادة أولاده وزواج بناته ، فبعضها ذكر أنه صلى الله عليه وآله تزوج بها قبل البعثة بثلاث سنين ، وبعضها قال إن أولاده منها ولدوا جميعاً بعد البعثة ، ولم يولد قبلها إلا عبد المطلب .

وبعضها ذكر أن آية: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ، نزلت بعد موت القاسم أكبر أولاده .

كما استدل بنصوص على أن زينب هي بنت أخت خديجة من زوجها أبي هند المخزومي ، ومنها نص كتاب الإستغاثة ، ونص المناقب المتقدم .

واستدل بقول النبي صلى الله عليه وآله لعلي:«يا علي، أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهن أحدٌ ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي ، ولم أوت أنا مثلي» ! فدل على أن علياً صهره الوحيد .

وقول ابن عمر في صحيح بخاري(١٥٧/٥):«أما عثمان فكان الله عفا عنه ، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه ! وأما علي فابن عم رسول الله وختنه ، وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون».فذكر الصهر لعلي ولم يذكره لعثمان لأنه صهره على ربيبته .

ويؤيد هذا الرأي ما رواه الحاكم في المستدرك:٢٠٠/٢ ،وصححه بشرط الشيخين عن عروة عن خالته عائشة ، تصف فيها هجرة زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله التي كانت زوجة الربيع بن العاص الأموي ، وكان زوجها أسيراً في بدر فأرسلت زينب فداءه فوعد النبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لها بالهجرة ، وخرج بها من مكة زيد بن حارثة وأبو رافع وأخ زوجها ، فمنعته قريش وضرب ناقتها هبار بن الأسود ، فوقعت زينب وأسقطت جنينها ، ثم سمحت لها قريش فهاجرت .

قال عروة إن عائشة روت القصة وقالت:« فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ . فبلغ ذلك علي بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك تحدثه تنتقص فيه حق فاطمة؟! فقال: والله ما أحب أنَّ لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها ! وأما بعد فلك أن لا أحدث به أبداً ! قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: أُدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» !

فالإمام زين العابدين عليه السلام وبَّخ عروة على روايته أن النبي صلى الله عليه وآله قال إن زينب أفضل بناته ،أي أفضل من فاطمة عليها السلام ، فتنصل عروة من ذلك ووعد أن لايرويه مع أنه قول خالته عائشة ! ثم قال عروة معتذراً عن خالته:« وإنما كان هذا قبل نزول آية: أُدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ» . أي أن النبي صلى الله عليه وآله عبَّر عن زينب بابنته قبل أن تنزل آية تحريم التبني في سورة الأحزاب في السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة ، أما بعدها فلم يقل عن زينب: بنتي ، ومعناه أنها كانت متبناة للنبي صلى الله عليه وآله !

فالقول بأن زينب وأم كلثوم ربائب النبي صلى الله عليه وآله قوي علمياً ، لكنه يحتاج الى مؤيدات أخرى لينهض في مقابل نصوص القول المشهور التي تذكر أنهن بنات النبي صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام . لذلك اخترنا التوقف ، والله العالم .

قال أبو الفتح الكراجكي في كتاب التعجب من أغلاط العامة/١٠١:«ومن عجيب أمرهم مثل هذا: قولهم: إن عثمان بن عفان ذو النورين ، واعتقادهم من نحلته هذا بأنه تزوج بابنتين كانتا فيما زعموا لرسول الله من خديجة بنت خويلد ، وقد اختلفت الأقوال فيهما ، فمن قائل: أنهما ربيبتاه ، وأنهما ابنتا خديجة من سواه ، ومن قائل: إنهما ابنتا أخت خديجة من أمها ، وإن خديجة ربتهما لما ماتت أختها في حياتها ، وقال إن اسم أبيهما هالة. ومن قال إنهما ابنتا النبي يعلم أنهما ليستا كفاطمة البتول عليها السلام في منزلتها ، ولا يدانيانها في مرتبتها ، فيسمون عثمان لأجل تزويجه بهما مع ما روي من أنه قتل إحداهما ذا النورين ولايقولون: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذو النورين ، وهو أبو السبطين السيدين الإمامين الشهيدين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وشنفي العرش ،

وريحانتي نبي الرحمة ، وولدي ابنته فاطمة البتول سيدة نساء العالمين ، والأئمة الهادين صلوات الله عليهم أجمعين»

و- كانت خديجة عليها السلام أجمل نساء النبي صلى الله عليه وآله ، وورثت حسنها لابنتها وأحفادها

ففي مناقب آل أبي طالب:١٧٠/٣، عن الإمام الحسن عليه السلام قال:« صوَّر الله عز وجل علي بن أبي طالب في ظهر أبي طالب على صورة محمد ، فكان علي بن أبي طالب أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة ، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى». راجع الملحق رقم (٧) عن أم المؤمنين خديجة عليها السلام .

○ ○

الفصل التاسع

ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

١- علي عليه السلام وليد الكعبة

أ- شهد بعض أئمتهم أن ولادة علي عليه السلام في الكعبة متواترة متفق عليها ثم أنكروها !

قال في أعيان الشيعة: ٣٢٣/١، ونحوه الصحيح من السيرة: ١٥٩/٢: « ورد أنه عليه الصلاة والسلام ولد في جوف الكعبة أعزها الله ، في يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب ، وأن هذه فضيلة اختصه الله بها ، لم تكن لأحد قبله ولا بعده. وقد صرح بذلك عدد كبير من العلماء ورواة الأثر ، ونظمها الشعراء والأدباء ، وذلك مستفيض عند شيعة أهل البيت عليهم السلام ،كما أنه كذلك في كتب غيرهم ، حتى لقد قال الحاكم وغيره: « تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة ». وصرح بأنه لم يولد فيها أحد سواه عدد من العلماء والمؤرخين. ويقول السيد الحميري المتوفى سنة١٧٣:

أقرت بـه الكتـاب قـدماً بأنـه	رسول من البطحاء هـاد ومهتـد
ولدته فـي حـرم الإلـه وأمنـه	والبيت حيـث فنـاؤه والمسـجدُ
بيضاء طـاهرة الثيـاب كريمـةٌ	طابت وطـاب وليـدها والمولـد
في ليلة غابت نحوس نجومهـا	وبدا مـع القمـر المنيـر الأسـعد

ما لفَّ في خرق القوابل مثله   إلا ابن آمنة النبي محمد

وأحال في هامشه على: مستدرك الحاكم: ٤٨٣/٣ ، وتلخيصه للذهبي، ونور الأبصار/٧٦ ، والفصول المهمة/١٢، وكفاية الطالب/٤٠٦ ، والمناقب لابن المغازلي/٧.الخ.»

ثم قال في الصحيح:« ولكن نفوس شانئي علي عليه السلام قد نفست عليه هذه الفضيلة التي اختصه الله بها ، فحاولت تجاهل كل أقوال العلماء والمؤرخين ورواة الحديث والأثر ، والضرب بها عرض الجدار ! حيث نجدهم وبكل جرأة ولا مبالاة يثبتون ذلك لرجل آخر غير علي عليه السلام ، بل ويحاولون التشكيك في ما ثبت لعلي أيضاً ، حتى لقد قال في كتاب النور: «حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره. وأما ما روي من أن علياً ولد فيها فضعيف عند العلماء» !

وقال المعتزلي: كثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة ، والمحدثون لا يعترفون بذلك ، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام. ثم حاول الحلبي والديار بكري الجمع والصلح بين الفريقين باحتمال ولادة كليهما فيها ».

(تاريخ الخميس: ٢٧٩/١ ، والسيرة الحلبية: ١٢٩/١).

وأول من روى ولادة حكيم في الكعبة الزبير بن بكار في كتابه جمهرة نسب قريش:٣٥٣/١ ، قال:« دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش وهي حامل متم بحكيم بن حزام ، فضربها المخاض في الكعبة ، فأتيت بنطع حيث أعجلتها الولادة، فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع». (مجلة تراثنا: ٣٣/٢٦).

أقول: يكفي لرده شهادة الحاكم (٤٨٣/٣) بأن ولادة علي عليه السلام في الكعبة متواترةٌ عن الجميع ، ومعناه أن السلطة بعد القرون الأولى غيبت تلك النصوص وأبادتها ، ونشرت بدلها كذبة ابن بكار الزبيري الناصبي لمصلحة حكيم بن حزام الطليق ، وهو ناصبي !

وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب كيف أبادت السلطة أحاديث أهل البيت عليهم السلام كأحاديث جابر بن يزيد الجعفي الذي روى سبعين ألف حديث ، وابن عقدة الذي روى أكثر ثلاث مائة ألف حديث !

قال الشهيد نور الله التستري في إحقاق الحق/١٩٨: «قال الناصب خفضه الله: المشهور بين الشيعة أن أمير المؤمنين ولد في الكعبة ولم يصححه علماء التواريخ بل عند أهل التواريخ أن حكيم بن حزام ولد في الكعبة ولم يولد فيه غيره... وأقول: حكمه بعدم التصحيح سقيم ، بعد ما روى المصنف ذلك عن صاحب كتاب بشاير المصطفى وهو رواه عن زيد بن قعنب ، ورواه ابن المغازلي مرفوعاً إلى علي بن الحسين عليه السلام على ما نقله صاحب كشف الغمة ، وكفى برواية مثلهما من أهل السنة حجة لنا عليهم... وفيه أيضاً كما صرح به الراوي الفضيلة والكرامة وأن باب الكعبة كان مقفلاً ، ولما ظهرت آثار وضع الحمل على فاطمة بنت أسد رضي الله عنها عند الطواف خارج الكعبة انفتح لها الباب بإذن الله تعالى وهتف لها هاتف بالدخول... على أن الكلام في تشرف الكعبة بولادته فيها ، لا في تشرفه بولادته في الكعبة ، فإنه عليه السلام هو الكعبة الحقيقية لأهل الإنتباه ، وقبلة إقبال المقبلين إلى الله ، كما روى عنه عليه السلام أنه قال: نحن كعبة الله ونحن قبلة الله». انتهى. وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنهم كعبة الله وقبلة الله ، كما في نهج الإيمان لابن جبر/٥٦٩ والبحار: ٣٠٣/٢٤، عن تأويل الآيات. والصراط المستقيم: ٧٥/٢، عن المغازلي. ومستدرك سفينة البحار: ٤٠٤/٨ ، عن العياشي ».

ب- ألهم الله أمه فاطمة عليها السلام فلجأت الى الكعبة ، فبعث لها من ساعدها على الولادة

ففي أمالي الصدوق/١٩٤، عن سعيد بن جبير ،عن الإمام الصادق عن آبائه عن يزيد بن قعنب قال:«كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت

الله الحرام ، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة بـه لتسـعة أشهر وقد أخذها الطلق ، فقالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك مـن رسـل وكتب ، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام وأنه بني البيت العتيق ، فبحـق الذي بني هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي. قال يزيـد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصـارنا والتزق الحائط ، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أن ذلك أمر من أمـر الله عز وجل !

ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام ثم قالـت: إنـي فضـلت علـى مـن تقدمني من النساء ، لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً ، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيـدها حتـى أكلت منها رطباً جنياً ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقهـا، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة سمه علياً فهو علي والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي ووقفته على غامض علمي ، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي ، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني ، فطوبى لمن أحبه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه».

وفي مناقب علي عليه السلام لابن المغازلي/٢٥، عن الإمام زيـن العابـدين عليه السلام قـال: «كنـت جالساً مع أبي ونحن زائران قبرَ جدنا عليه السلام وهناك نسوان كثيرة ، إذ أقبلت امـرأة مـنهنّ فقلت لها: من أنت يرحمك الله ؟ قالت: أنا زيدة بنت قريبـة بـن العجـلان مـن بنـي ساعدة ، فقلت لها: فهل عندك شئ تُحدّثينا ؟ فقالت: إي والله حدّثتني أمّي أمّ عمـارة بنت عُبادة بن نَضلَة بن مالك بن العَجلان الساعدي ، أنها كانت ذات يوم في نساء من

العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إنّ فاطمة بنت أسد في شدّة المخاض ، ثمّ وضع يديه على وجهه ، فبينا هو كذلك إذ أقبل محمد صلى الله عليه وآله فقال له: ما شأنك يا عمِّ ؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المَخاضَ ، فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة ثم قال أجلسي على اسم الله ! قال فَطُلِقَت طَلقةً فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً مُنَظَّفاً لم أر كَحُسنِ وجهه فسماه أبو طالب علياً وحَمله النبي صلى الله عليه وآله حتّى أدّاه إلى منزلها ! قال علي بن الحسين عليه السلام: فوالله ما سمعتُ بشئ قطُّ إلاّ وهذا أحسنُ منه». وحلية الأبرار: ٢٥/٢، والطرائف/٨، والعمدة/١٦، والدر النظيم/٢٢٥.

وفي مناقب آل أبي طالب: ٥٩/٣:«عليٌّ أول هاشمي ولد من هاشميين ، وأول من ولد في الكعبة ، وأول من آمن ، وأول من صلى ، وأول من بايع ، وأول من جاهد وأول من تعلم من النبي صلى الله عليه وآله ، وأول من صنف ، وأول من ركب البغلة في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله.. وعلي عليه السلام آخر الأوصياء ، وآخر من آخى النبي ، وآخر من فارقه عند موته ، وآخر من وسده في قبره وخرج».

وفي عمدة الطالب/٥٨:« حيدرة من أسماء الأسد ، وقد ذكر ذلك في شعره يوم خيبر فقال عليه السلام: أنا الذي سمتني أمي حيدرة ».

٢- ولد علي عليه السلام قبل البعثة ببضع عشرة سنة

المشهور أن أمير المؤمنين عليه السلام كان عمره لمَّا بعث النبي صلى الله عليه وآله عشر سنوات أو اثنتا عشرة سنة ، قال في الكافي:٤٥٢/١:«ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة ، وهو

ابن ثلاث وستين سنة، بقي بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة». ونحوه الجواهر: ٨٩/٢٠.

وقال العلامة في تذكرة الفقهاء:١٩٦/٦:« يوم الثالث عشر منه ولد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة قبل النبوة باثنتي عشرة سنة ».

واشتهرت في مصادر السنيين رواية ابن عفيف الكندي وابن مسعود، كما في مسند أحمد ومجمع الزوائد:٢٢٢/٩، قال ابن مسعود:« أول شئ علمت من أمر رسول الله (ص) قدمت مكة في عمومة لي، فأرشدنا على العباس بن عبد المطلب، فانتهينا إليه وهو جالس في زمزم فجلسنا إليه فبينا نحن عنده، أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وفرة جعدة إلى أطراف أذنيه، أشم أقنى الأنف براق الثنايا أدعج العينين كث اللحية دقيق المسربة، شثن الكفين والقدمين، عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشي عن يمينه غلام أمرد حسن الوجه مراهق أو محتلم، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام، واستلمت المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفون معه، ثم استلم الركن ورفع يديه وكبر، وقام الغلام عن يمينه ورفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفهما ورفعت يديها وكبرت، وأطال القنوت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع فقنت وهو قائم، ثم سجد وسجد الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع يتبعانه.

قال: فرأينا شيئاً لم نكن نعرفه بمكة فأنكرنا، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل إن هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم، أشئ حدث؟ قال: أجل والله، أما

تعرفون هذا ؟ قلنا: لا ، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله والغلام علي بن أبي طالب ، والمرأة خديجة بنت خويلد. أما والله ما على ظهر الأرض أحد يعبد الله على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة ». والطبراني الكبير:١٨٣/١٠ ، وشرح النهج:٢٢٥/١٣ ، وشواهد التنزيل:٣٠٢/٢، وتاريخ دمشق:٢٦٥/٣ ، وسير الذهبي:٤٦٣/١ ، وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه/٤٩ ، والحاكم: ١٨٣/٣، والإستيعاب: ١٠٩٦/٣، والفصول المختارة/٢٧٣.

وفي رواية ابن عفيف (أحمد:٢٠٩/١) أنه رآهم في موسم الحج في منى خرجوا من خيمة وصلَّوْا. وفي رواية قال العباس:«وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر». (الإستيعاب: ١٢٤٢/٣).

٣- أخذ النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وهو طفلٌ فرباه ليكون له عضداً

في مناقب آل أبي طالب:٢٩/٢:« ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق ، أن النبي صلى الله عليه وآله حين تزوج خديجة قال لعمه أبي طالب: إني أحب أن تدفع إليَّ بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني ، وأشكر لك بلاك عندي. فقال أبو طالب: خذ أيهم شئت ، فأخذ علياً عليه السلام». وهذا الحديث يوجب الشك في روايتهم بأن أبا طالب رحمه الله كان فقيراً لا يملك قوت أولاده ، فأشفق عليه النبي صلى الله عليه وآله وأخوه العباس ، فأخذا بعض أولاده ليخففوا عائلته ! فأخذ محمد صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ، وأخذ العباس جعفراً !

وقد أفاض رواة السلطة في ذلك وأخذته منهم مصادرنا لأن ظاهره المدح ! وأصله ما نقله ابن هشام في سيرته: ١٦٢/١، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر المتوفى سنة١٠٣، قال: «كان من نعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما صنع الله له وأراده به من الخير ، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو

طالب في عيال كثير ، فقال رسول الله (ص) لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم: يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه . فقال العباس: نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ماشئتما . فأخذ رسول الله علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً فاتبعه وصدقه ، وأخذ العباس جعفراً ، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه». وتاريخ الطبري: ٥٧/٢ ، والحاكم: ٥٧٦/٣ ، ومجمع الزوائد: ١٥٣/٨، والإستيعاب: ٣٧/١ ، وتفسير الثعلبي: ٨٤/٥ ، ومجالس ثعلب/١٥ ، وتاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦. وشرح النهج: ١٩٨/١٣. ومن مصادرنا: علل الشرائع: ١٦٩/١، وكشف الغمة: ٧٧/١ ، وروضة الواعظين/٨٦، ومناقب آل أبي طالب: ٢٧/٢ ، والعمدة/٦٣، وذخائر العقبى/٥٨ ، وعمدة الطالب/٥٩ ، وبحار الأنوار: ٢٤/٣٥..الخ.

فالرواية إذن قولٌ لمجاهد بن جبر ، مولى بني مخزوم وصاحب ابن عباس ، وعنه أخذها الجميع ، وظاهرها مدح علي عليه السلام بأن الله تعالى يسَّر له أن يربيه النبي صلى الله عليه وآله فكان فقر أبيه الشديد نعمةً عليه ! حتى رووا عنه عليه السلام خبراً مرسلاً يقول:« أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله». (اليعقوبي:١٤/٢).

لكن هل كان أبو طالب فقيراً أصلاً ، وقد كان يطعم الحجيج ويسقيهم ؟! وهو ابن عبد المطلب ووارث رئاسته لقريش والعرب ؟!

وقد روى مادحوا العباس أن أبا طالب اقترض منه عشرة آلاف درهم وأنفقها على الحجيج ، وفي السنة الثانية اقترض أربعة عشر ألفاً (تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦) ولا بد أنه كان ينفق على الرفادة والطعام أضعاف قيمة مصارف نقل الماء وأحواضه .

فالذي ينفق هذا الإنفاق هل يعجز عن نفقة بيته السنوية التي لا تزيد عن ثلاث مئة درهم ؟! وما لنا لم نسمع شيئاً عن طالب عند الحمزة ، وجعفر عند العباس كما زعموا؟! ولا سمعنا متى كانت هذه الأزمة الشديدة على قريش التي تفرد بذكرها ابن مجاهد مولى مخزوم وتلميذ ابن عباس.. الى آخر الأسئلة !

لذا نرى أن غرضهم إثبات فقر أبي طالب رحمه الله وغنى العباس وإنفاقه عليه وعلى أولاده ، ليجعلوا نشأة علي عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله مجرد مصادفة ! ويقولوا إن أبا طالب عجز عن نفقات الرفادة والسقاية التي أوصى له بها أبوه عبد المطلب وخصه بها من بين إخوته فاشتراها منه العباس ! راجع: تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦ ، والمستطرف: ٢٨٩/١ ، وأخبار مكة: ١٠٦/٢، ومجالس ثعلب/١٥ المتوفى سنة ٢٩٠حسب تذكرة الحفاظ: ٦٥٩/٢.

أما الراوي الثاني لهذه الرواية فهو ابن سلام ، قال:« لما أمعر أبو طالب قالت له بنو هاشم: دعنا فليأخذ كل رجل منا رجلاً من ولدك. قال: إصنعوا ما أحببتم إذا خليتم لي عقيلاً ، فأخذ النبي علياً... فكان أبو طالب يُدان لسقاية الحاج حتى أعوزه ذلك ، فقال لأخيه العباس بن عبد المطلب وكان أكثر بني هاشم مالاً في الجاهلية: يا أخي قد رأيت ما دخل عليَّ وقد حضر الموسم ولا بد لهذه السقاية من أن تقام للحاج ، فأسلفني عشرة آلاف درهم فأسلفه العباس إياها ، فأقام أبو طالب تلك السنة بها وبما احتال (بما هيأه من مال غيرها) فلما كانت السنة الثانية وأفِد (أي قرب- لسان العرب: ٧٤/٣) الموسم ، قال لأخيه العباس: يا أخي إن الموسم قد حضر ولا بد للسقاية من أن تقام ، فأسلفني أربعة عشر ألف درهم ، فقال: إني قد أسلفتك عام أول عشرة آلاف درهم ، ورجوتُ ألا يأتي عليك هذا الموسم حتى تؤديها ، فعجزت عنها ، وأنت تطلب العام أكثر منها وترجو زعمت ألا يأتي عليك الموسم حتى تؤديها ، فأنت عنها أعجز اليوم

! هاهنا أمرٌ لك فيه فرج: أدفع إليك هذه الأربعة العشر ألف ، فإن جاء موسم قابل ولم توف حقي الأول وهذا ، فولاية السقاية إليَّ ، فأقوم بها وأكفكيك هذه المؤنة إذْ عجزت عنها ! فأنعم له أبو طالب بذلك ، فقال: ليحضر هذا الأمر بنو فاطمة ولا أريد سائر بني هاشم ، ففعل أبو طالب وأعاره العباس الأربعة عشر الألف بمحضر منهم ورضاً ، فلما كان الموسم العام المقبل لم يكن بد من إقامة السقاية فقال العباس لأبي طالب: قد أفد الحج وليس لدفع حقي إلي وجه ، وأنت لا تقدر أن تقيم السقاية فدعني وولايتها أكفكها وأبريك من حقي ففعل ، فكان العباس بن عبد المطلب يليها وأبو طالب حيٌّ ، ثم تم لهم ذلك إلى اليوم » .

أقول: صاحب هذا الكلام محمد بن سلام الجمحي من أتباع المتوكل توفي٢٣١ ، ولم يسنده الى أحد حتى الى مجاهد تلميذ ابن عباس ! فالرواية موظفة لإثبات أن العباسيين اشتروا السقاية من أبي طالب الذي أوصى له بها عبد المطلب !

والذي حدث أنه لما توفي أبو طالب وهاجر النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر وعلي ، بقي العباس في مكة فتصدى للسقاية ، ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة سكت عن السقاية ! بل رووا أنه صلى الله عليه وآله كره أن يشرب من سقاية العباس ، لأنه كان يضع عنباً أو زبيباً:«عطش النبي(ص)حول الكعبة فاستسقى ، فأتي بنبيذ من السقاية فشمَّه فقطَّب ! فقال عليٌّ بذَنوبٍ من زمزم فصب عليه ثم شرب». (فتح الباري:٣٤/١٠، والنسائي).

ولما افتخر العباس على علي وحمزة بالسقاية ، نزل قوله تعالى: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لايَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ» . (الكافي:٢٠٣/٨).

الفصل العاشر

مقدمات بعثة النبي صلى الله عليه وآله

١- حكَّمْته قريش في وضع الحجر قبل بعثته صلى الله عليه وآله

في الكافي:٢١٧/٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«إن قريشاً في الجاهلية هدموا البيت فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه وألقي في روعهم الرعب ، حتى قال قائل منهم: ليأتي كل رجل منكم بأطيب ماله ، ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام ، ففعلوا فخلى بينهم وبين بنائه ، فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه ، حتى كاد أن يكون بينهم شر ، فحكموا أول من يدخل من باب المسجد ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أتاهم أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه ، ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه ، ثم تناوله صلى الله عليه وآله فوضعه في موضعه ، فخصه الله به ».

وفي الكافي:٢١٧/٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً ، قال:«إنما هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت ، وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر ، وكان حائطها قصيراً ، وكان ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة... فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش

في موضعه فقال كل قبيلة: نحن أولى به نحن نضعه فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبة ، فطلع رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: هذا الأمين قد جاء ! فحكموه فبسط رداءه وقال بعضهم كساء طاروني كان له ، ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل ، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى ، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم ، وقيس بن عدي من بني سهم ، فرفعوه ووضعه النبي صلى الله عليه وآله في موضعه».

وسنن البيهقي: ٧٢/٥، وفتح الباري: ٣٥١/٣، ومسند الطيالسي/١٨، والأوائل لابن أبي عاصم/٤٤، والإستيعاب: ٣٥/١، والتنبيه والإشراف/١٩٧ ، وتاريخ الذهبي: ٦٦/١، والنهاية: ١٧١/٥، والشفا: ١٣٤/١.

وذكر اليعقوبي: ١٩/٢، والمحبر/٩ ، أن عمره صلى الله عليه وآله كان خمساً وعشرين سنة. وسيرة ابن هشام: ١٢٤/١، عن ابن إسحاق ، وفيه: وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين ».

٢- قبل الأربعين كان صلى الله عليه وآله نبياً ، وكان يصلي معه علي وخديجة عليهما السلام

بحث العلماء تَعَبُّد نبينا صلى الله عليه وآله قبل بعثته ، وهل كان يعبد الله تعالى حسب شريعة عيسى عليه السلام أم لا؟(البحار: ٢٧٢/١٨) . والصحيح أنه صلى الله عليه وآله وأجداده عليهم السلام كانوا فرعاً مستقلاً، مكلفين بحنيفية إبراهيم عليه السلام دون شريعة غيره من الأنبياء عليهم السلام ، وأن قبائل قريش انحرفت عن ملة إبراهيم عليه السلام وثبت عليها آباؤه وأخيار أسرته صلى الله عليه وآله. ويدل عليه:

١- قول الفتال النيسابوري في روضة الواعظين/٥٢: « إعلم أن الطائفة قد اجتمعت على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان رسولاً نبياً مستخفياً ، يصوم ويصلي على خلاف ما كانت قريش تفعله ، مذ كلفه الله تعالى. فإذا أتت أربعون سنة أمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يهبط إليه بإظهار الرسالة وذلك في يوم السابع والعشرين من شهر

الله الأصم. فاجتاز بميكائيل فقال: أين تريد ؟ فقال له: قد بعث الله جل وعز نبياً نبي الرحمة وأمرني أن أهبط إليه بالرسالة فقال له: ميكائيل فأجئ معك قال له: نعم ، فنزلا ووجد رسول الله نائماً بالأبطح بين أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ولم ينبهه جبرئيل إعظاماً له ، فقال ميكائيل لجبرئيل: إلى أيهم بعثت؟ قال: إلى الأوسط فأراد أن ينبهه فمنعه جبرئيل ثم انتبه النبي فأدى إليه جبرئيل الرسالة عن الله تعالى. فلما نهض جبرئيل عليه السلام ليقوم أخذ رسول الله بثوبه. ثم قال: ما اسمك ؟ قال له جبرئيل.

ثم نهض رسول الله ليلحق بغنمه فما مر بشجرة ولامدرة إلا سلمت عليه وهنأته. ثم كان جبرئيل عليه السلام يأتيه فلا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه ، فأتاه يوماً وهو بأعلى مكة فغمز بعقبه بناحية الوادي فانفجرت عين فتوضأ جبرئيل وتوضأ الرسول صلى الله عليه وآله ثم صلى الظهر وهي أول صلاة فرضها الله عز وجل ، وصلى أمير المؤمنين تلك الصلاة مع رسول الله ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله في يومه إلى خديجة فأخبرها فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم ».

٢- قال الأصبغ بن نباتة: « سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولاهاشم ولا عبد مناف صنماً قط ! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به ». (كمال الدين/١٧٤).

٣- تدل آيات تجديد إبراهيم عليه السلام للكعبة وإسكانه إسماعيل وذريته عليهم السلام فيها ، على أنهم فرع مستقل عن بني إسرائيل ونبواتهم ، وامتداد مباشر لإبراهيم ليهدوا الناس الى حج البيت والطواف به والصلاة عنده ، بانتظار النبي الموعود منهم: قال تعالى: رَبَّنَا

إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. (إبراهيم: ٣٧).

وقال تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.(البقرة: ١٢٧-١٢٩).

وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. (البقرة: ١٣٥-١٣٦).

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا.. (آل عمران: ٦٨).

٤- تقدم في الفصل الأول أن النبي صلى الله عليه وآله كان نبياً قبل آدم ، فوضع الله نوره في صلب آدم ، ثم ما زال ينقله من صلب طاهر الى رحم مطهر ، حتى أولده الله من أبويه المؤمنين الطاهرين عبدالله وآمنة عليهما السلام.

٥- تقدم قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله:«ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ويعلمه محاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره » . فهو نص على أنه صلى الله عليه وآله كان نبياً من فطامه على الأقل ، وأن كبيراً من الملائكة كان معه ينبؤه ويعلمه ، وفي الأربعين بعث رسولاً .

٦- في الكافي: ١/١٧٦، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام أنه أجاب على سؤال عن

الرسول والنبي والمحدث ، فقال:« الرسول الذي يأتيه جبرئيل قُبَلاً (مواجهة) فيراه ويكلمه فهذا الرسول ، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة. وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلمه بها قبلاً. ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه ، من غير أن يكون يرى في اليقظة ، وأما المحدث فهو الذي يُحدث فيسمع ولا يُعاين ولا يرى في منامه».

٧- نصت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أن جبرئيل جاء الى النبي صلى الله عليه وآله عندما كان في سن السابعة والثلاثين وأخبره بأنه سيكون رسولاً ، وعلمه الوضوء والصلاة ، فأخبر بذلك وخديجة وعلياً صلى الله عليه وآله فصدقاه وآمنا به وكانا يصليان معه .

ففي إعلام الورى:١٠٢/١:«ذكر مبدأ المبعث: ذكر علي بن إبراهيم بن هاشم وهو من أجلِّ رواة أصحابنا في كتابه: أن النبي صلى الله عليه وآله لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله ، فينكر ذلك ، فلما طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله. فقال له: من أنت؟ قال: جبرئيل ، أرسلني الله إليك ليتخذك رسولاً ، فأخبر رسول الله خديجة بذلك ، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر اليهودي وخبر بحيراء وما حدثت به آمنة أمه ، فقالت: يا محمد إني لأرجو أن تكون كذلك. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتم ذلك ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وأنزل عليه ماء من السماء فقال: يا

محمد قم توضأ للصلاة ، فعلمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين وعلمه السجود والركوع.

فلما تم له أربعون سنه أمره بالصلاة وعلمه حدودها ، ولم ينزل عليه أوقاتها ، فكان رسول الله يصلي ركعتين ركعتين في كل وقت .

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه لا يفارقه ، فدخل على رسول الله وهو يصلي فلما نظر إليه يصلي قال: يا أبا القاسم ما هذا؟! قال: هذه الصلاة التي أمرني الله بها ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصلى معه وأسلمت خديجة ، فكان لا يصلي إلا رسول الله وعلي وخديجة خلفه .

فلما أتى لذلك أيام دخل أبو طالب إلى منزل رسول الله ومعه جعفر ، فنظر إلى رسول الله وعلي بجنبه يصليان ، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمك ، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر ، فلما وقف جعفر على يساره بدر رسول الله صلى الله عليه وآله من بينهما وتقدم». ورواه في قصص الأنبياء عليهم السلام/٣١٥ ، والمناقب:٤١/١ ، وكشف الغمة: ٨٦/١ ، وفيه:« وأنشأ أبو طالب في ذلك يقول :

إن علياً وجعفراً ثقتي	عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من نبي ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما	أخي لأمي من بينهم وأبي»

وفي الفوائد لأبي الفتح الكراجكي رحمه الله/١١٦:« وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء طروق الوحي إليه كلما هتف به هاتف ، أو سمع من حوله رجفة راجف ، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً ، يخبر بذلك خديجة وعلياً صلى الله عليه وآله ، ويستسرهما هذه الحال ، فكانت

خديجة تثبته وتصبره ، وكان علي يهنيه ويبشره ويقول له: والله يا ابن العم ما كذب عبد المطلب فيك ، ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك ، ولم يزل كذلك إلى أن أمر صلى الله عليه وآله بالتبليغ فكان أول من آمن به من النساء خديجة ، ومن الذكور أمير المؤمنين علي». انتهى.

٨- في أمالي الطوسي/٢٦٠:« عن عبد الله بن نجي قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يصلي معه أحد من الناس ثلاث سنين». ورواه الشريف المرتضى في الفصول المختارة/٢٦١ ، وروى أيضاً عن معاذة العدوية قالت:« سمعت علياً عليه السلام يخطب على منبر البصرة فسمعته يقول: أنا الصديق الأكبر ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم. وعن أبي البختري قال عليه السلام: صليت قبل الناس سبع سنين». ونحوه شرح الأخبار: ١٧٧/١.

٣- رووا قول النبي صلى الله عليه وآله إنه صلى وعلياً عليه السلام سبعاً قبل الناس

رويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام بسند صحيح في مصادر السنة والشيعة ، أنه صلى هو وخديجة مع النبي صلى الله عليه وآله سبع سنين قبل الناس . والظاهر أنه يقصد أربع سنوات قبل الرسالة ، وثلاث سنوات بعدها حتى أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بالدعوة العامة .

فقد روى الخطيب في المتفق:١٤١/٣، بسنده عن أبي أيوب الأنصاري قال:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين ، وذلك أنه لم يصل معي أحد قبله ». **ورواه في تاريخ دمشق: ٣٩/٤٢ ، بسندين وفيه:** « لأنا كنا نصلي ليس معنا أحد يصلي غيرنا، وبرواية ثالثة: ولم يصعد أو ترفع شهادة أن لا إله إلا الله من الأرض إلى السماء ، إلا مني ومن علي » .

٤- ورووا قول علي عليه السلام صليت قبل الناس بسبع سنين

وطرقه في مصادر الطرفين عديدة تصل الى التواتر ، **ففي الخصال/٤٠١:«** أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كذاب ، صليت قبل الناس بسبع سنين ». والمناقب لمحمد بن سليمان:٢٦٠/١ و٢٧٥.

وفي روضة الواعظين/٨٥:« اللهم إني لا أعلم أحداً أسلم قبلي من هذه الأمة غير نبيها ، صليت قبل أن يصلي أحد سبعاً...بعث النبي صلى الله عليه وآله يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء. عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، إن أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر ، قلت يا رسول الله: ما هذا؟ قال: أمرت به ».

وفي أمالي الطوسي/٣٤١، عن الإمام الرضا عن آبائه قال صلى الله عليه وآله:« إني لأعرف حجراً

كان يسلم عليَّ بمكة قبل أن أبعث أني لأعرفه الآن». ومسند الإمام الرضا/٢/٤٧٨.

وفي كشف اليقين/١٦٧:« ومن كتاب مسند أحمد بن حنبل ، عن عبد الله بن عباس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لايقولها غيري إلا كاذب مفتر ، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين. ومن مسند أحمد: عن ابن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أَتَقْتُلُونَ رجلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ. وعلي بن أبي طالب ، وهو أفضلهم ». والفصول المختارة/٢٦٠ ، والغدير: ٣١٤/٢، و: ١٢١/٣ ، والصحيح من السيرة: ٤٥/٤.

ورواه من مصادرهم ابن ماجة: ٤٤/١ ، والحاكم: ١١١/٣ وصححاه. وروى الحاكم بعده عن أنس قال: « نبئ النبي (ص) يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ». ومجمع الزوائد:١٠٢/٩ ، بعدة روايات ، وابن أبي شيبة: ٤٩٨/٧ ، والضحاك في الآحاد والمثاني: ١٤٨/١ ، وعمرو بن أبي عاصم في كتاب السنة/٥٨٤ ، وسنن النسائي: ١٠٦/٥ ، وتفسير الثعلبي: ٨٥/٥، والرياض النضرة: ٢٠٩/٢ بروايات.

وفي سنن النسائي:١٠٧/٥: «ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبد الله بعد نبيها غيري ، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين». ورد ابن حجر في القول المسدد/١٠٢ تكذيب الذهبي لإحدى روايات أحمد للحديث !

ورواه في شرح النهج:٢٠٠/١٣ و٢٢٨، عن الطبري وقال: وفي غير رواية الطبري: أنا الصديق الأكبر ، وأنا الفاروق الأول ، أسلمت قبل إسلام أبي بكر ، وصليت قبل صلاته بسبع سنين. كأنه عليه السلام لم يرتض أن يذكر عمر ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه ، وذلك لأن إسلام عمر كان متأخراً» !

٥- ولم يتركوا هذه المنقبة لعلي عليه السلام حتى دسوا فيها الطعن بأبيه صلى الله عليه وآله

ففي مسند أحمد:١/٩٩، عن حبة العرني قال:« رأيت علياً رضي الله عنه ضحك على المنبر ، لم أره ضحك ضحكاً أكثر منه حتى بدت نواجذه ! ثم قال: ذكرت قول أبي طالب ! ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن نصلي ببطن نخلة فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام فقال: ما بالذي تصنعان بأس أو بالذي تقولان بأس ولكن والله لا تعلوني إستي أبداً ! وضحك تعجباً لقول أبيه ! ثم قال: اللهم لا أعترف أن عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ، ثلاث مرات ، لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً». والطيالسي/٢٦، ومسند زيد/٤٠٥ ، وتاريخ دمشق: ٣٢/٤٢، وأضاف الراوي من كيسه:« والله ما قال سبعة أيام ولاسبعة أشهر ولا سبع سنين» !

بينما رواه في تاريخ دمشق: ٣١٣/٦٦ ، وفيه:«فقال لي أبي: بني ما كنتما تصنعان ؟ قلت: كنا نصلي ، فقال أبو طالب: والله والله لاتعلوني إستي أبداً ، فرأيته يضحك من قول أبيه ، ثم قال: والله لقد رأيتني صليت قبل الناس حججاً».

أقول: إن مقولة (لاتعلوني إستي) وما بمعناها تعبير عن تكبرٍ بدوي وعامية ! ويجد الباحث أن المشركين قالوها ، ثم ألصقوها بأبي طالب رحمه الله بغضاً بعلي عليه السلام!

فقد ذكر الرواة أن أهل الطائف طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن يعفيهم من الصلاة ، فقال لهم:« أما الصلاة فإنه لا خير في دين لاصلاة فيه ! فقالوا: يا محمد

فسنؤتيكها وإن كانت دناءة»! وهذا يدل على أن الجاهليين كانوا ينفرون من السجود لبداوتهم ويرونه دناءة كأن صاحبه يفعل به ! فرموا بذلك أبا طالب وحاشاه من هذه العامية والتكبر.

٦- ورووا ما يدل على نبوة النبي ﷺ قبل رسالته !

ففي دلائل النبوة للبيهقي:١٧/٢، و٤٢٤:«عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله (ص) بمكة فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله.

وعن عباد قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: لقد رأيتني أدخل معه يعني النبي (ص) الوادي ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ، وأنا أسمعه.. عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن. رواه مسلم في الصحيح».

وقد روت أكثر مصادرهم هذين الحديثين خاصة الأخير ، كصحيح مسلم:٥٨/٧ ، وأحمد:٨٩/٥ و٩٥، والدارمي: ١٢/١، وفيض القدير: ٢٥/٣، وقال:«قيل هو الحجر الأسود ، وقيل البارز بزقاق المرفق ، وعليه أهل مكة سلفاً وخلفاً ».

وهو كما ترى ينص على أن ذلك كان قبل البعثة ، لكنهم حرفوه وجعلوا ذلك أيام البعثة ! ففي الترمذي: ٢٥٣/٥، والطيالسي/١٠٦، وتاريخ الذهبي: ١٢٥/١: كان يسلم عليَّ ليالي بعثت. وفي الطبراني الكبير: ٢٣٨/٢، وتاريخ دمشق: ٣٦١/٤: حين بعثت» !

٧- ثم زعموا أن إسرافيل نزل على النبي صلى الله عليه وآله سنوات قبل جبرئيل

اهتم رواة السلطة القرشية في البعثة بأمرين جعلوهما أصلين، وحاولوا أن يخضعوا لهما كل ما روي!

أولهما: أن نبوته ورسالته صلى الله عليه وآله كانتا معاً في الأربعين، وأنه لم يكن نبياً قبل الأربعين بل شخصاً عادياً، وافتروا عليه بأنه كان يذبح للأصنام ويأكل مما ذُبح لها! وغاية ما رووه أنه صلى الله عليه وآله كان يتعبد قبيل البعثة في حراء، ويرى الرؤيا الصادقة!

وثانيهما: جعلوا حديث عائشة في بدء الوحي، وَحْياً منزلاً! بكل ما فيه من عنف جبرئيل عليه السلام وعدم منطقيته وغطه وعكه النبي صلى الله عليه وآله حتى كاد أن يخنقه، ثم تركه مذعوراً خائفاً شاكاً في نبوته! فعاد النبي صلى الله عليه وآله الى بيته وهو يرتجف وشكى الى زوجته فأخذته الى قسيس من أقاربها فامتحنه وطمأنه بأنه نبي! ثم انقطع عنه الوحي فعاد اليه الشك وحاول أن ينتحر مراراً خوف الفضيحة لكن جبرئيل منعه!

وقد تحيروا في مواجهة أحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام صليا قبل الناس سبع سنين وثلاث سنين، فأعرضوا عن رواية السبع مع أنها عندهم صحيحة على شرط الشيخين، فهي بدرجة رواية عائشة في الوحي التي افتتح فيها بخاري صحيحه!

ثم قبلوا رواية الثلاث سنين واخترعوا لها أن النبي صلى الله عليه وآله كان في الأربعين، وكان ينزل عليه إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين، قبل أن ينزل جبرئيل عليه السلام!

قال ابن كثير في سيرته:١/٣٨٨: «قال الإمام أحمد.. عن عامر الشعبي، أن رسول الله

نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة . فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي...وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء ، فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه ! تدريجاً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل». والإتقان: ١٢٨/١، والإستيعاب: ٣٦/١، والدر المنثور: ٣٠٢/٣ ، وعمدة القاري: ٤٠/١ ، وغيرها.

لكنهم بقبولهم كلام عامر الشعبي غير المسند ، نقضوا حديث عائشة المسند بأن الوحي بدأ في الأربعين بواسطة جبرئيل عليه السلام !

وقد افترض الماوردي من عند نفسه «ستة أحوال نُقل فيهن إلى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها» فعقد في أعلام النبوة/٣٠٨ ، فصلاً بعنوان: «تدرجه صلى الله عليه وآله في أحوال النبوة » لكنه جعلها كلها مراحل للخروج من شكه بنبوته الى اليقين ! قال: « تدرجت إليه أحواله في النبوة حتى علم أنه نبي مبعوث ورسول مبلغ» ! وهو ككلام الشعبي تخيلات بلا دليل !

أما سبب اختيارهم لإسرافيل وكذا ميكائيل بدل جبرئيل (مصنف عبد الرزاق: ٥٩٩/٣)

فقد أرادوا به إرضاء اليهود الذين يعادون جبرئيل ، لأنه نزل بعذابهم ، ويحبون ميكائيل وإسرافيل لأنهما نزلا برزقهم !

قال ابن حجر في العجاب: ٢٩٢/١، عن عمر ، أن اليهود قالوا له:« يا ابن الخطاب ما أحد أحب إلينا منك إنك تأتينا وتغشانا... قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل» ! ثم روى أن اليهود قالوا:« لو أن ميكائيل الذي ينزل عليكم اتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالنقمة والعذاب وهو لنا عدو » !

○ ○

الفصل الحادي عشر

كيف بدأت بعثة النبي صلى الله عليه وآله

١- رواية أهل البيت عليهم السلام عن البعثة وابتداء الوحي

كان النبي صلى الله عليه وآله يعتكف لعبادة الله في جبل حراء ، وهو محل اعتكاف أجداده الطاهرين عليهم السلام ، ويقع في ضاحية مكة وصار اليوم جزءاً منها ، وله قمتان متصلتان أولاهما عادية ، يقع في أعلاها غار حراء ، وثانيتهما عالية حادة ، لايمكن صعودها بشكل عادي ، ويبرز فيها اللون الأبيض فيميز الجبل عن غيره. ومن خصائص غار حراء أن المصلي فيه يرى الكعبة وهي في وادٍ بين جبال ، لأنه أعلى من الجبال التي حولها ! فكأنه مفصلٌ للعبادة مع استقبال الكعبة ومشاهدتها !

ويسمى المُعْتَكِفُ في جبل حراء متحنفاً أي عابداً على ملة إبراهيم الحنيفية ، أي المائلة من الشر الى الخير ، ويقابله الجنيف وهو المائل من الخير الى الشر ، وقال بعضهم يتحنث بالثاء ، لكن اللغويين قالوا: « لا أعرف يتحنث إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام». (عمدة القاري: ٤٩/١).

ويعتزل المعتكف الناس أياماً أو أسابيع ، يذكر الله تعالى ويتأمل في حكمته. وروى الجميع أن عبد المطلب عليه السلام كان يعتكف بحراء ، وأن نبينا صلى الله عليه وآله كان يعتكف شهراً في السنة ويعود الى مكة فلا يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

قال في فتح الباري:٢١٣/١٢:«وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن

الإعتكاف... إنما لم ينازعوا النبي(ص) في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش ، وكانوا يعظمونه لجلالتـه وكبـر سنه ، فتبعه على ذلك من كان يتأله فكان (ص)يخلو بمكان جده وسلَّمَ له ذلك أعمامه ، لكرامته عليهم ».

وروي أن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة من أربعة جبال ، ففي تاريخ دمشق:٣٤٨/٢:«فلما كان إبراهيم أراه الله تعالى مكانة البيت فأتبع منه أثراً قديماً فبناه من طور زيتا ، وطور سينا ، ومن جبل لبنان ، ومن أحد ، وحراء ، وجعل قواعده من حراء ».

وقد أقسم أبو طالب رضي الله عنه بالمتعبدين بحراء والزائرين له فقال في لاميته كما في سيرة ابن هشام: ١٥٤/١و١٧٦ ، وستأتي كاملة:

ولما رأيـت القـوم لا ودَّ فـيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسـائل
أعـوذ بـرب النـاس مـن كـل	طاعن علينا بسوء أو ملح بباطـل
وثور ومن أرسـى ثبيـرا مكانـه	وراق ليرقـى فـي حـراء ونـازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة	وبـــالله إن الله لـــيس بغافـــل

وأوضح نص في بدء بعثته صلى الله عليه وآله ما قاله علي عليه السلام في أطول خطبه وتسمى القاصـعة ، قال عليه السلام:«ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيـت واحـد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله مـا هـذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لسـت بنبي ولكنك وزير، وإنك لعلى خير». (نهج البلاغة: ١٥٧/٢ ، ومصادره البلاغة: ٢٣/٣).

وقوله عليه السلام: ولقد سمعت رنة الشيطان..يدل على أنه كان يرى النبي صلى الله عليه وآله أيام اعتكافـه وأنه كان حاضراً عند بدء الوحي . وكـان صلى الله عليه وآله يتعبـد ويحتجـب فـلا يـراه أحـد إلا

علي عليه السلام عندما يأتي له بالزاد ، وقد يعتكف معه .

ففي البحار: ٣٦٣/١٥، والعثمانية للجاحظ/٣٠٥: «فجاور في حراء في شهر رمضان ، ومعه أهله خديجة ، وعلي بن أبي طالب ، وخادم».

وفي دلائل البيهقي: ١٤/٢، وإمتاع الأسماع: ٢٤/٣: «وخرج معه بأهله».

وفي السيرة الحلبية: ٣٨٣/١: «كان يخرج لجواره ومعه أهله ، أي عياله التي هي خديجة ، إما مع أولادها أو بدونهم». لكنهم تعمدوا تغييب علي عليه السلام ! فقال بخاري: ٦٧/٨:«ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها» .

ومعنى رنة إبليس: صوت حزنه ورعبه ، وقد روي أنه:« رنَّ أربع رنات: يوم لعن ويوم أهبط إلى الأرض ، ويوم بعث النبي صلى الله عليه وآله ، ويوم الغدير». (قرب الإسناد/٩).

وأضاف لها في الخصال/٢٦٣: «وحين أنزلت أم الكتاب» .

وفي الطبراني الكبير: ٩/١٢: « لما افتتح النبي صلى الله عليه وآله مكة رن إبليس».

وفي شرح النهج: ٢٠٩/١٣ ، عن علي عليه السلام ، أن الشيطان رنَّ:« صبيحة الليلة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وآله وهو بالحجر ، ولما بايعه الأنصار ليلة العقبة » .

وقال أهل البيت عليهم السلام بدأ الوحي في أفق مبين لا لبس فيه ولا خوف ، تصديقاً

لقوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ (التكوير: ٢٢-٢٤).

ففي تفسير الإمام العسكري عليه السلام /١٥٥، عن الإمام الهادي عليه السلام قال له:« وأما تسليم الجبال والصخور والأحجار عليه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ترك التجارة إلى الشام ، وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات ، كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده ، وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله عز وجل ، وأنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته ، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض ، والبحار والمفاوز والفيافي ، فيعتبر

بتلك الآثار ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حق عبادته.

فلما استكمل أربعين سنة ، نظر الله عز وجل إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها ، فأذن لأبواب السماء ففتحت ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إليها وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إليهم ، وأمر بالرحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وغمرته ، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور ، طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه وهزه ، وقال: يا محمد إقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد: إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ. إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ. عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ. ثم أوحى إليه ربه عز وجل ما أوحى إليه ، ثم صعد جبرئيل إلى العلو.

ونزل محمد صلى الله عليه وآله من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله ، وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه به الحمى والنافض ، وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ونسبتهم إياه إلى الجنون ، وأنه يعتريه شيطان ، وكان من أول أمره أعقل خليقة الله وأكرم براياه ، وأبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين وأقوالهم. فأراد الله عز وجل أن يشرح صدره ويشجع قلبه ، فأنطق الجبال والصخور والمدر وكلما وصل إلى شئ منها ناداه: السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا ولي الله ، السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، أبشر فإن الله عز وجل قد فضلك وجمَّلك وزيَّنك وأكرمك ، فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين. لا يحزنك قول قريش: إنك مجنون وعن الدين مفتون ، فإن الفاضل من فضَّله رب العالمين ، والكريم من كرَّمه خالق الخلق أجمعين ، فلا يضيقن صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك ، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات ، ويرفعك إلى أرفع الدرجات ».

٢- رواية عائشة التي تبنتها مذاهب السلطة

قالت عائشة إن الوحي بدأ في أفق عنيف ، مرعب ، ومبهم ! وافتتح البخاري صحيحه بروايتها وكررها في كتابه أربع مرات ! فردوا بذلك قوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ. وقالوا: كلا ! كان الأفق ملبداً والنبوة مشكوكة ! وقد أمره الملك أن يقرأ ولم يقبل عذره بأنه لا يقرأ فغطه غطاً عنيفاً ! أي خنقه حتى كاد أن يقتله ! ولم يكتفوا بخنقه مرة فجعلوه ثلاثاً !

قال بخاري في صحيحه: ٦٧/٨: « باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي.. عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح ، فكان يأتي حِرَاء فيتحنَّث فيه ، وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: إقرأ ، فقال له النبي (ص): ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ ! فقلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ ! فقلت: ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ! ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك ! ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم. فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمِّلوني زمِّلوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي! فقالت له: كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَل وتُقري الضيف وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن

نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها ، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة: أي ابن عم إسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة: ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ما رأى ، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو مُخْرِجِيَّ هم ؟ فقال ورقة: نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقه أن توفي ! وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال ! فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يامحمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقرُّ نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك! فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك»!

قال النووي:٣/١٩٩، والعيني في شرح بخاري:١/٥٠: «غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد» ! (راجع ألف سؤال وإشكال: ٢/١٨٠- مسألة١٤٠).

٣- أمور لا يقبلها العقل في روايتهم عن بدء البعثة

١- أيهما نصدق: قول الله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ ، أم قول عائشة إنه رآه في أفق مرعب وشك مؤلم ، فاحتاج الى إلى نصراني ليهدئ من رعبه وشكه ؟!

٢- والأسوأ من الغط والخنق ، أن النبي صلى الله عليه وآله لم يعرف جبرئيل ولا فهم كلامه ! فعاد إلى مرعوباً شاكياً الى زوجته عليها السلام ، فطمأنته لكنها بقيت في شك !

فأخذته إلى طبيب هو القسيس ورقة بن نوفل وعرضته عليه ، كما تأخذ المرأة

زوجها الى فوال فطمأنها بأنه نبي ، فاطمأنت واطمأن النبي صلى الله عليه وآله!

لكن الوحي انقطع عنه فعاد اليه شكه فقرر أن ينتحر ! وذهب مراراً لينتحر ، لكن جبرئيل جاءه من بعيد ، ومنعه من إلقاء نفسه من الجبل !

فأيهما نصدق؟ قوله تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أدعو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (يوسف: ١٠٨) وقوله تعالى: إِنِّي لايَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ . (النمل: ١٠)

أم قول بخاري وعائشة إنه كان على شك من أمره ، وخوف شديد ؟!

٣ - نصت الآيات على بشارة الأنبياء عليهم السلام بنبينا صلى الله عليه وآله ، وتواترت الأخبار بأن أحبار اليهود والنصارى عرفوه ! فكيف لم يعرف هو نبوته ، حتى بعد نزول الوحي عليه ؟!

٤ - تقدم برواية الكافي:٣٧٤/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه لما خطب أبو طالب خديجة للنبي صلى الله عليه وآله وتكلم ، أراد ورقة بن نوفل أن يتكلم:« تلجلج وقَصُر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر» ! فأين كانت شخصيته التي زعمتها له عائشة ؟!

٥ - كيف ينقضون ما رووه من أن النبي صلى الله عليه وآله عبدَ الله مع عليٍّ سبع سنين قبل بعثته وإن الله خلقه نوراً قبل الخلق ، وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد ، وقد صححوها؟!

(مجمع الزوائد: ٢٢٣/٨، وأحمد: ٦٦/٤ و: ٥٩/٥ ، و٣٧٩ ، والحاكم: ٦٠٩/٢ ، وابن شيبة: ٤٣٨/٨ ، والطبراني الأوسط: ٢٧٢٧/٤ ، والكبير: ٧٣/١٢ ، وآحاد الضحاك: ٣٤٧/٥ ، والدر المنثور: ١٨٤/٥ ، والعجلوني: ١٢٩/٢ و١٣٢ ، والأحوذي: ٥٦/١٠ ، والمغني: ١٢٤/٣ وفتح القدير: ٢٦٧/٤، والباقلاني/٥٨ ، وغيرهم).

٦- الوضع المنطقي عندما نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله: أن يسلم عليه ويعرفه بنفسه وأنه رسول ربه عز وجل اليه ، وأنه بعثه رسولاً ، وسينزِّل عليه قرآناً ، ثم يشرح له مهمته . وأن يكون ذلك في جو اطمئنان ويقين وخشوع ، كما نصت رواية أهل البيت عليهم السلام ، وليس بالتعامل الخشن الذي نسبوه الى الله تعالى ، والذي يشبه

أكاذيب اليهود عن عنف ربهم مع أنبيائه عليهم السلام ! ويشبه روايات كهّان العرب المصابين بالعُصاب عندما يأتيهم جِنِّيُّهُم !

٧- كيف يجوز لجبرئيل أن يأمره بأن يقرأ ، ولا يفسر له ما يقرأ ؟ وهل يأمر الله عبده بأمر غير مقدور ولا مفهوم ولا يفسره له ، بل يضربه ويخنقه إن لم يفعل؟!

٨- كل هذه الطامات في كفة ، وعزم النبي صلى الله عليه وآله على أن ينتحر في كفة !

فكيف يقبلون هذه الفرية على النبي صلى الله عليه وآله كقوله وحاشاه:« لا تتحدث بهذا قريش عني أبداً ! فلأعمدنَّ إلى حالق من الجبل ، ولأطرحن نفسي منه فلأقتلنها ولأستريحن ! فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني فانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي».

الى آخر الخرافة التي صدقوها حتى لو خالفت القرآن والعقل والحديث المتواتر ، لأن عائشة قالتها ! (تاريخ الطبري: ٤٩/٢ ، وتاريخ الذهبي: ١٣١/١):

٩ – إنهم عائشة وبخاري ومن صدق هذه الرواية مسؤولون عن استغلال أعداء الإسلام لها وافترائهم على النبي صلى الله عليه وآله بأنه كان يشك في نبوته ، وإن القسيس ورقة بعثه نبياً وليس الله تعالى !

١٠ - حاولوا أن ينفوا أن عائشة قالت إن النبي صلى الله عليه وآله قرر الإنتحار وفتشوا عن مهرب فوجدوا عبارة:« حتى حزن النبي صلى الله عليه وآله فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى» فقالوا إن قوله: فيما بلغنا ، هو قول الزهري وليس قول عائشة صاحبة الحديث !

(فتح الباري: ٣١٦/١٢) فجعلوه في رقبة إمامهم الزهري لينقذوا إمامتهم عائشة ! ولا

ينفعهم ذلك لأن ابن مردويه رواه قطعة واحدة عن عائشة بدون (فيما بلغنا) كما شهد ابن حجر ! والذي رواه أيضاً عن ابن سعد بدون بلغنا ، ثم ذكر ابن حجر/١١٨، روايات أخرى تنص على أن النبي صلى الله عليه وآله ذهب لينتحر ! وهي كثيرة في كتبهم ! راجع الطبقات: ١٩٦/١ ، والطبري: ٤٧/٢ ، وتفسيره: ٣١٧/٣٠ ، وتفسير الصنعاني: ٣٢٧/٣ ، وتفسير ابن كثير: ٢٦٥/٤ ، ونهايته: ٢٣/٣ .

فهي فضيحة بقرون ! نسبوا فيها الى نبيهم صلى الله عليه وآله مالايقبلون نسبته الى أئمتهم ! بل نسبوا الى الله سبحانه أنه ظالمٌ غير حكيم ! يبعث جبرئيل الى نبيه بأسلوب مرعب مبهم ! فسبحانه وتعالى عما يصفون !

٤- رووا شبه ما روينا عن بدء البعثة وغيبوه من أجل عائشة !

من العجيب أنهم رووا بدء الوحي شبيهاً بما روينا ، لكنهم حرَّفوه ! ففي دلائل البيهقي:١٦٠/٢، عن محمد بن إسحاق قال:«وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به. ثم إن جبريل أتى رسول الله حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء مزن ، فتوضأ جبريل ومحمد ، ثم صليا ركعتين وسجدا أربع سجدات ، ثم رجع النبي قد أقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة ، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً. قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا محمد ؟ فقال رسول الله: دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكفر باللات والعزى ! فقال

علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث بـه أبـا طالـب. وكره رسول الله أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال لـه: يـا علـي إذا لـم تُسلم فاكتم ، فمكث علي تلك الليلة ، ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع في قلـب علـي الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علـيَّ يـا محمـد؟ فقال له رسول الله: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر بـاللات والعـزى وتبرأ من الأنداد ، ففعل عليٌّ وأسلم ، فمكث علي يأتيه على خوف من أبي طالـب ، وكتم علي إسلامه ولم يظهره ، وأسلم ابن حارثة فمكثا قريباً من شهر يختلـف علـي إلى رسول الله. وكان مما أنعم الله على علي أنه كان في حجر رسول الله قبل الإسلام».

وتاريخ الذهبي: ١٣٥/١ ، وأسد الغابة: ١٦/٤، وسيرة ابن كثير: ٤٢٨/١، وسبل الهدى: ٣٠٠/٢.

وهي تؤيد روايتنا وتكذب رواية عائشة، وإن تناقضت فيما يخص علياً عليه السلام فقالـت إنه كان يختلف الى النبي صلى الله عليه وآله، ثم قالت إنه كان يسكن مع النبي صلى الله عليه وآله !

وشبيه به مختصراً تفسير القرطبي:٨٧/١٧ ، وتنوير الحوالك: ١٧/١٦ ، وفيـه:« فرفعـت رأسـي فإذا جبريل صافٌّ قدميه بين السماء والأرض يقول: يا محمد أنت رسـول الله وأنـا جبريل ، فجعلت لا أصرف بصري إلى ناحية إلا رأيته كذلك» ! انتهى.

لكنهم لايحبون هذه الأحاديـث ويغيبونهـا عـن عـوامهم ، لأنهـا تكـذب عنـف رواية أمهم عائشة ! فقد أشربوا تصديقها ولو حشيت بالتخيلات الإسرائيلية !

وقد ضخموا فترة انقطاع الوحي ، لتتوافق مع حديث عائشة وتخيلاتها !

○ ○

الفصل الثاني عشر

المرحلة الأولى ثلاث سنوات خاصة بدعوة بني هاشم

١. نزل خبر بعثة النبي صلى الله عليه وآله كالصاعقة على زعماء قريش!

شاع في مكة خبر أن محمداً اعلن نبوته، فوقع على زعماء قريش كالصاعقة، لأنهم اعتبروا ذلك حركة من بني هاشم لرئاسة قريش والعرب، وانقلاباً على صيغة التوافق في تقسيم مناصب الشرف وهي: رئاسة قريش، ورايتها، وسقاية الحجاج ورفادتهم! وتركزت أنظارهم على أبي طالب لمعرفة موقفه من ادعاء ابن أخيه، لأنه وارث عبد المطلب، وبيده السقاية والرفادة، وهو صاحب شخصية قوية وعقلية مميزة. وكان أبو طالب رحمه الله يومها في الخامسة والسبعين من عمره، لأنه توفي قبيل الهجرة وعمره بضع وثمانون سنة. (الطبقات: ١/١٢٤).

وزاد من تخوف زعماء قريش أنهم سمعوا من اليهود ومن عبد المطلب أن نبياً سيبعث من ذريته، وكان يتوقع أن يكون حفيده محمداً، وقد أوصى به الى أبي طالب وشدد عليه الوصية بحفظه وإكرامه، فرباه أبو طالب من سن الثامنة وآثره على أولاده، وبقي عنده الى أن تزوج في العشرينات من عمره. واشتهر حبه له وإعجابه به، وسجل ذلك في مقطوعات شعرية، منها مقطوعة تطمئن أباه عبد

المطلب بتنفيذ وصيته، ومنها عن آيات سفره معه الى الشام وشهادة بحيرا الراهب.

وكان أبو طالب رضي الله عنه كأبيه عبد المطلب يؤمن بأن محمداً صلى الله عليه وآله سيبعث نبياً، ويتوقع عاصفة قريش عندما تسمع بخبر نبوته.

ويبدو أن علياً عليه السلام أخبره بالبعثة ونزول الوحي فقد كان يعيش في بيته، فذهب أبو طالب الى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسأله: «يا ابن أخي، آلله أرسلك؟ قال: نعم. قال: فأرني آية. قال: أدع لي تلك الشجرة، فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت. فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق، يا علي صِلْ جناح ابن عمك». (أمالي الصدوق/٧١١).

ولم يكن زعماء قريش يعرفون حقيقة موقف أبي طالب، لكن زاد تخوفهم عندما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وآله أمره ربه أن (يدعو عشيرته الأقربين) فدعا بني هاشم الى وليمة في بيته، وأخبرهم بأن الله تعالى بعثه اليهم خاصة ثم الى الناس عامة، وأمره أن يتخذ منهم من يبايعه على نبوته، أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة، فاستجاب له الفتى علي عليه السلام، فأعلنه أخاه ووزيره وخليفته، وأمر بني هاشم بطاعته!

وكان ذلك نبأ عظيماً على زعماء قريش كما وصفه الله تعالى في سورة النبأ، فاعتبروا أن بني هاشم أعلنوا مشروعهم في النبوة، فأبوطالب يدافع عنه وإن لم يستجب له في الظاهر، وبنو هاشم يحمون محمداً صلى الله عليه وآله، عدا أبي لهب!

فقد حمل أبو لهب راية العداء لابن أخيه النبي صلى الله عليه وآله من يوم دعاهم الى وليمة واتخذ علياً وزيراً، وانحاز أبو لهب الى زعماء قريش وابتعد عن بني هاشم، وقال أبو طالب رضي الله عنه أبياتاً تنتقد انشقاقه عنهم، وستأتي!

هنا تداعى زعماء قريش الى اجتماع سريع لأمر خطير! فقرروا بالإجماع أن عمل

محمد خيانة عظمى لاتفاق قريش على تقاسم مناصب السيادة ، فيجب أن يتراجع محمدﷺعن دعوى النبوة أو يسلمه بنو هاشم اليهم ليقتلوه !

هكذا..بجلافة البدوي وخبث اليهودي ، بدون أن يفكروا بسؤال هـذا المـدعي للنبوة هل عنده دليل أو معجزة؟! فلا يهمهم أن يكون عنده أو لايكون !

وينبغي الإنتباه الى أن حجتهم المعلنة بأنه عـاب آلهـتهم وسفَّه أحلامهـم وكفَّـر آباءهم ، حجة شكلية ، أما الحقيقة فهي أنه دعا الى نبوته أي رئاسة بني هاشم !

وذهبوا الى أبي طالب ففاجأهم بوقفته التاريخية وحمايتـه للنبـيﷺوحـذرهم إن مَسُّوا منه شعرةً واحدة ! وقـد اضـطروا أمـام موقفـه الحاسـم أن يـسكتوا لأنهـم يعرفون شجاعة بني هاشم ، وأنهم لـن يُسَلِّموهم محمـداً إلا بحـرب ، ولايُقتلـون حتى يَقتلوا أضعاف عددهم من قريش !

لكن فراعنـة قـريش لـم يتراجعـوا فشنوا حملـة افتـراء وسـخرية مـن النبـيﷺ وقرآنه ووصيه الذي اختاره ، فكـانوا يقولـون:« هـذا صـفي محمـد مـن بـين أهلـه ويتغامزون بأمير المؤمنينعليه السلام».(مناقب آل أبي طالب: ٨/٣).

وأخـذوا يـؤذون النبـيﷺبـالقول وبالفعـل إن اسـتطاعوا ، ويعملـون لاغتيالـه ، ويرصدون من يستجيب لدعوته !

مقابل ذلك قام أبو طالبرحمه اللهبتوحيـد بنـي هاشـم لحمايـة النبـيﷺ ، واتخـذوا احتياطات استثنائية لحراسته في بيته ، أو عندما يذهب ليطوف بالكعبة .

وينص حديث إسلام أبي ذر على أنهم جعلوا حول النبي صلى الله عليه وآله ثلاث حلقات أمنية ، فعندما طلب أبو ذر من أبي طالب أن يلتقي بالنبي صلى الله عليه وآله حقق معه عن غرضه وواعده اليوم الثاني ، وفي اليوم الثاني أخذه الى حمزة ، فحقق معه وسلمه الى جعفر ، فحقق معه جعفر وسلمه الى علي عليه السلام ، فحقق معه وأدخله على النبي صلى الله عليه وآله !

٢. استمرت العاصفة ثلاث سنين حتى أهلك الله المستهزئين

استمرت هذه المرحلة ثلاث سنين ، حتى أزاح الله من طريق رسوله صلى الله عليه وآله عتاة المستهزئين وأمره أن يصدع بالدعوة. ففي كمال الدين/٣٢٨ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « ما أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد قبل علي بن أبي طالب وخديجة عليهما السلام. ولقد مكث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب ويخاف قومه والناس».

وفي تفسير القمي:٣٧٧/١:« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، فإنها نزلت بمكة بعد أن نُبِّئَ رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث سنين... فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ... دخل أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلي وعليٌّ بجنبه وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صِلْ جناح ابن عمك ، فوقف جعفر على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله فبدر رسول الله من بينهما ، فكان رسول الله يصلي وعلي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتمون به.

فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه:فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. والمستهزؤون برسول الله صلى الله عليه وآله خمسة: الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحرث بن طلاطلة الخزاعي ». وفي تفسير العياشي: ٢٥٣/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة سنين ليس يظهر وعلي معه وخديجة ، ثم أمره الله أن يصدع بما يؤمر فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب ».

وفي سيرة ابن إسحاق:١٢٦/٢:«ثم إن الله تعالى أمر رسوله (ص) أن يصدع بما جاء به وأن ينادي الناس بأمره وأن يدعو إلى الله تعالى ، وكان ربما أخفى الشئ واستسر به ، إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه ».

وفي سيرة ابن هشام:١٦٩/١:«وكان بين ما أخفى رسول الله (ص) أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » .

وفي الإستيعاب لابن عبد البر: ٣٤/١: « ثم نبأه الله تعالى وهو ابن أربعين سنة ، وكان أول يوم أوحى الله تعالى إليه فيه يوم الإثنين ، فأسر رسول الله (ص)أمره ثلاث سنين أو نحوها ، ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه ، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه ».

وروى الصدوق وغيره أن هذه المرحلة كانت خمس سنين . ففي كمال الدين/٣٤٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره ، وعلي عليه السلام معه وخديجة ، ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما

أمر به ، فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وأظهر أمره ». والمناقب: ١/١٥٠ ، ونحوه غيبة الطوسي/٣٣٢.

وإن لم يخطئ الراوي فقد يكون المعنى أن اختفاءه صلى الله عليه وآله انتهى بعد ثلاث سنوات وصدع بدعوته علناً ، ثم استمر الخوف عليه من الإغتيال خمس سنوات.

فالمتفق عليه عند الجميع أنه صلى الله عليه وآله في السنين الثلاث الأولى لم يدع غير بني هاشم ، ولم أجد نصاً يذكر أنه جلس في المسجد في هذه المدة ، فقد هدده عتاة المستهزئين بأنه إن دعا الناس فسيقتلونه ، بل أنذروه الى يوم معين ليعلن تراجعه عن نبوته صلى الله عليه وآله ، فكفاه الله شرهم ، وأنزل عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ !

وينبغي التنبيه الى أن بعض الأحاديث السنية والشيعية تحسب سنوات السيرة في مكة عشر سنوات ، فتستثني السنوات الثلاث الأولى، لأنها خاصة ببني هاشم وتحسب من أول الرابعة حيث أهلك الله المستهزئين وأمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يصدع !

ففي الكافي: ٥/٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«إن الله عز وجل بعث رسوله صلى الله عليه وآله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال. فالخير في السيف وتحت السيف. والأمر يعود كما بدأ». يقصد بذلك ظهور المهدي عليه السلام.

٣. الإنجازات الرسولية في هذه المرحلة

١. توالى نزول القرآن ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يتلوه على المسلمين ، ويوصله الى المشركين ، فيستهزئون به وبالنبي صلى الله عليه وآله ، وكانت بعض الآيات تنزل جواباً لهم.

٢. آمن له علي وخديجة وعمه أبو طالب وابنه جعفر وعمه حمزة ومولاه زيد ، وأمره الله بدعوة كل عشيرته الأقربين فدعاهم ، واتخذ منهم وزيراً ووصياً.

٣. أخبر عن نبوته فشاع خبرها ، واستنفرت قريش ضده ، وبدأت حملتها.

٤. نهض أبو طالب لنصرته ، وحشد معه كل بني هاشم ، وشذ منهم أبو لهب ، وكان النبي ﷺ مستخفياً خائفاً من فراعنة قريش وشياطينهم.

٥. آمن له أفراد من قبائل قريش وغفار والحلفاء والعبيد ، سراً على خوف.

٦. كان للنبي ﷺ لقاءات بزعماء قريش لإقامة الحجة عليهم ، لكنها قليلة.

٤. معنى السرية في المرحلة الأولى للدعوة

السرية التي يضخمونها في هذه المرحلة ، إنما هي في أسماء المسلمين الجدد الذين لايستطيعون إعلان إسلامهم خوفاً من قريش ، أو الذين أمرهم النبي ﷺ بإخفاء إسلامهم لمصلحة الدعوة كأبي طالب وحمزة.

أما النبوة فقد انتشر خبرها بسرعة من أول يوم ، ومكة مدينة صغيرة (٤٠ ألفاً) وسرعان ما ينتشر فيها الخبر. كما أن نزول القرآن تواصل ، وكان النبي ﷺ يتلوه ويوصل آياته الى قريش وغيرها. وقد نزلت في هذه السنوات سور عديدة.

قال ابن النديم في الفهرست/٢٨ ، والزركشي في البرهان: ١٩٣/١: « أول ما نزل من القرآن بمكة: إقرأ باسم ربك ، ثم نون ، ثم والقلم ، ثم يا أيها المزمل، ثم المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى ، ثم والفجر ، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعشر ، ثم والعاديات ، ثم أنا أعطيناك الكوثر ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذي ، ثم قل

يا أيها الكافرون ، ثم سورة الفيل ، ثم الفلق ، ثم الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم إذا هوى ، ثم عبس ».

وردّت بعض السور مقولات مشركي قريش ، ووصفت عاصفتهم على النبي صلى الله عليه وآله بمجرد أن بلغهم خبر نبوته والقرآن ، حتى قبل أن يعلن دعوته للناس !

ففي سورة القلم نقرأ قوله تعالى: فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ. وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ. وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ...

وفي سورة المزمل نقرأ: وَاصْبِرْ عَلَى مَايَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً. وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً...

وفي المدثر: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. وَبَنِينَ شُهُوداً. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً..

ونقرأ في سورة التكوير جواب الذين قالوا إنه صلى الله عليه وآله مجنون: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَاصَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَاهُو بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ.

وفي المرسلات جواب من سخروا من صلاة النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين واستنكفوا: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.

وفي سورة قاف جواب تعجبهم من النبوة وتكذيبهم بها: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ .

٥. آية المستهزئين تكشف تخبط رواة السلطة وتحريفهم!

اتفق المفسرون والمحدثون على أن آيات: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. نزلت بعد ثلاث سنين من البعثة، فبدأ النبي ﷺ مرحلة جديدة هي مرحلة الإعلان والصدع بالدعوة لكل الناس، بعد أن أزال الله من طريقه العقبة الأساسية وأهلك المستهزئين الخمسة في يوم واحد!

فكل نص مبني على وجود أحد منهم بعد ذلك التاريخ خطأ أو مكذوب! وبه يظهر عوار عدد من نصوص السلطة:

فمنها: كل رواياتهم التي تنافي اختفاء النبي ﷺ وصعوبة اللقاء به، وندرة مجيئه الى المسجد في تلك السنوات الثلاث، بسبب الخطر الشديد على حياته، فلا بد من رد زعمهم أن أبا بكر وغيره أسلموا في تلك الفترة، لأنه لو صح لرووا ردة فعل قريش ضدهم كردة فعلها على إسلام أبي ذر، وخالد بن سعيد، وعمار بن ياسر ووالديه، وخباب بن الأرت، وغيرهم من الذين أسلموا في تلك الفترة!

ومنها: زعمهم أن النبي ﷺ صدع بدعوته العامة من السنة الأولى، وعندما أمره الله تعالى في سورة الشعراء: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ.. صعد على الصفا ونادى كل قريش يا آل فلان ويا آل فلان..الخ. والصحيح أنه دعا بني هاشم فقط، وأن دعوته العامة بدأت بعد ثلاث سنين، بعد هلاك المستهزئين.

ومنها: تضخيمهم دار الأرقم، وأن النبي ﷺ كان يلتقي فيها بالمسلمين قبل السنة الثالثة، بل جعلوا أحداثاً وقعت بعد السنة الثالثة في دار الأرقم، ومنها سورة

عبس التي ربطوها بابن أم مكتوم مع أنها نزلت قبل إسلامه ! ومنها أن عمر جاء اليه في دار الأرقم وأسلم فأعز الله به الإسلام بعد ذلته ، وتكاملوا أربعين رجلاً فخرجوا يتحدون قريشاً ، فخافت منهم ولم تقم بعمل ضدهم !

ومنها: خطأ ما رواه بخاري (٢٤٢/٤) من حماية العاص بن وائل لعمر عندما أسلم ، لأن العاص أحد المستهزئين الستة الذين هلكوا في السنة الثالثة ، وعمر أسلم في السنة السادسة بعد هجرة المسلمين الى الحبشة ،كما نص عليه ابن هشام:٢٢٩/١ وغيره، قال:«وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله إلى الحبشة».

ومنها: أن من المتفق عليه أن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ،كان أحد المستهزئين وهلك في السنة الثالثة ، لكنهم رووا أنه بكى على أولاده الذين قتلوا في بدر! قال ابن هشام: ٤٧٤/٢: « وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة وكان يحب أن يبكي على بنيه...الخ». والطبري: ١٦١/٢، وابن كثير: ٤٨٠/٢. راجع: الصحيح من السيرة: ٣: ١٧١/.

ومنها: تخليطهم أو كذبهم في سبب نزول السور والآيات ، فتراهم يذكرون إسم أحد المستهزئين الخمسة في سورة نزلت بعد سورة الحجر ، مع أنه هلك عند نزولها ! بل ذكروا بعضهم في معركة بدر وبعدها ! لذلك قلنا إنه لايصح من روايات أسباب النزول إلا القليل ، ومن هذا القليل أن آية: وَاصْدَعْ بِمَا تُؤمر.. نزلت في السنة الثالثة ، وأن سورة صاد نزلت بعد أن صدع النبي صلى الله عليه وآله بدعوته ، وجاء زعماء قريش الى أبي طالب رحمه الله فدعاهم الى الإسلام !

ففي الكافي: ٦٤٩/٢، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش، فدخلوا على أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومره فليكف عن آلهتنا ونكف عن إلهه، قال فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه، فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله لم ير في البيت إلا مشركاً فقال: السلام على من اتبع الهدى ثم جلس، فخبَّره أبو طالب بما جاؤوا له، فقال: أوَهَل لهم في كلمة خير لهم من هذا، يسودون بها العرب ويطؤون أعناقهم؟ فقال أبو جهل: نعم، وما هذه الكلمة؟ فقال: تقولون لا إله إلا الله. قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هُرَّاباً وهم يقولون: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق! فأنزل الله تعالى في قولهم: صاد. وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ..».

فالذي جاء الى أبي طالب هو أبو جهل الذي ورث زعامة بني مخزوم بعد هلاك الوليد بن المغيرة، وبعد مجيئه نزلت سورة صاد جواباً على كلامه، فلا تصح الروايات التي تذكر أن الوليد كان حياً عند نزولها.

ومنها: خلطهم في الروايات التي تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله كان يذهب الى أفنية قريش ويدعوهم الى الإسلام قبل هلاك المستهزئين، كالذي رواه الحاكم: ٥٧٧/٣، وأبو يعلى: ١٧٦/١٢، ومجمع الزوائد: ١٤/٦، وصححه: «جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل... فقال له أبو طالب: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي

لمطاعاً وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم ، فإن رأيت أن تكف عنهم ؟ فحلق ببصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط ، إرجعوا راشدين ». فوقت هذا الحديث بعد الثلاث سنوات لأنه صلى الله عليه وآله لم يذهب الى نواديهم إلا بعدها.

وأخيراً ، فإن سبب جعل رواة السلطة بعض هؤلاء الخمسة أحياء بعد هلاكهم هو أن أولادهم وأقاربهم كانوا حكاماً وشركاء في دولة (الخلافة) كعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وزمعة بن الأسود من أسد عبد العزى ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وأقارب الحارث بن طلاطلة الخزاعي ، فأراد الرواة إظهار مكانة آبائهم حتى في كفرهم ! فخلطوا وكذبوا ، ولا حافظة لكذوب !

٦. تخبط الكتّاب المعاصرون في مراحل الدعوة تبعاً لرواة السلطة

اشتهر عند الكتّاب المعاصرين تقسيم مراحل دعوة النبي صلى الله عليه وآله في مكة الى المرحلة السرية ، ثم مرحلة دار أبي الأرقم ، ثم مراحل الإضطهاد والهجرة الى الحبشة والمدينة. فقلدوا الحكومات التي غيبت مراحل هامة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله لتحذف أدوار بني هاشم والعترة النبوية عليهم السلام !

فقد غيبوا المرحلة الأولى في دعوته صلى الله عليه وآله حيث بعثه الله تعالى الى بني هاشم خاصة مع أنهم أنفسهم رووا قوله صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ». (تفسير ابن كثير: ٣/٣٦٣ ، وتفسير مقاتل: ٢/٤٦٦).

وروينا: « مكث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاثة عشر سنة ، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لايظهر حتى أمره الله أن يصدع بما أمر به ، فأظهر حينئذ الدعوة ». (غيبة الطوسي/٣٣٣).

كما أهمل كتَّاب السيرة مرحلة ما قبل محاصرة النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم في شعب أبي طالب وما بعدها ، وكان الحصار في السنة الخامسة ، واستمر بضع سنوات !

كما أهملوا مرحلتين تقدمتا في حديث النبي صلى الله عليه وآله من مصادرهم: « صَلَّتْ الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين ، وذلك أنه لم يصل معي أحد قبله».

وقول علي عليه السلام: « صليت مع النبي صلى الله عليه وآله قبل الناس ثلاث سنين ، وسبع سنين ».

وكذا مرحلة ما قبل الإسراء والمعراج في السنة الثانية للبعثة ، وما بعدها.

ومرحلة ما قبل وفاة أبي طالب رحمه الله وما بعدها ، حيث فقد النبي صلى الله عليه وآله ناصره وحاميه القوي، واضطر أن يذهب الى الطائف يطلب من ثقيف حمايته من قريش.

ومرحلة ما قبل بيعة الأنصار سراً للنبي صلى الله عليه وآله في موسم الحج ، وما بعدها...

وكذا مرحلة الثلاث سنين التي زعموا أن الله بعث فيها إسرافيل الى النبي صلى الله عليه وآله يعلمه ويوجهه ، ولم ينزل عليه قرآناً حتى أنزله مع جبرئيل عليه السلام.

أهملوا كل ذلك أو غيبوه ! وركزوا بدله على مرحلة السرية بمفهوم خاطئ، ومرحلة دار أبي الأرقم بتضخيم خيالي ! كما كذبوا في انتعاش النبي صلى الله عليه وآله بإسلام أبي بكر وإنفاقه عليه عند فقره ! وقوة الإسلام بعمر وإعزازه بعد ذلته ! مع أن راوياً واحداً لم يرو أن أبا بكر أوصل صاع طحين للنبي صلى الله عليه وآله طول سنوات الحصار حتى

وصل بهم الأمر الى أن أكلوا ورق الشجر من الجوع ، ومص أطفالهم الرمل من العطش !

ولا روى أحد أين كان عمر عند تهديدات قريش للنبي صلى الله عليه وآله ، ولا بعد موت أبي طالب واستنفار قريش لقتله صلى الله عليه وآله حتى اضطر الى أن يطلب حماية قبيلة ثقيف وغيرها !

إن إهمالهم لهذه المراحل خاصة مرحلة دعوة الأقربين ، واختراعهم أدواراً افترضوها لزيد وعمرو.. يضع يدك على غرضهم من التحريف ، ويجعلك تشك فيما يروونه من أدوار مناقبية لمن صاروا حكاماً فيما بعد ، ويجعلك تدقق في النصوص لتكشف الأدوار التي غيبوها لعلي وحمزة وجعفر وغيرهم من بني هاشم ، ومعهم كبار الصحابة الأوائل كأبي ذر ، وعمار ، والمقداد ، وأبي سلمة ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وخباب ، ومصعب ، وسلمان ، رضوان الله عليهم !

○ ○

الفصل الثالث عشر

دعوة النبي صلى الله عليه وآله عشيرته واستنفار قريش ضدهم

١- بعد البعثة بقليل أمره الله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ

بعد البعثة بقليل أمره الله تعالى بدعوة كل بني هاشم ، وأنزل عليه من سورة الشعراء: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ... وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ. وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ. فَلاتَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ. وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ .

فجمع النبي صلى الله عليه وآله بني هاشم وكانوا أربعين رجلاً ، ودعاهم الى الإسلام واختار منهم وزيره ووصيه وخليفته ، كما أمره ربه .

وفي هذه المدة كان خبر البعثة يدوي في أندية قريش ، حتى جاءهم خبر اجتماع بني هاشم وأن محمداً صلى الله عليه وآله دعاهم الى دينه وطلب منهم وزيراً يبايعه على نصرته ، فاستجاب له ابن عمه علي بن أبي طالب فاتخذه وزيراً ووصياً وخليفة ! فرأوا ذلك نبأً عظيماً يؤكد عندهم أن نبوة بني هاشم مشروع هاشمي لحكم العرب ، فبادروا الى اتخاذ قرار بالعمل جميعاً لقتل النبي صلى الله عليه وآله !

وقد جعل صاحب الصحيح من السيرة(٥٩/٣) دعوة العشيرة الأقربين بعد ثلاث

سنوات من البعثة ، قال:« بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحلة جديدة وخطيرة وصعبة هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله تعالى. وقد بدأت أولاً على نطاق ضيق نسبياً ، حيث نزل عليه قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ». انتهى.

لكن ذلك لايصح ، لأن السنوات الثلاث كانت الأخطر على حياة النبي صلى الله عليه وآله كما نص حديث إسلام أبي ذر وغيره ، فقد أثارهم خبر النبوة حتى بدون دعوة أحد الى الإسلام ، ثم أثارتهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله لبني هاشم وطلبه منهم البيعة على هذا الأمر ، واختياره وصياً منهم !

وقد روت حديث إنذار العشيرة الأقربين مصادر الطرفين ، وعرف بإسم (حديث الدار) وحديث الوصية ، وصححه العلماء وألفوا فيه كتباً وفصولاً ، لكن أتباع الحكومات القرشية كتبوا فوقه: يمنع من التداول تحت طائلة العقوبة القصوى !

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد:٤٩/١:« أجمع على صحته نُقاد الآثار ، حين جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذ ، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً ، فيما ذكره الرواة وأمر أن يُصنع لهم فخذ شاة مع مُد من البُر ، ويُعَدَّ لهم صاعاً من اللبن ، وقد كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذعة (الذبيحة) في مقام واحد ، ويشرب الفرق (السطل) من الشراب في ذلك المقام وأراد صلى الله عليه وآله بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شبعهم وريهم مما كان لا يشبع الواحد منهم ولا يرويه. ثم أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملَّوا منه ، فلم يبن ما أكلوه منه وشربوه فيه فبهرهم بذلك ، وبين لهم آية نبوته وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى فيه. ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب: يا بني عبد المطلب ، إن الله بعثني إلى الخلق كافة ، وبعثني إليكم خاصة ، فقال عز وجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما العرب والعجم ،

وتنقاد لكم بهما الأمم ، وتدخلون بهما الجنة ، وتنجون بهما من النار ، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به ، يكن أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي." فلم يجب أحد منهم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمت بين يديه من بينهم وأنا إذ ذاك أصغرهم سناً ، وأحمشهم ساقاً ، وأرمصهم عيناً - فقلت: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر. فقال: أجلس ، ثم أعاد القول على القوم ثانية فاصمتوا ، وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى ، فقال: أجلس . ثم أعاد على القوم مقالته ثالثةً فلم ينطق أحد منهم بحرف ، فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر ، فقال: أجلس ، فأنت أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي. فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا طالب ، ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك !

وهذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار ، ولا أحد من أهل الإسلام ، وليس لغيره عدل لها من الفضل ولا مقارب على حال ».

وفي رواية روضة الواعظين/٥٢: «قال لهم: إني بعثت إلى الأسود والأبيض والأحمر ، وإن الله عز وجل أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، وإني لا أملك لكم من الله حظاً إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله . فقال أبو لهب لعنه الله: لهذا دعوتنا؟! ثم تفرقوا عنه ، فأنزل الله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ..الخ. ثم دعاهم دفعة ثانية فأطعمهم وسقاهم كالدفعة الأولى ثم قال لهم: يا بني عبد المطلب: أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكامها ، وما بعث الله نبياً إلا جعل له وصياً وأخاً ووزيراً فأيكم يكون أخي ووزيري ووصي ووارثي وقاضي ديني. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وهو أصغر القوم سناً: أنا يا رسول الله ﷺ ، فلذلك كان وصيه .

ورويَ أنه جمعهم خمسة وأربعون رجلاً منهم أبو لهب ، فظن أبو لهب أنه يريد أن ينزع عما دعاهم إليه فقام إليه فقال له: يا محمد ، هؤلاء عمومتك وبنو عمك قد اجتمعوا فتكلم واعلم أن قومك ليست لهم بالعرب طاقة ، فقام صلى الله عليه وآله خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله. والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقاً خاصة ، والى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن كما تعلمون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءا ، وإنها الجنة أبداً والنار أبداً . إنكم أول من أنذرتم» .

٢- *محاولتهم إنكار حديث الوصية أو إخفاؤه !*

لا يحب المخالفون أن يروا وجه هذا الحديث ولا أن يسمعوا صوته ! لأنه ينص على أن النبي صلى الله عليه وآله اتخذ علياً عليه السلام بأمر ربه من أول بعثته ، وصياً وخليفة !

لذا حذف منه بعضهم نص النبي صلى الله عليه وآله على الوصية والخلافة ووضع بدله وكذا وكذا ، كالطبري ! وحاول بعضهم إنكار وجوده في مصادرهم كابن تيمية ! وأثبته بعضهم في كتابه ثم حذفه ، كهيكل في كتابه: حياة محمد !

ونقل صاحب الصحيح من السيرة: ٥٩/٣ ، خلاصة نص الطبري وفيها:« لما نزلت هذه الآية دعا علياً فأمره أن يصنع طعاماً ويدعو له بني عبد المطلب ليكلمهم ويبلغهم ما أمر به. فصنع علي صاعاً من طعام وجعل عليه رجل شاة ، وملأ عساً من لبن ، ثم دعاهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب.. قال علي: فأكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم ! وأيم الله الذي نفس علي بيده ، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم ، فجئتهم

بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم ! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمر علياً في اليوم الثاني أن يفعل كما فعل آنفاً وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم: يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! وعلى حسب نص الإسكافي أنه قال: هذا أخي ، ووصيي ، وخليفتي من بعدي. وقالوا لأبي طالب: أطع ابنك ، فقد أمره عليك ».

ثم قال صاحب الصحيح:« ولا بد أن نشير هنا إلى أن الطبري قد ذكر هذا الحديث في تاريخه على النحو المتقدم ، ولكنه ندم على ذلك على ما يظهر فذكر نفس هذا الحديث في تفسيره برمته حرفياً متناً وسنداً ، ولكنه غيَّر فيه عبارة واحدة فذكرها على النحو التالي: فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا. إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا ! وقد تبعه على هذا ابن كثير الشامي أيضاً فلم تسمح نفسه بذكر ما في تاريخ الطبري، بل نقل خصوص ما في التفسير مع أن تاريخ الطبري هو مصدره ومعتمده !

كما أن محمد حسين هيكل أورد في كتابه حياة محمد في الطبعة الأولى/١٠٤، نص الطبري في التاريخ ، ثم عاد فحذف من الطبعة الثانية/١٣٩ سنة١٣٥٤ ، قوله:

وخليفتي فيكم ، واقتصر على قوله: ويكون أخي ووصيي ، وذلك لقاء خمس مائة جنيه ، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه (راجع: فلسفة التوحيد والولاية/١٧٩) .

ثم رد صاحب الصحيح كلام ابن تيمية فقال:« وقد حاول ابن تيمية أن يقوي جانب روايات أخرى تبعد علياً وأهل البيت عليهم السلام عن الأنظار ، بل وتستبعد الهاشميين منه عموماً أيضاً ، كتلك الروايات التي في الصحيحين التي تقول إنه جمع قريشاً حين نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ، فاجتمعوا فخص وعم فقال: يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار الخ.. وفي رواية أخرى أنه جمع بني هاشم وأجلسهم على الباب وجمع نساءه فأجلسهم في البيت ، ثم كلم بني هاشم ، وبعد ذلك أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا أم سلمة ويا فاطمة بنت محمد ويا أم الزبير عمة رسول الله ، إشتروا أنفسكم في الله واسعوا في فكاك رقابكم ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ولا أغني ! فبكت عائشة». انتهى.

ثم رد صاحب الصحيح هذه الروايات لأن فاطمة عليها السلام لم تكن مولودة يومها ، وعائشة وحفصة وأم سلمة لم يكنَّ من أزواجه ! ولأنها تناقض ما ثبت من أن النبي صلى الله عليه وآله إنما دعا قريشاً بعد نزول قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ .

٣- مطلبان للنبي صلى الله عليه وآله من بني هاشم

اتفق الرواة على أن النبي صلى الله عليه وآله قال لبني هاشم:«إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم » ؟

فطلب منهم رجلاً يعاهده ويبايعه على نصرة نبوته فيتخذه وزيراً وأخاً ووصياً وخليفةً . وكان أبو طالب وحمزة مسلمينْ لكنهما سكتا ولم يجيبا النبي صلى الله عليه وآله لأنهما كانا يكتمان إيمانهما بالإتفاق معه صلى الله عليه وآله ، فلو أعلن أبو طالب إسلامه وهو رئيس بني هاشم لجُنَّ جنون قريش وأعلنت الحرب على بني هاشم !

وشبيهٌ به لو أعلن حمزة إسلامه يومذاك . كما كان جعفر بن أبي طالب مسلماً أيضاً ، لكنه لم يعلن إسلامه في ذلك الإجتماع لأنه عرف أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يتخذ علياً وصياً وليس جعفراً ، فسكت ليجيب علي ويكون الوحيد الذي يتقدم لمعاهدة النبي صلى الله عليه وآله ، فكان علي عليه السلام وحده المستعد فنفذ النبي صلى الله عليه وآله أمر ربه وأعلنه وزيراً وخليفة ، وكان ذلك إخباراً بأن علياً عليه السلام سيعيش بعده !

٤- النبأ العظيم نبوة محمد صلى الله عليه وآله واتخاذه ابن عمه عليه السلام وصياً

اتفق الرواة على أن سورة النبأ نزلت في الثلاث سنوات الأولى ، ويؤيد ذلك أنها لاتتضمن إشارة الى صراع النبي صلى الله عليه وآله مع المشركين ، إلا تساؤلهم عن النبأ العظيم الذي حيرهم ! قال تعالى: عَمَّ يَتَسَاءلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الأرض مِهَاداً . وَالجِبَالَ أَوْتَاداً . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا..الخ.

فقد كانت البعثة في أولها وكان زعماء قريش يتساءلون عن النبأ العظيم وهو عندهم أن بني هاشم انشقوا على قريش ، وادعى ابنهم النبوة ، ثم اختار ابن عمه وصيه وخليفته ، وكأن قبائل قريش لاوجود لها !

فزعماء بطون قريش لايهمهم مضمون دعوة النبي صلى الله عليه وآله ولامعجزاته ! لأنهم لايفهمون النبوة إلا انشقاقاً من بني هاشم على قريش !

وقد أرادوا أن يتأكدوا من ذلك فقام أبو سفيان باستطلاع الأمر ، وروايته بسند صحيح عندهم ، رواها في المناقب:٢٧٦/٢، من تفسير القطان عن وكيع ، عن سفيان عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي قال:

« أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك ، لنا أم لِمَنْ؟ قال: يا صخر الأمر بعدي لمن هو بمنزلة هارون من موسى ! قال: فأنزل الله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . منهم المصدق بولايته وخلافته ، ومنهم المكذب بهما ! ثم قال: كلا. ورد عليهم: سيعلمون: خلافته بعدك أنها حق . ثم كلا سيعلمون: ويقول: يعرفون ولايته وخلافته ، إذ يُسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام بعد الموت يقولان للميت: من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك ؟».

ورواه ابن طاووس في اليقين /٤١٩، بطريق آخر.

وفي الكافي: ٢٠٧/١، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال أبو حمزة الثمالي:«قلت له: جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: عم يتساءلون عن النبأ العظيم: قال: ذلك إليَّ ، إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم ، ثم قال: لكني أخبرك بتفسيرها ، قلت: عم يتساءلون؟ قال فقال: هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، كان أمير المؤمنين يقول: ما لله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا لله من نبأ أعظم مني». وتفسير القمي:٤٠١/٢ ، وتفسير فرات/٥٣٣، والطرائف/٩٤، واليقين/٤١٠، وغيرها.

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٧٦/٢:« خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح ومصحف فوقه وهو يقول: عم يتساءلون؟ فأردت البراز فقال عليه السلام: مكانك وخرج بنفسه وقال: أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون؟قال: لا ، قال: والله إني أنا النبأ العظيم الذي فيَّ اختلفتم ، وعلى ولايتي تنازعتم ، وعن ولايتي رجعتم

بعد ما قبلتم ، وببغيكم هلكتم بعد ما بسيفي نجوتم ، ويوم غدير خم قد علمتم ويوم القيامة تعلمون ما عملتم ، ثم علاه بسيفه فرمى رأسه ويده» !

وفي عيون أخبار الرضا: ٩/١ ، عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام:« قال رسـول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنت حجة الله ، وأنت باب الله ، وأنت الطريق إلى الله وأنت النبـأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم». وفي مناقب آل أبي طالب:٢٧٧/٢:«وقال السوسي:

إذا نـادت صـوارمه سـيوفاً ... فليس لها سـوى نعـم جـواب

طعام سـيوفه مهـج الأعـادي ... وفيض دم الرقاب لهـا شـراب

وبـين سـنانه والـدرع صـلحٌ ... وبين البيض والبيض اصطحاب

هو النبأ العظيم وفلـك نـوح ... وبـاب الله وانقطـع الخطـاب

وفي المزار للمفيد/٧٨: «السلام عليك يا سيد الوصيين ، السلام عليك يـا حجـة الله على الخلق أجمعين ، السلام عليك أيها النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنـه مسؤولون». وفي عيون المعجزات/١٣٦: « من ألقابه عليه السلام: النبأ العظيم».

وورد عن أهل البيت عليهم السلام أن معنى: كَلا سَيَعْلَمُونَ. أنهـم سيعلمون عنـد ظهـور الإمام المهدي عليه السلام ثم يوم القيامة أن الإسلام حق بقيادة العترة عليهم السلام. راجـع: معجـم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٧٧/٥ ، والقمي: ٤٠١/٢ .

أقول: هذا هو التفسير الصحيح للنبأ العظـيم الـذي أرّق القرشـيين وتسـاءلوا عنـه واختلفوا وتداولوا الموقف منه ، وليس النبأ العظيم الآخرة كما زعم بعضهم ، فليقل محمد إنه يوجد خمسون آخرة ! ولا هو القرآن ، فلينزل عليه خمسون قرآناً ! ولا هو سب أصنامهم ، فإنما هي أحجار منصوبة لخدمتهم ، وهم مستعدون أن يبيعوها بثمن جيد ! بل ليس هو حتى النبوة ، فهم مستعدون لأن (يقبلـوا) النبـوة علـى صـعوبتها عليهم ، لكن بشرط أن يعطيهم القيادة بعده ! أما قيادة بني هاشم بعده ، فهـي الكفـر العظيم والنبأ العظيم !

قال الإمام الصادق عليه السلام:« النبأ العظيم: الولاية». (الكافي:٤١٨/١).

وقد فسر أتباع الخلافة النبأ العظيم بالقيامة أو القرآن ، بدون مستند إلا أقوال مفسري الدولة الأموية ! فقد قال مجاهد هو القيامة ، وقال قتادة هو القرآن ، ثم روي عن قتادة أنه وافق على أنه القيامة ، وعن ابن زيد أنه القرآن ، وقال الحسن البصري نحوه ! راجع: تفسير عبد الرزاق (٣٤٢/٣) والطبري (٤/٣٠) والرازي (٣/٣١).

فتراهم أبعدوا تساؤل قريش واختلافهم عن أحداث البعثة ، وعن حديث جمع النبي صلى الله عليه وآله لبني هاشم ، وقد كانت تؤرقهم أكثر من القرآن والقيامة ! وقد رووا نحو ذلك لكنهم أعرضوا عنه ! قال الطبري:٣/٣٠:« عن الحسن قال: لما بعث النبي جعلوا يتساءلون بينهم فأنزل الله: عم يتساءلون عن النبأ العظيم، يعني الخبر العظيم» !

ويظهر أن بعض مفسرينا القدامى لم يطلعوا على أحاديث أهل البيت عليهم السلام فتردد بين بين التفسيرين ! قال في جوامع الجامع:٧١٠/٣:« وهو نبأ يوم القيامة والبعث أو أمر الرسالة ولوازمها» . ووافق بعض متأخريهم مفسري الحكومات ! كصاحب الميزان: (٢٢٣/١٧) فقد فسر النبأ العظيم في سورة صاد بالقرآن وقال:«وهو أوفق بسياق الآيات السابقة المرتبطة بأمر القرآن» ثم فسره في سورة النبأ (١٦٣/٢٠) بأنه القيامة وقال:«في بعض الأخبار أن النبأ العظيم علي عليه السلام وهو من البطن».

وتبعه صاحب تفسير الأمثل: ٥٥٥/١٤، و: ٣١٧/١٩، وعقد عنواناً: «الولاية والنبأ العظيم» ذكر فيه أن تفسير النبأ العظيم بالولاية من الباطن ، وأورد بعض رواياته وحاول أن يجمع بينه وبين تفسير النبأ العظيم بالمعاد !

وقد فاتهم أن ما كان يؤرق زعماء قريش ويتساءلون عنه هو نبأ بعثة النبي صلى الله عليه وآله وجمعه بني هاشم واتخاذه وصياً منهم ، فهذا هو الظاهر والأنسب بالسياق .

أما القرآن والقيامة وكل عقائد الإسلام ، فكانت أقل وقعاً عليهم من النبوة والوصاية ، فكيف تصير ظاهراً ، وتصير النبوة والإمامة باطناً .

بل كيف تكون أحاديث أهل البيت عليهم السلام الصريحة المستفيضة تفسيراً بالباطن؟!

الفصل الرابع عشر

أبو طالب يوحد بني هاشم لحماية النبي صلى الله عليه وآله

١- أبو طالب ينهض في مواجهة قريش

قال الإمام الصادق عليه السلام (الكافي:٤٤٩/١): « إن مَثَلَ أبي طالب مثلُ أصحاب الكهف ، أسرُّوا الإيمان وأظهروا الشرك ، فآتاهم الله أجرهم مرتين. قيل له: إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً ؟ فقال: كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً   نبياً كموسى خط في أول الكتب » !

وشعر أبي طالب رحمه الله صريح بإسلامه ، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام متواترة في ذلك وقد صنف العلماء في إيمانه رحمه الله رسائل وكتباً مفردة . وتقدم بما لامزيد عليه أنه كان يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته وينتظر ذلك ، وعندما بعثه الله تعالى آمن به ، وأخذ يتهيأ لمواجهة عاصفة قريش ضده .

وسرعان ما اتخذ زعماء قريش قرار المواجهة ، وجاؤوا الى أبي طالب يطلبون منه أن يتراجع محمد صلى الله عليه وآله عن نبوته أو يسلمه اليهم ليقتلوه !

وقد ردهم أبو طالب وهددهم ، وأقنع بني هاشم بحماية النبي صلى الله عليه وآله من عدوان قريش ، مستفيداً من هيبته أبيه عبد المطلب وهاشم ووشجاعة بنيه ومجدهم ، ومستعملاً شاعريته في بعث حميتهم ، ولعل أول شعر قاله في ذلك:

« حتى متى نحن على فترةٍ — يا هاشماً والقومُ في جَحْفَلِ
تدعونَ بالخيل على رقبة — منّا لدى خوفٍ وفي معزل
كالحرة السوداء تغلو بها — سرعانها في سبسبٍ مَجهل
عليهم الترك على رعلةٍ — مثل القطا الساري للمنهل
ياقوم ذودوا عن جماهيركم — بكل مفضال على مسبل
حديد خمس لهزٌ خده — مآرثُ الأفضل فالأفضل
عريض ستٍ لهبٌ خصرُهُ — يصان بالتذليق في مجدل
كم قد شهدت الحرب في فتية — عند الوغى في عَثْيَر القسطل
لا متنحينَ إذا جئتهم — وفي هياج الحرب كالأشبل

فلما استجاب لأبي طالب بنو هاشم وبنو المطلب ، وثق بأمره في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجهر في مقاومة بطون قريش ، وقال:

منعنا الرسول رسول المليكْ — ببيض تلألأ كلمع البروقْ
بضرب يذيب بدون النهاب — حذار الوتائر والخنفقيق
أذب وأحمي رسول المليك — حماية عم عليه شفيق
وما أن أدب لأعدائه — دبيب البكار حذار الفنيق
ولكن أزير لهم سامياً — كما زار ليث بغيل مضيق

ولما رأى أبو طالب من قومه ما سره من حدبهم معه ، جعل يمدحهم ويذكر

قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ليشتد لهم رأيهم فيه ، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخر — فعبد منافٍ سِرُّها وصَميمُها
وإن حصلت أشرافُ عبد منافها — ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً — هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثُّها وسمينُها — علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامة — إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة — ونضرب عن أحجارها من يرومها

(المناقب والمثالب للقاضي النعمان المغربي/٨٦، وسيرة ابن إسحاق: ١٢٩/٢، وغيره).

٢- وشذ أبو لهب فحاول أبو طالب تحريك شهامته

«عجبت لحلمٍ يا ابن شيبة حادثٍ — وأحلام أقوامٍ لديك سخافِ
يقولون شايعْ من أراد محمداً — بسوء وقم في أمره بخلاف
أصاميم إمّا حاسدٌ ذو خيانة — وإمّا قريب منك غير مصاف
فلا تتركن الدهر منه ذمامه — وأنت امرؤٌ من خير عبد مناف
ولا تتركنه ما حييت واطعمن — وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
تذود العدى من ذروة هاشمية — ألا فهم في الناس خير إلاف
فإن له قربى لديك قريبة — وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم من صميمها — إلى أبحر فوق البحور طواف
وزاحم جميع الناس عنه وكن له — وزيراً على الأعداء غير مخاف
فإن غضبت منه قريش فقل لها — بني عمنا هل قومكم بضعاف

فما بالنا تعشون منا ظلامة ... وما بال أرحام هناك جوافي
وما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا ... ولا نحن فيما ساءهم بخفاف
ولكننا أهل الحفائظ والنهى ... وعز ببطحاء الحطائم واف »

(ابن إسحاق: ١٨٩/٤)

لكن أبا لهب ساء توفيقه فانضم الى أعداء النبي صلى الله عليه وآله فذمه أبو طالب !

قال ابن إسحاق: ١٣١/٢:« أقبل أبو طالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه ونصب العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله مع من نصب له ، وكان أبو لهب للخزاعية ، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فغمزه أبو طالب بأم له يقال لها سماحيج ، وأغلظ له في القول:

مستعرض الأقوام يخبرهم ... عذري وما أن جئت من عذر
فاجعل فلانة وابنها عوضاً ... لكرائم الأكفاء والصهر
واسمع نوادر من حديث صادق ... تهوين مثل جنادل الصخر
إنا بنو أم الزبير وفحلها ... حملت بنا للطيب والظهر
فحرمت منا صاحباً ومؤازراً ... وأخاً على السراء والضر »

«ثم قال أبو طالب في شعر قاله حين أجمع لذلك من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله والدفاع عنه ، على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاجهد لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... فلقد صدقت وأنت كنت أمينا

وعرضت ديناً قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

فلما قالت قريش لقد سفه أحلامنا وعاب ديننا وسب آباءنا ، فوالله لا نُقِرُّ بهذا أبداً ! وقام أبو طالب دون رسول الله وكان أحب الناس اليه، فشمر في شأنه ونادى قومه قال قصيدة يعوِّر فيها منهم ، وبأذاهم... (ابن إسحاق: ١٣٦/٢. ويقصد لاميته الآتية).

٣- عرضوا على أبي طالب أن يأخذ شاباً بدل النبي صلى الله عليه وآله!

قال ابن إسحاق: ١٣٣/٢: «ثم إن قريشاً حين عرفت أن أبا طالب أبا خذلان رسول الله (ص) وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعدواتهم ، مشوا اليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنا:

يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عمارة بن الوليد جمالاً وشباباً ونهادة ، فهو لك نصره وعقله ، فاتخذه ولداً لا تنازع فيه ، وخل بيننا وبين ابن أخيك ، هذا الذي فارق دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه وسفه أحلامهم ، فإنما رجل كرجل لنقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة وأفضل في عواقب الأمور مغبة .

فقال لهم أبو طالب: والله ما أنصفتمومي! تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابن أخي تقتلونه ! هذا والله لا يكون أبداً ، أفلا تعلمون أن الناقة إذا فقدت ولدها لم تحن إلى غيره !

فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: لقد أنصفك قومك يا أبا طالب

وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم !

فقال أبو طالب للمطعم بن عدي: والله ما أنصفتموني ، ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال أبو طالب !

فحقب الأمر عند ذلك وجمعت للحرب ، وتنادى القوم ونادى بعضهم بعضاً فقال أبو طالب عند ذلك ، وإنه يعرض بالمطعم ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه فيما طلبوا منه:

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظي من حياطتكم بكر

من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر

تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذا ما على الفيفاء تحسبه وبر

أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر

يلي لهما أمر ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذي العلق الصخر

هما أغمزا للقوم في أخويهما ... وقد أصبحا منهم أكفهما صفر

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلاً ... هما نبذانا مثل ما نبذ الجمر

فأقسمت لا ينفك منهم مجاور ... يجاورنا ما دام من نسلنا شفر

هما اشتركا في المجد من لا أخاله ... من الناس إلا أن يرس له ذكر

وليداً أبوه كان عبدا لجدنا ... إلى علجة زرقاء جاش بها البحر

وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا ابتغى النصر

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر شرها جهلت جفر »

والمناقب والمثالب للقاضي المغربي/٨٧ ورواها ابن هشام: ١٧٣/١، وقال:«تركنا منها بيتين أقذع فيهما». وقال الأميني في الغدير:٣٦١/٧: «حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات...

وما ذاك إلا سؤدد خصنا به ... إلهُ العباد واصطفانا له الفخر

رجال تمالوا حاسدين وبغضة ... لأهل العلى فبينهم أبدا وتر

وليد أبوه كان عبدا لجدنا ... إلى علجة زرقاء جاش بها البحر

يريد به الوليد بن المغيرة »..

وفي مناقب آل أبي طالب:٥٢/١:« روى ابن بابويه في كتاب النبوة عن زين العابدين عليه السلام: «أنه اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله عنده فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف ، قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله. ألا أن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبتت البغضاء !

فقال: يا ابن أخي أسمعت؟ قال: يا عم لو أنصفني بنو عمي لأجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ! إن الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دينه الحنيفية ملة إبراهيم ، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان ، ومن عصائي قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . فقالوا: قل له يكف عن شتم آلهتنا ، فلا يذكرها بسوء . فنزل(فيما بعد): قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ. (الزمر:٦٤).

فقالوا: قل له أرسله الله الينا خاصة أم إلى الناس كافة ؟ قال: بل أرسلت إلى الناس كافة إلى الأبيض والأسود ، ومن على رؤس الجبال ، ومن في لجج البحار ولأدعون فارس والروم: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا.

فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا ، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً ! فنزل (فيما بعد): وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ...(القصص: ٥٧) وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ».

٤. من هو عمارة الذي أرادوا أن يعطوه بدل النبي صلى الله عليه وآله؟

هو عمارة بن الوليد بن المغيرة . أبوه الوليد رئيس المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وآله ورئيس قبيلة مخزوم ، والمذموم في سورة المدثر ! فقد بلغ كيده أنه أخذ ابنه عمارة معه الى أبي طالب وعرض عليه أن يعطيه إياه ويعطيهم محمداً صلى الله عليه وآله فيقتلونه ! وكان عمارة يومها متزوجاً وله أولاد !

وتصور ابن عبد البر أنه ابن الوليد بن الوليد فيكون ابن أخ خالد(الإستيعاب: ١٥٥٧/٤) لكنه ابن الوليد الأب ، وأخ خالد ،كما نص عليه في شرح النهج (٣٠٤/٦) وغيره .

وكان عمارة جميلاً فاتكاً ماجناً ، وذكر ابن حبيب في المنمق/١٣٠، أن عمر بن الخطاب كان يخدمه في سفره فأراد أن يقتله فهرب عمر منه. وكان عمارة يشبه عمرو بن العاص في دهائه ومجونه ، وقد أرسلتهما قريش الى النجاشي يطلبان منه إرجاع المسلمين المهاجرين اليهم !

قال ابن أبي شيبة: ٤٦٥/٨:«وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً ». وذكر قصتهما عندما سافرا في البحر فشربا خمراً وأراد عمارة زوجة عمرو وألقاه في البحر ليغرقه ، فنجا عمرو وعاد الى السفينة ، وأخذ يخطط لقتل عمارة فأرسل الى أبيه العاص:« أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وسائر بني مخزوم ، وخشي على أبيه أن يتبع بجريرته ، فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل ، مشى إلى رجال بني المغيرة وبني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم ، وكلاهما فاتك صاحب شر ، غير مأمونين على أنفسهما ، ولا أدري ما يكون منهما ، وإني أبرأ إليكم من عمرو وجريرته ، فقد خلعته.فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم: وأنت تخاف عمراً على عمارة! ونحن فقد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته فخل بين الرجلين ، قال قد فعلت! فخلعوهما وبرئ كل قوم من صاحبهم وما يجرى منه».(شرح النهج: ٣٠٤/٦).

ثم أوقع ابن العاص بعمارة عند النجاشي وأثبت للنجاشي أنه يخونه في جاريته فعاقبوه وقيل سحروه ، فهام على وجهه مع الوحوش حتى مات !

قال العلامة في تحرير الأحكام:٣٩٧/٥:« والسحر الذي يجب به القتل هو ما يعد في العرف سحراً ، كما نقل الأموي في مغازيه أن النجاشي دعا السواحر فنفخن في إحليل عمارة بن الوليد فهام مع الوحش، فلم يزل معها إلى أمارة عمر بن الخطاب فأمسكه إنسان فقال: خلني وإلا متُّ ! فلم يخله فمات من ساعته » !

ويقصد بالأموي: صاحب الأوزاعي ، الوليد بن مسلم الأموي الدمشقي مولاهم ، توفي سنة١٩٥، له مصنفات في الحديث والتاريخ والمغازي. (الديباج:٣٤/١، وهدية العارفين:٥٠٠/٢).

٥- سورة المدثر تَقْرع رئيس المستهزئين الوليد بن المغيرة !

برز من قريش خمسة فراعنة هم «المستهزئون» ورئيسهم الوليد بن المغيرة المخزومي يضع لهم الخطط ويجمعهم ، وقد التقوا بالنبي صلى الله عليه وآله وأقام لهم الأدلة على نبوته وأراهم المعجزات التي طلبوها ، فلم يزدهم ذلك إلا كفراً وعتواً !

وكثر ذهابهم الى أبي طالب مطالبين أن يسلمهم النبي صلى الله عليه وآله ليقتلوه ، ورد عليهم أبو طالب بالرفض ، وحشَد بني هاشم ووحَّدهم لحماية النبي صلى الله عليه وآله !

وتوالى نزول القرآن في هذه المدة ، فاعتبروه تحدياً لهم وسبّاً لأصنامهم . وعندما اقترب موسم الحج للسنة الثانية من البعثة ، قام الوليد بتوحيد موقفهم أمام العرب الوافدين الى الحج !

« ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً. قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول فيه. قال: بل أنتم فقولوا ، أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون.

قال: ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر ، قد رأينا السُّحَّار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لَعَذِقٌ وإن فرعه لجُناه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته..

فلما أقبلت العرب خرجوا يجلسون على طرقها يحذرون منه كل من قدم ويقولون: حدث عندنا ساحر فإياكم أن يهلككم بسحره !

وأنزل الله عز وجل في ذلك في الوليد بن المغيرة: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً . وَبَنِينَ شُهُوداً . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لاتُبْقِي وَلاتَذَرُ . لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . (المدثر: ١١-٣٠). فلم يزالوا يقولون ذلك لكل من جاء من ناحية من نواحي بلاد العرب ، حتى صدروا عن الحج وأغروهم به واستنصروهم عليه ، فوعدهم كثير منهم النصرة ، وانتشر ذلك من أمرهم في العرب .

وخاف أبو طالب دهماءها واجتماعها على رسول الله ﷺ للحمية في دينها ،

وتحريض قريش عليه واستنفارهم إليه ، وأشفق من ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله إشفاقاً شديداً ، فلم يرَ في دفع ذلك عنه إلا إصلاح جانب العرب له . وكان إظهار أبي طالب ما يظهره من التمسك بدين العرب تقيّة عليه وذباً عنه ، لأنه لو أظهر الإسلام كما أظهره حمزة لرفضته العرب ولم تلتفت إليه... وكان أبو طالب سيداً من سادات العرب ، تعرف له حقه ولا تكاد تدخل فيما يسوءه ، ولا تظاهره إلاّ بالمعروف وهو على دينها ، فقال شعره الذي استعطف العرب به وتودد إلى أشرافها فيه ، ليصرفهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرهم أنه على دينهم لم يبدّله».

(المناقب والمثالب/٩٢ ، لأبي حنيفة النعمان المغربي المتوفى٣٦٣ ، والإكتفاء:٢١٨/١، لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي المتوفى٦٣٤. وابن إسحاق: ١٣١/٢، وغيرها، وكلها تصرح بأن أبا طالب كان مسلماً).

٦- أبو طالب يطلق لاميته في بلاد العرب

قال ابن كثير في النهاية: ٧٠/٣:« قال ابن إسحاق: ولما خشي أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله ولا تاركه لشئ أبداً حتى يهلك دونه».

ثم أورد القصيدة برواية ابن هشام ، ورد على تشكيك بعضهم في نسبة بعض أبياتها الى أبي طالب ، قال ابن كثير:« قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها. قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة

جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه وهي أفحل من المعلقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات أخر».

أقول: يظهر لك أن لامية أبي طالب رحمه الله كانت في السنة الثانية للهجرة قبل موسم الحج أو بعده ، رداً على إعلام قريش الكاذب وتحريضهم العرب على النبي صلى الله عليه وآله وقد أخطأ العديد من كتَّاب السيرة في وقت القصيدة فجعلوه بعد محاصرة قريش لبني هاشم في الشعب ، أو عندما عرضت قريش عليه شاباً بدل النبي صلى الله عليه وآله..الخ.

قال ابن حجر في فتح الباري: ٤٤٢/٣: « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... وهذا البيت من قصيدة لأبي طالب ، ذكرها ابن إسحاق بطولها ، وهي أكثر من ثمانين بيتاً ، قالها لما تمالأت على النبي (ص) ونفَّروا عنه من يريد الإسلام ».

وقال العصامي في سمط النجوم/٢٣١:« قلت: لم أظفر من هذه القصيدة إلا بنحو السبعة والثمانية الأبيات في غالب كتب السير ، ولم أزل أطلبها حتى ظفرت بغالبها من تاريخ العلامة الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المسمى دول الإسلام، فنقلتها منه ولله الحمد ».

وقوله عجيب ، لأن الذهبي أورد منها في تاريخه: ١٦٢/١، تسعة عشر بيتاً فقط ! فلا بد أنهم حذفوا بقيتها من نسخته المطبوعة !

وقال ابن أبي الحديد في شرحه:٣١٥/٢ ، بعد أن أورد جملة من شعر أبي طالب: «فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله، ومجموعها

متواتر كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ، ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروري بشجاعته ، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف... قالوا: واتركوا هذا كله جانباً: ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة قفا نبك. فإن جاز الشك فيها أو في شئ من أبياتها ،جاز الشك في: قفا نبك ، وفي بعض أبياتها ».

وقال الأميني في الغدير:٣٤٠/٧:« هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته: ٢٨٦/١ أربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه: ٥٣/٣ ، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير. وأضاف الأميني: وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب/٢ ، في مائة وأحد عشر بيتاً ، ولعلها تمام القصيدة ».

وقال في إرشاد الساري:٢٢٧/٢: «قصيدة جليلة بليغة من بحر الطويل ، وعدة أبياتها مائة وعشرة أبيات ، قالها لما تمالأ قريش على النبي ونفروا عنه من يريد الإسلام... وقال في عمدة القاري: ٤٣٤/٣: « قصيدة طنانة وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها: خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل.

وذكر منها البغدادي في خزانة الأدب: ٢٥٢/١ ، اثنين وأربعين بيتاً مع شرحها... وذكر الآلوسي عدة منها في بلوغ الإرب: ٢٣٧/١ ، وذكر كلمة ابن كثير المتقدمة ، وقال: هي مذكورة مع شرحها في كتاب لب لباب لسان العرب.

وذكر منها السيد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبوية(هامش الحلبية: ٨٨/١) وقال:

قال الإمام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخاري: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه ، مع ما شاهده من أحواله ، ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته (ص) جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره.

قال الأميني: أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والإعتراف بالنبوة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار ! ولو وجد واحد منها في شعر أي أحد أو نثره لأصفق الكل على إسلامه ، لكن جميعها لا يدل على إسلام أبي طالب ! فاعجب واعتبر ». انتهى.

وقال العسكري في كتابه: أبو طالب حامي الرسول صلى الله عليه وآله ١٠٨/١: «وخرجها أبو هفان العبدي (توفي ٢٥٧) فيما جمعه من شعر أبي طالب ، وهو معروف بديوان أبي طالب عليه السلام من ٢/ إلى ١٢/، طبع النجف الأشرف في مائة واحد عشر بيتاً ، وخرجناها في كتابنا: الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب عليه السلام نقلاً من كتب عديدة ، وفيها زيادة على جميع من ذكر القصيدة ، وما ذكرناه مائة وستة عشرة بيتاً...».

وقال صاحب الصحيح من السيرة: ٥٢/١٥: « وما دام أن رسول الله صلى الله عليه وآله يحب لهذه القصيدة أن تذكر في محافل أهل الإيمان ، فإنني أحب أن أثبتها هنا ليرغم بها أنف الشانئ والناصب ، ولتقر بها عين رسول الله صلى الله عليه وآله وعين أبي طالب ، وعين ابنه أسد الله الغالب ، وعين من هو لشفاعته طالب ». وأوردها بمئة وثمانية عشر بيتاً.

ونحن نوردها برواية ابن هشام: ١٧٦/١، لأنها الرواية الرسمية ، ونثبت أهم ما لم يورده من نسخة صاحب الصحيح بين معقوفين. قال: « فلما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسَلِّم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تاركه لشئ أبداً حتى يهلك دونه ، فقال:

[خليليَّ ما أذني لأول عاذلِ ... بصغواء في حق ولا عند باطلِ]

[خليلي إن الرأي ليس بشركة ... ولا نهنهٍ عند الأمور التلاتلِ]

وَلَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فِيهِمْ ... وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُونَا بِالعَدَاوَةِ وَالأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزَايِلِ

وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ المَقَاوِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ البَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي ... وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالوَصَائِلِ

قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ ... لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ

وَحَيْثُ يُنِيخُ الأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ ... بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافَ وَنَائِلِ

مُوَسَّمَةُ الأَعْضَادِ أَوْ قَصِرَاتِهَا ... مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ

تَرَى الوَدْعَ فِيهَا ، وَالرُّخَامَ وَزِينَةً ... بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَالعَثَاكِلِ

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ

وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ ... وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلْ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءَ وَنَازِلِ

وَبِالبَيْتِ حَقَّ البَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ ... وَبِاللهِ إنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَبِالحَجَرِ المُسْوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَهُ ... إذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالأَصَائِلِ
وَمَوْطِئِ إبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً ... عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ
وَأَشْوَاطِ بَيْنَ المَرْوَتَيْنِ إلَى الصَّفَا ... وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَاثِلِ
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ ... وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
وَبِالمَشْعَرِ الأَقْصَى إذَا عَمَدُوا لَهُ ... إلالٍ إلَى مُفْضَى الشِّرَاجِ القَوَابِلِ
وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الجِبَالِ عَشِيَّةً ... يُقِيمُونَ بِالأَيْدِي صُدُورَ الرَّوَاحِلِ
وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالمَنَازِلِ مِنْ مِنًى ... وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
وَجَمْعٍ إذَا مَا المُقْرَبَاتُ أَجَزْنَهُ ... سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ
وَبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى إذَا صَمَدُوا لَهَا ... يَؤُمُّونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالجَنَادِلِ
وَكِنْدَةَ إذْ هُمْ بِالحِصَابِ عَشِيَّةً ... تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ
حَلِيفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا اخْتَلَفَا لَهُ ... وَرَدَّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الوَسَائِلِ
وَحَطْمِهِمْ سُمْرَ الرِّمَاحِ وَسَرْحَهُ ... وَشِبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعَامِ الحَوَامِلِ
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِذٍ ... وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللهَ عَاذِلِ
يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ العِدَا وَدَّ أَنَّنَا ... تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَابُلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ ... وَنَظْعَنُ إلا أَمْرُكُمْ فِي بَلابِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلْ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلائِلِ

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِـي الحَدِيـدِ إلَـيْكُمْ ... نُهُوضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاصِـلِ
وَحَتَّى تَرَى ذَا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... مِنَ الطَّعْنِ فِعْـلَ الأَنْكَبِ المُتَحَامِـلِ
[أبيـت بحمـد الله تـرك محمـد ... بمكـة أسـلمه لشـر القبائـل]
[وقال لـي الأعـداء قاتـل عصـابة ... أطاعوه ، وابغه مـن جميـع الغوائـل]
[نقـيم علـى نصـر النبـي محمـد ... نقاتـل عنـه بـالظبى والعواسـل]
وَإِنَّـا لَعَمْـرُ اللهِ إنْ جَـدَّ مَـا أرَى ... لَتَلْتَبِسَـن أَسْـيَافُنَا بالأَمَاثِـلِ
بِكَفَّيْ فَتًى مِثْـلَ الشِّهَابِ سَـمَيْدَعٍ ... أَخِـي ثِقَـةٍ حَـامِي الحَقِيقَـةِ بَاسِـلِ
شُـهُوراً وَأَيَامًـا وَحَـوْلاً مُجَرَّمـاً ... عَلَيْنَـا وَتَـأْتِي حِجَّـةٌ بَعْـدَ قَابِـلِ
وَمَا تَـرْكُ قَـوْمٍ لا أَبَـا لَـك سَـيِّداً ... يَحُـوطُ الـذِّمَارَ غَيْـرَ ذَرْبٍ مُوَاكِـلِ
[وما ترك قـوم لا أبـاً لـك سـيداً ... يحـوط الـذمار غيـر ذرب مواكـل]
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْـقَى الغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ... ثِمَـالَ اليَتَـامَى عِصْـمَةٌ لِلأَرَامِـلِ
يَلُـوذُ بِـهِ الهُلَّـاكُ مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ ... فَهُـمْ عِنْـدَهُ فِـي رَحْمَـةٍ وَفَوَاضِـلِ
لَعَمْرِي لَقَـدْ أَجْـرَى أَسِيدٌ وَبِكْـرُهُ ... إلَـى بُغْضِـنَا إذ جَزْآنَـا لآكِـلِ
[جـزت رحـم عنـا أسـيداً ... وخالداً جزاء مسئ لا يـؤخر عاجـل]
وَعُثْمَـانُ لَـمْ يَرْبَـعْ عَلَيْنَـا وَقُنْفُـذٌ ... وَلَكِـنْ أَطَاعَـا أَمْـرَ تِلْـكَ القَبَائِـلِ
أَطَاعَـا أُبَيًّـا ، وَابْـنَ عَبْـدِ يَغُـوثِهِمْ ... وَلَـمْ يَرْقُبَـا فِينَـا مَقَالَـةَ قَائِـلِ
كَمَا قَـدْ لَقِينَـا مِـنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَـلٍ ... وَكُـلٌّ تَـوَلَّى مُعْرِضًـا لَـمْ يُجَامِـلْ
فَـإِنْ يُلْفَيَـا ، أَوْ يُمْكِـنُ اللهُ مِنْهُمَـا ... نَكِـلْ لَهُمَـا صَـاعًا بِصَـاعِ المُكَايِـلِ

وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرَ بُغْضِنَا ... لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ

يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُمْسًى وَمُصْبَحٍ ... فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍ بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ

وَيُؤْلِي لَنَا بِاللهِ مَا إِنْ يَغُشَّنَا ... بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ

أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ ... مِنْ الأرض بَيْنَ أَخْشُبٍ فَمَجَادِلِ

وَسَائِلْ أَبَا الوَلِيدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا ... بِسَعْيِك فِينَا مُعْرِضًا كَالمُخَاتِلِ

وَكُنْت امْرِئٍ مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ ... وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْت بِجَاهِلِ

[فلست أباليه على ذات نفسه ... فعش ياابن عمي ناعماً غير ماحل]

فَعُتْبَةُ لا تَسْمَعْ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ ... حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ

[وقد خفت إن لم تزدجرهم وترعووا ... تلاقي ونلقى منك إحدى البلابل]

وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقَاوِلِ

يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ ... وَيَزْعَمُ أَنِّي لَسْت عَنْكُمْ بِغَافِلِ

وَيُخْبِرُنَا فِعْلَ المُنَاصِحِ أَنَّهُ ... شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ

[وأعلم أن لا غافل عن مساءة ... كذاك العدو عند حق وباطل]

[فميلوا علينا كلكم إن ميلكم ... سواء علينا والرياح بهاطل]

أَمُطْعِمُ لَمْ أَخْذُلْك فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ ... وَلا مُعْظِمٌ عِنْدَ الأُمُورِ الجَلائِلِ

وَلا يَوْمَ خَصْمٍ إِذْ أَتَوْك أَلِدَّةً ... أُولِي جَدَلٍ مِنْ الخُصُومِ المَسَاجِلِ

أَمُطْعِمُ إِنّ القَوْمَ سَامُوك خُطَّةً ... وَإِنِّي مَتَى أُوكَلْ فَلَسْت بِوَائِلِ

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لا يُخِيسُ شَعِيرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ
لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا ... بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بِنَا وَالغَيَاطِلِ
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... وَآلِ قُصَيٍّ فِي الخُطُوبِ الأَوَائِلِ
[وكان لنا حوض السقاية فيهم ... ونحن الذرى منهم وفوق الكواهل]
[فما أدركوا زحلاً ولا سفكوا ... دماً وما خالفوا إلا شرار القبائل]
وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَالَوْا وَأَلَّبُوا ... عَلَيْنَا العِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ
[وحث بنو سهم علينا عديَّهم ... عدي بن كعب فاحتبوا في المحافل]
[يعضُّون من غيظ علينا أكفهم ... بلا ترةٍ بعد الحمى والتواصل]
[وشأيظ كانت في لؤي بن غالب ... نفاهم إلينا كل صقر حلاحل]
فَعَبْدَ مَنَافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ ... فَلا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ ... وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ
وَكُنْتُمْ حَدِيثاً حَطْبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمْ ... أَلانَ حِطَابُ أَقْدُرٍ وَمَرَاجِلِ
لِيَهْنِئْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا ... وَخِذْلانُنَا ، أَوَ تَرْكُنَا فِي المَعَاقِلِ
فَإِنْ نَكُ قَوْماً نَتَّئِرْ مَا صَنَعْتُمْ ... وَتَحْتَلِبُوهَا لِقْحَةً غَيْرَ بَاهِلِ
وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقْرٍ حُلاحِلِ
وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شَرَّ مَنْ وَطِأَ الحَصَى ... وَأَلأَمَ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ
فَأَبْلِغْ قُصَيّاً أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا ... وَبَشِّرْ قُصَيّاً بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلاً قُصَيّاً عَظِيمَةٌ ... إِذَا مَا لَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي المَدَاخِلِ

وَلَوْ صَدَقُوا ضَـرْباً خِـلالَ بُيُـوتِهِمْ ... لَكُنَّـا أُسًـى عِنْـدَ النِّسَـاءِ المَطَافِـلِ

[فإنْ تكُ كعبٌ من لـؤيٍّ تجمعـت ... فــلا بــد يومــاً مــرة مــن تزايــل]

[وإن تكُ كعبٌ من كعـوبٍ كبيـرة ... فلابــد يومــاً أنهــا فــي مجاهــل]

[وكنـا بخيـر قبـل تسـويد معشـر ... هــم ذبحونــا بالمــدى والمقــاول]

لَقَـدْ سَـفُهَتْ أَحْـلامُ قَـوْمٍ تَبَـدَّلُوا ... بَنِـي خَلَـفٍ قَيْضًـا بِنَـا وَالغَيَاطِـلِ

فَكُـلَّ صَـدِيقٍ وَابْـنِ أُخْـتٍ نَعُـدُّهُ ... لَعَمْـرِي وَجَـدْنَا غِبَّـهُ غَيْـرَ طَائِـلِ

سِوَى أَنَّ رَهْطًا مِنْ كِلابِ بْـنِ مُـرَّةَ ... بَـــرَاءٌ إِلَيْنَـــا مِـــنْ مَعَقَّـــةِ خَـــاذِلِ

[بني أسد لا تُطـرِقَنَّ علـى القـذى ... إذا لــم يقــل بــالحق مقــول قائــل]

[ونعم ابن أخت القوم غير مكـذب ... زهيــر حســاماً مفــرداً مــن حمائــل]

وَهَنَّـا لَهُـمْ حَتَّـى تَبَـدَّدَ جَمْعُهُـمْ ... وَيَحْسُـرَ عَنَّـا كُـلُّ بَـاغٍ وَجَاهِـلِ

وَكَانَ لَنَـا حَـوْضُ السِّـقَايَةِ فِـيهِمُ ... وَنَحْنُ الكُدَى مِـنْ غَالِـبٍ وَالكَوَاهِـلِ

شَـبَابٌ مِـنَ المُطَيَّبِـينَ وَهَاشِـمٍ ... كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْـدِي الصَّـيَاقِلِ

فَمَا أَدْرَكُوا ذَحْلاً وَلا سَـفَكُوا دَمًـا ... وَلا حَـــالَفُوا إلا أَشَـــرَّ القَبَائِـــلِ

بِضَـرْبٍ تَـرَى الفِتْيَـانَ فِيـهِ ... كَأَنَّهُمْ ضَوَارِي أُسُودٍ فَوْقَ لَحْمِ خَرَادِلِ

بَنِـي أَمَـةٍ مَحْبُوبَـةٍ هِنْدِكِيَّـة ... بَنِـي جُمَـحَ عُبَيْـدِ قَـيْسِ بْـنِ عَاقِـلِ

وَلَكِنَّنَـا نَسْـلٌ كِـرَامٌ لِسَـادَةٍ ... بِهِـمْ نُعِـيَ الأَقْـوَامُ عِنْـدَ البَوَاطِـلِ

وَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ غَيْـرَ مُكَـذَّبٍ ... زُهَيْـرٌ حُسَـامًا مُفْـرَدًا مِـنْ حَمَائِـلِ

أَشَـمَّ مِـنَ الشُّـمِّ البَهَالِيلِ يَنْتَمِـي ... إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ المَجْـدِ فَاضِـلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْداً بِأَحْمَدَ وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِّ المُوَاصِلِ
فَلا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالاً لأَهْلِهَا وَزَيْنًا لِمَنْ وَالاهُ رَبُّ المَشَاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ إِذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
فَوَاللهِ لَوْلا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ تُجَرَّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي المَحَافِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِداً غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
[وداستكم منا رجال أعزةٌ إذا جردوا أيمانهم بالمناصل]
[رجال كرام غير مِيلٍ نماهمُ إلى العز آباء كرام المخاصل])
[وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم وحُسِّرَ عنا كل باغ وجاهل]
[شباب من المطَّلَّبين وهاشم كبيض السيوف بين أيدي الصياقل]
[بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ضواري أسود فوق لحم خرادل]
[ولكننا نسلٌ كرام لسادة بهم يعتلي الأقوام عند التطاول]
[سيعلم أهل الضغن أيِّي وأيهم يفوز ويعلو في ليال قلائل]
[وأيهم مني ومنهم بسيفه يلاقي إذا ما حان وقت التنازل]
[ومن ذا يمل الحرب مني ومنهمُ ويحمد في الآفاق في قول قائل]
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا ، وَلا يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرُومَةٍ تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ
[كأني به فوق الجياد يقودها إلى معشر زاغوا إلى كل باطل]

حَــدِبْت بِنَفْسِــي دُونَــهُ وَحَمَيْتــه   وَدَافَعْــت عَنْــهُ بِالــذّرَى وَالكَلاكِــلِ
فَأَيّــدَهُ رَبّ العِبَــادِ بِنَصْــرِهِ   وَأَظْهَــرَ دِينًــا حَقّــهُ غَيْــرُ بَاطِــلِ
رِجَـالٌ كِـرَامٌ غَيْـرُ مِيـلٍ نَمَـاهُمْ   إلَـى الخَيْـرِ آبَـاءٌ كِـرَامُ المَحَاصِـلِ
فَإنْ تَكُ كَعْـبٌ مِـنْ لُـؤَيّ صُـقَيْبَةً   فَــلا بُــدّ يَوْمــاً مَـرّةً مِـنْ تَزَايُـلِ »
[وجُــدْتُ بنفســي دونــه وحميتــه   ودافعــت عنــه بالــذرى والكلاكــل]»

ورواها القاضي النعمان المغربي في المناقب والمثالب/٩٢، بمئة وسبعة أبيات ، وقال:« وفشا شعر أبي طالب هذا في العرب وأمْرُ رسول الله وقيام بني عبد شمس ومن أطاعها عليه ، وانتصاب بني هاشم ومن تولاها دونه ، وعلموا قديماً ما بين الفئتين من البغضاء وحسد بني عبد شمس بني هاشم...فتوقف من كانوا أغروه من قبائل العرب برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذب أكثرهم مقالهم فيه ، وذكر أهل يثرب ما كانت اليهود خبّرتهم وحدّثتهم به من ظهور نبي فيهم ، قد أزف وقت ظهوره وإخبارهم عن شأنه وأموره ، فلما بلغهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله تطلعت أعينهم إليه ».

وقال في شرح الأخبار: ٢٢٥/٣:«وكان إظهار أبي طالب ما أظهر من التمسك بدين العرب والرغبة فيه ، مع تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وآله وإقراره بنبوته ، مما أيد الله به أمر محمد صلى الله عليه وآله لأنه لو أظهر الإسلام لرفضته العرب ، ولم يعضده من عضده منهم على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ».

وقد شرحها بعضهم شروحاً لغوية موجزة ، منهم السهيلي في الروض الأنف:١٦/٢، وهو من حفاظ القرن السادس (تذكرة الحفاظ للذهبي:١٣٤٨/٤).

ومنهم عبد القادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة١٠٩٣ ، في خزانة الأدب: ٥٣/٢ ، فقد أورد منها أربعين بيتاً وقال:«وقد أحببت أن أوردها هنا منتخبة مشروحة بشرح يوفي المعنى ، محبة في النبي صلى الله عليه».

وشرح ابن إسحاق بعض مفرداتها كما نقل ابن هشام:١٨١/١ ، قال:«والغياطل من بني سهم بن عمرو بن هصيص ، وأبو سفيان: ابن حرب بن أمية. ومطعم: ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وزهير: ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب. قال ابن إسحاق: وأسيد ، وبكره: عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وعثمان: ابن عبيد الله ، أخو طلحة بن عبيد الله التيمي. وقنفذ: ابن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وأبو الوليد: عتبة بن ربيعة. وأبيّ: الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة بن كلاب. قال ابن هشام: وإنما سمى الأخنس لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه أبيّ ، وهو من بني علاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقدة. والأسود: ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. وسبيع: ابن خالد ، أخو بلحارث بن فهر. ونوفل: ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي وهو ابن العدوية ، وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله في حبل حين أسلما ، فبذلك كانا يسميان القرينين ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر. وأبو عمرو: قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: وقوم علينا أظنة ، بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة. فهؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب» !

أقول: لكن أبا طالب رضي الله عنه ذكر غيرهم أشخاصاً وقبائل ، ولعل ابن هشام أراد أن يغطي على ذم بعضهم ! ثم روى قول النبي صلى الله عليه وآله عندما استسقى في المدينة فنزل المطر: « لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله: وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ...ثِمَالَ اليَتَامَى عِصْمَةً لِلأَرَامِلِ؟ قال أجل».

وفي عمدة القاري: ٣١/٧:« لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه ».

٧- ملاحظات حول لامية أبي طالب رضي الله عنه وشعره

أ. عندما تقرأ شعر أبي طالب رضي الله عنه تُعجب ببلاغته وكثرته ، فهو يبلغ ألف بيت وأكثر فهو ثروة مهمة ولم يعطوه حقه في تدوين السيرة وتوثيقها، مع أن عدداً من المؤرخين أبدوا إعجابهم بمقطوعات منه وشهدوا بصحتها ! وقد رأيت قول إمامهم ابن كثير في لامية أبي طالب: « هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً ، لايستطيع يقولها إلا من نسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً » !

فما دامت أهم من المعلقات وأبلغ ، فلماذا لم يدرسوها ويعتمدوها ؟!

إن مشكلة رواة السيرة ومدونيها أنهم يريدون كسب رضا الحكومات الأموية والعباسية ، فلا يذكرون شعر أبا طالب عليه السلام إلا عند الضرورة ، لأنه يسجل شجاعة بني هاشم ونبلهم وأدوارهم في حماية النبي صلى الله عليه وآله ومواجهة أعدائه ، كما يكشف التاريخ الأسود لزعماء قريش ويطعن في نسب عدد منهم.

ولذلك تقرب هؤلاء الرواة الى الحكومات فذموا أبا طالب رضي الله عنه وزعموا أنه مات كافراً ، لينفوا بذلك أنه وارث عبد المطلب وأن النبي صلى الله عليه وآله وارثه ! ونفي الوراثة أمر مهم عندهم ، حتى لايضروا بأساس خلافة السقيفة !

ب. يكشف شعر أبي طالب رحمه الله عن أمور وأحداث في السيرة النبوية لم يسجلها الرواة والمؤلفون أو عتموا عليها ، فمنها أن قريشاً قررت إجلاء بني هاشم ونفيهم من مكة إن لم يسلموهم النبي صلى الله عليه وآله ليقتلوه ! وعملوا لتنفيذ ذلك فأحبطه أبو طالب:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نُبْزَى مُحَمَّداً ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلْ

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلائِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نَتْرُكُ مَكَّةَ ... وَنَظْعَنُ إلا أَمْرُكُمْ فِي بَلابِلِ

وذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبَى غَيْرَ بُغْضِنَا ... لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ

يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُمْسَى وَمُصْبَحٍ ... فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍ بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ

وَيُؤْلِي لَنَا بِاللهِ مَا إنْ يَغُشُّنَا ... بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ

وأبو عمرو المنافق هو: قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وهذا يدل على أن حساد بني هاشم من أقربائهم كبني نوفل وبني أمية كانوا مع قرار نفيهم !

ج. ومن ذلك أن أبا طالب رحمه الله أشار في شعره الى أعمال عدائية قامت بها قبائل أو شخصيات معينة ، لم يكشفها الرواة ! لاحظ قوله في هذه القصيدة:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَبِكْرُهُ ... إِلَى بُغْضِنَا إذ جَزَآنَا لآكِلِ

[جزت رحم عنا أسيداً وخالداً ... جزاء مسيء لا يؤخر عاجل]

وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَعْ عَلَيْنَا وَقُنْفُذٌ ... وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ القَبَائِلِ

أَطَاعَا أُبَيَّا ، وَابْنَ عَبْدِ يَغُوثِهِمْ ... وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ

كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلٍ ... وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلْ

فَإِنْ يُلْفَيَا ، أَوْ يُمْكِنُ اللهُ مِنْهُمَا ... نَكِلْ لَهُمَا صَاعًا بِصَاعِ المُكَايِلِ

وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقَاوِلِ

يَفِــرّ إلَــى نَجْــدٍ وبَــرْدِ مِيَاهِــهِ وَيَــزْعُمُ أنّــي لَسْــت عَــنْكُمْ بِغَافِــلِ
وَيُخْبِرُنَــا فِعْــلَ المُنَاصِــحِ أنّــهُ شَــفِيقٌ وَيُخْفِــي عَارِمَــاتِ الــدّوَاخِلِ
[وأعلـم أن لا غافـلٌ عـن مسـاءة كـذاك العـدو عنـد حـق وباطـل]
[فميلـوا علينـا كلكـم إن مـيلكم سـواء علينـا والريـاح بهاطـل]
أمُطْعِمُ لَمْ أخْذُلْك فِـي يَـوْمِ بَجْـدَةٍ وَلا مُعْظِـمٌ عِنْـدَ الأُمُـورِ الجَلائِـلِ
أمُطْعِـمُ إنّ القَـوْمَ سَـامُوك خُطّـةً وَإنّـي مَتَـى أُوكَـلْ فَلَسْـت بِوَائِـلِ
جَزَى اللهُ عَنّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَـوْفَلاً عُقُوبَـةَ شَـرّ عَـاجِلاً غَيْـرَ آجِـلِ
بِمِيـزَانِ قِسْـطٍ لا يُخِـيسُ شَـعِيرَةً لَـهُ شَـاهِدٌ مِـنْ نَفْسِـهِ غَيْـرُ عَائِـلِ
لَقَـدْ سَـفُهَتْ أحْـلامُ قَـوْمٍ تَبَـدّلُوا بَنِـي خَلَـفٍ قَيْضًـا بِنَـا وَالغَيَاطِـلِ
وَسَـهْمٌ وَمَخْـزُومٌ تَمَـالَوْا وَألّبُـوا عَلَيْنَا العِـدَا مِـنْ كُـلّ طِمْـلٍ وَخَامِـلِ
[وحـث بنـو سـهم علينـا عـديَّهم عدي بن كعب فاحتبوا في المحافـل]
[يعضّون مـن غـيظ علينـا أكفهـم بـلا تـرةٍ بعـد الحمـى والتواصـل]
[وشأيظ كانت في لؤي بـن غالـب نفـاهم إلينـا كـل صـقر حلاحـل]
وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شرّ مَـنْ وَطِـأَ الحَصَـى وَألأمَ حَـافٍ مِـنْ مَعَـدٍ وَنَاعِـلِ

ولم أجد تعبير«شر من وطأ الحصى» قبل تعبير أبي طالب رحمه الله ، وهـم قبيلة عمر بن الخطاب ، وكانوا قلة ، لكن كان لهم دور في عداء النبي ﷺ.

وقوله في قصيدة أخرى:

وليـد أبـوه كـان عبـداً لجـدنا إلى علجة زرقـاء جـاش بهـا البحـر
وتـيم ومخـزوم وزهـرة مـنهم فكـانوا لنـا مـولى إذا بغـي النصـر
فقـد سـهفت أحلامهـم وعقـولهم فكانوا كجفر بـئس مـا صـنعت جفـر

والوليد هو أبو خالد بن الوليد ، أحد المستهزئين الخمسة (سنن البيهقي:٨/٩) ، وقد أخبر أبو طالب أن أمه رومية كانت أَمَةً لهاشم !

د . وانظر الى قوله في المعجزة في أبي جهل:« لما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد ، وبيده حجر يريد أن يرميه به ، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه !

أفيقوا بني غالب وانتهوا	عن الغي من بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذن خائف	بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة	ورب المغارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم	ثمود وعاد فمن ذا بقي
غداة أتاهم بها صرصر	وناقة ذي العرش قد تستقي
فحل عليهم بها سخطة	من الله في ضربة الأزرق
غداة يعض بعرقوبها	حساما من الهند ذا رونق
وأعجب من ذاك في أمركم	عجائب في الحجر الملصق
بكف الذي قام من خبثه	إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه	على رغمة الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى	لغي الغواة ولم يصدق »

(كنز الفوائد/٧٥، وأبو طالب حامي الرسول/٢١، وابن إسحاق: ١٩٢/٤، ولم يجزم بنسبتها الى أبي طالب) !

فلا بد من تتبع الأحداث التي أرخها أبو طالب أو أشار اليها ، وبحث نصوصها ومؤيداتها ، أو ما يعارضها في السيرة الحكومية الرسمية .

الفصل الخامس عشر

الإسراء والمعراج

١- برنامج رباني لإعداد جديد للنبي صلى الله عليه وآله

الإسراء: سفر النبي صلى الله عليه وآله من مكة الى الكوفة ثم الى بيت المقدس ، إشارة الى أنه وارث آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام.

والمعراج: عروجه صلى الله عليه وآله الى السماء. وكان ذلك في أوائل البعثة ، وكأنه برنامج إعداد للنبي صلى الله عليه وآله ليريه الله تعالى جوانب من ملكوته وآياته الكبرى.

وروي عن أهل البيت عليهم السلام أنه كان مرات متعددة ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «عرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء مائة وعشرين مرة ». (بصائر الدرجات/٩٩ ، وكتاب المحتضر/٤٤).

٢- آيات الإسراء والمعراج

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَالسَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الإسراء: ١).

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ

الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى . (النجم: ١-١٨).

فآيات سورة النجم في المعراج ، ومطلع سورة الإسراء في الإسراء ، وقال المفسرون واللغويون: السُّرى هو السير بالليل فقط (لسان العرب: ٣٨٩/٤) ، لكن قوله تعالى:« أسرى بعبده ليلاً » يدل على أن الإسراء مطلق السير ولذا قال: ليْلاً.

وتبلغ أحاديث الإسراء والمعراج في مصادر الطرفين نحو ألف صفحة ، ولا يتسع هذا الكتاب إلا لقليل منها .

وفي أمالي الصدوق/٢١٣: « عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان ؟ فقال: تعالى الله عن ذلك. قلت: فلمَ أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ، ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى».وعلل الشرائع: ١٣١/١.

وفي الإحتجاج: ٣٢٧/١، أن حبراً يهودياً الشام قال لأمير المؤمنين عليه السلام:« هذا سليمان قد سخرت له الرياح فسارت به في بلاده غدوها شهر ورواحها شهر؟

قال له عليه السلام: لقد كان ذلك ، ومحمد صلى الله عليه وآله أعطي ما هو أفضل من هذا ، إنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر ، وعرج به في ملكوت

السماوات مسيرة خمسين ألف عام ، في أقل من ثلث ليلة ، حتى انتهى إلى ساق العرش فدنى بالعلم ، فتدلى من الجنة على رفرف أخضر ، وغشى النور بصره ، فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده ولم يرها بعينه ، فكان كقاب قوسين بينه وبينها ، أو أدنى..».

٣- الإسراء والمعراج زاد قريشاً كفراً وعتواً

في أمالي الصدوق/٥٣٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس حمله جبرئيل على البراق ، فأتيا بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء عليهم السلام وصلى بها ، ورده فمرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله في رجوعه بِعِيرٍ لقريش وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلوا (ضيعوا) بعيراً لهم ، وكانوا يطلبونه ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك الماء وأهرق باقيه !

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله قال لقريش: إن الله جل جلاله قد أسرى بي إلى بيت المقدس ، وأراني آثار الأنبياء عليهم السلام ومنازلهم ، وإني مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم ، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك .

فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه فسلوه كم الأساطين فيها والقناديل؟ فقالوا: يا محمد إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس ، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟ فجاء جبرئيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه ، فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه !

فلما أخبرهم قالوا: حتى تجئ العير ونسألهم عما قلت. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله تصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق.

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة ، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص يقدمها جمل أورق، فسألوهم عما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: لقد كان هذا ، ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أهريق الماء ! فلم يزدهم ذلك إلا عتواً » !

٤- كان الإسراء الى مسجد كوفان ثم الى بيت المقدس

في الكافي: ٢٧٩/٨:« عن المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة أيام قدم على أبي العباس (السفاح) فلما انتهينا إلى الكناسة قال: هاهنا صلب عمي زيد رحمه الله ، ثم مضى حتى انتهى إلى طاق الزياتين وهو آخر السراجين ، فنزل وقال: إنزل فإن هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول ، الذي خطه آدم عليه السلام ، وأنا أكره أن أدخله راكباً. قال قلت: فمن غيَّره عن خطته ؟ قال: أما أول ذلك الطوفان في زمن نوح عليه السلام ، ثم غيره أصحاب كسرى ونعمان ، ثم غيَّره بعد زياد بن أبي سفيان. فقلت: وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح عليه السلام؟ فقال لي: نعم يا مفضل ، وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات ، مما يلي غربي الكوفة ، قال: وكان نوح عليه السلام رجلاً نجاراً فجعله الله عز وجل نبياً وانتجبه ، ونوح أول من عمل سفينة تجري على ظهر الماء .

قال: ولبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل فيهزؤون به ويسخرون منه ، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرض مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلايَلِدُوا إِلا فَاجِراً كَفَّاراً. (نوح: ٢٧) فأوحى الله عز وجل إلى نوح أن اصنع سفينة وأوسعها وعجل عملها فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده ، فأتى بالخشب من بعد حتى فرغ منها.

قال: المفضل ثم انقطع حديث أبي عبد الله عليه السلام عند زوال الشمس فقام فصلى الظهر والعصر ثم انصرف من المسجد ، فالتفت عن يساره وأشار بيده إلى موضع دار الداريين ، وهو موضع دار ابن حكيم وذاك فرات اليوم ، فقال لي: يا مفضل ، هاهنا نصبت أصنام قوم نوح عليه السلام: يغوث ويعوق ونسراً.

ثم مضى حتى ركب دابته ، فقلت: جعلت فداك في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها ؟ قال: في دورين ، قلت: وكم الدورين ؟ قال: ثمانين سنة. قلت: وإن العامة يقولون: عملها في خمسمائة عام ، فقال: كلا كيف والله يقول: «ووحينا» قال قلت: فأخبرني عن قول الله عز وجل: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ (سورة هود: ٤٠) فأين كان موضعه وكيف كان؟ فقال: التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد. فقلت له: فإن ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم.

ثم قلت له: وكان بدء خروج الماء من ذلك التنور ؟ فقال: نعم إن الله عز وجل أحب أن يرى قوم نوح آية ، ثم إن الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً ، وفاض الفرات فيضاً ، والعيون كلهن فيضاً ، فغرقهم الله عز ذكره ، وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة .

فقلت له: كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها ؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها وطافت بالبيت أسبوعاً ، ثم استوت على الجودي ، وهو فرات الكوفة .

فقلت له: إن مسجد الكوفة قديم ؟ فقال: نعم ، وهو مصلى الأنبياء عليهم السلام ، ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حين أسري به إلى السماء ، فقال له جبرئيل: يا محمد هذا مسجد أبيك آدم ومصلى الأنبياء عليهم السلام فانزل فصل فيه فنزل فصلى فيه.. ثم إن جبرئيل عرج به إلى السماء ».

وفي رواية في تفسير القمي:٣/٢، أن جبرئيل عليه السلام أنزل النبي صلى الله عليه وآله في المدينة فصلى فيها وأخبره أنها مهاجره ، وصلى في طور سيناء وبيت لحم أيضاً .

٥- صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام في البيت المعمور

في الكافي: ٣٠٢/٣ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فأذن جبرئيل وأقام ، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وصَفَّ الملائكةُ والنبيون خلف محمد صلى الله عليه وآله ».

وفي علل الشرائع:٨/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:«أذن جبرئيل وأقام الصلاة فقال: يا محمد تقدم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: تقدم يا جبرئيل ، فقال له: إنا لانتقدم على الآدميين ، منذ أمرنا بالسجود لآدم».

وفي نوادر المعجزات/٧٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:« فلما أقام الصلاة قال: يا محمد قم فصل بهم واجهر بالقرآن إلى خلفك وزمرٍ من الملائكة والنبيين لا يعلم

عددهم إلا الله ، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بهم جميعاً ركعتين فجهر بهما بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، فلما سلم وانصرف من صلاته أوحى الله تعالى إليه كلمح البصر: يا محمد: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ . قال: فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من خلفه من الأنبياء فقال: على ما تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأن لكل نبي منا خلفا وصياً من أهله ، ما خلا هذا فإنه لا عصبة له ، يعنون بذلك عيسى بن مريم عليه السلام. ونشهد أنك سيد النبيين ، ونشهد أن علياً وصيك سيد الأوصياء وعلى ذلك أخذت مواثيقنا» . ونحوه مختصراً تفسير العياشي: ١٢٨/٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٦- أخذ الله تعالى لنبيه وآله صلى الله عليه وآله ميثاق الأنبياء عليهم السلام

في الكافي:١٢٠/٨:« عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك ، وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب (نافع هذا من علماء النصارى والسلطة) فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداكّ عليه الناس؟فقال: هذا نبي أهل الكوفة هذا محمد بن علي ! فقال: أشهد لآتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي ! قال: فاذهب إليه وسله لعلك تخجله ، فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبي أو

وصي نبي أو ابن نبي ! قال: فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك. فقال: أخبرني كم بين عيسى وبين محمد من سنة ؟ قال: أخبرك بقولي أو بقولك؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً. قال: أما في قولي فخمس مائة سنة ، وأما في قولك فست مائة سنة. قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. (الزخرف: ٤٥) من الذي سأل محمد ، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟! قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا، فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم أمر جبرئيل فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: حي على خير العمل ، ثم تقدم محمد فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا.. الحديث وفي آخره:

« فولّى (نافع) من عنده وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقاً حقاً ، فأتى هشاماً فقال له: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك هذا والله أعلم الناس حقاً حقاً وهو ابن رسول الله حقاً ، ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً».

وروى الحاكم في المعرفة/٩٦ ،عن عبد الله بن عمر قال:« قال النبي صلى الله عليه وآله: يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمد وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قال قلت: على ما بعثوا ؟ قال على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب »!

قال الحاكم: ولم نكتبه إلا عن بن مظفر، وهو عندنا حافظ ثقة مأمون».

أقول: وروت مصادرهم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لما أسري بي ليلة المعراج اجتمع عليَّ الأنبياء في السماء فأوحى الله إلي: سلهم يا محمد بماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب».

ورواه في خصائص الوحي المبين/١٧٠، عن الإستيعاب وأبي نعيم. وفي الطرائف/١٠١، عن أبي نعيم، وفي ينابيع المودة: ٢٤٦/٢، عن أبي هريرة. ونهج الحق/١٨٣، عن ابن عبد البر وغيره. ورواه في منهاج الكرامة/١٣٠، وفي هامشه: «الصراط المستقيم: ١٨١/١، عن تفسير الثعلبي والزمخشري في الكشاف: ٩٤/٤ والكنجي في كفاية الطالب/١٣٦». وأورده في نفحات الأزهار: ٢٦٠/٥، و: ٣٦٦/١٦، وردَّ في: ٣٩٢/٢٠، و٣٩٦، على إنكار ابن تيمية وجود الحديث، وبحث روايته وسنده في مصادر السنة.

٧- كلم الله نبيه صلى الله عليه وآله في المعراج بصوت علي عليه السلام

عقيدتنا أن الله تعالى ليس كمثله شئ ولاتدركه الأبصار، ولا يخضع لقوانين المكان والزمان، فهو فوقهما وهو خالقهما، ومعنى قوله تعالى: وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً... أنه خلق صوتاً في الشجرة أو في الجبل، فكان موسى يسمع الصوت من جميع الجهات. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فسبحان من توحد في علوه، فليس لشئ منه امتناع، ولا له بطاعة أحد من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة له في السماوات والأرض مطيعة. كلم موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات، ولا شفةٍ ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن الصفات، فمن زعم أن إلهَ الخلق محدود، فقد جهل الخالق المعبود». (التوحيد للصدوق/٧٩، وراجع فتح الباري: ٣٨٣/١٣).

ولا بد أن يكون الصوت الذي كلم الله به موسى صوتاً يحبه موسى، وقد يكون صوت أخيه هارون عليه السلام. وكذلك الأمر في نبينا محمد صلى الله عليه وآله عندما عرج به، فقد روى

الفريقان أن الله تعالى كلمه صلى الله عليه وآله بصوت علي عليه السلام ، كالذي رواه الموفق الخوارزمي في المناقب/٧٨، عن عبدالله بن عمر قال: « سمعت رسول الله وسئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب ، فألهمني أن قلت يا رب خاطبتني أنت أم علي؟ فقال يا أحمد أنا شئ ليس كالأشياء ، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالشبهات ، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك ، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب. خاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك». ومنهاج الكرامة/٩٠، وكشف اليقين/٢٢٩، وكشف الغمة للإربلي: ١٠٣/١.

٨- وصف البُراق الذي حمل النبي صلى الله عليه وآله في معراجه

في أمالي الصدوق/٥٣٤:« رجلاها أطول من يديها ، خَطْوُها مدُّ البصر ، فلما أراد النبي أن يركب امتنعت فقال جبرئيل عليه السلام: إنه محمد ، فتواضعت حتى لصقت بالأرض. قال فركب فكلما هبطت ارتفعت يداها وقصرت رجلاها ، وإذا صعدت ارتفعت رجلاها وقصرت يداها ، فمرت به في ظلمة الليل على عيرٍ مُحَمَّلة ، فنفرت العير من دفيف البراق ، فنادى رجل في آخر العير غلاماً له في أول العير: يافلان ، إن الإبل قد نفرت» !

وفي الخرائج:٨٤/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به نزل جبرئيل عليه السلام بالبراق وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار ، مضطرب الأذنين عيناه في حوافره ، خطاه مدُّ بصره ، له جناحان يُحَفِّزَانه من خلفه ، عليه سرج من ياقوت فيه من كل لون ، أهدب العرف الأيمن ، فوقفه على باب خديجة ودخل

على رسول الله ﷺ فمرح البراق، فخرج إليه جبرئيل عليه السلام فقال: أسكن فإنما يركبك أحب خلق الله إليه. فسكن».

٩- كم مرة عُرج برسول الله ﷺ؟

المشهور أن الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ كان مرة واحدة، وقال العيني في عمدة القاري:٣٩/٤:«قيل إن الإسراء كان مرتين مرة بروحه مناماً، ومرة بروحه وبدنه يقظة. ومنهم من يدعي تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً، حتى قال: إنه أربع إسراآت. وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة، ووفَّق أبو شامة في روايات حديث الإسراء بالجمع بالتعدد، فجعله ثلاث إسراآت، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماوات على البراق أيضاً. ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات».

ورجح بعض علمائنا أنه كان مرتين. (الصحيح من السيرة: ٢٥/٣، ومجمع البحرين: ١٤٨/٣).

وروت مصادرنا:«عن ابن عباس أن المعراج كان مرتين، مرة من المسجد الحرام ومرة من بيت أم هاني: « ليلة الإثنين في شهر ربيع الأول بعد النبوة بسنتين، فالأول معراج العجائب، والثاني معراج الكرامة ». (مناقب آل أبي طالب: ١٥٣/١).

وفي الكافي:٤٤٣/١:« عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله ﷺ؟ فقال: مرتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له: مكانك يا محمد، فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قط ولا نبي... وكان كما قال الله قاب قوسين أو أدنى! فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو أدنى؟ قال: ما بين سِيَتِهَا إلى رأسها (سية القوس طرفها) فقال: كان بينهما حجاب يتلألأ

يخفق ، ولا أعلمه إلا وقد قال: زبرجد ، فنظر في مثل سم الإبرة إلى ما شاء الله من نور العظمة ، فقال الله تبارك وتعالى: يا محمد ، قال: لبيك ربي قال: من لأمتك من بعدك؟ قال: الله أعلم. قال: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين . قال ثم قال أبو عبد الله لأبي بصير: يا أبا محمد والله ما جاءت ولاية علي عليه السلام من الأرض ، ولكن جاءت من السماء مشافهة ».

وروته مصادرنا بسند قوي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «عُرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء مئة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله النبي صلى الله عليه وآله بولاية علي والأئمة من بعده ، أكثر مما أوصاه بالفرايض». (بصائر الدرجات/٩٩، والخصال/٦٠٠، والمحتضر/٤٤). ويؤيد ذلك أن أحاديث المعراج لايمكن تفسيرها إلا بتعدده .

١٠- استنفر أبو طالب ليلة الإسراء لأنه افتقد النبي صلى الله عليه وآله

كانت مدة المعراج الأول أقل من ثلث ليلة ، حسب رواية الإحتجاج:٣٢٧/١، عن أمير المؤمنين عليه السلام. وكان وقته الثلث الأخير من الليل ، كما في الخرائج:٨٥/١

وفي تفسير العياشي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العشاء الآخرة وصلى الفجر في الليلة التي أسريَ به فيها بمكة . وكان أبو طالب عليه السلام أمر علياً وجعفراً وحمزة بالتناوب لحراسته ، وكان يتفقد مكانه في الليل ! ولما لم يجده خاف أن يكون القرشيون قتلوه ، فبعث من يبحث عنه ، واستدعى شباب بني هاشم ووزع عليهم سيوفاً قصيرة أو شفاراً ، وأمرهم أن يكون كل واحد منهم بجانب زعيم قرشي ، فإذا أمرهم فليقتل كل منهم من بجنبه من الزعماء ، وأولهم أبو جهل ! (مناقب ابن شهرآشوب: ١٥٦/١، وروضة الواعظين/٥٩).

وفي تاريخ اليعقوبي:٢٦/٢:« فأعظموا ذلك وجلَّ في صدورهم ، وعاهدوه وعاقدوه أنهم لايؤذون رسول الله ولا يكون منهم إليه شئ يكرهه أبداً».

وفي الخرائج للراوندي: ٨٥/١:« لما رجع من السُّرى نزل على أم هاني بنت أبي طالب فأخبرها ، فقالت: بأبي أنت وأمي والله لئن أخبرت الناس بهذا ليكذبنك من صدقك ، وكان أبو طالب قد فقده تلك الليلة فجعل يطلبه وجمع بني هاشم ، ثم أعطاهم المدى ، وقال لهم: إذا رأيتموني قد دخلت وليس معي محمد فليضرب كل رجل منكم جليسه والله لا نعيش نحن ولا هم وقد قتلوا محمداً.

فخرج في طلبه وهو يقول: يا لها عظيمة إن لم يواف رسول الله مع الفجر ، فتلقاه على باب أم هاني حين نزل من البراق فقال: يا ابن أخي ، إنطلق فادخل بين يدي المسجد ، وسلَّ سيفه عند الحجر وقال: يا بني هاشم أخرجوا مُداكم. فقال: لو لم أره ما بقي منكم شفر (أحد) أو عشنا ، فاتقته قريش منذ يوم أن يغتالوه.

ثم حدثهم محمدﷺ، فقالوا: صف لنا بيت المقدس. قال: إنما دخلته ليلاً ، فأتاه جبرئيل فقال: أنظر إلى هناك ، فنظر إلى البيت فوصفه وهو ينظر إليه ، ثم نعت لهم ما كان لهم من عير ما بينهم وبين الشام » .

لكن ابن سعد في الطبقات: ٢٠٢/١، جعل الحادثة عندما جاء زعماء قريش الى أبي طالب وعرضوا عليه أن يعطوه رجلاً بدل النبيﷺونزلت سورة صاد فاشمأزوا منها ! قال:« فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله (ص) وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني فإذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية يعني أبا جهل ، فإنه لم يغب عن شر ، إن

كان محمد قد قتل ! فقال الفتيان نفعل..».

وفي الغدير: ٣٥٠/٧، عن كتاب الحجة لفخار بن معد، عن ابن الجوزي عن الواقدي:«كان أبو طالب بن عبد المطلب لايغيب صباح النبي ولا مساءه، ويحرسه من أعداءه ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقده فلم يره... فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده: أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كل واحد منهم ما في يده، فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب ؟ قال: ما ترون، إني طلبت محمداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه ولو كان هاشمياً ! فقالوا: وهل كنت فاعلاً ؟ فقال: إي ورب هذه وأومى إلى الكعبة !

فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك ؟ قال: هو ذلك. ومضى به صلى الله عليه وآله وهو يقول:

إذهب بُنَيَّ فما عليك غضاضةٌ	إذهب وقَرَّ بذاك منك عيونا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وذكرت دينا لا محالة إنه	من خير أديان البرية دينا

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعطاف، وهو لا يحفل بهم» !

راجع عن معراج النبي صلى الله عليه وآله الملحق رقم (٢)

○ ○

الفصل السادس عشر

أول من أسلم وأول من أعلن إسلامه

١- أول من أعلن إسلامه عليٌّ وخديجة صلى الله عليه وآله

أ. أجمعت روايات أهل البيت عليهم السلام على أن أول من أسلم علي وخديجة عليهما السلام ، ومن ذلك ما رواه اليعقوبي: ٢/٢٢:«وأتاه جبريل ليلة السبت... وقال من رواه عن جعفر بن محمد يوم الجمعة... وعلى جبريل جبة سندس ، وأخرج له درنوكاً من درانيك الجنة فأجلسه عليه ، وأعلمه أنه رسول الله وبلغه عن الله وعلمه: إقرأ باسم ربك الذي خلق. وأتاه من غد وهو متدثر فقال: يا أيها المدثر قم فأنذر...

وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر ، أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلي فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم أتى خديجة ابنة خويلد فأخبرها فتوضأت وصلت ، ثم رآه علي بن أبي طالب عليه السلام ففعل كما رآه يفعل... وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعلي بن أبي طالب من الرجال ، ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو ذر ».

وفي قصص الأنبياء للراوندي/٣١٦:«فكان يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله علي وجعفر وزيد وخديجة».

وفي روضة الواعظين/٨٥ ، عن علي عليه السلام قال:« عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، إن أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر ، قلت يا رسول الله: ما هذا؟ قال: أمرت به .

قال أبو رافع: صلى النبي صلى الله عليه وآله غداة الإثنين وصلت خديجة آخر نهار يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء ». والمناقب لمحمد بن سليمان: ٢٧٨/١ ، بطريقين عن حبة العرني وأنس. وشرح الأخبار: ١٧٧/١و٤٤٩ ، والمناقب:٧/٢ ، والتعجب/٩٨، وكنز الفوائد/١٢٥، والإحتجاج: ٣٧/١ ، وفيه:« بعث يوم الإثنين وصليت معه يوم الثلاثاء ، وبقيت معه أصلي سبع سنين حتى دخل نفر في الإسلام». وذخائر العقبى/٥٩ ، وتفسير الإمام العسكري/٤٢٩.

وروى ابن طاووس رحمه الله في كتاب الطرف/٥ ، والبحار:٣٩٢/٦٥ ، عن عيسى بن المستفاد أنه سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن بدء الإسلام فقال:

«سألت أبي جعفر بن محمد عليه السلام عن بدء الإسلام كيف أسلم علي وكيف أسلمت خديجة عليها السلام؟ فقال لي أبي: إنهما أسلما لما دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ويا خديجة أسلمتما لله وسلَّمتما له؟ وقال: إن جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تُهديا ، فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله ، فقال: إن جبرئيل عندي يقول لكما: إن للإسلام شروطاً ومواثيق فابتداؤه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة ، ونشهد أن الله يحيي ويميت ويرفع ويضع ويغني ويفقر ويفعل ما يشاء ويبعث من في القبور . قالا: شهدنا . قال: وإسباغ الوضوء على المكاره واليدين والوجه والذراعين ومسح الرأس ومسح الرجلين إلى الكعبين ، وغسل الجنابة في الحر والبرد ، وإقام الصلوات ، وأخذ الزكوات من حلها ووضعها في أهلها ، وحج

البيت ، وصوم شهر رمضان ، والجهاد في سبيل الله ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والعدل في الرعية والقسم في السوية ، والوقوف عند الشبهة إلى الإمام فإنه لا شبهة عنده ، وطاعة ولي الأمر بعدي ، ومعرفته في حياتي وبعد موتي ، والأئمة من بعده واحداً فواحداً ، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله ، والبراءة من الشيطان الرجيم وحزبه وأشياعه... والحياة على ديني وسنتي ودين وصيي وسنته إلى يوم القيامة ، والموت على مثل ذلك ، غير شاقة لأمانته ولامتعدية ولامتأخرة عنه ، وترك شرب الخمر ، وملاحاة الناس . يا خديجة فهمت ما شرط عليك ربك؟ قالت: نعم وآمنت وصدقت ورضيت وسلمت. قال علي : وأنا على ذلك.فقال: ياعلي تبايع على ما شرطت عليك؟قال: نعم..» . وهي أحاديث صريحة في أن بعثة النبي صلى الله عليه وآله كانت في أفق مبين ، وبصيرة ويقين ، فلا رعب فيها ولا غط ، ولا ريب ولا شك ، ولا ورقة بن نوفل ، ولا عدّاساً ، ولا نسطوراً ، ولا شكاً وذهاباً الى الجبل للإنتحار !

كما تدل على أن الصلاة كانت قياماً وسجوداً بلا ركوع ، ثم أمر الله بالركوع ، ثم فرضت على المسلمين بصيغتها الفعلية في المعراج في السنة الثانية .

ب. أعلن علي وخديجة وجعفر إسلامهم ، ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن ينذر عشيرته

الأقربين: وتقدم من مصادر الطرفين متواتراً عن علي عليه السلام قوله:« صليت قبل الناس بسبع سنين » كابن ماجة: ٤٤/١ ، والحاكم: ١١١/٣، وفي بعض رواياته وشواهده كما في الترمذي: ٣٠٤/٥: « بُعث النبي صلى الله عليه وآله يوم الإثنين وصلى وعلي عليه السلام يوم الثلاثاء» !

ورواه الحاكم: ١١٢/٣، وصححه. وفي الأحوذي: ١٦٠/١٠: «فيه دليل على أن أول من أسلم من الذكور هو علي رضي الله عنه». ومثله أبو يعلى: ٣٤٨/١ ،والبدء والتاريخ/٣٠٣، عن أبي رافع.

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب:١٠٩٥/٣:«وروى مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال: استنبئ النبي(ص) يوم الإثنين وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء . وقال زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله (ص) علي بن أبي طالب...الخ.».

وروى في مجمع الزوائد: ٢٧٤/٩، وحسَّنَه:« عن ابن عباس قال: أسلم زيد بن حارثة بعد علي ، فكان أول من أسلم بعده ». ونحوه الطبراني الكبير: ٨٤/٥ ، والطبري: ٦٠/٢، وتهذيب الكمال: ٥٢/٥ ، وسير الذهبي: ٢١٦/١.

وقال ابن هشام:١٦٣/١:«وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ». وسير الذهبي: ١٣/١، وتاريخ دمشق: ٣٥٣/١٩.

ج. وبعد القرن الخامس أنكر أكثر علماء السلطة أن علياً عليه السلام أول من أسلم ! ففي

مقدمة ابن الصلاح/١٧٨: « قال الحاكم: لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب أولهم إسلاماً . واستُنكر هذا من الحاكم » ! والذين استنكروا هم علماء السلطة بعد القرن الخامس ! أما قبله فكانوا متفقين مجمعين عليه !

قال في الصحيح من السيرة:٣١٥/٢: « إن أول من أسلم واتبع وصدق وآزر وناصر ، هو أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبنائه الأئمة الطاهرين. وأورد العلامة الأميني في الغدير:٩٥/٣ ، أقوالاً لعشرات من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من الأعلام ، وعشرات من المصادر غير الشيعية ، تؤكد أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول الأمة إسلاماً ».

وقال المناوي في فيض القدير: ٤٦٨/٤:« علي أخي في الدنيا والآخرة: كيف وقد

بُعث رسول الله (ص) يوم الإثنين فأسلم وصلى يوم الثلاثاء، فمكث يصلي مستخفياً سبع سنين، كما رواه الطبراني عن أبي رافع.

وفي أوسط الطبراني عن جابر مرفوعاً: مكتوب على باب الجنة لاإله إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله (ص) قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي سنة!

وفيه: عن أبي أمامة أن رسول الله (ص): آخى بين الناس وآخى بينه وبين علي. قال الإمام أحمد: ما جاء في أحد من الفضائل ما جاء في علي! وقال النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ما ورد في حق علي».

٢- إسلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

أ. روى الصدوق في أماليه/٥٩٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أول جماعة كانت أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه، إذ مرَّ أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بني صِلْ جناح ابن عمك. فلما أحسه رسول الله صلى الله عليه وآله تقدمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً، وهو يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي	عند مهم الأمور والكرب
لاتخذلا وانصرا ابن عمكما	أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا يخذل النبي ولا	يخذله من بني ذو حسب

قال: فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم». والحدائق الناضرة: ٩١/١١، وصححه، وروضة الواعظين/٨٦، وكنز الفوائد/٧٩، و١٢٤، والمناقب: ٣٠١/١، والطرائف/٣٠٥، وعمدة الطالب/٢٣، وحلية الأبرار: ٦٩/١، والبحار: ١٧٤/٣٥، وإيمان أبي طالب للشيخ المفيد/٣٩، والفصول المختارة/١٧١، والوسائل: ٢٨٨/٨، وجامع أحاديث الشيعة: ٤٠٦/٦، والغدير: ٣٥٦/٧، و٣٩٦، وإعلام الورى: ١٠٣/١، وكشف الغمة: ٨٦/١، ونهج

الإيمان/٣٧٦. راجع الغدير: ٣٩٦/٧، ومناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان: ١٢٩/١، وتأويل الآيات: ٢٧١/١، بتفاوت، وشبيه به الكافي: ٤٥٠/١، عن علي عليه السلام.

ورواه فرات في تفسيره/٣٤٠، وفيه:«ألا وإن إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي على جميع أمتي، أنا سيد الثلاثة...وحمزة سيد الشهداء، وجعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهذا علي بن أبي طالب سيد الوصيين».

ورواه أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد/١٢٤، بسنده عن أبي صفو بن صلصال بن الدلهمس قال: «كنت أنصر النبي صلى الله عليه وآله مع أبي طالب قبل إسلامي، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيض، إذ خرج أبو طالب إليَّ شبيهاً بالملهوف فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام. فقلت: ما رأيتهما مذ جلست! فقال: قم بنا في الطلب فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالتهما! قال فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقينا قلته، فإذا النبي وعلي عن يمينه وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان. قال: فقال أبو طالب لجعفر ابنه: صل جناح ابن عمك، فقام إلى جنب علي فأحس بهما النبي صلى الله عليه وآله فتقدمهما، وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول: إن علياً وجعفراً ثقتي...».

ورواه فخار بن معد في الحجة علة الذاهب../٢٤٨، بسبعة أبيات وفيه:

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بنيَّ ذو حسب
حتى تروا الرؤس طائحة منا ومنكم هناك بالقضب

نحـــن وهـــذا النبـــي أســـرته نضرب عنه الأعـداء كالشـهب

إن نلتمـــوه بكـــل جمعكـــم نحن في النـاس ألأم العـرب »

راجع: أبو طالب حامي الرسول ﷺ وناصره لنجم الدين العسكري/٤٩.

وهذا يدل على أن أبا طالب وجعفراً كانا مسلمَيْن قبل ذلك ، بدليل أن جعفراً دخـل مباشرة في الصلاة ، وأن أبا طالب شهد بنبوة النبي ﷺ. أما لماذا لم يصلِّ معهم فلأن النبي ﷺ أمره أن يكتم إسلامه فلو أظهره لما استطاع أن يحمي رسـول الله ﷺ مـن قريش. وكذلك كان حمزة يكتم إيمانه حتى أعلنه ، كما سترى في حديث أبي ذر .

ورواه من مصادر السنة أبو هلال العسكري في الأوائل/٥١ (توفي٣٩٥ - الوافي: ٣٨/١) بعنوان: « أول صلاة صلاها جماعة. وفيه:« مرَّ أبو طالب ومعه جعفر على نبي الله وهو يصـلي وعليٌّ على يمينه ، فقال لجعفر: صِلْ جناح ابن عمك ، فتأخر عليٌّ وقام جعفـر معـه وتقدمهم رسول الله، فأنشأ أبو طالب يقول: إن علياً وجعفراً ثقتي...الأبيـات.. فكانـت أول جماعة في الإسـلام». ونحوه النكت لابن حبيب:٤٣٧/٤ ، والعثمانية للجاحظ/٣١٤، وأبو حيان:٤٨٩/٨ ، والآلوسي:١٨٣/٣٠ ، وأبو جعفر الإسكافي في نقض العثمانية .

ب. حذف بعض رواة السلطة ، أبيات أبي طالب عليه السلام من الحديث لأن فيها تصـريحاً

بإسلامه وإيمانه بنبوة النبي ﷺ، لأنه يردُّ زعمهم بأنه مات مشركاً ! وزادوا فيه أن النبي ﷺ دعاه ليصلي معهم فرفض وقال كلمة سخرية من الصلاة كان يقولها المشركون الطلقاء ، ففي تاريخ بغداد: ٢٧١/٢ ، عن علي عليه السلام قال:« بينا أنا مع النبي (ص) في حِيرٍ (مُحَوَّطة) لأبي طالب ، أشرف علينا أبو طالب فبصر به النبـي (ص) فقـال: يـا عم ألا تنزل فتصلي معنا ؟ قال: ابن أخي إني لأعلم أنك على حق ولكني أكره أن

أسجد فتعلوني إستي ! ولكن إنزل يا جعفر فصل جناح ابن عمك . فنزل جعفر فصلى عن يسار النبي (ص) ، فلما قضى النبي صلاته التفت إلى جعفر فقال: أما إن الله قد وصلك بجناحين تطير بهما في الجنة كما وصلت جناح ابن عمك. قال الشيخ أبو بكر: تفرد برواية هذا الحديث عن سفيان الثوري ابن أخته سيف بن محمد ، ولا نعلم رواه عنه إلا السمتي». ورواه في تاريخ دمشق:١٦٤/٥٤، وفيه: إن الله قد فضلك بجناحين. ورواه خيثمة/٢٠٦، وطبقات الحنابلة:٣٠٩/١، واللالكائي:١٤٢٠/٨. ورده ابن عدي:٤٣٤/٣: والذهبي(ميزان الإعتدال:٢٥٧/٢). لأنه يثبت إسلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قبل أبي بكر !

ج. روى ابن منظور في تلخيص تاريخ دمشق:٢٧٩/٢ ، هذا الحديث عن صلصال بن الدَّلَهْمس قال:«كان أبي يعني الدلهمس صديقاً لأبي طالب ولِدةً (تربى معه) فكان الذي بينهما في الجاهلية عظيم ، فكان أبي يبعثني إلى مكة لأنصر النبي مع أبي طالب قبل إسلامي ، فكنت أقيم بمكة الليالي عند أبي طالب لحراسة النبي من قومه ، فإني في يوم من الأيام جالس بالقرب من منزل أبي طالب في الظهيرة وشدة الحر ، إذ خرج أبو طالب شبيهاً بالملهوف فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين فقد ارتبت بإبطائهما عليّ ، فقلت: ما أحسست لهما خبراً منذ جلست ، فقال: إنهض بنا فنهضت وإذا جعفر بن أبي طالب يتلو أبا طالب ، قال: فاقتصصنا الأثر حتى خرج بنا من أبيات مكة ، قال: ثم علونا جبلاً من جبالها فأشرفنا منه على أكمة دون ذلك التل فرأيت النبي وعلياً قائماً عن يمينه ، ورأيتهما يركعان ويسجدان قبل أن أعرف الركوع والسجود ، ثم انتصبا قائمين

فقال أبو طالب لجعفر: أي بني صل جناح ابن عمك ، قال: فمضى جعفر مسرعاً حتى وقف بجنب علي. فلما أحس به النبي أخرهما وتقدم ، وأقمنا موضعنا حتى انقضى ما كانوا فيه من صلاتهم ، ثم التفت إليَّ النبي فرآنا بالموضع الذي كنا فيه فنهض ونهضنا معه مقبلين ، فرأينا السرور يتردد في وجه أبي طالب ، ثم انبعث يقول: إن علياً وجعفرا ثقتي..الأبيات.. قال: فلما آمنت به ودخلت في الإسلام سألت النبي عن تيك الصلاة فقال: نعم يا صلصال هي أول جماعة كانت في الإسلام ».

ويظهر من ترجمة صلصال بن الدلهمس التيمي أنه كان شيعياً ، فقد روت له مصادر الطرفين أحاديث في فضائل علي وأهل البيت عليهم السلام ، وعده ابن حبان في الثقات:١٩٦/٣ ، وقال:« له صحبة ، حديثه عند ابنه الضوء بن الصلصال».

ومن أحاديثه:« قال كنت عند النبي صلى الله عليه وآله في جماعة من أصحابه فدخل علي بن أبي طالب فقال له النبي: كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك ! ألا من أحبك فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ومن أحب الله أدخله الجنة . ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار». (تاريخ دمشق: ٢٨٣/٤٢).

كما يظهر أن زمان حديث الدلهمس في السنة الأولى للبعثة ، حيث كانت الحراسة مشددة على النبي صلى الله عليه وآله. أما مكانه فقد وصفته رواية بأنه(حِيرٌ لأبي طالب) أي بستان أو أرض زراعية محوطة . وأما دور الدلهمس فكان مساندة بني هاشم ببعض الشباب من حلفائهم من البادية للحراسة غير المباشرة للنبي صلى الله عليه وآله، أما المباشرة فهي خاصة بأبي طالب وحمزة وجعفر وعلي عليهم السلام.

٣- كان أبو طالب وحمزة مسلمَيْن يخفيان إسلامهما

أ. كان أبو طالب كأبيه عبد المطلب رضوان الله عليهما ، يعرف أن محمداً صلى الله عليه وآله هو

النبي الموعود من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وكان يؤمن به ويحبه ويحرسه ، وتقدم من سيرته ما فيه الدليل القاطع على إسلامه وإيمانه ، ويأتي أيضاً.

أما حمزة رحمه الله فذكر رواة السلطة أنه أسلم في السنة الثالثة أو الرابعة عندما شتم أبو جهل النبي صلى الله عليه وآله فغضب وانتصر للنبي صلى الله عليه وآله وضرب أبا جهل وأعلن إسلامه.

لكن الصحيح أنه أعلن إسلامه يومئذ ، وأنه أسلم أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله ووقف الى جنبه في مواجهة قريش ، ووقاه بنفسه مع أبي طالب وعلي وجعفر وزيد بن حارثة كما يدل عليه حديث إسلام أبي ذر رحمه الله الآتي. فقد رتب أبو طالب وبنو هاشم نظام حراسة مشددة حول النبي صلى الله عليه وآله وكانوا يدققون في من يريد لقاءه.

ففي الكافي: ٨/٢٩٧، وأمالي الصدوق/٥٦٧ ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، من حديث فيه قول أبي طالب لأبي ذر: « قم معي ، فتبعته فدفعني إلى بيت فيه حمزة فسلمت عليه وجلست ، فقال لي: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم؟ فقال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشئ إلا أطعته ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ قال: فشهدت قال: فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر.. ».

ب. أعلن حمزة إسلامه يوم ثأر للنبي صلى الله عليه وآله ، وتحدى قريشاً في ناديهم ، وضرب أبا

جهل زعيم بني مخزوم ! فقد روى ابن إسحاق: ٢/١٥١، وابن هشام: ١/١٨٨: « أن أبا جهل

اعترض رسول الله (ص) عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله (ص) ، ومولاةٌ لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمعُ ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة فجلس معهم. ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان إذا رجع لم يرجع إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة ، وكان يومئذ مشركاً على دين قومه (في الظاهر) فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله (ص) فرجع إلى بيته ، فقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم آنفاً قُبَيْل؟ وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ! فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله عز وجل به من كرامته ، فخرج سريعاً لايقف على أحد -كما كان يصنع حين يريد الطواف بالبيت- مُعداً لأبي جهل أن يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس وضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة ! وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه فقالوا: مانراك يا حمزة إلا قد صبأت ! قال حمزة: وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك ، وأنا أشهد أنه رسول الله وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين ! فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة ، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً » !

وقال في الصحيح من السيرة:١٥٣/٣: الصريح من كلام حمزة رضي الله عنه ولا سيما قوله الأخير: وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله والذي يقول حق ، أنه لم يكن في إسلامه منطلقاً من عاطفته التي أثيرت وحسب ، وإنما سبقت ذلك قناعة كاملة مما شاهده عن قرب... بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بدأت تتراجع قريش وتلين من موقفها وتدخل في مفاوضات معه صلى الله عليه وآله وتعطيه بعض ما يريد ، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم ويكثر ، فكلمه عتبة ، فأبى صلى الله عليه وآله كل عروضهم (البدء والتاريخ: ٩٨/٥) .

ن. كذب رواة قريش على بني هاشم ومنهم حمزة ، فقد جردوه من فضيلة سبقه الى الإسلام ، وقرنوا به عمر وكأنه شجاع محارب مثله ، وخففوا من تمثيل هند بجثمانه ومحاولتها أكل كبده ، أو أنكروا ذلك ! وخففوا من جريمة قاتله وحشي ونسبوا اليه أنه قتل مسيلمة الكذاب فغفر له قتله حمزة .

ثم افتروا على حمزة بأنه كان بعد هجرته يشرب الخمر (صحيح بخاري٨٠/٣، و٤١/٤) وأنه سكر يوماً وجاء الى جملين لعلي عليه السلام فشق بطنيهما وأخذ كبديهما ، وجلس يشرب الخمر وجارية تغنيه ! فشكوه الى النبي صلى الله عليه وآله فجاء مع علي وزيد ، فشتمهم حمزة ! فتركه النبي صلى الله عليه وآله لأنه رآه سكراناً ! وقد فند ذلك في الصحيح من السيرة: ٢٩٠/٥.

٤- زيد بن حارثة الذي اختار النبي ﷺ على أبيه !

في تفسير القمي: ١٧٢/٢ ، بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:« كان سبب نزول ذلك (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ..) أن رسول الله ﷺ لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عكاظ في تجارة لها ، ورأي زيداً يباع ورآه غلاماً كَيِّساً حصيفاً فاشتراه ، فلما نُبئ رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم ، وكان يدعى زيد مولى محمد ﷺ ، فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد ، قدم مكة وكان رجلاً جليلاً فأتى أبا طالب فقال: يا أبا طالب إن ابني وقع عليه السبي وبلغني أنه صار إلى ابن أخيك ، فسله إما أن يبيعه وإما أن يفاديه وإما أن يعتقه. فكلم أبو طالب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: هو حرٌّ فليذهب كيف يشاء ، فقام حارثة فأخذ بيد زيد فقال له: يا بني إلحق بشرفك وحسبك ، فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ أبداً ! فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش؟ فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ ما دمت حياً ! فغضب أبوه فقال: يا معشر قريش إشهدوا أني قد برئت منه وليس هو ابني ! فقال رسول الله ﷺ: إشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني فكان يدعى زيد بن محمد. فكان رسول الله ﷺ يحبه وسماه زيد الحِبّ ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة زوجه زينب بنت جحش » . وسيأتي طلاقه لها وتزويج الله رسوله ﷺ منها .

٥- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه رابع المسلمين المعلنين إسلامهم

كان أبو ذر قبل الإسلام يصلي بهداية الفطرة ! قال ابن الصامت قال: « قال أبو ذر رضي الله عنه: صليت قبل الناس بأربع سنين ، قلت له: من كنت تعبد؟ قال: إله السماء». (دلائل النبوة للبيهقي: ١٣٠٧/٤). « قلت: يا أبا ذر أين كنت تتوجه؟ قال: كنت أتوجه حيث وجهني الله ، كنت أصلي من أول الليل ، فإذا كان آخر الليل ألقيت هذا حتى كأنما أنا خفاء حتى تعلوني الشمس ». (الطبراني الأوسط:٢٤٦/٣).

وفي الكافي: ٢٩٧/٨، وأمالي الصدوق/٥٦٧ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:«قال لرجل من أصحابه: ألا أخبرك كيف كان سبب إسلام سلمان وأبي ذر رحمة الله عليهما؟ فقال الرجل وأخطأ: أما إسلام سلمان فقد علمت ، فأخبرني كيف كان سبب إسلام أبي ذر؟ فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إن أبا ذر رضي الله عنه كان في بطن مُرّ (واد قرب مكة) يرعى غنماً له ، فأتى ذئب عن يمين غنمه فهش بعصاه على الذئب ، فجاء الذئب عن شماله فهش عليه أبو ذر ، ثم قال له أبو ذر: ما رأيت ذئباً أخبث منك ولا شراً ! فقال له الذئب: شرٌّ والله مني أهل مكة بعث الله عز وجل إليهم نبياً فكذبوه وشتموه ! فوقع في أذن أبي ذر فقال لامرأته: هلمي مزودي وأداوتي وعصاي ، ثم خرج على رجليه يريد مكة ليعلم خبر الذئب وما أتاه به ! حتى بلغ مكة فدخلها في ساعة حارة وقد تعب ونصب، فأتى زمزم وقد عطش فاغترف دلواً فخرج لبن! فقال في نفسه: هذا والله يدلني على أن ما خبرني الذئب وما جئت له حق ، فشرب وجاء إلى جانب من جوانب المسجد ، فإذا حلقة من قريش فجلس إليهم فرآهم يشتمون النبي صلى الله عليه وآله كما قال الذئب! فما زالوا في ذلك من ذكر النبي صلى الله عليه وآله والشتم له حتى جاء أبو طالب من آخر النهار ، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: كفُّوا فقد جاء عمه ! قال فكفوا فلما دنا منهم أكرموه وعظموه ، فلم

يزل أبو طالب متكلمهم وخطيبهم إلى أن تفرقوا. فلما قام أبو طالب تبعته فالتفت إلي فقال: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم. قال: وما حاجتك إليه ؟ فقال له أبو ذر: أؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ، ولا يأمرني بشئ إلا أطعته. فقال أبو طالب: تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال فقلت: نعم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال: قال: وتفعل؟ قلت: نعم قال: فتعال غداً في هذا الوقت إليَّ حتى أدفعك إليه ، قال: بتُّ تلك الليلة في المسجد حتى إذا كان الغد جلست معهم ، فما زالوا في ذكر النبي ﷺ وشتمه حتى إذا طلع أبو طالب ، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: أمسكوا فقد جاء عمه ! فأمسكوا ، فلما قام أبو طالب تبعته فالتفت إلي فقال: ما حاجتك؟..(فأعاد عليه ما قاله) ، فقال: قم معي فتبعته فدفعني إلى بيت فيه حمزة فسلمت عليه وجلست ، فقال لي: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم؟ فقال: وما حاجتك إليه ؟ قلت: أؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشئ إلا أطعته ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ قال: فشهدت قال: فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر فسلمت عليه وجلست فقال لي جعفر: ما حاجتك ؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم قال: وما حاجتك إليه ؟ فقلت: أو من به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشئ إلا أطعته فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؟ قال فشهدت فدفعني إلى بيت فيه علي سلمت وجلست فقال: ما حاجتك ؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم؟ قال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشئ إلا أطعته ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ قال: فشهدت فدفعني إلى بيت فيه رسول الله فسلمت وجلست فقال لي رسول الله ﷺ: ما حاجتك؟ قلت: النبي

المبعوث فيكم؟ قال: وما حاجتك إليه ؟ قلت: أؤمن به وأصدقه ولا يأمرني بشيء إلا أطعته ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا ذر إنطلق إلى بلادك فإنك تجد ابن عم لك قد مات وليس له وارث غيرك ، فخذ ماله وأقم عند أهلك حتى يظهر أمرنا ! قال: فرجع أبو ذر فأخذ المال وأقام عند أهله حتى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا حديث أبي ذر وإسلامه رضي الله عنه ، وأما حديث سلمان فقد سمعته ! فقال: جعلت فداك حدثني بحديث سلمان ، فقال: قد سمعته ، ولم يحدثه لسوء أدبه » .

وفي رواية الصدوق:« قال أبو ذر: فانطلقت إلى بلادي فإذا ابن عم لي قد مات وخلف مالاً كثيراً في ذلك الوقت الذي أخبرني فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فاحتويت على ماله وبقيت ببلادي حتى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فأتيته» . وفي قصص الأنبياء للراوندي/٣٠٤: « فلما انصرفت إلى قومي أخبرتهم بذلك فأسلم بعضهم وقال بعضهم: إذا دخل رسول الله أسلمنا ، فلما قدم أسلم بقيتهم».

أقول: يدل هذا الحديث على أن أبا طالب وحمزة وجعفراً وعلياً عليهم السلام قد أسلموا من أول الأمر وأحاطوا النبي صلى الله عليه وآله وحرسوه ، ودعوا الناس الى الإيمان به بأساليب متنوعة تتناسب مع شخصية كل واحد منهم ودوره الذي حدده له النبي صلى الله عليه وآله. لكن زعماء قريش الذين عادوا النبي صلى الله عليه وآله وأسرته وحاربوهم ثم أبعدوا عترته وأسرته عن خلافته وحكموا بإسمه ، يريدون حذف أي دور لعترته في دعوته.

وقد روت مصادر مذاهب السلطة قصة إسلام أبي ذر رحمه الله بصيغ مختلفة ، أشهرها رواية بخاري في صحيحه: ٢٤١/٤، قال:«باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.. عن

ابن عباس قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي (ص) قال لأخيه: إركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخير من السماء، واسمع من قوله ثم أئتني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله (ص) ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت! فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي (ص) ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فرآه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي (ص) حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمر به عليٌّ فقال: أما نال للرجل أن يعلم منزله! فأقامه فذهب به معه لايسأل واحد منهما صاحبه عن شئ! حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على على مثل ذلك فأقام معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنني فعلت، ففعل فأخبره، قال: فإنه حق وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك، فقمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي (ص) ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي (ص): إرجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم! فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب

عليه ، قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجاركم إلى الشام فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه».

ملاحظات على روايتهم إسلام أبي ذر رحمه الله

١- لم يرو بخاري شيئاً من كرامات أبي ذر رحمه الله مثل أنه كان موحداً على الفطرة

وكان يصلي لربه كما هداه ، كما رواه البيهقي وغيره ، وأن الله أكرم أبا ذر بأن كلمه الذئب وأرشده الى النبي صلى الله عليه وآله كما رواه الكليني وغيره ، ولا روى له كرامة شبعه وريّه بماء زمزم ، كما رواه مسلم وغيره.. الخ. كما حذف بخاري ذكر أبي طالب وحمزة وجعفر من روايته ! كما اختار روايته عن ابن عباس مع أنه لم يكن مولوداً عندما أسلم أبو ذر ، ولا أسند روايته الى أبي ذر أو من عاصره وسمع منه !

كما غيَّب بخاري العديد من أحاديث أبي ذر رحمه الله وفيها الصحيح على شرطه !

وهذا ليس عجيباً ، فقد كان بخاري يعتاش من مال المتوكل ويطبق سياسة بني عباس ضد أهل البيت عليهم السلام ، ومنها طمس ذكر أبي طالب وإسلامه ، وتنقيص مكانة عترة النبي صلى الله عليه وآله ومن والاهم كأبي ذر رحمه الله ! وتلاحظ في روايته مدح العباس بأنه خلَّصَ أبا ذر مرتين من أيدي قريش !

٢- يظهر لك تعصب بخاري ضد أبي ذر رحمه الله عندما تقارن ما رواه عنه في صحيحه

بما أهمله وفيه الصحيح على شرطه ! ومنه جهاده مع النبي صلى الله عليه وآله في كل حروبه ، وشهادات النبي العظيمة فيه ، وموقفه من السقيفة ، وجهاده عشرين سنة في فتوح الشام وفلسطين لبنان وقبرص ومصر ، وجهره بموالاة أهل البيت عليهم السلام وروايته

أحاديث النبي ﷺ فيهم وفي مخالفيهم ، وثورته على معاوية وعثمان ، ونفي معاوية له الى بر الشام ، ونفي عثمان له الى الربذة وموته فيها غريباً وحيداً ، وصلاة ركب من الصالحين عليه ، فيهم مالك الأشتر رحمه الله كما أخبره النبي ﷺ.

وغاية ما رواه قوله رحمه الله: « لو وضعتم الصمصامة على هذه ، وأشار إلى قفاه ، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها» (٢٥/١)

وكتم أنه قال ذلك عندما منعه عثمان من التحديث عن النبي ﷺ !

بل تعمد البخاري تزوير نفي عثمان له الى الربذة بأنه كان خلافاً بسيطاً مع معاوية في تفسير قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فشكاه الى عثمان فجاء أبو ذر الى المدينة: « فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل»! أي الربذة ! (١١١/٢، و: ٢٠٣/٥).

ثم روى بخاري أن النبي ﷺ ذم أبا ذر وقال له: « إنك امرؤ فيك جاهلية » ! (١٣/١و: ١٢٣/٣ و: ٨٥/٧). وأمره أن يطيع الحاكم بعده حتى لو كان عبداً حبشياً: « إسمع وأطع ولو لحبشي كان رأسه زبيبة ». (١٧١/١). أي وجهه أسود كالزبيبة السوداء.

وروى عنه أحاديث لتأييد مكذوبات رواة السلطة مثل أن النبي ﷺ حكم بأن التوحيد كاف لدخول الإنسان الجنة حتى لو لم يؤمن بالنبي ﷺ وزنى وسرق على رغم أنف أبي ذر ! (٦٩/٢و: ٨١/٤و: ٤٣/٧ و١٣٧و١٧٦و: ١٩٦/٨) وحديث أن الشمس تستأذن بالسجود فلا يؤذن لها ! (٧٥/٤و: ٣٠/٦و: ١٣٦/٨و١٧٨). وأن المسجد الحرام كان أول بيت وضعه الله للناس قبلة ، ثم وضع المسجد الأقصى بعده بأربعين يوماً !

(١١٧/٤و١٣٦). وحديث أن جبرئيل شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وغسله بماء من طست من ذهب ، ثم عرج به ! (٩١/١) و: ١٦٧/٢و: ١٠٦/٤). وروى عنه أحاديث عادية. (٨٢/٣و: ١٢١/٤، و: ١٥٦)، و: ٦/٥و٢٤٢ و: ١٥٠/٦، و: ٨١/٧و٨٤ و١٥٠، و٢١٩، و: ٢١٦/٨).

بينما روت مصادرنا ومصادر السلطة الكثير الوفير المهم عن أبي ذر، وكتب العلماء فيه كتباً خاصة وبحوثاً ضافية ، وكتبنا عنه موجزاً في ترجمة معاوية وأبيه.

٣- *قال ابن حجر في فتح الباري:١٣٢/٧:« قوله: فرآه علي بن أبي طالب..وهذا يدل على* أن قصة أبي ذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين ، بحيث يتهيأ لعلي أن يستقل بمخاطبة الغريب ويضيِّفه ، فإن الأصح في سن علي حين المبعث كان عشر سنين ».

أقول: ابن حجر نموذج لمن يتخفى بالثوب العلمي للإنتقاص من علي عليه السلام ومدح آخرين يحبهم ! فهو يغمض عينيه عن دلالة هذا الحديث الصحيح عنده على تقدم إسلام أبي ذر على إسلام أبي بكر ، ويفترض أن زمن الحديث بعد سنتين من البعثة ليكون عمر علي اثنتي عشرة سنة ، مع أنه يمكن أن يكون ابن عشر سنين ويدعو أبا ذر الغريب الى بيت أبيه أبي طالب زعيم قريش ! على أن ابن حجر يعرف حديث الدار وإنذار العشيرة الأقربين أول البعثة . وأن النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً عليه السلام فصنع طعاماً لأربعين رجلاً ، وأعلنه أخاه ووزيره ووصيه ، ويعرف الأحاديث الصحيحة المتقدمة في خلق نور النبي صلى الله عليه وآله ونور علي عليه السلام قبل الخلق ، ويعرف حديث النبي صلى الله عليه وآله الصحيح إن الملائكة صلت عليه وعلى علي سبعاً قبل الناس ، لأنهما صليا قبل الناس سبع سنين ! ويعرف قول علي عليه السلام:« أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كذاب ! صليت قبل الناس لسبع سنين». وأنه صحيح بشرط الشيخين !

وقد صرح ابن حجر في فتح الباري:١٣٠/٧، بأن البخاري لم يجد في أولية إسلام أبي

بكر إلا مانسبه الى عمار ، قال: « اكتفى بهذا الحديث لأنه لم يجد شيئاً على شرطه غيره ، وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر ، إذ لم يذكر عمار أنه رأى مع النبي(ص) من الرجال غيره » ! فيكفي عنده لإثبات أولية إسلام أبي بكر حديث مبهم ، ويرد به أحاديث قوية كحديث إسلام أبي ذر ! قال:« قد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال». والجمهور هنا أتباع السلطة ، واتفاقهم حجة وكفى !

٤- روى مسلم (١٥٢/٧) قصة إسلام أبي ذر بخلاف رواية بخاري ، وفيها أنه صلى

قبل الإسلام بثلاث سنين ودخل مكة فسأل: « أين هذا الذي تدعونه الصابئ» ؟ وأنهم اجتمعوا عليه وضربوه وأدمَوْه فغسل عنه الدماء بماء زمزم ، وبقي شهراً لم ير النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن له طعام إلا ماء زمزم حتى سمن ، ثم رأى النبي صلى الله عليه وآله جاء للطواف مع أبي بكر فسلم عليه ، واستأذن أبو بكر من النبي صلى الله عليه وآله أن يضيفه فأطعمه من زبيب الطائف ! وأسلم ورجع الى قومه يدعوهم...

قال ابن حجر (١٣٢/٧):« وقد أخرج مسلم قصة إسلام أبي ذر من طريق عبد الله بن الصامت عنه ، وفيها مغايرة كثيرة لسياق ابن عباس.. ويمكن التوفيق بينهما بأنه لقيه أولاً مع علي ثم لقيه في الطواف أو بالعكس... وقال القرطبي: في التوفيق بين الروايتين تكلفٌ شديد ، ولا سيما أن في حديث عبد الله بن الصامت أن أبا ذر أقام ثلاثين لا زاد له ، وفي حديث ابن عباس أنه كان معه زاد وقربة ماء..إلخ».

وصدق القرطبي ، فرواياتهم في إسلامه متناقضة لايمكن الجمع بينها !

٥- شهد أهل البيت عليهم السلام وأبو ذر رضي الله عنه أنه رابع المسلمين الذين أعلنوا إسلامهم ، وهم

علي وجعفر وزيد وأبو ذر. ففي الفوائد الرجالية: ١٥٣/٢، في حديث نفي عثمان لأبي ذر:

« فقال أبو ذر: أجل والله لقد رأيتني رابع أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما أسلم غيرنا وما أسلم أبو بكر ولا عمر. فقال علي عليه السلام: والله لقد رأيته وهو رابع الإسلام ».

وقال النووي في المجموع: ٣٥/٤: « قيل كان رابع من أسلم وقيل خامس ».

وروى الطيالسي/١٥٧، والحارث/٣٠٤ ، والآحاد والمثاني: ٢٣٠/٢ ، « عن أبي ذر قال: كنت ربع الإسلام أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع» وابن حبان:٨٣/١٦، وكبير الطبراني:١٤٧/٢، والحاكم:٣٤١/٣، وصححه ، والزوائد: ٣٢٧/٩ ، ووثقه ، وغيرهم. وبه يظهر تعصب بخاري وابن حجر.

وقال أبو نعيم في حلية الأولياء:١٥٦/١:« هو العابد الزهيد ، القانت الوحيد ، رابع الإسلام ، ورافض الأزلام ، قبل نزول الشرع والأحكام ، تعبد قبل الدعوة بالشهور والأعوام ، وأول من حيا الرسول بتحية الإسلام ، لم يكن تأخذه في الحق لائمة اللوام ، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام ، أول من تكلم في علم البقاء ، وثبت على المشقة والعناء ، وحفظ العهود والوصايا ، وصبر على المحن والرزايا ، واعتزل مخالطة البرايا إلى أن حل بساحة المنايا ، أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، خدم الرسول ، وتعلم الأصول ، ونبذ الفضول ». انتهى.

لكنهم لم يتركوا حديثه بدون تخريب ، فجعلوا الثلاثة قبله: النبي صلى الله عليه وآله وأبا بكر وبلالاً ، وحذفوا علياً وخديجة وجعفراً وزيداً وحمزة وأبا طالب !

ثم كذبوا على أبي ذر رحمه الله بأنه قال:« لم يسلم قبلي إلا النبي وأبو بكر وبلال» (الحاكم:٣٤٢/٣) مع أنهم رووا حديثاً صحيحاً متواتراً عن عفيف الكندي سمى فيه الثلاثة الذين قبله ، قال: «كنت امرأ تاجراً وكنت صديقاً للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى ، فجاء رجل

فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي ، ثم جاءت امرأة فقامت تصلي ، ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي ، فقلت للعباس: من هذا ؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، يزعم أنه نبي ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام . وهذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب . قال عفيف الكندي وأسلم وحسن إسلامه: لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام». (الحاكم:١٨٣/٣، وابن كثير:٤٣٠/١، وغيرهما).

كما يلفتك تحريف ابن حبان حيث قال في صحيحه:٨٣/١٦« قول أبي ذر كنت رابع الإسلام: أراد من قومه ، لأن في ذلك الوقت أسلم الخلق من قريش وغيرهم » !

٦- لم يهتم أتباع مذاهب السلطة بأبي ذرﷺ ، معشار ما اهتموا بأصاغر الصحابة

ولو كان لأحد منهم بعض ما له من المناقب ، لملؤوا به كتبهم !

روى في الكافي:٥٨٧/٢، عن الإمام الصادقعليه السلام قال:«إن أبا ذر أتى رسول اللهصلى الله عليه وآله وعنده جبرئيلعليه السلام في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول اللهصلى الله عليه وآله ، فلما رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما ، فقال جبرئيل: يا محمد هذا أبو ذر قد مرَّ بنا ولم يسلم علينا ، أما لو سلم لرددنا عليه ، يا محمد إن له دعاء يدعو به ، معروفاً عند أهل السماء ، فسله عنه إذا عرجتُ إلى السماء .

فلما ارتفع جبرئيل جاء أبو ذر إلى النبي فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: ما منعك يا أبا ذر أن تكون سلمت علينا حين مررت بنا؟ فقال: ظننت يا رسول الله أن الذي معك دحية الكلبي قد استخليته لبعض شأنك ، فقال: ذاك جبرئيلعليه السلام يا أبا ذر وقد قال:

أما لو سلم علينا لرددنا عليه ، فلما علم أبو ذر أنه كان جبرئيل عليه السلام دخله من الندامة حيث لم يسلم عليه ما شاء الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا الدعاء الذي تدعو به ، فقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أن لك دعاء تدعو به معروفاً في السماء ؟ فقال: نعم يا رسول الله أقول: اللهم إني أسألك الأمن والإيمان بك ، والتصديق بنبيك ، والعافية من جميع البلاء ، والشكر على العافية ، والغنى عن شرار الناس ».

وفي رجال الطوسي: ١٠٧/١: «وسله عن كلمات يقولهن إذا أصبح».

وفي الخصال/٤٤٨: «عن عبد العزيز القراطيسي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم ، فقال: يا عبد العزيز ، الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي ، تُرْتقى منه مرقاتٌ بعد مرقاة ، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شئ ، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شئ ، حتى انتهى إلى العاشرة. قال: وكان سلمان في العاشرة ، وأبو ذر في التاسعة ، والمقداد في الثامنة. يا عبد العزيز: لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك ، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل ، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره ، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره ، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته».

وفي الخصال/٤٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « كان أكثر عبادة أبي ذر رحمة الله عليه: التفكر والإعتبار» .

وفي الكافي: ٢٥٠/٣، عن علي بن إبراهيم رفعه ، قال:« لما مات ابن أبي ذر ، مسح

أبو ذر القبر بيده ثم قال: رحمك الله يا ذر ، والله إن كنت بي باراً ، ولقد قبضت وإني عنك لراض ، أما والله ما بي فقدك وما عليَّ من غضاضة ، ومالي إلى أحد سوى الله من حاجة ، ولولا هول المطلع لسرني أن أكون مكانك ، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ! والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك ، فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ ثم قال: اللهم إني قد وهبت له ما افترضت عليه من حقي فهب له ما افترضت عليه من حقك ، فأنت أحق بالجود مني».

وفي الكافي: ٤٥٨/٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:«جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة ، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب ! فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسئ منكم فكالآبق يرد على مولاه ! قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: أعرضوا أعمالكم على الكتاب ، إن الله يقول: إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . قال فقال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين».

وفي كامل الزيارات/١٥٣، عن عروة قال:«سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الربذة ، فقال له الناس: يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله تعالى ، فقال: ما أيسر هذا ، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً ، أو قال ذبحاً ؟! والله لايكون في الإسلام أعظم قتيلاً منه ، وإن الله سيسلُّ سيفه على هذه الأمة لايغمده أبداً ، ويبعث قائماً من ذريته فينتقم من الناس ! وإنكم لو تعلمون مايدخل على أهل

البحار وسكان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتى تزهق أنفسكم ! وما من سماء يمر به روح الحسين إلا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة ! وما من سحابة تمر وترعد وتبرق إلا لعنت قاتله، وما من يوم إلا وتعرض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله فيلتقيان».

٦- إسلام عمرو بن عبسة السلمي أخ أبي ذر لأمه

ذكرت بعض روايات إسلام أبي ذر رضي الله عنه أنه أسلم هو وأخوه أنيس وأمه رملة بنت الوقيعة الغفارية ، وعدد من قبيلته بني غفار. (أعيان الشيعة: ٢٢٥/٤، والأحوذي: ٣٠٥/١٠). وذكروا له أخاً من أمه هو عمرو بن عبسة السلمي. (تهذيب الكمال: ٢٩٤/٣٣).

قال الطبري:٦١/٢:«اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله (ص) خديجة بنت خويلد ، ثم اختُلف عندنا في ثلاثة نفر ، في أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة ، أيهم أسلم أول ، قال الواقدي: أسلم معهم خالد بن سعد بن العاص خامساً ، وأسلم أبو ذر قالوا رابعاً أو خامساً ، وأسلم عمرو بن عبسة السلمي فيقال رابعاً أو خامساً . قال: فإنما اختلف عندنا في هؤلاء النفر أيهم أسلم أول ، وفي ذلك روايات كثيرة». وشبيه به تاريخ اليعقوبي:٢٣/٢.

وقال الحاكم: ١٤٨/٤، عن عمرو بن عبسة السلمي قال:«أتيت رسول الله (ص) في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخف ». وروى أحمد: ١١٢/٤، عن ابن عبسة: «إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئاً ، ثم سمعت

عن رجل يخبر أخبار مكة ويحدث أحاديث ، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة فإذا أنا برسول الله مستخف ، وإذا قومه عليه جرآء ، فتلطفت له فدخلت عليه فقلت: ما أنت؟ قال أنا نبي الله ، فقلت: وما نبي الله؟ قال: رسول الله. قال قلت: آلله أرسلك؟ قال: نعم. قلت: بأي شئ أرسلك؟ قال: بأن يوحد الله ولا يشرك به شئ وكسر الأوثان وصلة الرحم. فقلت له: من معك على هذا؟ قال: حر وعبد ، أو عبد وحر ، وإذ معه أبو بكر بن أبي قحافة وبلال مولى أبي بكر. قلت إني متبعك. قال: إنك لاتستطيع ذلك يومك هذا ، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي. قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت فخرج رسول الله مهاجراً إلى المدينة ، فجعلت أتخبر الأخبار حتى جاء ركبة من يثرب فقلت: ما هذا المكي الذي أتاكم؟ قالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحيل بينهم وبينه ، وتركنا الناس سراعاً اليه. قال عمرو بن عبسة: فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم ، ألست أنت الذي أتيتني بمكة؟ قال قلت: بلى ، فقلت: يا رسول الله علمني مما علمك الله وأجمل. قال: إذا صليت الصبح فاقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت فلا تصل حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر فإذا صليت العصر فاقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب حين تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار .

قلت: يا نبي الله أخبرني عن الوضوء . قال: ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينتثر إلا خرجت خطاياه من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطاياه وجهه من أطراف لحيته من الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرجت خطايا يديه من أطراف أنامله ، ثم يمسح رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله عز وجل إلا خرجت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد الله عز وجل ويثني عليه بالذي هو له أهل ، ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنبه كهيئته يوم ولدته أمه !

قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة أنظر ما تقول ! أسمعت هذا من رسول الله؟! أيعطى هذا الرجل كله في مقامه ؟! قال فقال عمرو بن عبسة: يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي من حاجة أن أكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ! لو لم أسمعه من رسول الله إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك » ! وبعضه الطبقات: ٢١٧/٤.

وكان عمرو بن عبسة يقول: « رأيت النبي صلى الله عليه وآله وهو نازل بعكاظ فقلت: من معك على هذا الأمر؟ فقال: رجلان أبو بكر وبلال ، فأسلمت . ولقد رأيتني وأنا ربع الإسلام». (أحمد: ١١٢/٤، المستدرك: ٦٦/٣، و٢٨٥ ، و: ١٦٤/١. وتهذيب الكمال: ١٢١/٢٢، والطيالسي/١٥٧، وابن خزيمة: ١٢٩/١، والأحاديث الطوال/٣٦).

وقال في الطبقات: ٢١٩/٤: « لما أسلم عمرو بن عبسة بمكة ، رجع إلى بلاد قومه بني سليم ، وكان ينزل بصُفَّة وحَاذَة ، وهي من أرض بني سليم ، فلم يزل مقيماً هناك

حتى مضت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر ، ثم قدم على رسول الله بعد ذلك المدينة». وفي الطبقات: ٤٠٣/٧: « ثم خرج بعد وفاة رسول الله (ص) إلى الشام فنزلها إلى أن مات بها». راجع معجم البلدان: ٣٨٦/٤.

أقول: كلامه عن الصلاة وكيفية إسلامه يوجب الشك في صدقه ، ولعله زار أمه وأخويه أبا ذر وأنيساً ، فوجدهم مسلمين فأسلم ، ثم عاد الى موطنه في بني سليم في أطراف نجد ، وبقي هناك ولم يهاجر . ومما يزيد الشك في صدقه أنه جعل إسلام أبي بكر قبل كل الناس ، وإسلام بلال مع أبي بكر ، ولم يقل به أحد !

٧- شهد سعد بأن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين

قالوا إن علياً كان صغيراً لم يبلغ الحلم عندما أسلم ، وكان أبو بكر شاباً ! ثم قالوا إنه أسلم قبل علي عليه السلام وبالغوا في شجاعته وثروته وتعداد من أسلم على يده ! لكن سعد بن أبي وقاص شهد بأن أبا بكر أسلم متأخراً ، فقد قال ابنه محمد: «قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟ فقال: لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلاماً ». (الطبري: ٦٠/٢) .

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه: ٤٤٨/٨ ، عن هشام بن عروة قال:« أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف درهم.. أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية أم عمار ، فأما رسول الله فمنعه عمه ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأُخذ الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صهروهم...».

أقول: هذا التصور لا يصح عن المرحلة الأولى من البعثة ، لأنه لم يعلن أحد إسلامه فيها إلا وتعرض لأذاها ، كما حدث لأبي ذر رضي الله عنه وأسرة عمار ! فقوله:«منعته قبيلته» لايصح في أبي بكر حيث رووا أن شخصاً من قبيلة أخرى هي قبيلة أسد عبد العزى كان يربط أبا بكر بحبل هو وطلحة ويحبسهما ، فسميا القرينين (الحاكم: ٣/٣٦٩) .

وقالوا إن شخصاً آخر كان يربطهما أيضاً (الإصابة: ٦/٧٧ ، راجع: الصحيح من السيرة: ٣/٩٦) . ورووا أن أبا بكر هاجر بسبب تعذيبه الى اليمن ، فأجاره شخص إسمه ابن الدغنة رئيس قبيلة الأحابيش في مكة ! في قصة كررها بخاري في صحيحه (٣/٥٨ ، وابن هشام: ١/٢٤٩) فلو منعه قومه بنو تيْم لما ربطه شخص بحبل ! فيبقى قول سعد بن أبي وقاص أقوى بأن أبا بكر أسلم متأخراً .

كما روى الطبري(٢/٦١) عن ابن إسحاق أنه قال:«ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ، فكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة الصديق ». لكن ابن هشام (١/١٦٥)نسب الى ابن إسحاق قوله:« فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله . وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعوا إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ، ويجلس إليه...

ثم قال ابن هشام:« ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر: فأسلم بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله حين استجابوا له فأسلموا

وصلوا. وكان رسول الله يقول فيما بلغني: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه».

ورد عليهم أبو جعفر الاسكافي في كتابه نقض العثمانية للجاحظ ، وقد ألفه في حياة الجاحظ حدود٢٤٠ ، قال:« ما أعجب هذا القول إذ تدعي العثمانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الإحتجاج ، وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله في الإسلام طوعاً برفقة ولطف احتجاجه ، ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه ! ولا كان لأبي بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به ويدعوه إليه ، كما روي أن أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه ، فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائماً في بعض شعاب مكة يصلي وعلي معه عن يمينه ، فلما رآهما أبو طالب قال لجعفر: تقدم وصلْ جناح ابن عمك ، فقام جعفر عن يسار محمد ، فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال: إن علياً وجعفراً ثقتي... الأبيات.. فذكر الرواة أن جعفراً أسلم منذ ذلك اليوم ، لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره ، وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبد الرحمن في الإسلام حتى أقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة ، وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادي: أنا عبد الرحمن بن عتيق ، هل من مبارز ؟ ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الإسلام طوعاً وكرهاً ، ولم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سبيلا ! وأين كان رفق أبي بكر وحسن احتجاجه عن أبيه أبي قحافة وهما في دار واحدة ؟ هلا رفق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم ! وقد علمتم أنه (أبو قحافة) بقي على الكفر إلى يوم

الفتح ، فأحضره ابنه عند النبي وهو شيخ كبير رأسه كالثغامة (نبات أبيض) فنفر رسول الله وقال: غيِّروا هذا ، فخضبوه ثم جاؤوا به مرة أخرى فأسلم. وكان أبو قحافة فقيراً مدقعاً سئ الحال ، وأبو بكر عندهم كان مثرياً فائض المال ، فلم يمكنه استمالته إلى الإسلام بالنفقة والإحسان !

وقد كانت امرأة أبي بكر أم عبد الله ابنه ، واسمها نملة بنت عبد العزى بن أسعد بن عبد بن ود العامرية ، لم تسلم وأقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهي كافرة ، فلما نزل قوله تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ، فطلقها أبو بكر !

فمن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته ، فهو عن غيرهم من الغرماء أعجز ! ومن لم يقبل منه أبوه وابنه وامرأته لا برفق واحتجاج ، ولا خوفاً من قطع النفقة عنهم وإدخال المكروه عليهم ، فغيرهم أقل قبولاً منه ، وأكثر خلافاً عليه » !

أقول: ومما يؤيد قول سعد أبي وقاص بتأخر إسلام أبي بكر ، أن مرحلة دعوة العشيرة الأقربين التي امتدت ثلاث سنوات كان الخوف فيها شديداً حتى هلك الفراعنة الخمسة ، فلو صح أنه أسلم في تلك الفترة لوصفوا ردة فعل قريش ، كما وصفوه في إسلام أبي ذر وعمار . راجع: الصحيح من السيرة: ٣١٧/٢، والغدير: ٩١/٧.

٨- خامس المسلمين خالد بن سعيد بن العاص الأموي

أ- شاء الله عز وجل أن يجعل من أبناء أبي أُحَيْحَة مسلمين مؤمنين ! وأبو أحيحة هو

سعيد بن العاص الأموي ، من كبار فراعنة قريش وأثريائهم ، ومعنى الأُحَيْحَة الضغينة في الصدر ، ويقال كان له ابن إسمه أحيحة توفي صغيراً.

وكان له خمسة أولاد ذكور وقيل ثمانية ، والمعروف منهم ابنه الكبير العاص الذي شهد بدراً مع المشركين فقتله علي عليه السلام ، وخالد وعمرو وأبان الذين أسلموا وختم لهم بالشهادة ، وأفضلهم خالد الذي أكرمه الله برؤيا كانت سبب هدايته !

ففي الطبقات: ١/١٦٦، وتاريخ دمشق: ١٦/٦٧، عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت:

« لما كان قبيل مبعث النبي (ص) بينا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم قال: رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه ، فبينا هو كذلك إذ خرج نور ثم علا في السماء فأضاء في البيت ، ثم أضاء مكة كلها ، ثم إلى نجد ، ثم إلى يثرب فأضاءها حتى أني لأنظر إلى البسر (التمر) في النخل !

قال فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد وكان جَزِلَ الرأي (راجحه) فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب ! ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم (زمزم). قال خالد: فإنه لمما هداني الله به للإسلام.

قالت أم خالد: فأول من أسلم أبي ، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله (ص) فقال: يا خالد أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول الله ، فقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد ، وأسلم عمرو ». والمنمق /٢٩٢، وكنز الفوائد/٩٣ ، وغيرها، بروايات متعددة فيها فروقات وتفاصيل .

وفي المستدرك:٢٤٨/٣:« وأرسل أبوه في طلبه من بقي من ولده ممن لم يسلم ورافعاً مولاه ، فوجده فأتوا به أباه أبا أحيحة ، فأنَّبه وبكَّته وضربه بصريمة في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال: اتبعت محمداً وأنت ترى خلاف قومه ، وما جاء به من عيب آلهتهم وعيبه من مضى من آبائهم؟!

فقال خالد: قد صدق والله واتبعته. فغضب أبوه أبو أحيحة ونال منه وشتمه ثم قال: إذهب يا لكع حيث شئت ، والله لأمنعنك القوت !

فقال خالد: إن منعتني فإن الله عز وجل يرزقني ما أعيش به ! فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به ، فانصرف خالد إلى رسول الله (ص) فكان يكرمه ويكون معه ».

وفي الطبقات: ٩٥/٤:«كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص ثالثاً أو رابعاً ، وكان ذلك ورسول الله (ص) يدعو سراً... فضربه أبو أحيحة بقراعة في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم أمر به إلى الحبس وضيق عليه وأجاعه وأعطشه ، حتى لقد مكث في حر مكة ثلاثاً ما يذوق ماء ، فرأى خالد فُرجة فخرج فتغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى حضر خروج أصحاب رسول الله إلى الحبشة في الهجرة الثانية».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٨٨/١: « استفاضت الرواية أن أول من أسلم علي ، ثم خديجة ، ثم جعفر ، ثم زيد ، ثم أبو ذر ، ثم عمرو بن عنبسة السلمي ، ثم خالد بن سعيد بن العاص ، ثم سمية أم عمار ، ثم عبيدة بن الحرث ، ثم حمزة ، ثم خباب بن الأرت ، ثم سلمان ، ثم المقداد ، ثم عمار ، ثم عبد الله بن مسعود ، في

جماعة. ثم أبو بكر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد ، وصهيب وبلال ».

وفي الآحاد والمثاني:١/٣٨٧: « وكان جميلاً وسيماً ، قتل وهو ابن نحو خمسين».

وفي الإستيعاب:٢/٤٢٠:« هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته الخزاعية ، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد ، وابنته أم خالد... قالت.. وشهد أبي مع رسول الله عمرة القضاء وفتح مكة ، وحنيناً ، والطائف ، وتبوك ، وبعثه رسول الله على صدقات اليمن ، فتوفى رسول الله (ص) وأبي باليمن ».

ب- ويفهم من شعر أخيه أبان أن زوجة خالد الخزاعية كان لها دور في إسلامه ،

فقد بعث أبان لأخويه خالد وعمرو رسالة الى الحبشة ،كما في تاريخ دمشق: ٦/١٢٩:

« ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهداً ... لما يفترى في الدين عمرو وخالد

أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا ... يعنيان من أعدائنا من نكابد

فأجابه أخوه خالد:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عرضه ... ولا هو عن سوء المقالة مقصر

يقول إذا اشتدت عليه أموره ... ألا ليت ميتاً بالظريبة ينشر

فدع عنك ميتاً قد مضى لسبيله ... وأقبل على الحي الذي هو أقفر »

ج- وهاجر خالد الى الحبشة ، لكنه كان يتردد على النبي ﷺ ويقوم له بمهمات.

فقد أرسله النبي ﷺ الى قيصر الروم ، فتأثر كبير الأساقفة. (تاريخ دمشق: ١٦/٦٧).

وكان يتاجر الى اليمن فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله بآلة كالمنجنيق من جرش (إمتاع الأسماع: ٢١/٢) **. وكان الى جانب جعفر بن أبي طالب ، ورجع معه من الحبشة في السنة السابعة عند فتح خيبر.** (الإستيعاب: ١١٧٧/٣). **راجع الملحق رقم (١٢) .**

٩- من أوائل المسلمين عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

أ- في الخصال/٤٥٢ ، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر قال:« سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن

ولد عبد المطلب فقال: عشرة ، والعباس ! قال الصدوق: وهم عبدالله ، وأبو طالب والزبير ، وحمزة ، والحارث وهو أسنُّهم ، والغيداق ، والمقوم ، وحجل ، وعبد العزى وهو أبو لهب ، وضرار ، والعباس».

وفي جواهر العقود للأسيوطي:٣٩٦/١: « وأجمعوا على تحريم الصدقة المفروضة على بني هاشم ، وهم خمس بطون: آل علي ، وآل عباس ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث بن عبد المطلب. واختلفوا في بني المطلب فحرمها مالك وأحمد في أظهر روايته ، وجوزها أبو حنيفة». وذكر الشيخ الطوسي أن ذرية عبد المطلب انحصرت بأولاد أبي طالب ، والحارث ، والعباس ، وأبي لهب ، ولا عقب للباقين. (الخلاف:٥٤٠/٣).

ب- أسلم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله أبو طالب وحماه وناصره ، وكذا حمزة ، ولم يسلم

العباس إلا بعد أن أخذ أسيراً في بدر ، وشذ أبو لهب الى النار.

كما أسلم عبيدة بن الحارث ابن عم النبي ﷺ في أوائل البعثة ، وكان أكبر سناً من النبي ﷺ. وفي الطبقات: ٥٠/٣:«كان مربوعاً أسمر حسن الوجه...أسلم عبيدة بن الحارث قبل دخول رسول الله دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها ».

ج- وكان عبيدة أحد المسلمين الصادقين ، فتعاهد هو وحمزة وعلي وجعفر على نصرة النبي ﷺ وبذل أرواحهم دونه ، وكان ذلك في المرحلة الأولى من الدعوة عندما تكالبت قريش على قتل النبي ﷺ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه مع حبر يهودي:«قد علم من حضر ممن ترى ومن غاب من أصحاب محمد ﷺ أن الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الشديد الحر ، من ذي العطش الصدي ! ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله ﷺ أنا وعمي حمزة ، وأخي جعفر، وابن عمي عبيدة ، على أمر وفينا به لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، فتقدمني أصحابي وتخلفت بعدهم ، لما أراد الله عز وجل فأنزل الله فينا: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. حمزة وجعفر وعبيدة.. وأنا والله والمنتظر يا أخ اليهود ، وما بدلت تبديلا ». (الخصال/٣٧٦ ، ودعائم الإسلام: ٣٥٤/٢ ، وكثير من المصادر).

وقد طبق الإمام الصادق عليه السلام الآية على من صدق ووفى بولاية عترته الطاهرين عليهم السلام فقال لأبي بصير رحمه الله (الكافي: ٣٤/٨):«يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ، إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا ، وإنكم لم تبدلوا

بنا غيرنا ولو لم تفعلوا لعيركم الله كما عيرهم حيث يقول جل ذكره: وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ». راجع الملحق رقم (١٣).

١٠- إسلام عمار ووالديه ياسر وسمية رضي الله عنهم

أ- تعمدت السيرة الرسمية أن تجعل أبا بكر أول من أسلم وأول من أظهر إسلامه!

وطمسوا أدوار كل الذين لم ترض عنهم السلطة ! وفي مقدمتهم بنو هاشم ، وأبو ذر ، وعمار ، وخالد بن سعيد ، وخباب ، والمقداد ، وغيرهم من كبار الصحابة وأبطال الإسلام ، الذين سبقوا أبا بكر وعمر وعثمان في الإسلام والدعوة والتضحية والجهاد ، وشهد النبي صلى الله عليه وآله في حقهم شهادات عظيمة ، لم ينل أبو بكر وعمر وعثمان جزءً منها ! ومن هؤلاء الكبار عمار بن ياسر رضي الله عنه.

ب- قال في عمدة القاري: ٢٩/١٢ ، ونحوه فتح الباري: ٧١/٧ ، في شرح قول البخاري:

«باب مناقب عمار وحذيفة: وأما عمار فإنه كان عربياً عنسياً ، بالنون والسين المهملة ، ما وقع عليه سِبَاءٌ وإنما سكن أبوه ياسر مكة وحالف بني مخزوم ، فزوجوه سمية بضم السين وهي من مواليهم. أسلم عمار بمكة قديماً وأبوه وأمه وكانوا ممن يعذب في الله عز وجل ، فمر بهم النبي (ص) وهم يعذبون: فقال صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. وقتل أبو جهل سمية طعنها بحربة في قبلها ، فكانت أول شهيد في الإسلام» . وقال ابن أبي شيبة(٤٤٨/٨):«صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ماسألوا... فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث ، ثم طعنها فقتلها» ! راجع عن مناقب عمار رضي الله عنه الملحق رقم (١٧) .

١١- أسلم في المرحلة الأولى قلة ولم يعلنوا كلهم إسلامهم

اتفق رواة السيرة على أن عائلة ياسر من أول المسلمين ، وكانوا حلفاء لبني مخزوم ، ولا تجد في روايات إسلامهم وتعذيبهم ذكراً للوليد بن المغيرة ، بل الذي عذبهم وقتل ياسراً وسمية هو أبو جهل رئيس بني مخزوم بعد عمه الوليد.

وهو يؤكد أن تلك السنوات كانت شديدة الخطر على حياة النبي ﷺ وعلى من تشك قريش وفراعنتها الخمسة بأنه يميل اليه !

نعم ، يحتمل أن يكون البعض أسلم سراً على تخوف ، ثم كشفوه ، أو تجرأ على إعلان إسلامه عندما خف الخطر بعد هلاك المستهزئين .

إن ظروف السنوات الثلاث الأولى للبعثة ، التي ختمت بقوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . يدل على أنها المرحلة الأصعب والأخطر على حياة النبي ﷺ وبني هاشم ، وكل من أسلم !

وأن الله تعالى كلف رسوله فيها بدعوة عشيرته الأقربين فقط ، ولم يكلفه بدعوة الناس عامة ، حتى كفاه فراعنة قريش الخمسة ، فأهلكهم في يوم نزول الآية !

فقد استشاطت قريش وجن جنونها لخبر بعثته ﷺ ودعوته بني هاشم واتخاذه منهم وزيراً ، فاستنفرت ضده وعملت بكل مكرها لقتله ، وأقفلت أمامه طريق الدعوة العامة وكان أولئك الخمسة أشد طغاة قريش كيداً للنبي ﷺ ، وقد بلغ من عتوهم أنهم أيام نزول الآية طلبوا منه أن يعلن رجوعه عن دعوى النبوة ، وعينوا له يوماً ينتهي فيه الإنذار ! فتدخل الله تعالى لإزاحتهم من طريقه !

ولم يثبت أن أحداً أظهر إسلامه من غير بني هاشم ، إلا أبو ذر الغفاري رحمه الله فتعرض للأذى والضرب ! وقد يكون أسلم في تلك الفترة المقداد وخباب بن الأرت وبلال

وعبد الله بن مسعود وآل ياسر ، وكانوا يخفون إسلامهم حتى اكتشف أبو جهل إسلام آل ياسر فعذبهم وقتل سمية ، ولو كان اكتشفهم الوليد بن المغيرة لذكر ذلك التاريخ !

ولهذا لايصح ما ذكروه عن إسلام أبي بكر كقول ابن هشام:١٦٤/١:« ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة واسمه عتيق.. فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله ».ثم عدد عثمان ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وطلحة وأنهم أسلموا على يد أبي بكر وجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وآله، وقال:« فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا ، ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد.. والأرقم بن أبي الأرقم.. وعثمان بن مظعون بن حبيب.. وعبيدة بن الحارث بن المطلب.. وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.. وامرأته فاطمة بنت الخطاب.. أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة ، وخباب بن الأرت ، حليف بني زهرة».

ومن الواضح أن قولهم:« سبقوا الناس بالإسلام فصلوا» وضعوه مقابل ما رووه بسند صحيح من أن علياً عليه السلام أول من أسلم ، وأن النبي صلى الله عليه وآله قال:« صلت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي أحد قبله». رواه الخطيب في المتفق:١٤١/٣ وتاريخ دمشق:٣٩/٤٢ ، بسندين آخرين ، وفيه:« لأنا كنا نصلي ليس معنا أحد يصلي غيرنا ، وبلفظ آخر فيه: ولم يصعد أو ترفع شهادة أن لاإله إلا الله من الأرض إلى السماء إلا مني ومن علي بن أبي طالب » .

الفصل السابع عشر

ولادة الصديقة الزهراء وبقية أولاد النبي صلى الله عليه وآله

١- أولاد النبي صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام

من المسائل التي طرحها المؤرخون في أولاد النبي صلى الله عليه وآله: هل كانت خديجة عليها السلام متزوجة قبله أم كانت باكراً ؟ لأنه يوجد قول قوي بأنها كانت باكراً ، وأن التي أشاعت أنها كانت متزوجة كبيرة السن عائشة لغيرتها منها وحسدها كما اعترفت!

ويتصل بذلك: هل أن زينب وأم كلثوم بنات النبي صلى الله عليه وآله أم هنَّ ربائبه ، وهل هن بنات خديجة أو بنات أختها وقد ربتهن خديجة؟ حيث يوجد قول قوي بأنهن ربائب النبي صلى الله عليه وآله، كنَّ بنات أخت خديجة التي توفيت ، وربتهن خديجة.

وتقدم في زواج النبي صلى الله عليه وآله اعتذار عروة بن الزبير عن رواية خالته عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عبر عن زينب بأنها ابنته ، فقال عروة: « وإنما كان هذا قبل نزول آية: أُدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ» . (الحاكم:٢/٢٠٠ وصححه بشرط الشيخين). يقصد عروة أن النبي صلى الله عليه وآله عبَّر عنها بابنته لأنه كان تبناها كما تبنى زيداً ، حتى نزلت الآية التي تنهى عن التبني وتأمر بنسبة الشخص الى أبيه، فلم يعبر عنها بعدها بأنها ابنته.

ومن المسائل هنا: عدد أبناء النبي صلى الله عليه وآله. والمرجح أنهم ثلاثة: عبدالله ، والقاسم وإبراهيم، وأن الطاهر والطيب لقبَان لعبد الله والقاسم.

وفي المناقب:١/١٤٠:«ولد له من خديجة القاسم وعبد الله ، وهما الطاهر والطيب».

وفي شرح الأخبار: ١٥/٣: « ومات القاسم الطيب ، وعبدالله الطاهر بمكة صغيرين ».

وفي الفقيه: ٣٩٧/٣ ، في حديث خطبة أبي طالب وزواج النبي صلى الله عليه وآله بخديجة: « ودخل بها من الغد ، فأول ما حملت ولدت عبد الله بن محمد صلى الله عليه وآله».

وفي الكافي:٢١٨/٣: عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك ؟ فقالت: درت دريرة فبكيت فقال: يا خديجة ، أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها ، وذلك لكل مؤمن ، إن الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ، ثم يعذبه بعدها أبداً». ونحوه مشكاة الأنوار/٥٩، وفيه: « لما توفي الطاهر». وجعل اليعقوبي الطيب والطاهر لقبين لعبد الله. (٢٠/٢).

وفي الخصال/٤٠٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:«ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة القاسم والطاهر وهو عبد الله..وأم كلثوم وزينب وفاطمة. وتزوج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة عليها السلام. وتزوج أبو العاص بن الربيع وهو رجل من بني أمية زينب ، وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم فماتت ولم يدخل بها. وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية القبطية وهي أم إبراهيم أم ولد». ونحوه الكافي:٤٣٩/١.

وفي إمتاع الأسماع:٣٣٣/٥ ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:«توفي القاسم بن النبي (ص) فمر رسول الله وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو بن العاص ، فقال عمرو حين رأى رسول الله(ص): إني لأشنؤه ، فقال العاص: لا جرم لقد أصبح أبتراً ، وأنزل الله تعالى: إن شانئك هو الأبتر» .

«كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله قال: دعوه فإنما هو رجل

أبتر لاعقب له ، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله تعالى في ذلك: إنا أعطيناك الكوثر. ما هو خير لك من الدنيا وما هو فيها ، والكوثر العظيم من الأمر. إن شانئك هو الأبتر: العاص بن وائل ». (أسباب النزول للواحدي/٣٠٧، وابن هشام: ٢/٢٦٥).

«عن ابن عباس قال: نزلت هذه السورة في العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم أنه رأى رسول الله (ص) يخرج من المسجد وهو يدخل ، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا ، وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس ، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث ؟ قال: ذاك الأبتر ، يعني النبي صلى الله عليه وآله وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وكان من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر ، فسمته قريش عند موت ابنه أبتر وصنبوراً ، فأنزل الله سبحانه: إنا أعطيناك الكوثر». (أسباب النزول/٣٠٦ ، وتفسير الثعلبي:١٠/٣٠٧، ومجمع البيان:١٠/٤٥٩ ، والبحار: ١٧/٢٠٣ . وتاريخ دمشق:١٢/١٢٨، وفيه:**«وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته لمن ترضعه ، فلما ولدت فاطمة عليها السلام لم تُرضعها أحداً غيرها»**.

أقول: الكوثر هنا تعني حوض الكوثر في المحشر ، وتعني نهر الكوثر في الجنة ، وتعني ذرية فاطمة عليها السلام. فكوثر الذرية هم ذرية فاطمة عليها السلام . وفي السورة حقائق كثيرة .

٢- أهمية الولد الوارث للنبي صلى الله عليه وآله

في المجتمع القبلي يكون الولد الذكر سند أبيه ووارثه. وفي نظام الأسرة الربانية المختارة تظهر أهمية ذرية النبي: **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**. (آل عمران: ٣٣-٣٤).

وكانت قريش ترى وجود ولد للنبي صلى الله عليه وآله يضيف صعوبةً أمام خطتها لأخذ دولته من بعده ! أما النبي صلى الله عليه وآله فحسابه التسليم المطلق لربه عز وجل، فهو ينفذ أمره ولا يشغل نفسه بما سيكون أو لايكون ، وقد أجاب عمر عندما اعترض عليه في صلح الحديبية فقال صلى الله عليه وآله:«يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً». (صحيح بخاري:٦/٤٥ ، و:٤/٧٠). وقد أمره ربه أن يركز مكانة عترته عليهم السلام علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام ويبشر الأمة باثني عشر إماماً ، ففعل ذلك طوال بعثته ، ثم رزقه ولداً قبل حجة الوداع ، لكن الأمر عنده لم يتغير ، فهو عبد الله ورسوله ، مسلِّمٌ له كل أموره ، وهو على يقين بأنه لن يضيعه .

وقد انكشف أن ذلك الترتيب الإلهي كان في محله تماماً ، لأن إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله مات دون السنتين ، قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله ! (الوافي للصفدي: ١/٧٨).

أما قريش فكانت تتخيل أن النبي حريص على أن يكون له ابن يرثه ! وقد استنفرت عندما رزقه الله إياه من جارية غريبة هي مارية القبطية ، فآذتها نساؤه أذىً مفرطاً وصل الى الضرب، فاضطر أن يسكنها بعيداً عنهن عند عائلة أبي رافع!

ثم أطلق المرجفون ألسنتهم بأن إبراهيم لا يشبه النبي صلى الله عليه وآله واتهموا أمه مارية !

ففي المنتظم: ٣/٣٤٦ ، عن عائشة قالت: « لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إليَّ فقال: أنظري إلى شبهه بي ، فقلت: ما أرى شبهاً» !

وعندما أنزل الله براءة مارية وكشف كذب المفترين ، تبرأت عائشة من اتهامها وقالت: إن أهل الإفك والزور قالوا: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره » ! (الحاكم: ٤/٣٩). ثم قالت إن البراءة نزلت لها ، لقصة حدثت معها قبل سنوات ! راجع صراع

قريش مع النبي صلى الله عليه وآله للمؤلف .

وقد حصر الله ذرية النبي صلى الله عليه وآله بفاطمة عليها السلام، وهذا تكريم عظيم للمرأة حيث جعل الله نسل خير خلقه من ابنته عليها السلام ، وسمى أبناء فاطمة وعلي عليهما السلام أبناء النبي صلى الله عليه وآله فقال: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ.. وقال النبي صلى الله عليه وآله: « يا علي ، ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وجعل ذريته من صلبه ، وجعل ذريتي من صلبك ، ولولاك ما كانت لي ذرية» (الفقيه: ٣٦٥/٤ ، وتفسير القمي: ٣٣٨/٢).

ورووا عن عائشة أنها قالت:«كان رسول الله (ص) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ! فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها ؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ! ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء». (مسند أحمد: ١١٧/٦ ، وكبير الطبراني: ١٣/٢٣، ومجمع الزوائد: ٢٢٤/٩ ، وحسنه ، والإستيعاب: ١٨٢٣/٤، والإصابة: ١٠٣/٨، والوافي: ١٨٢/١٣). ومن مصادرنا: الإفصاح/٢١٧، وروضة الواعظين/٢٦٩، والمراجعات/٣١٥ ، وجامع أحاديث الشيعة: ٧٧/٢٠ ، والصحيح من السيرة: ٢٩١/٣).

وروينا في الخصال للصدوق/٤٠٥، عن الإمام الصادق عليه السلام:«فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: مه يا حميراء ، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود ، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر ، وولدت مني القاسم وفاطمة و وأم كلثوم وزينب ، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً».

ورووا قول النبي صلى الله عليه وآله:« كل ولد أم فإن عصبتهم لأبيهم ، ما خلا ولد فاطمة فإني

أنا أبوهم وعصبتهم » (كبير الطبراني: ٤٤/٣، ومجمع الزوائد: ٢٢٤/٤، و: ٣٠١/٦).

وأفتى علماء المذاهب:« وأولاد بناته ينسبون اليه لحديث: إن ابني هذا سيد مشيراً الى الحسن. وفي حديث: إن الله لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري ، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي.. دون أولاد بنات غيره فينسبون إلى آبائهم. قال تعالى: أُدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ». (كشاف القناع: ٣١/٥).

وقال في نيل الأوطار:١٣٩/٦:« قال السخاوي في رسالته الموسومة بالإسعاف بالجواب على مسألة الأشراف ، بعد أن ساق حديث جابر بلفظ: إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وأن الله جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب، ما لفظه: وقد كنت سئلت عن هذا الحديث وبسطت الكلام عليه وبينت أنه صالح للحجة».

وقال الآلوسي في تفسيره:١٦٤/٢٦:«أخرج أحمد والحاكم في المستدرك عن المسور بن مخرمة ولا كلام فيه ، قال: قال (ص): فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب كلها تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري . وحديث: بضعية فاطمة رضي الله تعالى عنها مُخَرَّج في صحيح البخاري أيضاً . قال الشريف السمهودي: ومعلوم أن أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه (ص) وهذا غاية الشرف لأولادها وعدم انقطاع نسبه (ص). جاء أيضاً في حديث أخرجه ابن عساكر عن عمر مرفوعاً بلفظ: كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري . والذهبي وإن تعقبه بقوله: فيه ابن وكيع لايعتمد ، لكنه استدرك ذلك بأنه ورد فيه مرسل حسن».

٣- مولد الزهراء عليها السلام

وُلدت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد معراج النبي صلى الله عليه وآله . قال في الصحيح من السيرة: ١٧٧/٢: « والقول الحق هو ما عليه شيعة أهل البيت تبعاً لأئمتهم عليهم السلام وأهل البيت أدرى بما فيه وتابعهم عليه جماعة من غيرهم ، وهو أنها قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة ، وتوفيت وعمرها ثمانية عشر عاماً».

وقد وافقنا على ولادتها بعد البعثة عدد من رواة السلطة ، لكن بعضهم قال إنها ولدت قبل البعثة باثني عشرة سنة ، وقال بعضهم بسبع سنين ، وقال بعضهم في سنة البعثة ، وقال بعضهم بعد البعثة بسنة . (راجع الصحيح من السيرة: ١٠/٣).

ومن أقوى الأحاديث الدالة على مذهبنا ، حديث المعراج وأن النبي صلى الله عليه وآله دخل الجنة وأكل من ثمارها فتكونت نطفة فاطمة عليها السلام. قال الصدوق رحمه الله في التوحيد/١١٨: «قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته ، فتحول ذلك نطفة في صلبي ، فلما أهبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، ففاطمة حوراء إنسية ، وكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة». والأمالي/٥٤٦ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٠٧/٢، ونحوه علل الشرائع: ١٨٣/١، والإحتجاج: ١٩١/٢، والمناقب لمحمد بن سليمان: ١٩١/٢. ونحوه في معاني الأخبار/٣٩٦ بلفظ آخر مفصل ..

وروته مصادر غيرنا:«عن ابن عباس ، وسعد بن مالك ، وسعد بن أبي وقاص ، والإمام الصادق ، وعمر بن الخطاب ، وعائشة ، من أنه صلى الله عليه وآله قال لعائشة حينما

عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيدة النساء فاطمة عليها السلام: «نعم يا عائشة، لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة. ففاطمة حوراء إنسية وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها». (الصحيح من السيرة: ١٠/٣، وذكر في مصادره: تاريخ بغداد: ٨٧/٥، والمواهب اللدنية: ٢٩/٢، ومقتل الحسين للخوارزمي/٦٣، وذخائر العقبي/٣٦، وميزان الإعتدال: ٢٩٧/٢ و١٦٠، ومستدرك الحاكم: ١٦٥/٣، وتلخيصه للذهبي، ومجمع الزوائد: ٢٠٢/٩، وينابيع المودة/٩٧، ونزهة المجالس: ١٧٩/٢، ومناقب المغازلي/٣٥٨، والبحار: ٣١٥/١٨ و٣٥٠، ٣٦٤، ونور الأبصار/٤٤ و٤٥..الخ.).

وتدل الأحاديث على تعدد تناوله صلى الله عليه وآله من ثمار الجنة، وفي بعضها أن جبرئيل عليه السلام أتاه بها وأمره أن يجتنب خديجة أربعين يوماً. (مأساة الزهراء: ٣١٦/٢).

هذا، وقد استفاضت الرواية أنها عليها السلام ولدت في العشرين من جمادى الثانية، ففي دلائل الامامة/٧٩، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ولدت فاطمة عليها السلام في جمادى الآخرة يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله، فأقامت بمكة ثمان سنين وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وتسعين يوماً، وقبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة».

وفي أمالي الصدوق/٦٩٠، عن المفضل بن عمر قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال: نعم، إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله فلما حملت بفاطمة كانت تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدث

فاطمة عليها السلام فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني . قال: يا خديجة ، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى وأنها النسلة الطاهرة الميمونة ، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها ، وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه . فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها ، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء ، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا ، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له ، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً . فاغتمت خديجة لذلك فبينا هي كذلك ، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ، ففزعت منهن لما رأتهن ، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربك إليك ونحن أخواتك أنا سارة ، وهذه آسية بنت مزاحم ، وهي رفيقتك في الجنة ، وهذه مريم بنت عمران ، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران ، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء ، فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها ، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة ، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور . ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق من الجنة ، وفي الإبريق ماء من الكوثر ، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها ، فغسلتها بماء الكوثر ، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب

ريحاً من المسك والعنبر ، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية ، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء ، وأن بعلي سيد الأوصياء وولدي سادة الأسباط ، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة منهن باسمها ، وأقبلن يضحكن إليها ، وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة ، بورك فيها وفي نسلها ، فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدر عليها ، فكانت فاطمة عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر ، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة». ودلائل الامامة/٧٧.

وكانت عليها السلام شبيهة بأبيها صلى الله عليه وآله رشيدة العقل والجسم: «تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر ، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة ». (أمالي الصدوق/٦٩٠).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: « وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله النساء وتزوج سودة أول دخوله المدينة فنقل فاطمة إليها ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية ، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله وفوض أمر ابنته إليَّ ، فكنت أدلها وأؤدبها وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها ». (دلائل الامامة//٨١).

وفي علل الشرائع:١٨١/١:« عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة عليها السلام لم سميت الزهراء ؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء ، كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض» .

○ ○

الفصل الثامن عشر

المرحلة الثانية..الدعوة العامة: فاصدع بما تؤمر..

١- عدد سكان مكة وموقع قريش في العرب

كان عدد كل قبائل قريش نحو أربعين ألف نسمة ، لأن غاية ما استطاعوا تجنيده في حرب الأحزاب مع أحابيشهم أربعة آلاف (عمدة القاري: ١٧٦/١٧) فلو حسبنا من كل عشرة أشخاص مقاتلاً ، يكون عددهم جميعاً أربعين ألفاً .

وكانت بطون قريش نحو عشرين قبيلة ، أشهرها: بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو أمية بن عبد شمس ، وبنو عبد الدار بن قصي ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو سهم بن عمرو ، وبنو جمح بن عمرو ، وبنو أنمار بن بغيض ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو عدي...إلخ.

لكن التأثير كان لبضع قبائل وكان الباقي تبعاً لها ، فقد وصف ابن هشام (٣٣١/٢) اجتماعهم في دار الندوة لبحث (مشكلة محمدﷺ) ! فقال: « اجتمع فيها أشراف قريش: من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم ، والحارث

بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل ابن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج. ومن بني جمح: أمية بن خلف.. ومن كان معهم غيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً...إلخ.».

وهذا الإجتماع بعد السنة الثالثة، لأنه سمى أبا جهل زعيماً لمخزوم، وقد صار زعيمها بعد هلاك الوليد بن المغيرة بعد ثلاث سنين من البعثة.

والقبائل الأهم خمسة، وهي التي اعتبروها تمثل الجميع وارتضوا أن تضع الحجر الأسود مكانه، وهي: بنو هاشم، وقد مثلهم النبي صلى الله عليه وآله وقال: «يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عدي من بني سهم، فرفعوه ووضعه النبي صلى الله عليه وآله في موضعه». (الكافي: ٢١٨/٤).

وأهم الجميع: بنو هاشم وبنو أمية، ولذا تراهم واصلوا صناعة أحداث التاريخ وكانت بقية قريش تبعاً لهم. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أن مستقبل الأمة هو الصراع بين بني أمية وبني هاشم، كما أن مستقبل العالم هو الصراع بين بني إسماعيل وبني إسحاق! قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله! قلنا صدق الله وقالوا كذب الله! قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله

وقاتل معاوية علي بن أبي طالب ! وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي والسفياني يقاتل القائم». (معاني الأخبار/٣٤٦).

٢- رؤساء قريش قبل البعثة وعندها

قال المؤرخ محمد بن حبيب في المنمق/٣٣١: « كانت الرئاسة أيام عبد مناف لعبد مناف بن قصي ، وكان القائم بأمور قريش والمنظور إليه منها ، ثم أفضى ذلك بعده إلى هاشم ابنه فولي ذلك بحسن القيام ، فلم يكن له نظير من قريش ولا مساو. ثم صارت الرئاسة لعبد المطلب ، وفي كل قريش رؤساء ، غير أنهم كانوا يعرفون لعبد المطلب فضله وتقدمه وشرفه ».

وكان أكبر أولاد عبد المطلب الحارث ثم الزبير ، وكان الزبير سيداً في زمن أبيه واشتهر بحلف الفضول لرد الظلم عن الحجاج:« فكان سيداً شريفاً شاعراً وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه». (أنساب الأشراف/١١، والمنمق/١٧١). «فتحالفوا بالله قائلين: لا ننقض هذا الحلف ما بل بحر صوفة ، وأن لا ندع بمكة مظلوماً ، قال حكيم: ونظرت إلى رسول الله (ص) قد حضر ذلك الحلف يومئذ في دار ابن جدعان ، وكان الذي كتبه بينهم الزبير بن عبد المطلب». (المنمق/١٨٨).

وكان كأبيه يحب النبي صلى الله عليه وآله، ففي المنمق/٣٤٩:« قال الزبير بن عبد المطلب يزفِّن (يُرَقِّص) النبي صلى الله عليه: محمد بن عبدَمْ. عشت بعيشٍ أنعمْ. لا زلت في عيشٍ عمْ. ودولة ومغنمْ. يغنيك عن كل عمْ. وعشت حتى تهرم » .

وفي المنمق/٣٤:«وذكروا أن أكثم بن صيفي (رئيس بني تميم) قال: دخلت البطحاء بطحاء مكة فإذا أنا ببني عبد المطلب يخترقونها كأنهم أبرجة الفضة ، وكأن عمائمهم نوق الرجال ألوية يلحفون الأرض بالحبرات (ثيابهم طويلة) فقال أكثم: يا بني تميم ! إذا أراد الله أن ينشئ دولة أنبت لها مثل هؤلاء ! هذا غرس الله لا غرس الرجال ! قال هشام: لم يكن في العرب عدة بني عبد المطلب أشرف منهم ولا أجسم ، ليس منهم رجل إلا أشم العرنين يشرب أنفه قبل شفتيه ، ويأكل الجذع ويشرب الفرق». يقصد أنهم ضخام يأكل أحدهم خروفاً ويشرب سطل لبن .

وقد توفي الزبير بعد أبيه عبد المطلب بقليل، فتفرد بالسيادة أخوه أبو طالب رحمه الله.

قال اليعقوبي: ١٢/٢: « وكان أبو طالب سيداً ، شريفاً ، مطاعاً ، مهاباً ».

« قيل لأكثم ممن تعلمت الحكم والرياسة ، والحلم والسياسة؟ فقال: من حليف الحلم والأدب ، سيد العجم والعرب ، أبي طالب بن عبد المطلب». (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/٣٣٤).

وكان أكبر زعيم قرشي غير أبي طالب: الوليد بن المغيرة رئيس مخزوم ، وكان بارزاً من حياة عبد المطلب ، وأخذه معه في وفد قريش الى اليمن لتهنئة الملك سيف بن ذي يزن ، وكان الوفد سبعاً وعشرين شخصية فيهم غير الوليد: عتبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وأمية بن خلف. (كمال الدين/١٧٦، والبحار: ١٤٦/١٥).

وتعددت الزعامة بعد وفاة عبد المطلب ، فبرز ابنه أبو طالب رحمه الله رئيساً لبني هاشم وزعيماً محترماً في قريش والعرب ، وبرز معه شخصيات قرشية ، منهم حرب بن

أمية بن عبد شمس رئيساً لبني عبد شمس ، وأبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية رئيساً لبني أمية ، وعبد يزيد بن هاشم بن المطلب رئيساً لبني المطلب ، والمطعم بن عدي بن نوفل رئيساً لبني نوفل بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد ، وعثمان بن الحويرث بن أسد رئيسين لبني أسد بن عبد العزى ، وعكرمة بن هاشم بن عبد مناف رئيساً لبني عبد الدار ، ومخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف رئيساً لبني زهرة ، وعبد الله بن جدعان بن عمرو رئيساً لتيم بن مرة ، والوليد بن المغيرة رئيساً لبني مخزوم ، وعمرو بن نفيل رئيساً لبني عدي ، وأمية بن خلف رئيساً لبني سهم وبني جمح ، وعمرو بن عبد شمس رئيساً لبني عامر بن لؤي ، وضرار بن الخطاب بن مرداس رئيساً لبني محارب بن فهر، وعبدالله أبو أبي عبيدة بن الجراح ، رئيساً لبني الحارث بن فهر. (المنمق لابن حبيب/٣٣١).

وكانت قريش عامة تدين بالوثنية مع بقايا الحنيفية ، إلا عبد المطلب وبنوه فكانوا على حنيفية أبيهم إبراهيم عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: « والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط ! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به». (كمال الدين/١٧٤).

وكان أبو طالب يقول: أنا على ملة عبد المطلب . (صحيح بخاري:٩٨/٢) .

وكان في قريش ملحدون يعلنون إلحادهم ، سماهم في المنمق/٣٨٨: زنادقة قريش ، وقال إنهم تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة ، وهم: الوليد بن المغيرة المخزومي ، والعاص بن وائل السهمي ، وصخر بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبي بن خلف ،

وأبو عزة ، والنضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان .

٣- قريش منجم فراعنة وأكثرهم حق عليهم القول !

سجل القرشيون رقماً قياسياً في العناد فجمعوا العناد اليهودي والبدوي ! حيث لم يقل أحد قبلهم ولا بعدهم: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.(الأنفال: ٣٢). ومعناه: اللهم إنا لانريد نبوة بني هاشم حتى لو كانت حقاً ، فإن كانت حقاً فأهلكنا بعذاب من عندك ، فهو خير لنا !!

« قال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملَّكوا عليهم امرأة ! فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ... ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ». راجع تفسير القمي: ٢٧٦/١، والصراط المستقيم: ٤٩/٣.

ولذا حكم الله عليهم بأنهم فراعنة فقال لهم: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً. فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً.(المزمل: ١٥-١٦).

وقال لهم النبي صلى الله عليه وآله لما وقف على قتلى بدر: « جزاكم الله من عصابة شراً ، لقد كذبتموني صادقاً ، وخونتموني أميناً ! ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون ! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحَّدَ الله ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى » ! (أمالي الطوسي: ٣١٦/١، ومجمع الزوائد: ٩١/٦).

وفرعون وقومه أخذهم الله بالسنين فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو لهم ربه، لكن قريشاً أخذهم الله بالقحط فما دعوا الله ولا طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن يدعو لهم مع أنه أرسل لهم أحمالاً من المواد الغذائية ! فأنزل الله فيهم: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ. (المؤمنون: ٧٦. راجع مستدرك الحاكم: ٣٩٤/٢).

لكن رواة السلطة كذبوا القرآن فقالوا: «أتى أبو سفيان يشفع عنده (ص) في أن يدعو الله لهم فدعا لهم فرفع ذلك عنهم ». (النهاية: ١٠١/٦).

كما أن أكثرهم أبلسوا وحق عليهم القول فلن يؤمنوا أبداً ! لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ. إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ. وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. (يس: ٦-١١).

لكن أتباع زعماء قريش كذَّبوا القرآن وقالوا لم يحقَّ القول على أكثرهم، بل أسلموا وحسن إسلامهم، وصار منهم خلفاء وأئمة !

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام موقف (الملأ من قريش) من نبوة النبي صلى الله عليه وآله والمعجزة التي طلبوها منه ورأوها بأم أعينهم ! فقال عليه السلام: « ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلى خير. ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب.

فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شئ قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا نعم. قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزب الأحزاب. ثم قال صلى الله عليه وآله: يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يديَّ بإذن الله. فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله. فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقي نصفها! فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دوياً، فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله! فقالوا كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع! فقلت أنا: لا إله إلا الله، فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك. فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا ؟! يعنوني»! (نهج البلاغة: ١٥٧/٢).

أقول: صدق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لاتفيئون إلى خير»! وهذا إخبار عن عاقبة أمرهم، فلم يفيؤوا الى خير ومنهم من قتل

في بدر ورُمي في البئر ، وحزَّبوا الأحزاب . وبعد فتح مكة اضطرهم الى خلع سلاحهم ، لكنهم اصلوا تآمرهم عليه صلى الله عليه وآله ، حتى أخذوا دولته واضطهدوا عترته !

٤- المؤذون للنبي صلى الله عليه وآله بالعشرات ، وفراعنة قريش أكثر من خمسة

استشاط زعماء قريش غضباً بمجرد أن سمعوا خبر بعثة النبي صلى الله عليه وآله، وذهبوا الى أبي طالب وطلبوا منه أن يسلمهم النبي صلى الله عليه وآله ليقتلوه ، فردهم وجمع بني هاشم لحمايته ، فقاموا بحملة ضد النبي صلى الله عليه وآله وأخذوا يترصدون الفرصة لأذاه وقتله.

وكان بنو أمية وبنو مخزوم أسوأ من يؤذيه ، ومنهم:

من بني عبد شمس: حنظلة بن أبي سفيان ، وعبيدة بن سعيد بن العاص ، والعاص بن سعيد بن العاص ، وعقبة بن أبي معيط ، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأخوه شيبة ، وابنه الوليد بن عتبة بن ربيعة.

ومن بني مخزوم: الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام وإسمه عمرو بن هشام بن المغيرة ، وأخوه العاص بن هشام ، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، ورفاعة بن أبي رفاعة وأخواه المنذر وعبد الله ، والسائب بن أبي السائب بن عابد ، وأخوه حاجب ، والأسود بن عبد الأسد بن هلال ، وعويمر بن السائب بن عويمر.

ومن بني سهم: منبه بن الحجاج بن عامر ، وابنه العاص بم منبه ، وأخوه نبيه بن الحجاج، وأبو العاص بن قيس، وعاصم بن أبي عوف.

ومن بني جمح: أمية بن خلف بن وهب ، وابنه علي ، وأوس بن معير بن لوذان.

ومن بني أسد بن عبد العزى: زمعة بن الأسود ، وابنه الحارث ، وأخوه عقيل بن الأسود ، وأبو البختري وهو العاص بن هشام بن الحارث ، ونوفل بن خويلد بن أسد ، وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش.

ومن بني عبد الدار: النضر بن الحارث بن كلدة ، وزيد بن مليص. ومن بني تيم بن مرة: عمير بن عثمان ، وعثمان بن مالك.

ومن بني عامر بن لؤي: معاوية بن عامر ، ومعبد بن وهب ، حليفان لهم.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي».(ابن هشام: ٥٢٥/٢).

راجع أسماء المؤذين للنبي صلى الله عليه وآله في إمتاع الأسماع للمقريزي: ٣٢٣/١٤، وكامل ابن الأثير: ٧٠/٢ وأسماء الملعونين على لسان النبي صلى الله عليه وآله في كتاب: ألف سؤال وإشكال للمؤلف: ٢٣٩/٢.

ولا يعني إهلاك الله تعالى للمستهزئين الخمسة على أن غيرهم أقل منهم عداء للنبي صلى الله عليه وآله والإسلام ، بل يعني أنهم كانوا مانعاً من الدعوة أكثر من غيرهم وقد يكون غيرهم أخطر منهم على المدى الطويل كأبي سفيان ، الذي هو العدو الأول للإسلام ، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا وآلُ أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله قلنا صدق الله وقالوا كذب الله..». (معاني الأخبار/٣٤٦)

٥- المستهزئون الخمسة.. عقبة في طريق الدعوة أزاحها الله !

يعتبر النص القرآني في المستهزئين أصلاً في تدوين السيرة ، لأنه قطعي الدلالة على أن الله تعالى أهلكهم ، ففتح باب الدعوة الى دينه ، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله بأن يصدع بأمر ربه. والصدع: الإعلان بحزم.

وتفاوتت الرواية في عددهم من خمسة الى سبعة عشر، لكنا اعتمدنا الخمسة لأنه المشهور والمروي عن أهل البيت عليهم السلام. لكنها اتفقت على أن إهلاكهم كان بمعجزة ربانية، وكان بداية مرحلة جديدة في عمل النبي صلى الله عليه وآله: مرحلة إعلان الدعوة العامة الى الإسلام، بعد الإقتصار على دعوة بني هاشم. وكان كل واحد منهم يقول قبل هلاكه: « قتلني رب محمد »! فانتشر الخوف في قريش من رب محمد صلى الله عليه وآله! وكان إهلاكهم على أثر إنذارهم للنبي صلى الله عليه وآله بالقتل إن لم يتراجع!

وعندما أخبره جبرئيل بهلاكهم بادر صلى الله عليه وآله الى الخروج الى المسجد: « فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقام على الحِجْر فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة. فاستهزؤوا وقالوا: جُنَّ محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب ». (تفسير القمي: ١/٣٧٧).

وفي الخصال/٢٧٩: عن الإمام الحسين عليه السلام « أن أمير المؤمنين عليه السلام قال ليهودي من أحبار الشام في جواب مسائله: فأما المستهزؤون فقال الله عز وجل له: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، فقتل الله خمستهم، قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد: أما الوليد بن المغيرة فإنه مرَّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه، فانقطع أكحله حتى أدماه، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد! وأما العاص بن وائل السهمي، فإنه خرج في حاجة له إلى كداء فتدهده تحته حجر فسقط فتقطع قطعة قطعة، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فإنه خرج يستقبل ابنه زمعة ومعه غلام له فاستظل بشجرة تحت كداء فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخذ رأسه فنطح به الشجرة ، فقال لغلامه: إمنع هذا عني ! فقال: ماأرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك ! فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد !..

وأما الحارث بن الطلاطلة فإنه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً ، فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد.

وأما الأسود بن المطلب فإنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه غلبة العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات ، وهو يقول: قتلني رب محمد !

كل ذلك في ساعة واحدة وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله منزله فأغلق عليه بابه مغتماً بقولهم ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ساعته فقال له: يامحمد السلام يقرؤك السلام وهو يقول: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، يعني أظهر أمرك لأهل مكة وادع ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني؟ قال له: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. قال: ياجبرئيل كانوا عندي الساعة بين يدي؟ فقال: قد كفيتهم! فأظهر أمره عند ذلك » !

وفي الهداية الكبرى/٦٦: «عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: « لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا قريشاً إلى الله تعالى فنفرت قريش من ذلك وقالوا: يا ابن أبي كبشة لقد

ادعيت أمراً عظيماً! أتزعم أنك نبي وأن الملائكة تنزل عليك! فقد كذبت على الله وملائكته، ودخلت فيما دخل فيه السحرة والكهنة!

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: لم تجزعون يا معاشر قريش أن أدعوكم إلى الله والى عبادته؟ والله ما دعوتكم حتى أمرني بذلك، وما أدعوكم أن تعبدوا حجراً من دون الله ولا وثناً ولا صنماً ولا ناراً، وإنما دعوتكم أن تعبدوا من خلق هذه الأشياء كلها وخلق الخلق جميعاً، وهو ينفعكم ويضركم ويميتكم ويحييكم ويرزقكم. ثم قال: والله لتستجيبن إلى هذا الذي أدعوكم إليه شئتم أم أبيتم، طائعين أو كارهين صغيركم وكبيركم! فبهذا أخبرني جبريل عن رب العالمين، وإنكم لتعلمون ما أنا بكاذب وما بي من جنون ولا سحر ولا كهانة، فقد أخبرتكم بما أخبرني به ربي، فاسمعوا وأطيعوا. فكان هذا من دلائله صلى الله عليه وآله ».

وقال ابن إسحاق: ٢٥٤/٥: «كان المستهزؤون برسول الله (ص) خمسة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب، والأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلاطلة أحد خزاعة، فكانوا يهزؤون برسول الله (ص) ويغمزونه، فأتاه جبريل فوقف به عند الكعبة وهم يطوفون به فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبريل إلى بطنه فمات حبناً، ومر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح في كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير فانتقض به فقتله، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فركب إلى الطائف على حمار فربض به على

شبرقة فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتحض قيحاً حتى قتله ، ففيهم أنزل الله عز وجل: إنا كفيناك المستهزئين». وابن هشام:٢٧٧/٢. وفي فتح الباري:٢٩٠/٨: «الأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والعاصي بن وائل والحرث بن قيس والوليد بن المغيرة».

٦- رئيس المستهزئين الوليد بن المغيرة

أ. من صفات المستهزئين الخمسة: الإلحاد ، والمادية ، والتكبر ، والتعقيد النفسي!

بحيث أن الله تعالى الذي وسع حلمه كل شئ قال عنهم وعن رئيسهم الوليد: وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ. سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ.(القلم: ١٠-١٦).

وقال عز وجل: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. وَبَنِينَ شُهُوداً. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاسِحْرٌ يُؤْثَرُ. (المدثر: ١١-٢٦).

وكانت مهنة الوليد صناعة الدروع. (البحار: ١٠١/٣١). وكان زنديقاً ملحداً لايؤمن بشئ ، وكذا العاص بن وائل، وعدد من كبار قريش . (المنتمق/٢٨٨ ، وعمدة القاري: ٢٠٩/١١).

وفي تفسير القمي: ٤٣٠/٢: أنه نزل فيه قوله تعالى: كَلا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى. إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْداً إِذَا صَلَّى!

وفي تفسير القمي: ٣٩٣/٢:« ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً.. فإنها نزلت في الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب، وكان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله... وإنما سمي وحيداً لأنه قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنة وعليكم في جماعتكم سنة ، وكان له مال كثير وحدائق ، وكان له عشر بنين بمكة ، وكان له عشرة عبيد عند كل عبد ألف دينار يتجر بها ، وتلك القنطار في ذلك الزمان ».

وكان رئيس بني مخزوم ، لكنه قاد كل زعماء قريش في مواجهة النبي صلى الله عليه وآله.

ب. وقد وصفه الله تعالى بقوله: عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم ، لأنه كان دعياً ، ليس لأبيه !

وفي الكشاف: ١٤٢/٤:«العتل: الجافي . والزنيم: الدعي. وكان الوليد دعياً في قريش ليس من سنخهم ، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده ».

وفي المنمق/١٠٤، أنه تنافر مع أسيد بن أبي العيص الأموي فقال له أسيد: « أنت رجل من كنانة من بني شجع ! دخيل في قريش نزيع في بني مخزوم» !

وسيأتي طعن أبي طالب بنسبه . كما أن بني أمية مطعون في نسبهم ، فقد قال أبو طالب رضي الله عنه إن أمية كان عبداً لعبد المطلب. (شرح النهج: ٢٣٣/١٥).

كما طعن النبي صلى الله عليه وآله في نسب عقبة بن أبي معيط فقال له:« ما أنت وقريش، وهل أنت إلا يهودي من صفورية» ! (الإحتجاج: ٤١٢/١ ، والإصابة: ٣٩٨/٥، والطبري: ١٥٧/٥).

ج. قال الوليد بن المغيرة للنبي صلى الله عليه وآله: « والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سناً ، وأكثر منك مالاً». (المناقب: ٤٧/١ ، وعدد من التفاسير).

وفي تفسير الثعلبي: ١٨٧/٤: ونزلت فيه: وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ. اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. وقال الوليد: «أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين » ! (الإحتجاج: ٢٦/١، وابن هشام: ٢٤٢/١). فأنزل الله: وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ. (الزخرف: ٣١-٣٢)

د. وفي السنة الأولى لبعثة النبي صلى الله عليه وآله دعا الوليد زعماء قريش الى وليمة ليتفقوا على موقف واحد من النبي صلى الله عليه وآله! ففي الطبراني الكبير:١٠٢/١١:« صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر ، وقال بعضهم: ليس بساحر. وقال بعضهم: كاهن ، وقال بعضهم: ليس بكاهن. وقال بعضهم: شاعر ، وقال بعضهم: ليس بشاعر. وقال بعضهم: سحر يؤثر ! فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ». وتقدم ذلك في فصل دعوة العشيرة الأقربين.

هـ اقترح الملأ من قريش بزعامة الوليد على النبي صلى الله عليه وآله أن يعبدوا ربه سنة ، ويعبد آلهتهم سنة !« اعترضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله، منهم عتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن سعيد ، فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن يكن الذي نحن عليه الحق فقد أخذت بحظك منه ، وإن يكن الذي أنت عليه الحق فقد أخذنا بحظنا منه ، فأنزل الله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.لاأَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا

عَبَدْتُمْ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ». (أمالي المفيد/٢٤٦، وأمالي الطوسي/١٩ وسيرة ابن هشام الحميري: ٢٤٣/١). وفي ذلك إخبار بأن هؤلاء لن يؤمنوا أبداً.

و. قال الوليد ومعه الملأ من قريش للنبي ﷺ: « إن كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين ، قال: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم ، فأشار إليه بإصبعه فانشق شقتين رؤي حراء بين فلقيه ، فقالوا: هذا سحر مستمر من سحر محمد ! فأنزل الله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ». (مناقب آل ابي طالب: ١٠٦/١، ومجمع البيان: ٣١٠/٩، والفصول المختارة/٢٠، ومقدمة فتح الباري/٣٠٠ ، والمناقب لمحمد بن سليمان: ٤٢/١ ، والصحيح من السيرة: ٣٢٠٢ ، وقد جعلها في السنة الثامنة .

أقول: أفاضت التفاسير ومصادر السيرة في وصف معجزة شق القمر ، وفي الخرائج: ٣١/١، أنها كانت في أول البعثة ، ونصت بعض رواياتها على أنها حدثت مرتين . (البحار: ٣٥٠/١٧ ، وعيون الأثر: ١٤٩/١) . وذكرت رواية ابن عباس في الحلية وفتح الباري(١٣٩/٧) إسم الوليد بن المغيرة في الذين طلبوا هذه المعجزة ، وهو دليل على أنها كانت قبل هلاكه في السنة الثالثة ، ولا يضر وجود إسم أبي جهل لأنه كان الى جانب الوليد ، ولعلها تكررت .

وذكر الفلكيون أن في القمر شقاً الى الآن ، وقد يكون انشق ثم عاد واحداً.

ز. هاجر الأوس بسبب صراعهم مع الخزرج الى مكة وحالفتهم قريش ، فأبطل الوليد بمكيدته حلفهم ، ففي المنمق/٢٦٨: «خرجت الأوس جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها ، فلما حالفتها قال الوليد بن المغيرة: والله ! ما نزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم فاقطعوا حلف الأوس ، فقالوا: بأي شئ ؟ قالوا: إن في القوم حشمة ، فقولوا: إنا قد نسينا شيئاً لم نذكره لكم ، إنا قوم إذا طاف النساء

بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسها بيده ، فلما قالوا ذلك للأوس نفروا وقالوا: إقطعوا الحلف بيننا وبينكم فقطعوه ، ثم انقطع هذا الحلف».

ح. *كانت وصية الوليد لأولاده من أغرب الوصايا ، ففي المنمق/١٩١: «فلما حضرت* الوليد الوفاة... فدعا ولده هشاماً وخالداً والوليد والفاكه وأبا قيس وقيساً وعبد شمس وعمارة ، فقال لهم: يا بَني إني أوصيكم بثلاث فلا تضيعوهن: دمي في خزاعة فلا تطلُّنَّه ، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكن أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم! ورباي في ثقيف فلا تدَعوه حتى تأخذوه ، وعُقري عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به ، وكان أبو أزيهر قد زوجه ابنة له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات... فقال له بنوه: والله ما نعلم أحداً من العرب أوصى بنيه بشر مما أوصيت به... فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون عقله... وغلظ الأمر بينهم ، وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلاً من كعب بن عمرو من خزاعة... ثم إن الناس ترادوا وعرفوا أنما يخشى القوم السُّبَّة ، فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض...».

وسبب طلبهم ديته من خزاعة لأن الوليد« مرَّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه فانقطع أكحله حتى أدماه ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد » ! (الخصال/٢٧٩). فاعترف بأن رب محمد قتله ، ومع ذلك أوصى بأخذ الدية من صاحب السهام ! ونفذ ابنه خالد وإخوته وصيته ، وقتلوا أبا أزيهر الدوسي غيلة ، قتله هشام بن الوليد عندما كان ضيفاً عند حليفهم أبي سفيان ! (المنمق/١٩٩و٢٠٣ ، وسيرة ابن هشام: ٢٧٨/٢).

ط. *أبرز أولاد الوليد بن المغيرة: أبو قيس بن الوليد ، وقد أسلم في مكة ثم ارتد مع* ابن أخيه الفاكه (عمدة القاري: ١٨٧/١٨). ثم كان مع المشركين في بدر فقتله علي عليه السلام (شرح الأخبار: ٢٦٥/١ ، وابن هشام: ٥٢٨/٢).

وعمارة بن الوليد ، الذي جاؤوا به الى أبي طالب ليعطيهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلوه ويأخذه بدله ! ثم أرسلوه مع عمرو بن العاص الى النجاشي فهلك هناك.

والوليد بن الوليد بن المغيرة ، الذي زعموا أنه أسلم سراً ، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان يدعو له في قنوته بعد صلح الحديبية: « فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين. اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سني يوسف». (بخاري: ١٩٤/١، ورواه سبع مرات !).

وتوفي الوليد بن الوليد في المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وآله ، ففي الكافي: ١١٧/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: فقالت أم سلمة (المخزومية) للنبي صلى الله عليه وآله: إن آل المغيرة قد أقاموا مناحة فأذهب إليهم؟ فأذن له ، فلبست ثيابها وتهيأت وكانت من حسنها كأنها جان ، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلل جسدها وعقدت بطرفيه خلخالها ، فندبت ابن عمها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد ، أبا الوليد فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجد ، يسمو إلى طلب الوتيرة
قد كان غيثاً في السنين ، وجعفراً غدقاً وميرة

قال: فما عاب ذلك عليها النبي صلى الله عليه وآله ولا قال شيئاً » .

وهشام بن الوليد بن المغيرة ، كان من شخصيات قريش المؤلفة قلوبهم. (الإستيعاب: ١٥٤١/٤). وهو الذي قتل أبا أزيهر الدوسي. وهو الذي هدد عثمان عندما ضرب

عماربن ياسر رحمه الله حليف بني مخزوم ، فقال له: «أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا ، لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية ». (الامامة والسياسة: ٥١/١».

وخالد بن الوليد ، كان مع أبيه في عدائه للنبي صلى الله عليه وآله، وأحد الذين انتدبتهم قريش لقتل النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة عندما بات علي عليه السلام في فراشه: « فلما بصر بهم علي قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها ، يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة ، وثب به عليٌّ فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر..». (أمالي الطوسي/٤٦٧، أي يصيح كالجمل).

وشارك خالد مع إخوته في بدر فنجا ، وقُتل أخوه أبو قيس ، وأُسر أخوه الوليد بن الوليد. (شرح النهج: ٢٠٣/١٤).

وكان أحد قادة المشركين في أحد ، وسبباً في هزيمة المسلمين بعد انتصارهم ، عندما اغتنم فرصة وهاجمهم من خلفهم .

وبعد صلح الحديبية رأى خالد أن ميزان القوة تحول الى جانب النبي صلى الله عليه وآله فجاء الى المدينة هو وعمرو بن العاص وأسلما. وبعد فتح مكة شارك مع قريش الى جانب النبي صلى الله عليه وآله في حرب حنين ، وانهزم في أول المنهزمين .

وبعد فتح الطائف وخضوع ثقيف ، أراد خالد أن يستوفي ربا أبيه من ثقيف فمنعه النبي صلى الله عليه وآله. (المنمق/٢٠٣، والحدائق: ٢٢٢/١٩) ، ثم طالبهم به ! فشكاه الثقفيون الى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. (عمدة القاري: ٢٠١/١١ ، وجواهر الكلام: ٢٩٩/٢٣). فأكد النبي صلى الله عليه وآله إلغاء ربا الجاهلية .

وعمل خالد مع الطلقاء لأخذ خلافة النبي صلى الله عليه وآله وعزل عترته عليهم السلام، وكان في أول المهاجمين لبيت فاطمة عليها السلام ، وهددوهم بحرق البيت عليهم إن لم يبايعوا !

وقد بالغ رواة السلطة في شجاعة خالد ، ورووا لـه بطـولات مكذوبـة ، وطمسـوا بطولات الفرسان الشيعة كمالك الأشتر رحمه الله. راجع غزوة مؤتة ، والملحق رقم(٢٣).

٧- إهلاك المستهزئين غيَّرَ ميزان القوة لصالح النبي صلى الله عليه وآله

بهلاك المستهزئين الخمسة استعاد أبو طالب رحمه الله قوته في مكة ، فقوَّى عزيمة بني هاشم في حماية النبي صلى الله عليه وآله. ويدل على ذلك موقف حمزة القوي الذي تحدى به أبا جهل رئيس مخزوم وضربه على رأسه بقوسه ، وأعلن إسلامه ! وكذا مواقف أبي طالب في حماية النبي صلى الله عليه وآله التي تحدى فيها قريشاً وأذلها !

منها: ما رواه الكافي:٤٤٩/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد ، فألقى المشركون عليه سلا ناقة فملؤوا ثيابه بها ، فدخله من ذلك ما شاء الله ، فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له: وماذا يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر ، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف ، وقال لحمزة: خذ السلا ! (الفرث والدم) ثم توجه إلى القوم والنبي معه ، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة ، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ، ثم قال لحمزة: أمِرَّ السَّلى على سِبالهم (شواربهم) ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم ! ثم التفت أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا » !

وروت المصادر القصة بصيغ مشابهة وفيها أبيات لأبي طالب رحمه الله ، كرواية السيد فخار بن معد في كتابه الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/٣٤٦، عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « مر رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا

جزوراً و كانوا يسمونها الظهيرة ويذبحونها على النصب فلم يسلم عليهم ، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا ! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه ؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي: أنا أفعل ، فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجد فملأ به ثيابه ومظاهره ، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولمَ يا بن أخ ؟ فقص عليه القصة ، فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح ، فنادى في قومه: يا آل عبد المطلب يا آل هاشم ، يا آل عبد مناف ، فاقبلوا إليه من كل مكان مُلَبِّين قال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون قال: خذوا سلاحكم فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا فقال لهم: ورب هذه البنية لايقومن منكم أحد إلا جللته بالسيف ! ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات ، حتى قطعها ثلاثة أفهار (أحجار) ثم قال: يا محمد سألتني من أنت ، ثم أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله:

أنت النبي محمدُ ... قَرْمٌ أغَرُّ مسود
لمسوَّدين أكارمٍ ... طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها ... عمرو الخضم الأوحد .
هشم الربيكة في الجفان ... وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة ... فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج ... بها يماث العنجد
والمأزمان وما حوت ... عرفاتها والمسجد

أنى تضام ولم أمت	وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى	فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم	أسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقاً	في القول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب	وأنت طفل أمرد

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبعرى السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها، ثم أمر بالفرث والدم فأُمِرَّ على رؤس الملأ كلهم! ثم قال: يا ابن أخ أرضيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم، ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً. يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني » !

وشرح النهج: ٧٧/١٤، وأبو طالب حامي الرسول صلى الله عليه وآله ٣٦/، والبحار: ١٦٤/٣٥، والغدير: ٣٨٨/٧، وثمرات الأوراق بهامش المستطرف: ٣/٢، كما في حياة أمير المؤمنين. والربيكة: طعام من تمر وأقط وسمن. والعنجد: الزبيب.

وروى الصدوق في التوحيد/١٥٨، تفسير الإمام الباقر عليه السلام للبيتين الأخيرين، قال عليه السلام: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. قال: يكاد العالم من آل محمد عليهم السلام يتكلم بالعلم قبل أن يسأل. نُورٌ عَلَى نُورٍ: يعني: إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد، وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة.

فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عز وجل خلفاءه في أرضه وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم. يدل على صحة ذلك قول أبي طالب في رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الأمين محمد..الأبيات.. يقول: ما زلت تتكلم بالعلم قبل أن

يوحى إليك ، وأنت طفل كما قال إبراهيم عليه السلام وهو صغير لقومه: إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُون وكما تكلم عيسى عليه السلام في المهد فقال: إِنِّي عَبْدُ الله آتانِيَ الكِتَابَ وجَعَلَنِي نَبِياً.. الآية..».

ومنها: ما رواه في كنز الفوائد/٧٤، قال:«ومن ذلك أن أبا جهل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ومعه حَجَرٌ يريد أن يرميه به إذا سجد ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله رفع أبو جهل يده فيبست على الحجر ، فرجع فقالوا له: أجبنت؟ قال: لا، ولكن رأيت بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه ! وهذا الحديث مشهور وفيه يقول أبو طالب رضي الله عنه:

أفيقوا بني غالب وانتهوا	عن الغي من بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذن خائف	بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة	ورب المغارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم	ثمود وعاد فمن ذا بقي
غداة أتاهم بها صرصر	وناقة ذي العرش قد تستقي
فحل عليهم بها سخطة	من الله في ضربة الأزرق
غداة يعض بعرقوبها	حساما من الهند ذا رونق
وأعجب من ذاك في أمركم	عجائب في الحجر الملصق
بكف الذي قام من خبثه	إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه	على رغمة الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى	لغي الغواة ولم يصدق »

ورواه الحميري في قرب الإسناد/٣١٧ ، مختصراً بسند صحيح. والإحتجاج: ٣٤٣/١ وشرح النهج: ٧٤/١٤.

ومن عجيب ما تراه في نسخة سيرة ابن إسحاق:١٩٣/٤ ، أن بعضهم زعم أن هذه الأبيات لعمر بن الخطاب ، مع أن عمر لم يقل الشعر ! قال: «قال عمر بن الخطاب

فيما يزعمون بعد إسلامه ، يذكر ما رأت قريش من العبرة فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله وقائل يقول قالها أبو طالب ، والله أعلم بمن قالها » !

أقول: لاحظ تهديد أبي طالب وتوبيخه لزعماء قريش عامة ، ولأبي جهل خاصة ، وهذا أشد عليهم من ضربة حمزة في نادي قريش ، مما يعني أن ميزان القوة بعد هلاك الفراعنة الخمسة مال بشكل واضح لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله ، وانخذل زعماء قريش وسكتوا أمام ما فعله حمزة وما فعله أبو طالب ، وما فعله علي عليه السلام الذي:«كان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم ! فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا عليٌّ ، قضمنا علي» ! ويسكت الآباء على فعل علي عليه السلام ولا يقتصون !

ومنها: أن أحد أعيان بني مخزوم أسلم ، فبادر بنو مخزوم ورئيسهم أبو جهل ليؤذوه ويعذبوه ، فتدخل أبو طالب رضي الله عنه وخلصه من تعذيبهم لأن أمه من بني هاشم !

ففي سيرة ابن إسحاق:١٤٥/٢:«عَدَتْ قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه ، واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون ، وفرَّ أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبي طالب ليمنعه وكان خاله ، فجاء بنو مخزوم ليأخذوه فمنعهم فقالوا: يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا ؟ فقال أبو طالب: أمنع ابن أختي مما أمنع ابن أخي ! فقال أبو لهب - ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ-: صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم ! فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ورجا نصره والقيام معه ، فقال شعراً استجلبه بذلك:

وإن امرأً أبو عتيبة عمه ... لفي روضة من أن يسام المظالما

أقـول لـه وأيـن منـي نصـيحتي أبـا معتـب ثبـت سـوادك قائمـا
ولا تقبلن الدهر ما عشـت خطـة تسـب بهـا أمـا هبطـت المواسـما
[وول سبيل العجـز غيـرك مـنهم فإنك لم تخلق على العجـز لازمـا]
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى أخا الحرب يعطي الضيم إلا يسالما
وولى سبيل العجـز غيـرك مـنهم فإنك لن تلحق على العجز لازمـا)
[وكيف ولم يجنوا عليك عظيمـةً ولـم يخـذلوك غانمـاً أو مغارمـا]
[جزى الله عنا عبد شمس ونـوفلاً وتيمـاً ومخزومـاً عقوقـاً ومأثمـا]
[بتفـريقهم مـن بعـد ود وألفـة جماعتنـا كيمـا ينـالوا المحارمـا]
[كذبتم وبيـت الله نُبـزي محمـداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائما] »

أقول: ما بين المعقوفين من نسخة ابن هشام (٢٤٨/١) مع أنه نقلها عن ابن إسـحاق ، وليست في نسخته التي بأيدينا ، فدل على أنها ناقصة أو محرفة !

وقال ابن هشام:«وبقي منها بيت تركناه». والبيت الذي حذفه رواه القاضي النعمـان في المناقب/١٢٣، قال:«فقام إليهم أبو لهب فقال: قد والله أكثرتم على هذا الشيخ ! مـا تزالون توثَّبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لنقـومن معـه فيمـا قام حتى يبلغ ما أراد ! فقالوا: بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عتبة. وخـافوا أن يجتمـع أمره مع أبي طالب فيعظم الأمر عليهم ، ولم يكن مـن أبـي لهـب قبـل ذلـك خيـر. فلما سمع منه أبو طالب ما سمع طمع فيـه فقـال.. وروى البيـت الـذي حذفـه ابـن هشام وهو: أطاعوا ابن ذكوان وقيساً ودَيْسماً فضلوا وذاقوا بالجميع المياسما .

وقال: يعني بابن ذكوان: عقبة بن أبي معيط. ودَيْسم: الوليد بن المغيرة. وقيس: قيس

بن عاقل ». والدَّيْسَم: ابن الذئب من الكلبة ! (لسان العرب: ٢٠١/١٢).

وكان أبو طالب رحمه الله يطعن في نسب الوليد بن المغيرة ، وقد صدَّقه الله تعالى فوصفه في سورة القلم بأنه: مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. (فتح الباري: ٥٠٧/٨). أي دعي ملحق بأبيه وليس له ! (العين: ٣٧٥/١).

فقد ترك ابن هشام هذا البيت ليغطي على الذين حكموا هذه الأمة المسكينة ! ومنه تعرف لماذا يكرهون شعر أبي طالب رحمه الله!

ويظهر أن قيس بن عاقل كان رئيس بني جمح ، فقد ذمهم أبو طالب ، ووصفهم بأنهم عبيده. (ابن هشام: ١٧٩/١). كما يظهر أن ابن أبي معيط الأموي كان له تأثير على أبي سفيان وبني أمية عامة في عداوة النبي صلى الله عليه وآله ، ونسبوا آل معيط الى ذكوان بن أمية ، وقال عنه النبي صلى الله عليه وآله: « ما أنت وقريش، وهل أنت إلا يهودي من صفورية؟! » (البكري: ١٣١/٣).

ومنها:أن النبي صلى الله عليه وآله كان أحياناً يذهب بعد هلاك المستهزئين الى المسجد وحده بدون حراسة ، كما دل حديث إعلان حمزة إسلامه عندما استفرد أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وآله وشتمه ! وكما دل تحريكهم الأولاد ليؤذوه في طريق ذهابه أو عودته !

روى في تفسير القمي:١١٤/١، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي: يا قضيم ، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب وأغروا به الصبيان ، وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب ، فشكى ذلك إلى علي فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك ، فخرج رسول الله ومعه أمير المؤمنين فتعرض

الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم فحمل عليهم أمير المؤمنين وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم ! فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا عليٌّ ، قضمنا علي ! فسمي لذلك: القضيم». وفي نهاية ابن الأثير: ٤٠٢/١ ، و: ٧٨/٤:«ومنه حديث علي رضي الله عنه: كانت قريش إذا رأته قالت: إحذروا الحطم إحذروا القضم أي الذي يقضم الناس فيهلكهم».وفي أدب الكاتب لابن قتيبة/١٧١:« الخضم بالفم كله ، والقَضْمُ بأطراف الأسنان. قال أبو ذر رضي الله عنه: تَخْضِمُونَ ونَقْضَمُ والمَوْعِدُ الله ».

ويظهر أن رجحان ميزان القوة لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله استمر طوال حياة أبي طالب رضي الله عنه !

وبهذا نفسر حرية تحركه صلى الله عليه وآله نسبياً الى المسجد الحرام وصلاته فيه ، وتلاوته القرآن بصوت هادئ أو مرتفع أحياناً ، ودعوته الناس الى الإسلام علناً ، وذهابه الى القبائل في سوق عكاظ وفي موسم الحج وعمرة رجب ، يعرض عليهم أن يذهب معهم الى بلادهم فيحمونه حتى يبلغ رسالة ربه ، فكانوا يرفضون ذلك خوفاً من قريش ، أو يشرطون عليه أن يكون الأمر لهم من بعده ، فيجيبهم إن الأمر لله وقد وضعه في أهله ، ويطلب منهم أن يبايعوه على أن لاينازعوا الأمر أهله ، فيرفضون ، حتى قبل بشروطه الأنصار .

○ ○

تعذيب المسلمين في مكة

١. ملاحظات حول المعذبين لإسلامهم

أ.كانت صعوبة الإستجابة للنبي ﷺ والدخول في الإسلام ، تختلف من شخص الى آخر ، لأن الخطر على من يسلم كان محصوراً بعشيرته التي هو منها أو ينتمي اليها بالتحالف أو العبودية ، ولا شغل للمجتمع أو للعشائر الأخرى به.

فالذين لاقوا الأذى والتعذيب لاقوه من عشائرهم ، أما الذي لا خطر عليه من عشيرته لمكانته فيها ، أو لضعف مركزية شيخها ، أو لقلتها وذلتها ، فلم يكن عليه خطر إن أسلم. إلا ما يأتي من أن شخصاً عذب أبا بكر وطلحة ولم يكن تيمياً.

ب. بالغ بعض الرواة في الأذى والتعذيب الذي تعرض له بعض المسلمين الأوائل رضوان الله عليهم ، وكذب رواة السلطة في عدد المعذبين وأنواع تعذيبهم ومدته ليثبتوا فضائل للحاكم ومؤيديه ! فتراهم مثلاً يدَّعون أن أبا بكر أسلم قبل هلاك المستهزئين ، وأن عشيرته حمته فلم يكن بحاجة الى جوار أحد أو للهجرة.

ثم يتحدثون عن المعذبين في سبيل الله فيعدُّونه منهم ، ويقولون إن ابن العدوية كان يربطه بحبل مع طلحة فسميا القرينين.(ابن هشام: ١٨١/١). وفي الإصابة: ٧٧/٦ ، أن

شخصاً آخر كان يربطها ! ثم يتحدثون عن الهجرة فيقولون إنه هاجر الى اليمن خوفاً من قريش فأجاره رئيس الأحابيش. (ابن هشام: ٢٤٩/١).

وقد انحصر تعذيب قريش للمسلمين بأفراد لايبلغون عشرين ، كما أن الذين هاجروا الى الحبشة لا يبلغون مئة نفر.

ج. ومع مبالغتهم في تعذيب المسلمين أخفوا أسماء من عذّبهم ، فصرت تقرأ في رواياتهم وصفاً لتعذيب فلان بدون إسم من ارتكب ذلك ، لأنه وأبناءه صاروا حكاماً بعد النبي صلى الله عليه وآله فسجل رواة الحكومة جرائمهم ضد مجهول ! وذكروا على حياء إسم عمر ، وأنه كان يعذب جارية سوداء لشخص من بني عدي !

د. بدأت مرحلة الدعوة العامة في السنة الثالثة ، وفيها بدأ تعذيب بعض المستضعفين. ولا نجد حادثة اعتداء وتعذيب لمسلم قبلها إلا على أبي ذر رضي الله عنه عندما أعلن إسلامه في المسجد ، ودعا قريشاً الى الإسلام .

وبعد أن أهلك الله المستهزئين وصدع النبي صلى الله عليه وآله بالدعوة العامة ، أخذ بعض الشباب والعبيد يسلم علناً أو يسلم سراً فيكتشفون إسلامه ويؤذونه ، وبادر أبو أحيحة الى اضطهاد ابنه خالد بن سعيد ، وأبو جهل الى اضطهاد عائلة ياسر حليف مخزوم ، ولم يرد ذكر للوليد بن المغيرة في تعذيبهم مع أنهم كانوا تحت يده ، فيكون إسلامهم أو اكتشاف إسلامهم بعد موت الوليد رئيس المستهزئين.

وقد أوجزت رواية المناقب:٥٣/١ ، عن كتاب النبوة للصدوق قدس سره عن الإمام زين العابدين عليه السلام، مفاوضة زعماء قريش مع النبي صلى الله عليه وآله وعمه أبي طالب ، وذكرت أن

التعذيب وقع بعدها ، قال عليه السلام: « اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله عنده فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف ، قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله ، إلا أن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبتت البغضاء! فقال: يا ابن أخي أسمعت؟ قال: يا عم لو أنصفني بنو عمي لأجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ، إن الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دينه الحنيفية ملة إبراهيم ، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان ، ومن عصائي قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. فقالوا: قل له يكف عن شتم آلهتنا فلا يذكرها بسوء ، فنزل: قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ. قالوا: إن كان صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر ، فإن وجدناه صادقاً آمنا به ، فنزل: مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.. قالوا: والله لنشتمنك وإلهك ، فنزل: وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. (صاد: ٦).

قالوا: قل له فليعبد ما نعبد ونعبد ما يعبد ، فنزلت سورة الكافرين.

فقالوا: قل له: أرسله الله الينا خاصة أم إلى الناس كافة؟ قال: بل أرسلت إلى الناس كافة إلى الأبيض والأسود ، ومن على رؤس الجبال ومن في لجج البحار ، ولأدعونَّ اليه فارس والروم: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا. (الأعراف:١٥٨).

فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا ولقلعت الكعبة حجراً حجراً ، فنزل: وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا. (القصص: ٥٧). وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ.. فقال مطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على أن يتخلصوا مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد اجتمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ ، فاصنع ما بدا لك ، فوثبت كل قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم... وقدم قوم من قريش من الطائف وأنكروا ذلك ووقعت فتنة. فأمر النبي المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ».

وقال ابن إسحاق: ١٢٨/٢:« ثم إن قريشاً توامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب».

وقال الطبري:٩٥/٢:« وكانت فتنتين فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم بها وأذن في الخروج إليها، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة».

٢. مجموع المعذبين لا يبلغون عشرين ، وهم:

(١-٤) آل ياسر: ياسر وزوجته سمية وابناهما عمار وعبدالله . وهم من قبيلة عَنْس ، فرع من قبيلة مراد اليمانية ، وسكن ياسر مكة وتحالف مع قبيلة مخزوم. وأسلمت العائلة ، فقتل ياسر تحت التعذيب فهو أول شهيد في الإسلام ، وقتلت زوجته سمية فهي أول شهيدة في الإسلام ، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها فقتلها ، ومات ابنهما عبدالله بمكة وربما من التعذيب ، وشددوا العذاب على عمار بوضع

الصخرة على صدره ورمسه بالماء ، وقالوا لا نتركك حتى تسب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً، ففعل فتركوه، فأتى النبي يبكي فقال: ما وراءك قال شرٌّ يا رسول الله ، كان الأمر كذا وكذا ! قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فأنزل الله تعالى: إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان.. وهاجر وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله، واستشهد مع علي عليه السلام بصفين وعمره بضع وتسعون سنة ! (الإستيعاب: ١٠٠١/٣، وقاموس الرجال: ٢٨١/١٢، وأسد الغابة: ٩٨/٥).

وفي غوالي اللئالي: ١٠٤/٢: « فأما عمار فإنه أعطاهم بلسانه كل ما أرادوا منه ، وأما أبواه فامتنعا فقتلا.. وجاء عمار وهو يبكي فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما خبرك؟ فقال: يا رسول الله ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير ، فصار رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك ، فعُدْ لهم بما قلت ».

وفي الكافي: ٢١٩/٢، وقرب الإسناد/١٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « فأنزل الله عز وجل فيه: مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا عمار إن عادوا فعد. فقد أنزل الله عز وجل عذرك ، وأمرك أن تعود إن عادوا ».

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وآله وكرامة عمار رضي الله عنه أن قريشاً ألقته في النار فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار ، كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم ، فلم تصله النار ولم يصله منها مكروه ! وقتلت قريش أبويه ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ».

وقال صلى الله عليه وآله في عمار: «ما تريدون من عمار ! عمار مع الحق والحق مع عمار حيث كان. عمار جلدة بين عيني وأنفي ، تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».(رجال الطوسي:١٢٧/١ ، ومعجم الحديث: ٢٨٤/١٣، والطبقات: ٢٤٨/٣). **راجع الملحق رقم (١٧).**

(٥) خَبَّاب بن الأرتّ التميمي ، كان أبوه من سواد الكوفة فسباه قوم من ربيعة وباعوه في مكة من سباع بن عبد العزى الخزاعي حليف بني زهرة ، وسباع هذا ، قتله حمزة يوم أحد (ابن إسحاق: ٣٠٨/٣) وكانوا يعذبونه عذاباً شديداً فيلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف وهي الحجارة المحماة بالنار ، ولووا رأسه ، فلم يجبهم إلى شئ مما أرادوا ! وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل الكوفة ومات سنة ست وثلاثين وأوصى أن يدفن بظهر الكوفة. وأبَّنَهُ أمير المؤمنين عليه السلام: **«يرحم الله خباب بن الأرت فلقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً ، وقنع بالكفاف ورضي عن الله وعاش مجاهداً»**(نهج البلاغة:١٣/٤، ومعجم رجال الحديث: ٤٧/٨ ، والكامل:٦٧/٢، والطبقات: ١٦٤/٣).

(٦) بلال بن رباح الحبشي. كان غلاماً لأمية بن خلف الجمحي ، وكان أمية يعذبه ويلقيه في الظهيرة في الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ، ويقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. (الكامل: ٦٦/٢). وزعم رواة السلطة أن أبا بكر اشتراه واشترى غيره من العبيد المعذبين ، ورد ذلك نُقَّاد الحديث. (الصحيح من السيرة: ٨٩/٣).

(٧) صهيب بن سنان الرومي ولم يكن رومياً ونسب إليهم لأنهم سَبَوْهُ وباعوه ، وهو نمري من قبيلة نمر بن قاسط ، ويرجعون الى ربيعة. (الصحاح: ٨٣٧/٢).

قالوا إنه عذب عذاباً شديداً ، ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بماله. وكان يحب عمر فأوصى عمر أن يصلي بالناس حتى يستخلف أهل الشورى. وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وعمره سبعون سنة. (الكامل: ٦٨/٢).

(٨)- عامر بن فهيرة غلام الطفيل بن عبد الله الأزدي ، والطفيل أخ عائشة لأمها أم رومان ، قالوا إنه عُذب لإسلامه ولا يصح ذلك ، وكان أسود يرعى غنماً لسيده وأخذه النبي صلى الله عليه وآله مع أبي بكر في هجرته ، وشهد بدراً وأحداً واستشهد يوم بئر معونة وله أربعون سنة. (الكامل: ٦٨/٢). وسيأتي ذكره في هجرة النبي صلى الله عليه وآله.

(٩) أبو فكيهة واسمه أفلح وقيل يسار ، وكان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، أسلم مع بلال فأخذه سيده أمية وربط في رجله حبلاً وجره ، ثم ألقاه في الرمضاء ، ومر به جُعَل (حشرة) فقال له أمية: أليس هذا ربك؟! فقال: الله ربي وربك ورب هذا ، فخنقه خنقاً شديداً ، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره ! وهاجر ومات قبل بدر. (الكامل: ٦٨/٢)

(١٠) لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب ، كان عمر يعذبها حتى يتعب فيدعها ويقول: إني لم أدعك إلا سآمة ! فتقول كذلك يفعل الله بك ! (الكامل: ٦٩/٢)

(١١)زنيرة وكانت لبني عدي وكان عمر يعذبها. وقيل كانت لبني مخزوم وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت فقال لها: إن اللات والعزى فعلا بك. فقالت: وما يدري

اللات والعزى من يعبدهما ! ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على رد بصري فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها ! فقال: هذا من سحر محمد ! (الكامل: ٦٩/٢).

(١٢) أم عبيس ، أمة لبني زهرة كان الأسود بن عبد يغوث يعذبها. (الكامل: ٧٠/٢).

(١٣) مصعب بن عمير العبدري ، ففي الطبقات: ١١٦/٣، والإستيعاب: ١٤٧٤/٤، أنه أسلم في دار الأرقم: « وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، فكان يختلف إلى رسول الله سراً ، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي ، فأخبر به قومه وأمه ، فأخذوه وحبسوه فلم يزل محبوساً إلى أن خرج إلى أرض الحبشة ». وقاموس الرجال: ٨٦/١٠

(١٤) أهمل رواة السلطة عدداً أسلموا ثم ارتدوا تحت ضغط قبائلهم أو تعذيبهم ، ومنهم من خرج مع المشركين الى بدر وقاتل معهم وقتل ! والسبب أنهم أولاد زعماء المشركين أو أقاربهم ، الذين حكموا بعد النبي صلى الله عليه وآله أو صاروا ولاة !

وفي إمتاع الأسماع: ١١٤/٩: « عذب قوم لا عشائر لهم ولا مانع منهم ، فبعضهم ارتد وبعضهم أقام على الإسلام ، وبعضهم أعطى ما أريد منهم من غير اعتقاد منه للكفر ، وكان قوم من الأشراف قد أسلموا ثم فتنوا ، منهم سلمة بن هشام بن المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص السهمي» !

○ ○

الفصل العشرون

مكذوبات رواة السلطة.. في دار الأرقم

١. جعل رواة السيرة الحكومية دار الأرقم بن أبي الأرقم مرحلة في سيرة النبي صلى الله عليه وآله

فقالوا أسلم فلان قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله دار الأرقم ، وفلان في دار الأرقم ، وفلان بعد دار الأرقم ! وقالوا إن النبي صلى الله عليه وآله كان يستخفي مع أصحابه في شعاب مكة ثلاث سنين يصلون ويعبدون ربهم ، ثم اكتشفت قريش أمرهم فاشتبك معهم سعد بن أبي وقاص وجرح شخصاً منهم لم يذكروا إسمه ! فاستخفوا بعدها في دار الأرقم المخزومي سنين ، حتى أسلم عمر ، فعزوا به بعد ذلهم ، وخرجوا معه وأعلنوا إسلامهم !

وعندما تبحث وتدقق تجد أن قصة دار الأرقم مفتعلة !

٢. تقع دار الأرقم خلف الصفا بينها وبين شعب أبي طالب ، فهي على يمين الخارج

من المسجد نحو شعب أبي طالب أو بيت خديجة عليها السلام ، وقد رأيتها بين المسجد وبين مكان مولد النبي صلى الله عليه وآله الذي يعرف اليوم بمكتبة مكة. ثم أزالوها مع الجبل المتصل بالصفا ، فهي من ناحية أمنية لاتصلح للإختفاء من قريش ولا للتحصن ، لأنها على مرأى الواقف في المسجد أو الذاهب اليه ! فكيف تكون مقراً بعيداً عن عيون قريش؟!

٣. الأرقم من بني مخزوم ، فهو أحد رعايا الوليد بن المغيرة رئيس مخزوم ، الذي **هلك مع بقية المستهزئين في أواخر السنة الثالثة للبعثة ، فخلفه أبو جهل الذي قتل سمية وياسراً وعذب عماراً رضوان الله عليهم ، فكيف يسكت على إسلام الأرقم ، وجعل داره قرب المسجد قاعدة لمحمد صلى الله عليه وآله ومن آمن به ؟!**

٤. ثم إن الدار ليست للأرقم بل لأبيه أبي الأرقم ، ورووا أن النبي صلى الله عليه وآله كان في دار الأرقم فدعا الله أن يسلم أبو جهل أو عمر: « فكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ، وكبر رسول الله (ص) وأهل البيت تكبيرة فسمعت بأعلى مكة وخرج أبو الأرقم وهو أعمى كافر وهو يقول: اللهم اغفر لبنيَّ غير الأرقم فإنه كفر ! فقام عمر فقال: يا رسول الله على مَ نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهروا دينهم وهم على الباطل؟ قال: يا عمر إنا قليل ، قد رأيت ما لقينا ! فقال عمر بن الخطاب: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان. ثم خرج فطاف بالبيت ثم مر بقريش وهي تنتظره فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت ؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فوثب المشركون إليه ووثب على عتبة وبرك عليه ، فجعل يضربه وأدخل إصبعيه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح ! فتنحى الناس فقام عمر وجعل لايدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه حتى أعجز الناس !

واتَّبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان ، ثم انصرف إلى النبي (ص) وهو ظاهر عليهم.. فخرج رسول الله (ص) وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد

المطلب ، حتى طاف بالبيت فصلى الظهر معلناً ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر . ثم انصرف عمر وحده». (تاريخ دمشق:٥٠/٣٠ ، والنهاية:٤٢/٣).

فالذي أسلم هو الأرقم وكان أبوه كافراً يدعو عليه لأنه أسلم ! وكان الأرقم في العقد الثالث من عمره ، لأنه مات سنة خمس وخمسين (الحاكم: ٥٠٣/٣) وله بضع وثمانون سنة ، وكان له ولد هو عبد الله لم يسلم معه ولم يهاجر معه ، وربما بقي مع جده حتى كان من الطلقاء في فتح مكة. (سيرة ابن كثير: ٦٨٧/٤).

وفي السيرة الحلبية:٢١/٢ ، عن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله سماه الفاروق يومئذ ، لأنه فرق بين الحق والباطل ! وذكر في الحلبية:٤٥٦/١ ، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يستخفي في شعاب مكة ثلاث سنين ، فرآهم المشركون: « فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً منهم بلحى بعير فشجه... ثم دخل (ص) وأصحابه مستخفين في دار الأرقم أي بعد هذه الواقعة... فكان وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم.. إلى أن أمره الله تعالى بإظهار الدين... في السنة الرابعة وقيل مدة استخفائه أربع سنين وأعلن في الخامسة وقيل أقاموا في تلك الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون ».

وزعم الحلبي أنه بذلك يفسر كلام ابن إسحاق ، مع أن ابن إسحاق لم يذكر دار الأرقم أبداً ! وغاية ماذكر أن عبدالله بن الأرقم أسلم مع عثمان بن مظعون. (١٢٤/٢).

وفي الطبقات: ٢٦٩/٣: « أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله دار الأرقم ، وبعد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله ، وقد كان رسول الله قال بالأمس: اللهم أيد الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام فلما أسلم عمر نزل جبريل فقال:يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر»!

٥. لا يبعد أن تكون للأرقم غرفة في بيت أبيه أبي الأرقم ، وبما أن الدار قرب الصفا في طريق النبي صلى الله عليه وآله من بيته الى المسجد ، لذا اختاروه ولفقوا حوله القصص وجعلوه مقراً سرياً للنبي صلى الله عليه وآله أو مسجداً يجتمع فيه المسلمون حتى بلغوا أربعين شخصاً بعمر فأعلنوا إسلامهم ! وغرض مخترع القصة مدح عمر بن الخطاب وأن الإسلام قد عز به بعد ذله ، ودخل مرحلة العلنية بعد مرحلته السرية.

وقد نص على ذلك بعضهم كالصالحي في سبل الهدى:٣١٩/٢ ، قال:« دخل النبي (ص) دار الأرقم يعبد الله تعالى فيها سراً من قومه ، ودخل معه جماعة ، حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً ، وكان آخرهم عمر بن الخطاب ، فلما تكاملوا أربعين رجلاً فخرجوا » ! لكن الصالحي اعترف (٣٣٠/٢) بأنها مكذوبة ، قال:« وذكر إسلام عمر هنا غريب ، والصحيح أنه أسلم بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة ».

٦. ثم رووا أن عائشة أخذت قصة دار الأرقم فقالت إن البطولة فيها كانت لأبيها قبل عمر ! فقد روى في سبل الهدى (٣١٩/٢) عن سليمان بن خيثمة عن عائشة قصة مطولة

تكذب نفسها بنفسها ، خلاصتها أن المسلمين كانوا ثمانية عشر:« فألحَّ أبو بكر على رسول الله في الظهور... فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله » وقام أبو بكر خطيباً « فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه من على بطن أبي بكر حتى مايعرف وجهه من أنفه !

وجاءت بنو تيم يتعادون(ولم تذكر إسم واحد منهم) فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولايشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم في آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله» !!

٧. مشكلة هؤلاء الرواة أنهم يريدون إثبات بطولات لشخصيات السلطة ، فيقعون في

التناقض مع ثوابت السيرة القطعية كمراحل الدعوة ومنطق الأمور !

فمن الثابت كما تقدم أن الدعوة العامة لم تكن ممكنة قبل إهلاك المستهزئين الخمسة ونزول قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. (الحجر: ٩٤-٩٥). وعندما صدع النبي صلى الله عليه وآله بالدعوة العامة في السنة الثالثة وقفت قبائل قريش ضده ، ومنعت أبناءها وعبيدها من الإسلام ، وكان أشدهم بنو مخزوم بقيادة أبي جهل ، حتى قتل ياسراً وزوجته سمية رحمهما الله.

ومن الثابت أن الهجرة الى الحبشة كانت في السنة الخامسة ، وأن حصار قريش للنبي صلى الله عليه وآله كان في أواخر السادسة ، واستمر الى العاشرة أو الحادية عشرة. وأن إسلام عمر كان بعد الهجرة الى الحبشة.

فمتى كانت مرحلة دار الأرقم المزعومة؟ وكيف اكتشفت قريش تجمع المسلمين في شعاب مكة ، ولم ترهم في دار الأرقم الملاصقة للمسجد ؟ وكيف سكتت على البطولات المزعومة لابن وقاص وابن الخطاب؟

ولماذا لا نجد إسم الذي ضربه ابن وقاص فشجه ، ولا إسم أحد من بني تيم الذين أنقذوا أبا بكر وهددوا بني عبد شمس بقتل زعيمهم؟!

الى آخر المناقشات التي توهن أصل القصة ؟!

راجع: الصحيح من السيرة:٤٣٣/٢، و:٢٨٦/٧، وروضة الواعظين/٥٢. وابن هشام:١٦٦/١، و ٢٣٠، وتاريخ دمشق:٤١/٤٤ .

هجرة المسلمين الى الحبشة

١. ملاحظات حول الهجرة

أ. كان السفر والهجرة طبيعياً عند المكيين ، بل إن حياتهم كانت قائمة علـى السـفر الى اليمن ، والشام ومصر ، خاصة بعد أن صار الطريـق آمنـاً ، وأسس هاشمرَحِمَهُ الله رحلة الصيف والشتاء ، وأكملهما ابنه عبد المطلبرَحِمَهُ الله فعقدا اتفاقيات مع القبائـل والدول لتحقيق أمن قوافل قريش وسلامتها.

لهذا كان عادياً لمن ضاقت عليه مكة أن يهاجر الى الجزيرة أو الشام أو الحبشـة قال ابن خلدون: ٨/٢/٢: «وكان قريش يتعاهدونها (الحبشة) بالتجارة فيحمدونها».

ب. قال في الصحيح من السيرة: ١٢٢/٣: « نرجح أنه لـم يكـن سـوى هجـرة واحـدة للجميع عليها جعفر بن أبي طالبعليه السلام، الذي لم يكن غيره مـن بنـي هاشـم ، فلـم يكن ثمة هجرتـان... وذلـك بـدليل الرسـالة التـي وجههـا الرسـولصلى الله عليه وآله إلـى ملـك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري والتي جاء فيها: قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب معه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرهم.. إلخ. ».

أقول: وهو المتعين ، ويدل عليه أيضاً أن الهجرة التي كان أميرها جعفر كان فيها

أكثر من ثمانين مسلماً ، واستمرت بضع عشرة سنة. أما الذين ذهبوا الى الحبشة قبلها فكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، سافروا في شهر رجب وأقاموا شهر شعبان ورمضان ورجعوا في شوال! (تاريخ الطبري: ٦٨/٢ ، والطبقات: ٢٠٦/١ ، وإمتاع الأسماع: ٣٧/١ ، وعيون الأثر: ١٥٧/١، وسبل الهدى: ٣٦٦/٢ ، وفتح الباري: ١٤٣/٧ ، والسيرة الحلبية: ٩/٢ ، والكامل: ٧٧/٢). **فهذه سفرة قصيرة أشبه بسفر للتجارة ! ولعلهم سموها هجرة من أجل عثمان الذي كان فيها ليجعلوه أول المهاجرين ، مع أنه لم يتعرض لتعذيب أو ضغط !**

وقد ردَّ في **الصحيح من السيرة: ١٢٣/٣** ، مقولتهم بأن عثمان أول المهاجرين ، وقال إنه عثمان بن مظعون الجمحي رحمه الله. ولعل النبي صلى الله عليه وآله أذن لهم بالهجرة وأرسله لاستكشاف الوضع لتهجير المضطهدين اليها ، فقد كان ابن مظعون من حواريي النبي صلى الله عليه وآله. **قال ابن هشام: ٢١٤/١**: « فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة.. وكان عليهم عثمان بن مظعون ».

وقد اتفق الرواة على أن ما سموه (الهجرة الأولى) كانت في شهر رجب في السنة الخامسة للهجرة وأنهم رجعوا بعد شهرين. وهم: عثمان بن عفان وامرأته بنت النبي(ص) ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، وسهيل بن بيضاء.

وكانت هجرة جعفر وأصحابه في نفس السنة بعد الحج ، مع بداية محاصرة

قريش لبني هاشم في الشعب ، أو قبلها بقليل.

ج. من أصح روايات الهجرة الى الحبشة ما رواه السنة والشيعة عن أم سلمة عليها السلام

قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وفتنوا ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله في منعة من قومه وعمه ، لا يصل إليه شئ مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده ، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلماً. فلما رأت قريش أن قد أصبنا داراً وأمناً ، أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيؤوا له هدية على ذي حدة ، وقالوا لهما إدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموه فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، وإن استطعتم أن يردهم عليكما قبل أن يكلمهم فافعلا !

فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته وكلموه وقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا: نفعل ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، وكان أحب ما يهدى اليه من مكة الأدم. فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له:

أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجؤوا إلى بلادك ، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عيناً .

فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك ، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً ، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك ! فغضب ثم قال: لا لعمرو الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم ، وأنظر ما أمرهم ؟ قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخلِّ بينهم وبينهم ولم أنعمهم عيناً !

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ، ولم يكن شئ أبغض إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم ! فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول؟ نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبيناصلى الله عليه وآله كائن في ذلك ما كان !

فلما دخلوا عليه كان الذي كلمه منهم جعفر بن أبي طالب فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه ، فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية ، فما هذا الدين؟

فقال جعفر: أيها الملك ،كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار ، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولا نحرمه ! فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى

أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ونحسن الجوار ، ونصلي ونصوم ولا نعبد غيره. فقال: هل معك شئ مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال له جعفر: نعم، قال: هلم فاتل عليَّ ما جاء به فقرأعليه صدراً من كهيعص ! فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ! إنطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عيناً !

فخرجا من عنده ، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن أبي ربيعة ، فقال له عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم ! لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد !

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا ، فإن لهم رحماً ولهم حقاً. فقال: والله لأفعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عنه ، فبعث إليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه !

فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول ! فدلى النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود !

فتناخرت بطارقته فقال: وإن تناخرتم والله ! إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - ومن سبكم غُرِّم (ثلاثاً) ! ما أحب أن لي دبيراً وأني آذيت رجلاً منكم - والدبير بلسانهم الذهب - ! فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه. ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها ، واخرجا من بلادي فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به !

فأقمنا مع خير جار في خير دار ، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد منه فرقاً أن يظهر ذلك الملك عليه ، فيأتي ملك لايعرف من حقنا ماكان يعرف ، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي ، فخرج إليه سائراً ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بعضهم لبعض: مَن رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون؟

فقال الزبير: وكان من أحدثهم سناً: أنا ، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى جنب التقاء الناس ، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه ، فجاءنا الزبير فجعل يلمح الينا بردائه ويقول: ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشي !

فوالله ما علمنا فرحنا بشئ قط فرحنا بظهور النجاشي. قالت: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله ». (ذخائر العقبى/٢٠٩ ، وسيرة ابن إسحاق: ١٩٣/٤، وابن هشام: ٢٢٤/١ ، والخرائج: ١٣٣/١، عن ابن مسعود رحمه الله مختصراً.

ورواه في إعلام الورى: ١١٥/١ ، وفيه احتجاج جعفر: « فقال: أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ قال عمرو: لا ، بل أحرار كرام. قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها ؟ قال: لا ، ما لنا عليهم ديون. قال: فلهم في أعناقنا دماء يطالبوننا بذحولها ؟ قال عمرو بن العاص: لا ، ما لنا في أعناقهم دماء ولانطالبهم بذحول.

قال: فما تريدون منا ؟ قال عمرو: خالفونا في ديننا ودين آبائنا ، وسبوا آلهتنا ، وأفسدوا شباننا ، وفرقوا جماعتنا ، فردهم إلينا ليجتمع أمرنا.

فقال جعفر: أيها الملك خالفناهم لنبي بعثه الله فينا ، أمرنا بخلع الأنداد ، وترك الاستقسام بالأزلام ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ، وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حلها ، والزنا والربا والميتة والدم، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم ».

د. أرسلوا ابن العاص مرتين الى النجاشي ، وكتب له النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب رحمه الله ، قال الشيخ الأحمدي رحمه الله في مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله: ٤٣٠/١:«كتابه صلى الله عليه وآله إلى النجاشي الأول من مكة:« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة: سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد

أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي ، وبالذي جاءني فإني رسول الله ، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقر ودع التجبر ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا ، والسلام على من اتبع الهدى». وذكر له مصادر كثيرة ، منها إعلام الورى/٣٠ ، وذكر أن النجاشي إسم لملك الحبشة كقيصر وكسرى ، وإسم ذلك النجاشي أصحمة ، وهي بالحبشية بمعنى عطية. ثم روى كتاب أبي طالب رحمه الله الى النجاشي ، وفيه:

تعلَّمْ مليك الحبْش أن محمداً ... نبيٌّ كموسى والمسيح بن مريمِ
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به ... وكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث المرجَّمِ
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما يأتيك منا عصابة ... بفضلك إلا أرجعوا بالتكرم »

وذكر مصادره: (البحار: ١٦٣/٣٥ و: ٤١٨/١٨، وابن أبي الحديد: ٧٥/١٤، والمناقب لابن شهرآشوب: ٦٢/١ وطبعة/٤٤ والغدير: ٣٣١/٧، والحاكم: ٦٢٣/٢، وإعلام الورى: ٣٠ و٥٥، وابن هشام: ٣٥٧/١).

وروى الأحمدي في:٤٤٨/٢، أن النجاشي أسلم على يد جعفر وكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله:

« بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر. سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني للإسلام ، بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء

والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً (عرق التمرة) إنه كما قلت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادق مصدق ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله».

وكان سفر ابن العاص بعد هجرتهم مباشرة ، ففي ذخائر العقبى/٢١٣ ، عن ابن مسعود:« أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية». وفي القمي:١٧٦/١:« فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي». والخرائج: ١٣٣/١.

وقال دحلان في سيرته:١/ ٤١٧:«كان لعمرو بن العاص هجرتان إلى الحبشة في شأن المهاجرين على ما يذكره التاريخ: أحدهما مع عمارة في بدء الهجرة ، والثاني مع عبد الله بن ربيعة بعد بدر ورجع خائباً خاسراً ». ومكاتيب الرسول للأحمدي: ٤٤١/٢ ، والسيرة الحلبية: ٢١٢/٢.

وقال ابن هشام (٢٢١/١) عن رسالة أبي طالب رضي الله عنه:«قال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب

وهل نال أفعال النجاشي جعفرا ... وأصحابه أم عاق ذلك شاغب

تعلم أبيت اللعن إنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلـــم بـــأن الله زادك بســـطة   وأســـباب خيـــر كلهـــا بـــك لازب
فإنـــك فـــيض ذو ســـجال غزيـــرة   ينـــال الأعـــادي نفعهـــا والأقـــارب»

وجاء في مناظرة الإمام الحسن عليه السلام مع ابن العاص (الإحتجاج:٤١٥/١) قوله عليه السلام:«وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر... ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله صلى الله عليه وآله من عدوه أشدهم له عداوة وأشدهم له تكذيباً ! ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وساير المهاجرين ، فحاق المكر السئ بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيتك وخيب سعيك ، وأكذب أحدوثتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ».

هـ- *وكتم النجاشي إسلامه عن بطارقته ووزرائه خوفاً من معارضيه ومن هرقل ، أما* الرسالة التي حملها اليه الضمري من النبي صلى الله عليه وآله فكانت في السنة السادسة عندما راسل ملوك العالم. (الطبقات:٢٠٧/١). وهي غير رسالته التي أرسلها اليه بيد جعفر .

و. *كانت الحبشة أو أثيوبيا ، قاعدة حكم إفريقيا للروم ، وكانت تدار من مصر ، وقد* نشر الرومان فيها المسيحية ، وتعاظمت قوة الحبشة حتى احتلت اليمن وبنى أبرهة الحبشي حاكم اليمن من قبل الروم كنيسة في صنعاء ليصرف اليها العرب بدل الكعبة ، وقصد بجيشه مكة ليهدم الكعبة ، فكانت قصة أصحاب الفيل عام ولادة النبي صلى الله عليه وآله. وبعدها بسنتين تمكن سيف بن ذي يزن بمساعدة الفرس من تحرير اليمن من الحبشة ، فضعفت دولة الحبشة ونشب الصراع الداخلي فيها حتى تولى النجاشي أصحمة حكمها ، وكان عاقلاً عادلاً فأوقف تدهور الدولة .

وبعد وفاة النجاشي عاد الصراع الداخلي وضاقت الأمور على أهل الحبشة فأرسلوا الى ابن النجاشي، وكان أرسله والده الى النبي ﷺ، يطلبون منه العودة لتتويجه عليهم فلم يقبل، لأنهم أرادوا أن يرجع عن الإسلام!

وتقدم قول النجاشي في رسالته الى النبي ﷺ: «وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت».

وهذا يدل على أن وزراءه رؤساء القبائل الذين رسمهم الروم بطارقة، لم يستجيبوا له، وأنه كان يخشى منهم إن أعلن إسلامه، فعرض على النبي ﷺ أن يترك ملك الحبشة ويأتيه، فأمره أن يبقى وأمر جعفر بن أبي طالب أن يبقى عنده ويساعده.

أما ابنه (أرها) الذي أرسله فلعله أبو نيزر وكيل علي عليه السلام في استنباط عيون ينبع، وقد سمى علي عليه السلام أكبرها باسمه: (عين أبي نيزر).

ففي معجم البلدان: ١٧٥/٤: «عين أبي نيزر.. روى يونس عن محمد بن إسحاق بن يسار أن أبا نيزر الذي تنسب إليه العين هو مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون، لصلبه، وأن علياً وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه. وذكروا أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد موت النجاشي وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي ليملكوه عليهم ويتوجوه ولا يختلفوا عليه، فأبى وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله علي بالإسلام! قال: وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهاً، وقال: ولم يكن لونه كألوان

الحبشة ولكنه إذا رأيته قلت هذا رجل عربي... قال المبرد... كان أبو نيزر من أبناء بعض الملوك الأعاجم ، قال: وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان معه في بيوته ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله صار مع فاطمة وولدها رضي الله عنهم ».

وفي سيرة ابن إسحاق:٢٠٢/٤: «رأيت أبا نيزر بن النجاشي فما رأيت رجلاً قط عربياً ولا عجمياً ، أعظم ولا أطول ولا أوسم منه ، وجده علي بن أبي طالب مع تاجر بمكة ، فابتاعه منه وأعتقه ، مكافأة للنجاشي لما كان ولي من أمر جعفر وأصحابه ، فقلت لأبي: أكان أبا نيزر أسود كسواد الحبشة؟ فقال: لو رأيته لقلت رجل من العرب ». ولانقبل قولهم إن علياً عليه السلام اشتراه كغلام ، بل يبدو أنه الذي أرسله والده لنصرة النبي صلى الله عليه وآله فكان حليفه ، ثم حليف علي عليه السلام.

ز. روت المصادر مراسلات بين النبي صلى الله عليه وآله والنجاشي، وأنه كان بينهما هدايا متبادلة

فمن ذلك:«أهدى النجاشي إلى رسول الله قارورة من غالية ، وكان أول من عمل له الغالية». (عمدة القاري: ١٦٨/١٣).

«أهدى ملك الروم إلى النبي صلى الله عليه وآله جبة سندس فبعث بها الى جعفر وقال أعطها الى أخيك النجاشي ». (لسان العرب: ٣٤٣/١٠ ، الطبقات: ٤٥٦/١ ، وأبو داود: ٢٥٨/٢).

«أهدى النجاشي إلى رسول الله (ص) بغلة فكان يركبها ». (عيون الأثر: ٤١١/٢).

«أهدى له النجاشي خفين أسودين ساذجين فلبسهما. وأهدى له خاتماً من ذهب فدعا أمامة ابنة ابنته زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية». (المناقب: ١٤٧/١، وابن ماجة: ١٨٢/١).

أرسل النجاشي مع جعفر: « بقدح من غالية وقطيفة منسوجة بالذهب هدية إلى النبي صلى الله عليه وآله فقدم جعفر والنبي بأرض خيبر ، فأتاه بالقدح من الغالية والقطيفة فقال النبي صلى الله عليه وآله: لأدفعن هذه القطيفة إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فمد أصحاب النبي أعناقهم إليها ، فقال النبي: يا علي خذ هذه القطيفة إليك. فأخذها علي وأمهل حتى قدم إلى المدينة فانطلق إلى البقيع وهو سوق المدينة ، فأمر صائغاً ففصل القطيفة سلكاً سلكاً فباع الذهب وكان ألف مثقال ففرقه علي في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رجع إلى منزله ، ولم يبق له من الذهب قليل ولا كثير». (دلائل الإمامة/١٤٤).

وأهدى له النجاشي حربة: « فكان بلال يحملها بين يديه يوم العيد ، ويخرج بها في أسفاره فتركز بين يديه يصلي إليها. ويقولون هي تحمل المؤذنون بين يدي الخلفاء». (المناقب: ١/١٤٧). وصارت الحربة في رواياتهم ثلاثة للزبير وعمر وعلي ! «فأما حربة علي فهلكت ، وأما حربة عمر فصارت إلى أهله ، وأما الحربة التي أمسك لنفسه ، فهي التي يمشي بها مع الامام يوم العيد ». ((تاريخ المدينة: ١/١٣٩).

وأهدى له النجاشي حلة مثل العباءة فأعطاها لعلي عليه السلام وكان يصلي فيها فجاءه سائل ، فطرح الحلة إليه وأومى بيده أن احملها. (حلية الأبرار: ٢/٢٧٩).

وبعث النبي صلى الله عليه وآله للنجاشي عوذة للصداع يضعها في قلنسوته. (مكارم الأخلاق/٤٠٣).

وأهدى النجاشي الى النبي صلى الله عليه وآله ذات مرة ، زنجبيلاً. (الجرح والتعديل: ٦/٢٢٨).

وعندما ارتد المهاجر عبيد الله بن جحش ، بعث النبي صلى الله عليه وآله الى النجاشي أن

يخطب له زوجته المسلمة رملة بنت أبي سفيان فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وخطبها النجاشي «ومهرها أربعة آلاف ثم جهزها من عنده فبعث بها إلى رسول الله (ص) مع شرحبيل بن حسنة وجهازها كله من عند النجاشي». (سنن البيهقي: ٢٣٢/٧).

« لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله أم سلمة قال لها إني أهديت إلى النجاشي أواقاً من مسك وحلة ، وإني لا أراه إلا قد مات ، ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد فإذا ردت فهي لك.. فكان كما قال صلى الله عليه وآله ، فلما ردت إليه الهدية أعطى كل امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك ، وأعطى سائره أم سلمة ». (كبير الطبراني: ٨١/٢٥).

وفي الخصال/٣٥٩ ، عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام:« إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أتاه جبرئيل بنعي النجاشي بكى بكاء حزين عليه وقال: إن أخاكم أصحمة -وهو اسم النجاشي - مات ، ثم خرج إلى الجبانة وصلى عليه ، وكبر سبعاً فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته ، وهو بالحبشة». وفي المناقب: ٩٣/١: « فقالت المنافقون في ذلك ! فجاءت الأخبار من كل جانب أنه مات في ذلك اليوم في تلك الساعة ، وما علم هرقل بموته إلا من تجار رأوا المدينة ».

ح. دوّن الرواة أسماء المهاجرين ، ورووا أخبارهم في المهجر ، وذكرت الروايات

أن بعضهم رجع وشارك مع النبي صلى الله عليه وآله في معركة بدر وغيرها ، كعمار وابن مسعود ، وبعضهم كان يسافر الى اليمن للتجارة ، كخالد بن سعيد بن العاص الذي أتى للنبي صلى الله عليه وآله من جرش بآلة حرب تشبه المنجنيق. (إمتاع الأسماع: ٢١/٢).

قال في الطبقات: ٢٠٧/١: « فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي بأحسن جوار ، فلما سمعوا بمهاجر رسول الله إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثماني نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة ، وحبس بمكة سبعة نفر وشهد بدرا منهم أربعة وعشرون رجلاً ».

وأبقى النبي ﷺ جعفراً الى السنة السابعة مع بضعة عشر، فأحضره وأنهى الهجرة « وكان جميع من قدم في السفينتين ستة عشر رجلاً ». (ابن هشام: ٨١٨/٣، والطبري: ٧٩/٢).

ط. اخترع القرشيون قصة الغرانيق والآيات الشيطانية فافتروا على النبي ﷺ أنه قرأ

سورة النجم في المسجد ، وأضاف اليها آيات ألقاها عليه الشيطان ومدح فيها أصنام قريش ، فوصفها بقوله (تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى) !

وروتها مصادرهم بكثرة، وقال بخاري: ٣٢/٢: « قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا» ! ورواها في أربعة مواضع:٣٢/٢، و:٢٣٩/٤، و:٧/٥، و:٥٢/٦ !

وانفتح خيال رواة السلطة بأن المشركين فرحوا يومها باعتراف محمد ﷺ بآلهة قريش وسجد لها ! وأضافوا أن المسلمين المهاجرين في الحبشة سمعوا بالخبر فرجعوا الى مكة ، لكنهم وجدوا أن جبرئيل نزل ووبخ النبي ﷺ فعادوا !

وصارت هذه الفرية مادة للمستشرقين فبنوا عليها طعنهم بالنبي ﷺ وكتبوا كتاب (الآيات الشيطانية)! وقد بحثنا ذلك في كتاب:«ألف سؤال وإشكال: ١٣٦/١».

٢. دور جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه المميز في الحبشة

١. *لم يكن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بحاجة الى الهجرة ، لأنه مع شجاعته ، محمي من* أبيه وعشيرته ، بل هو يحمي ويجير . كما أن إدارة أمور المهاجرين يمكن أن يقوم بها أحدهم ، وفيهم شخصيات كخالد بن سعيد بن العاص .

وإنما أرسله النبي صلى الله عليه وآله معهم وأبقاه في الحبشة الى السنة السابعة لإدارة جبهة الروم في الدعوة ، وقد كانت الحبشة قاعدة الروم في إفريقيا ، وهذا يفسر لنا قول النبي صلى الله عليه وآله عن جعفر إنه في جهاد لله بأرض الحبشة !

ففي تفسير القمي:١/٢٦٤: «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له سبعون سنة ، فقال عبيدة: أما لوكان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه ! قال: وأي أعمامي تعني؟ قال: أبو طالب ، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نُبْزي محمداً ولما نطاعنْ دونه ونناضل

وننصره حتى نُصَرَّعَ حوله ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله ، وابنه الآخر في جهاد لله بأرض الحبشة ؟! فقال: يا رسول الله أسخطت عليَّ في هذه الحالة ؟ فقال: ما سخطت عليك ، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك».

وهذا يكشف عن مكانة أبي طالب رضي الله عنه عند النبي صلى الله عليه وآله فقد تأذى لمجرد تعريض ابن عمه عبيدة به وتفضيله نفسه عليه مع أنه جاهد وقطعت رجله ثم استشهد رضي الله عنه ! ومع ذلك قال له لاتؤذني في عمي فقد نصرني أكثر منك في حياته ، وهاهما

ولداه ينصراني أكثر منك ، هذا علي كالليث بين يدي الله ورسوله ، وذاك جعفر في أرض الحبشة كل أوقاته جهاد لله تعالى ! فقد كان جعفر إذن في مهمة جهاد ، يرعى شؤون المهاجرين ونشاطهم ، ويوجه النجاشي في علاقته مع الروم وسياسته الداخلية مع البطارقة وهم ملوك الحبشة في مناطقهم ، وكانت الحبشة تمتد من حدود اليمن الى حدود مصر وتشمل السودان !

وكان جعفر يزور البطارقة ويدعوهم الى الإسلام وجاء منهم بوفود الى مكة للقاء النبي صلى الله عليه وآله ومشاهدة معجزاته ، ولم تجرأ قريش على التعرض له ولضيوفه !

ففي تفسير القمي:١٧٦/١:«ولد للنجاشي ابن فسماه محمداً..وبعث إليه (الى النبي صلى الله عليه وآله) بثياب وطيب وفرس ، وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين فقال لهم: أنظروا إلى كلامه والى مقعده ومشربه ومصلاه ، فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن... فلما سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول الله ، وقرأوا عليه ما قرأ عليهم ، فبكى النجاشي وبكى القسيسون».

وفي تفسير الطبري:٤/٧ ، في قوله تعالى: وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى..قال: «هم الوفد الذين جاؤوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة».

ثم روى الطبري أن النجاشي بعث الى النبي صلى الله عليه وآله:« اثني عشر رجلاً من الحبشة ، سبعة قسيسين وخمسة رهباناً ينظرون إليه ويسألونه ، فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا، فأنزل الله عليه فيهم: ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لايَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. فآمنوا ثم رجعوا إلى النجاشي فهاجر النجاشي معهم ، فمات في الطريق ، فصلى عليه رسول الله والمسلمون واستغفروا له».

وفي تفسير القرطبي:٢٩٦/١٣:« قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ...وهم أربعون رجلاً ، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة ، وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا أئمة النصارى: منهم بحيراء الراهب وأبرهة والأشرف وعامر وأيمن وإدريس ونافع. كذا سماهم الماوردي».

وقال ابن إسحاق:١٩٩/٤:« ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة ، فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه فكلموه وساءلوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وآله عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الله وتلى عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم؟! ما نعلم ركباً أحمق منكم ! أو كما قالوا لهم. فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا نألو أنفسنا خيراً » !

ثم روى ابن إسحاق ، أن النجاشي بعث إلى النبي صلى الله عليه وآله اثني عشر رجلاً يسألونه

ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين ، ففيهم أنزل الله: وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ..». ونحوه تفسير القرطبي: ٢٥٥/٦ ، وتفسير ابن كثير: ٤٠٥/٣ ، وابن هشام: ٢٦٣/١ ، والصحيح من السيرة: ٢١٥/٣.

وقد كان مجيء جعفر أو علي عليه السلام بوفود القساوسة تحدياً كبيراً لقريش ، خاصة وأنهم التقوا بالنبي صلى الله عليه وآله في المسجد وأسلموا على يده ، واعترضهم أبو جهل وبعض زعماء قريش فأجابهم القساوسة فسكتوا ، ولو قاموا بعمل ضدهم لحماهم جعفر وعلي عليهما السلام ، لأنهم ضيوف النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم !

كما تشير هذه الروايات وغيرها الى أن جعفراً رضي الله عنه ذهب الى النجاشي قبل البعثة وأن النجاشي أرسل عدداً من القسيسين والرهبان ليروا النبي صلى الله عليه وآله وبراهينه.

وأن جعفراً أتى بوفود من علماء النصارى من الحبشة ونجران وبلاد الشام ، الى مكة ، والتقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم عدد منهم ، وعاد جعفر الى الحبشة .

بل ورد أن علياً عليه السلام سافر مرة الى الحبشة مع جعفر ، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يرسله في مهمات خاصة غير معلنة.

روى في مناقب آل أبي طالب: ٢٨٩/١ ، عن ابن عباس قال: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصار: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام سبق الناس كلهم بالإيمان ، وصلى إلى القبلتين ، وبايع البيعتين بيعة بدر وبيعة الرضوان ، وهاجر الهجرتين مع جعفر من مكة إلى الحبشة ومن الحبشة إلى المدينة» . ومعناه أن هذه السفرة كانت بعد هجرة علي عليه السلام الى المدينة ، وأن جعفراً جاء من الحبشة اليها .

٢. *تدل أحاديث جعفر في الحبشة على حدوث تيار للدخول في الإسلام، في* قساوسة الحبشة والجزيرة والشام ومصر، ولا بد أن يكون إسلامهم مؤثراً على أتباعهم، وبه نفسر ردة فعل الروم القوية ضد النجاشي وضد النبي صلى الله عليه وآله، لكنهم كانوا مشغولين بمعاركهم مع الفرس في سوريا وفلسطين ومصر.

كما نلاحظ في الحبشة ثورة خصوم النجاشي من وراء النيل لإسقاط حكمه، وكانت حركتهم قوية وجيشهم كبيراً كما وصفته أم سلمة، وقد طلب المهاجرون من النجاشي أن يقاتلوا معه فلم يقبل. (الحاكم:٢/٣٠٠).

وفي السيرة الحلبية:٣/٣٠١، أن عمرو بن العاص أخبر جيفر بن الجلندي ملك عُمان بإسلام النجاشي فسأله:«فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان؟ قلت: نعم. قال أنظر يا عمرو ماتقول! إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له أي أكثر فضيحة من كذب! قلت: وماكذبت وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي»!

والظاهر أن النجاشي لم يعلن إسلامه إلا في نطاق محدود، وأن هرقل عرف بإسلامه لكنه كان مشغولاً بحربه للفرس، وحرك ضد النجاشي من استطاع من الملوك (البطارقة) فقاتلوا النجاشي فنصره الله عليهم!

وبعد انتصار هرقل على الفرس وضع خطته للقضاء النبي صلى الله عليه وآله بزعمه، كما يأتي في حرب مؤتة وتبوك.

الفصل الثاني والعشرون

محاصرة قريش لبني هاشم في شعب ابي طالب

١ - مؤتمر زعماء قريش لإجبار بني هاشم على تسليم النبي صلى الله عليه وآله

بعد هلاك المستهزئين الخمسة ، رأى زعماء قريش أن الإسلام أخذ ينتشر في أبنائهم وعبيدهم ولم يستطيعوا إيقافه ، بتهديد النبي صلى الله عليه وآله وتعذيب من يسلم من المستضعفين ! عندها تنادت قريش الى مؤتمر في منى ، للإتفاق على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة ، حتى يُسَلِّموهم محمداً فيقتلوه !

واجتمعوا ومعهم قبيلة كنانة ، ووقعوا معاهدة عرفت بصحيفة المقاطعة ، وقعها أربعون شيخاً ، وفي رواية اليعقوبي ثمانون شيخاً ، على نفي بني هاشم من مكة ، ومقاطعتهم حتى يسلموهم محمداً صلى الله عليه وآله !

وتُعرف هذه الوثيقة بالصحيفة الملعونة الأولى ، لأن قريشاً كتبت بعدها بسنوات في أيام حجة الوداع الصحيفة الملعونة الثانية ، تعاهدت فيها على أنه إن مات محمد لا ندع خلافته تصل الى أهل بيته ، وتعاهدوا عليها في الكعبة ، وأودعوها عند أبي عبيدة بن الجراح ، وسيأتي خبرها .

قال في مناقب آل أبي طالب:٥٧/١: « لما رأت قريش أنه يفشو أمره صلى الله عليه وآله في القبائل وأن حمزة أسلم (أعلن إسلامه) وأن عمرو بن العاص رُدَّ في حاجته عند النجاشي ، فأجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله علانية ، فلما رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبد المطلب ، فأجمع لهم أمرهم على أن يدخلوا رسول الله شعبهم.. وكانوا أربعين رجلاً مؤمنهم وكافرهم ، ما خلا أبا لهب ».

وقال ابن إسحاق: ١٤٠/٢و١٣٩:« فلما قدم عمرو عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى قريش ، وأخبروهم بالذي قال النجاشي لمحمد وأصحابه ، اشتد وجدهم وآذوا النبي (ص) وأصحابه أذى شديداً ، وضربوهم في كل طريق ، وحصروهم في شعبهم ، وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحداً من الناس يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم !

وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم ، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويُغْلُونها عليهم ! ونادى منادي الوليد بن المغيرة (وهو منادي أبي جهل) في قريش: أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه.. !

وانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة فدعوا الله على ظلم قومهم لهم وقطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم ، وتناولهم بسفك دمائهم ، فقال أبو طالب: اللهم إن أبي قومنا إلا النصر علينا فعجل نصرنا ، وحُلْ بينهم وبين قتل ابن أخي. ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون اليه والى أصحابه فقال أبو طالب: ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم. والله لتنتهين عن الذي

تريدون ، أو لينزلن الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون ! فأجابوه: إنكم يا بني عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم ، إلا على قتل هذا الصابي السفيه !

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ، ومن اتبعهم من بين مؤمن دخل لنصرة الله ونصرة رسوله ومن بين مشرك يحمي ، فدخلوا شعبهم وهو شعب أبي طالب في ناحية من مكة ».

٢- النبي صلى الله عليه وآله يخلد مكان المؤتمر وكفر زعمائه

توجه النبي صلى الله عليه وآله الى مكة فاتحاً ، فأراد أن يُخَلِّد في وجدان المسلمين مؤامرة قريش ، فأعلن:« منزلنا إذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر». (السيرة الحلبية: ٢٧/٣ ، عن جابر).

ثم أكد صلى الله عليه وآله ذلك فقال عندما توجه الى معركة حنين:« منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر» ! (صحيح بخاري: ٩٢/٥).

ثم أكد ذلك بعد سنتين في حجة الوداع فقال صلى الله عليه وآله يوم التروية:« منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر ». (صحيح بخاري: ١٥٨/٢).

ثم أكد ذلك عندما عاد من عرفات ، فقال يوم النحر:« نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر. يعني بذلك المحصب ». (بخاري: ٢٤٧/٤).

فكما كان مهماً عند زعماء قريش أن يشددوا الضغط على بني هاشم ليسلموهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلوه ، ثم ليعزلوهم عن خلافته بعد موته !

كان مهماً في ميزان الله تعالى أن يحفظ المسلمون تلك الحادثة الخطيرة التي وقعت في هذا المكان ، لأنها صورة عن كيد فراعنة قريش الذي فاق كيد اليهود حيث جمعوا شيوخ قبائلهم وقبائل كنانة ، وتقاسموا باللات والعزى على قتل النبي صلى الله عليه وآله بأي طريقة ، غيلة أو علانية ، ومقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة شاملة حتى يسلموه لهم للقتل ، لأن ذنب محمد صلى الله عليه وآله أن الله أرسله نبياً ، وأراهم المعجزات ، وهم لايريدون نبياً من بني هاشم حتى لو أتى بمعجزات !

وقد نفذوا قرارهم بالمحاصرة لمدة أربع سنين وأكثر ، فضيقوا عليهم ، حتى أكل أطفالهم ورق الشجر من الجوع ، ومصوا الرمل الرطب من العطش !

فهدف النبي صلى الله عليه وآله تخليد الحادثة بمكانها وزعمائها لتحفظ أجيال المسلمين هذا المقطع المهم من تاريخ الإسلام ، ويعرفوا أين يقع معدن الإسلام ومعدن الكفر في أولئك الذين خلعوا سلاحهم في فتح مكة تحت سيوف بني هاشم والأنصار ، وما زالوا يخططون لوراثة دولة الإسلام التي أقامها الرسول صلى الله عليه وآله وهم كارهون !

وعندما أطلق النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام كان عدد من قادة مؤتمر الكفر قد هلكوا بالموت أو بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام ، لكن عدداً منهم ما زالوا أحياء ينظرون ! مثل سهيل بن عمرو ، وأبي سفيان ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية بن خلف ، وحكيم بن حزام ، وصهيب بن سنان ، وأبي الأعور السلمي ، وغيرهم..كانوا حاضرين في حجة الوداع يسمعون كلامه ، ويتعجبون من عفوه عنهم ! وكان صلى الله عليه وآله ينفذ أمر ربه ، ويتم الحجة ويحذر وينذر ، ليحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة !

كان يسجل أن الخطر والتحريف والظلم الذي يخشاه على الإسلام وأهل بيته ، إنما هو من قريش وحدها ، فبقية القبائل تبع لها !

وفي مقابل عمل النبي صلى الله عليه وآله عَمِلَ زعماء قريش لينسى الناس الحادثة ومكانها وأشخاصها ، وحققوا هدفهم بعد النبي صلى الله عليه وآله فطمستها خلافتهم وضيعت مكانها وأكثر أشخاصها ! ولم يحفظه إلا آل النبي صلى الله عليه وآله وشيعتهم ، فصار خيف بني كنانة أو المحصَّب من منى منزل بني هاشم ، الى يمين جمرة العقبة للداخل الى منى !

وقد تعجبت هذه السنة (١٤٢٩) من أن الوهابيين أقاموا رمز مسجد لمكان بيعة الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله قرب جمرة العقبة ، لكنهم لن يقيموا رمزاً لمكان مؤتمر الكفر القرشي ، ومكان خيام النبي وآله صلى الله عليه وآله !

كما حرصوا على إزالة شِعب أبي طالب أو شِعب عبد المطلب ، أو شعب بني هاشم أو شعب علي عليه السلام وكلها واحد . وهو يبدأ من مكان مولد النبي صلى الله عليه وآله الذي أرادوا تخريبه فمنعتهم الحكومة خوفاً من المسلمين، فأبقوه خرباً كتب عليه: «مكتبة مكة» !

٣- أبو طالب يُحَصِّن الشِّعْب ويحرس النبي صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً !

بقرار المقاطعة رأى بنو هاشم أنفسهم مضطرين لترك بيوتهم والتجمع في نقطة واحدة ، لحفظ حياتهم وحياة النبي صلى الله عليه وآله ، فاختاروا الشِّعب حيهم القديم وفيه بيت عبد المطلب وأبي طالب:«وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع».(الحلبية: ٢/٢٥).

وروت المصادر أن أبا طالب رحمه الله حصَّنَ الشِّعْب ، وفرض الحراسة على رجال

بني هاشم لمدخله والنقاط التي يمكن تسلقها من الجبال والتلال المحيطة به ، وأن يراقبوا النقاط المرتفعة التي يمكن النزول منها.

قال في النزاع والتخاصم/٦٧: « واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله.. وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً مواثيق: أن لايقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ولاتأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل ! فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا تركوا طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله» !

وفي مناقب آل أبي طالب:١/٥٧:« وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب فأنهضه عن مضجعه وأضجع علياً عليه السلام مكانه ، ووكل عليه وُلْدَهُ وَوُلد أخيه ، فقال علي عليه السلام: يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة ، فقال أبو طالب:

إصبرن يا بني فالصبر أحجى ... كل حيٍّ مصيره لشعوب
قد بلوناك والبلاء شديد ... لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأعز ذي الحسب الثاقب ... والباع والفناء الرحيب
إن تصبك المنون بالنبل تبرى ... فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تطاول عمراً ... آخذٌ من سهامها بنصيب

قال علي عليه السلام:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمدٍ ... ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن ترَ نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعا

وسعيي لوجه الله في نصر أحمـد نبي الهدى المحمود طفـلاً ويافعا

أقول: ما نسبته هذه الرواية الى علي عليه السلام لا يتناسب مع شجاعته ، ولا شعره ، فلا بد أن تكون سقطت من الرواية ظروف حراسته للنبي صلى الله عليه وآله.

٤- سنوات الحصار والشدائد على بني هاشم

كتب أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه لمعاوية: « أما بعد ، فإن أخا خولان أتاني منك بكتاب تذكر فيه محمداً صلى الله عليه وآله ، والحمد لله الذي صدق له الوعد ، ومكن له في البلاد وأظهره على أهل عداوته والشنآن من قومه ، الذين ألبوا عليه العرب ، وهم قومه الأدنى فالأدنى إلا قليلاً ممن عصمه الله.. كنا أهل البيت أول من آمن وصدق بما أرسل به ، فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهموا بنا الهموم ، وفعلوا بنا الأفاعيل وأمسكوا منا المادة ، وقطعوا عنا الميرة ، ومنعونا الماء العذب ، وأحلونا الخوف ، واضطرونا إلى جبل وعر ، وكتبوا بينهم كتاباً أن لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يبايعونا ولا يناكحونا ولا نأمن فيهم ، حتى ندفع إليهم نبينا صلى الله عليه وآله فيقتلوه ويمثلوا به ! فعزم الله على منعه والذب عن حوزته ، فمؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحامي عن الأصل ، وأنا أول أهل بيتي إسلاماً معه ، ومن أسلم بعدنا أهل البيت من قريش فحليف ممنوع ، وذو عشيرة تحامي عنه ». (المناقب للخوارزمي/٢٥١).

وقال في إعلام الورى:١٢٥/١:« كتبوا صحيفة بينهم أن لا يؤاكلوا بني هاشم ، ولا

يكلموهم ولا يبايعوهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا إليهم ولا يحضروا معهم ، حتى يدفعوا إليهم محمداً فيقتلونه ، وإنهم يدٌ واحدة على محمد يقتلونه غيلةً أو صراحاً فلما بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخلوا الشعب ، وكانوا أربعين رجلاً فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام ، إن شاكت محمداً شوكة لآتينَّ عليكم يا بني هاشم ! وحَصَّن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار ، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله صلى الله عليه وآله مضطجع ثم يقيمه ويضجعه في موضع آخر ، فلا يزال الليل كله هكذا ، ويوكل وُلده ووُلد أخيه به يحرسونه بالنهار، فأصابهم الجهد !

وكان من دخل مكة من العرب لايجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً ! ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله ، وكان أبو جهل ، والعاص بن وائل السهمي ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وعقبة بن أبي معيط ، يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً ، ويحذرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله..! وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ، ختمه كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلقوها في الكعبة وتابعهم أبو لهب على ذلك...! فلم تزل هذه حاله فبقوا في الشعب أربع سنين ، لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم ولا يشترون ولا يبايعون إلا في الموسم ! وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة موسم للعمرة في رجب وموسم للحج في ذي الحجة ، وكان إذا اجتمعت المواسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لايجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم

الثاني ، فأصابهم الجهد وجاعوا ، وبعثت قريش إلى أبي طالب: إدفع إلينا محمداً حتى نقتله ونملكك علينا..» !

وقال اليعقوبي:٣١/٢:« حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف في الشعب الذي يقال له شعب بني هاشم ، بعد ست سنين من مبعثه ، فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين (أو أربع سنين وأكثر) حتى أنفق رسول الله ماله ، وأنفق أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها ، وصاروا إلى حد الضر والفاقة ».

وفي الخرائج:٨٥/١: « فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به » !

وفي السيرة الحلبية:٥٢/٢:« جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر» !

«وعانوا الحرمان والجوع ، فأكلوا نبات الأرض ، وأخذ الأطفال يَمُصُّون الرمال من العطش ، وكانت بطون قريش تشاهد كل هذا وتتلذذ به ، دون أي إحساس بالحرج ! ولكن الهاشميين لم يركعوا ولم يستسلموا ، ولم يستجيبوا لبطون قريش في طلبها تسليم النبي. لقد تحملوا ما لم تتحمله قبيلة على وجه الأرض في سبيل محمد صلى الله عليه وآله وفي سبيل دينه ولولا صبرهم وثباتهم لقتلت البطون رسول الله صلى الله عليه وآله كما قتل غيره من الأنبياء وأجهضت دعوته في مهدها ، ولكن الله أراد أن يظهر دينه ، وأن يتحمل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة. ثم أوحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أنه أرسل حشرة أكلت صحيفة الحصار ولم تبق من كتابتها إلا اسم الله ، وما إن انتهى جبريل من إلقاء تلك البشارة العظيمة حتى نهض رسول الله

صلى الله عليه وآله فأخبر عمه بتفاصيل خبر السماء ، وعلى إثر ذلك توجه النبي وأبو طالب والهاشميون جميعاً إلى مكة. أقبلت قريش تريد الوقوف على حقيقة الأمر ، وهي تظن أبا طالب قد جاء ليعلن استسلامه واستسلام بني هاشم ، ولكن أبا طالب طلب من زعماء الشرك أن يحضروا صحيفة الحصار ، فلما فعلوا ذلك قال لهم: أليست هذه صحيفتكم على العهد الذي تركتوها فيه؟ فقالت زعامة البطون: نعم. فقال أبو طالب: فهل أحدثتم فيها حدثاً ؟ فقالوا: اللهم لا. فقال لهم: لقد أعلمني محمد عن ربه أن الله قد بعث الأرضة فأكلت كل ما فيها إلا ذكر الله ، أفرأيتم إن كان صادقاً ما تصنعون ؟ فقالت زعامة البطون: نكف ونمسك. فقال أبو طالب: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه ! فقالوا: قد أنصفت وأجملت. وفُضَّت الصحيفة فإذا كل ما فيها قد محي إلا مواقع اسم الله عز وجل ، وبهتت زعامة الشرك وأسلم على أثر هذه المعجزة عدد من الناس ، وأعلن أبو طالب أنه على الدين الحق ، واهتزت شرعية الحصار والمقاطعة .

إن للهاشميين فضلاً على كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين ، فلولا موقفهم الحاسم المشرف بقيادة أبي طالب ، لتمكنت بطون قريش من قتل محمد صلى الله عليه وآله ولما قامت للإسلام قائمة !

ومن المهازل أن تقوم السلطات التي سيطرت على مقاليد أمور المسلمين فيما بعد بتصوير أبي طالب مشركاً وتنكر كفاحه وجهاد أبنائه ، وتفرض مسبتهم على المنابر ، ولا تقبل شهادة من يواليهم ، وتلقي في أذهان العامة والغوغاء أن

الهاشميين ماتوا بموت محمد ، وأنهم لم يخلقوا للقيادة ، وإنما خلقوا ليكونوا أتباعاً لخلفاء بطون قريش ، وأن الخلافة حق خالص للبطون ، مثلما كانت النبوة حقاً خالصاً للهاشميين ، وأن هذه القسمة هي القسمة العادلة ، وكأن البطون هي المخولة بتوزيع فضل الله تعالى». (المواجهة مع رسول الله ﷺ لأحمد حسين يعقوب/١٧٥).

٥- أبو طالب يؤرخ حصار الشعب بقصائد ومقطوعات

أرَّخَ أبو طالب رضي الله عنه لمحاصرة قريش للنبي ﷺ وبني هاشم ، بأكثر من عشر قصائد ومقطوعات شرح فيها إصرارهم على قتل النبي ﷺ وموقفه الحاسم في مقاومتهم ، ومدح النبي ﷺ وأعلن إسلامه ، وهذا بعضها من سيرة ابن إسحاق(١٤١/٢) وغيرها:

« وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله (ص) ليلاً أو سراً فكان رسول الله (ص) إذا أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب من فراشه وجعله بينه وبين بنيه ، خشية أن يقتلوه ! وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بني هاشم الذين في الشعب يتضاغَوْن من الجوع ، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً فيقول الرجل لصاحبه: كيف بات أهلك البارحة ؟ فيقول: بخير. فيقول: لكن إخوانكم هؤلاء الذين في الشعب بات صبيانهم يتضاغوْن من الجوع حتى أصبحوا فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد (ص) ورهطه ، ومنهم من يكره ذلك. فقال أبو طالب وهو يذكر ما طلبوا من محمد (ص) وما حشدوهم في كل موسم يمنعونهم أن يبتاعوا بعض ما يصلحهم ، وذكره في الشعر:

ألا هل أتى بَحْرِيَّنَا صُنْعُ ربنا ... على نأيهم والأمر بالناس أورد

ألم يـأتهم أن الصحيفة أُفسدت وكـل الـذي لـم يُرضـه الله مُفْسَـد
وكانــت أحــق رقعــة بأثيمــة يُقَطَّـع فيهـا سـاعد ومقلـد
فمــن يــك ذا عــزٍّ بمكــة مثلــه فعزتنـا فـي بطـن مكـة أتلـد
نشـأنا بهـا والنـاس فيهـا أقلـة فلـم ننفكـك نـزداد خيـراً ونمجـد
جزى الله رهطاً بـالحجون تتابعوا بنصـر امـرئ يهـدي لخيـر ويرشـد
قعوداً لدى خطم الحجـون كـأنهم مقاولـة ، بـل هـم أعـز وأمجـد
أعـان عليهـا كـل صـقر كأنـه إذا ما مشى فـي رفـرف الـدرع أحـرد
جرى على جُلّـى الخطـوب كأنـه شـهاب بكـفٍّ قـابس يتوقـد
من الأكرمين من لؤي بـن غالـب إذ سـيم خسـفاً وجهـه يتربـد
عظـيم الرمـاد سـيد وابـن سـيد يحض على مقـري الضـيوف ويحشـد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا علـى مهـل وسـائر النـاس رقَّـد
متى شـرك الأقـوام في جـل أمرنا وكنـا قـديماً قبلهـا نتـودد
وكنـا قـديماً لا نقـر ظلامـة ونـدرك مـا شـئنا ولا نتشـدد
فيا لقصيٍّ هل لكـم فـي نفوسـكم وهـل لكـم فيمـا يجـئ بـه غـد
فـإني وإيـاكم كمـا قـال قائـل لـديك البيـان لـو تكلمـت أسـود »

ويقصد ب«بحرينا» المسافرين بالبحر الى الحبشة ولعله أرسلها الى جعفر رضي الله عنه. راجع: سيرة ابن إسحاق: ١٣٨/٢، وابن هشام: ٢٣٤/١ و٢٥٣، والطبقات: ٢١٠/١، ومناقب آل أبي طالب: ٥٧/١ ، وإعلام الورى: ١٢٥/١، وأنساب الأشراف/٣١ ، والصحيح من السيرة: ٢١١/٣ ، وأبو طالب حامي الرسول/٣٠.

ألا مـن لهـمٍّ آخـر الليـل معـتمِ طواني وأخـوى الـنجم لـم يـتقحمِ
طواني وقد نامـت عيـون كثيـرة وسـائر أخـرى سـاهرٌ لـم ينـوم

لأحـلام أقـوامٍ أرادوا محمـداً   بسوء ومـن لا يتقـي الظلـم يُظلـم
سعوا سفهاً واقتادهم سوء رأيهـم   على قلل مـن رأيهـم غيـر محكـم
رجـاء أمـور لـم ينـالوا نظامهـا   وإن حشدوا في كـل نفـر وموسـم
يرجون أن نسـخى بقتـل محمـد   ولم تختضب سمر العوالي من الـدم
يرجـون منـا خطـة دون نيلهـا   ضـراب وطعـن بالوشـيح المقـوم
كـذبتم وبيـت الله لا تقتلونـه   جمـاجم تلقـى بـالحطيم وزمـزم
وتقطـع أرحـام وتنسـى حليلـةٌ   خليلاً وتغشـى محرمـاً بعـد محـرم
وينهض قوم فـي الـدروع إلـيكم   يذبون عـن أحسـابهم كـل مجـرم

○ ○

وقالوا خطة جـوراً وحمقـاً   وبعض القول أبلـج مسـتقيم
لتخرج هاشم فيصـير منهـا   بلاقـع بطـن مكـة والحطـيم
فمهـلاً قومنـا لا تركبونـا   بمظلمـة لهـا أمـر وخـيم
فيندم بعضكم ويذل بعـض   ولـيس بمفلـح أبـداً ظلـوم
فلا والراقصات بكل خـرق   إلـى معمـور مكـة لا يـريم
طوال الدهر حتـى تقتلونـا   ونقـتلكم وتلتقـيَ الخصـوم
ويعلم معشر قطعـوا وعقـوا   بـأنهم هـم الجلـد الظلـيم
أرادوا قتل أحمـد ظـالموه   ولـيس لقتلـه فـيهم زعـيم
ودون محمـد فتيـان قـوم   هم العرنين والعضو الصـميم

○ ○

ألا أبلغـا عنـي علـى ذات نأيهـا   لؤياً وخُصّـا مـن لـؤيٍّ بنـي كعـب

ألـم تعلمـوا أنـا وجـدنا محمـداً ... نبياً كموسى خُـطَّ فـي أول الكتـب
وأن عليـه فـي العبـاد محبـة ... ولا خيـر فـيمن خصـه الله بالحَـبِّ
وأن الـذي أضـفيتم فـي كتـابكم ... لكـم كـائنٌ نحسـاً كراغيـة السـقب
أفيقوا أفيقـوا قبـل أن يحفـر الثـرى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعـوا أمـر الغـواة وتقطعـوا ... أياصـرنا بعـد المـودة والقـرب
وتسـتجلبوا حربـاً عوانـاً وربمـا ... أمرُّ علـى مـن ذاقـه حلـب الحـرب
ولسـنا ورب البيـت نسـلم أحمـداً ... على الحال من عض الزمان ولا كرب
ألـيس أبونـا هاشـمٌ شـد أزره ... وأوصـى بنيـه بالطعـان وبالضـرب
ولسـنا نمـل الحـرب حتـى تملنـا ... ولا نشتكي ممـا ينـوب مـن النكـب
ولكننـا أهـل الحفـاظ ذووا النهـى ... إذا طـار أرواح الكمـاة مـن الرعـب

وقوله رضي الله عنه: نحساً كراغية السقب ، يحذرهم من يوم كأصحاب ناقة صالح عليه السلام .

○ ○

ألا أبلغـا عنـي لؤيـاً رسـالة ... بحـق ومـا تغنـي رسـالة مرسـل
بني عمنا الأدنـين تيمـاً نخصـهم ... وإخوتنا مـن عبـد شـمس ونوفـل
أظـاهرتم قومـاً علينـا ولايـة ... وأمـر غـويٍّ مـن غـواة وجُهَّـل
يقولـون إنـا إن قتلنـا محمـداً ... أقـرت نواصـي هاشـم بالتـذلل
كذبتم ورب الهدي تُدمى نحورها ... بمكـة والـركن العتيـق المقبَّـل
تنالونـه أو تبطلـون لقتلـه ... صوارم تُفـري كـل عظـم ومفصـل
وتـدعو بويـل أنـتم إن ظلمـتم ... مقاليـد فـي يـوم أغـر محجـل
فمهلاً ولما تنـتج الحـرب بكرهـا ... وتـأتي تمامـاً أو بـآخر معجـل
وأنـا متـى مـا نُمْرِهـا بسـيوفنا ... تجلجل تعـرك مـن نشـاء بكلكـل

ويعلــو ربيــع الأبطحــين محمــد ... على ربوة مــن رأس عنقـاء عيطـل
ويـأوي إليهــا هاشــم إن هاشـماً ... عــرانين كعــب آخــراً بعــد أول
فـإن كنـتم ترجـون قتـل محمـد ... فرومــوا بمــا جمعـتم نفـل يـذبل
فإنـــا ســنحميه بكـــلٍّ وطمـــرة ... وذي ميعــة نهــد المواكــل هيكــل
وكــل ردينـــي ظمـــاءٌ كعوبــه ... وغضب كإيمــاض الغمامـة يفصـل
بأيمــان شــم مــن ذؤابـة هاشـم ... مغــاوير الأبطــال فــي كــل محفـل

○ ○

تطـــاول ليلـــي بهـــم نصـــبْ ... ودمعـــي كســـحُ السِّـقاء السَّــرِبْ
ولعـــــبُ قُصـــي بأحلامهـــــا ... وهــل يرجــع الحلــمُ بعــد اللعـب
ونفـــيُ قصـــيٍّ بنـــي هاشـــم ... كنفـــي الطُّهـــاة لِطــافَ الحطــب
وقـــولٌ لأحمـــد أنـــت امـــرؤ ... خلوق الحــديث ضـعيف النسـب
ألا إن أحمـــد قـــد جــاءهم ... بحـــق ولـــم يـــأتهم بالكـــذب

○ ○

وقد كان من أمر الصـحيفة عبـرة ... متى ما يُخبَّرْ غائبُ القـوم يعجـب
محـا الله منهـا كفـرهم وعقـوقهم ... وما نقموا من ناطق الحـق معـرب
وأصبح ما قالوا مــن الأمـر بـاطلاً ... ومن يختاق ما ليس بالحق يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينـا مصـدقاً ... على سخط من قومنا غيـر معتـب
فــلا تحسـبونا خــاذلين محمــداً ... لـــدى غربـــة منـــا ولا متقـــرب
ســـتمنعه منـــا يــد هاشـــميةٌ ... مركبها فــي النـاس خيـر مركـب
فلا والذي تخذى لـه كـل نضـوة ... طلـيحٌ نجـيٌّ نجلـةٌ فالمحصـب
يميناً صــدقنا الله فيهـا ولـم نكـن ... لنحلف كــذباً بـالعتيق المحجـب
نفارقـــه حتـــى نصـــرع حولـــه ... وما نال تكـذيب النبـي المقـرب

ويظهر من شعر أبي طالب رضي الله عنه أن قريشاً كانت تريد أمرين: قتل النبي صلى الله عليه وآله وإجلاء بني هاشم من مكة ! وقد أخفى رواة قريش ذلك ! وقد أحبطه الله تعالى بموقف أبي طالب رضي الله عنه وشجاعة بني هاشم ، وخوف قريش منهم رغم قلتهم !

٦- كثرة مكذوبات رواة السلطة في حصار الشعب

١. كان اليهود ينكرون نبوة الأنبياء عليهم السلام ثم يقتلونهم ، فلم يقولوا يوماً نعترف بنبوتهم ونقتلهم ! لكن القرشيين قالوا حتى لو كان محمد نبياً مرسلاً من الله فلا نؤمن به ونريد قتله ، لأن الموت أفضل من الإيمان برسول من بني هاشم ! وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ! (الأنفال: ٣١-٣٢). وبذلك جمعوا سيئات اليهود والبداوة معاً ، فهم يصرون على قتل النبي صلى الله عليه وآله ، ولا تهمهم أدلته ومعجزاته !

٢.كما لاتجد قوماً في التاريخ بعث الله فيهم نبياً فكفروا به وأرادوا قتله ، ولكنهم جبناء يخافون من عشيرته ، فقرروا أن يضغطوا عليهم اجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً وإعلامياً ، حتى يسلموهم ابنهم النبي صلى الله عليه وآله بأيديهم ، فيقتلوه ! أو ينفوا أنفسهم من مدينتهم باختيارهم ، خضوعاً لقرار زعماء القبائل المعادية !

وبذلك جمعوا صفات الكفر ، والعناد ، والتكبر ، والجبن ، والحقارة ، جميعاً ! وتجسد ذلك في محاصرتهم لبني هاشم أربع سنوات وأكثر ، وتجويعهم حتى يموتوا أو يخضعوا ويسلموهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلوه ، ثم ينفوا أنفسهم من مكة !

فقد كانوا يرون ما وصلت اليه حالة بني هاشم المحاصرين ، ويسمعون تضوُّر أطفالهم من الجوع ! ومع ذلك أصرُّوا على قرارهم الذي أقسموا عليه وكتبوه في صحيفة وعلقوها في الكعبة ، وحرموا فيها التفاوض مع بني هاشم نهائياً مهما بلغ بهم الحصار! « لايقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ، ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل » ! (الدرر لابن عبد البر/٥٤ ، وسبل الهدى: ٥٩/١٠ ، وعيون الأثر: ١٦٥/١).

٣. هذه هي حقيقة الصحيفة الملعونه وقرار المحاصرة القرشي الذي شارك فيه كل زعمائهم ، لم يشذ منهم زعيم واحد عن الحضور الى مؤتمر الكفر ولا عن توقيع الصحيفة ، ولا تهاون في تنفيذها ، فلو اجترأ أحد منهم على ذلك لهجموا بيته !

لكن تعال واقرأ أحاديث خلافة قريش عن الحصار لتتفاجأ بأن زعماء قريش يمثلون النبل والقيم والإنسانية والضمير الحي! وأن خمسة أو سبعة منهم (تلاوموا) وقرروا (نقض الصحيفة الظالمة) وإنصاف بني هاشم ، وعملوا في ذلك ليل نهار ، وعرضوا أنفسهم للأخطار حتى تمكنوا من نقض الصحيفة !

وتقرأ أن النبي ﷺ كان يشكر لهم صنيعهم! وأوصى المسلمين أن لاتقتلوا فلاناً لأنه لم يؤذني ! وفلاناً لأنه كان خيِّراً باراً ، من أبطال نقض الصحيفة !

وجعلوا أبطال نقض الصحيفة خمسة فراعنة ، وهم كما في رواية ابن إسحاق: ١٤٥/٢:هشام بن عمرو بن ربيعة ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم ، ومطعم بن عدي ، وزهير بن أبي أمية ، وأبي البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد: «ثم إن المطعم بن عدي قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد

أكلتها ! وقد نظموا في مدحهم هم شعراً ، كما في السيرة الحلبية: ٣٧/٢:

«فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء
يالأمر أتاه بعد هشام زمعة إنه الفتى الأتَّاء
وزهير والمطعم بن عدي وأبو البحتري من حيث شاءوا
نقضوا مبرم الصحيفة إذ شد دت عليه من العدا الأنداء » !

وزعموا أن شاعر النبي صلى الله عليه وآله رثى مطعماً بقصيدة ، قال ابن هشام:١/٢٥٥:«وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم بن عدي حين مات ، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة:

أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي بدمع ، وإن أنزفته فاسكبي الدما
وبكِّي عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفاً له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا: هو الموفي بخفرة جاره وذمته يوماً إذا ما تذمما »

وقال في السيرة الحلبية: ٣٦/٢: «المطعم بن عدي مات كافراً ، وأبو البحتري بن هشام قتل ببدر كافراً ، وزمعة بن الأسود قتل ببدر كافراً ».

لكن رووا عن جبير بن مطعم وهو من الطلقاء (سير الذهبي: ٩٥/٣) أن النبي صلى الله عليه وآله مدح أباه وقال في شأن أسارى بدر: « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له » ! (بخاري: ٢٠/٥).

وقال في سبل السلام: ٥٦/٤: «وفيه دليل على أنه يجوز ترك أخذ الفداء من الأسير

والسماحة به لشفاعة رجل عظيم وأنه يكافأ المحسن وإن كان كافراً».

وقد صور إمامهم ابن حجر الدور البطولي لهؤلاء العظماء في نقض الصحيفة والخدمة الكبرى التي قدموها للإسلام ورسولهﷺ!

فقال في الإصابة:٤٢٦/٦، عن هشام بن عمرو بن ربيعة إنه من المؤلفة قلوبهم أعطاه النبيﷺمن غنائم حنين ! وقال: « ذكر بن إسحاق قصته في نقض الصحيفة ومخاطرته في ذلك بنفسه رحمه الله»!

وقال في فتح الباري:١٤٧/٧:«ولم يكن يأتيهم شئ من الأقوات إلا خفية ، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات ، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر ، من أشدهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن الحرث العامري.. فكان يصلهم وهم في الشعب.. ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية.. فوافقه ، ومشيا جميعاً إلى المطعم بن عدي والى زمعة بن الأسود فاجتمعوا على ذلك ، فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطؤوا عليه ، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل ، وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فمزقوها وأبطلوا حكمها » !

وتسألهم: متى كان ذلك من سنوات الحصار؟ فيقولون لك: كان بعد ثلاث سنوات من الحصار أو أربع ! فبعد أربع سنوات رقَّت قلوب هؤلاء النبلاء للنبيﷺوأطفال بني هاشم وعملوا ليل نهار حتى فكوا عنهم الحصار !

وتسألهم: وأين صار دور معجزة النبيﷺوآية الأرضة التي أكلت ما في الصحيفة من ظلم وتركت منها إسم الله تعالى؟ وفاجأت زعماء قريش فبهتوا

وأبلسوا ، فتجرأ بنو هاشم على كسر الحصار وخرجوا من الشعب الى مساكنهم !

فيقولون: لقد ترافق سعي أولئك الأبرار لفك الحصار مع معجزة النبي صلى الله عليه وآله ، فاستطاعوا أن ينقضوا الصحيفة وينهوا حصار بني هاشم ، رغم مخالفة أبي جهل !

لاحظ قولهم في رواية ابن إسحاق: «ثم إن المطعم بن عدي قام إلى الصحيفة فشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ». انتهى.

فلو لم تكن الأرضة أكلتها لشقها وأبطلها ، ولو لم تكن معجزة النبوة لكانت معجزة شهامة الزعماء القرشيين الذين حاصروهم ! راجع تحريفهم وتخريفهم في: الإصابة: ٢٣٠/١، والدرر/٥٧ ، وعمدة القاري: ١١٩/١٧، وتاريخ الطبري: ٧٨/٢، وعامة مصادر السيرة والحديث !

والحقيقة ، أنه ليس نبل زعماء قريش الذي أفشل الحصار بل صمود النبي صلى الله عليه وآله وأبي طالب فأرسل الله آية الأرضة لتبهتهم وتفتح الباب لبني هاشم ليخرجوا من الحصار برأس مرفوع وعين قوية على عدوهم ! وغاية ما يمكن أن يقال في زعماء قريش أن موقف بعضهم أمام العجزة كان ألين من موقف أبي جهل وبقية المتشددين.

٤. لك الله يا أبا طالب ! فقد استمات رواة السلطة ليثبتوا لزعمائهم فضيلة نقض

الصحيفة ويغسلوا جريمتهم في حصاركم ! وجعلوا رواية بخاري في مطعم بن عدي بأن النبي صلى الله عليه وآله قال لو كان مطعم حياً وطلب إطلاق أسرى بدر لأطلقتهم له ! جعلوها فخراً عظيماً وإكراماً من الله ورسوله صلى الله عليه وآله له ، وقالوا: « فيه دليل على أنه يجوز ترك أخذ الفداء من الأسير ، والسماحة به لشفاعة رجل عظيم ، وأنه يكافأ المحسن وإن كان كافراً ». (صحيح بخاري: ٢٠/٥ ، وسبل السلام: ٥٦/٤).

أما أبو طالب ، الذي قام الإسلام بنصرته وجهاده وحمايته الفريدة للنبي صلى الله عليه وآله بماله ونفسه وأبنائه وعشيرته ! فجعلوا مكافأته سخرية نسبوها الى النبي صلى الله عليه وآله فزعموا أن العباس قال للنبي صلى الله عليه وآله: « ما أغنيت عن عمك ! فوالله كان يحوطك ويغضب لك ! قال: هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» !

فقد رواه بخاري: ٢٤٧/٤ ، وكرره في مواضع ، وفسر ضحضاح النار (٢٠٣/٧) بأنه «يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه» وقاولوا: « إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح في النار ، فإذا أتوه تلقاهم عقارب كأنهن البغال الدهم،وأفاع كأنهن البخاتي فضربنهم »!(الدر المنثور: ١٢٧/٤).

لقد عجزوا عن قتل النبي صلى الله عليه وآله ! وعجزوا عن إجلاء بني هاشم من مكة ، أو تسكيت النبي صلى الله عليه وآله ودفن دعوته ! فانتقموا منه بأخذ سلطانه وعزل عترته !

وانتقموا من أبي طالب فجعلوه كافراً في قعر جهنم ! وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله شفع له شفاعة عكسية ! مع أن الرجل المسلم يشفع لمن سقاه شربة ماء ، فيدخله الجنة وقد استحق النار ! (ابن ماجة: ٤٩٦/٢). والمؤمنين يشفعون:« فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا» (الدر المنثور: ٢٤٩/٢). (أنظر للمؤلف: ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام: ١٧٤/١).

٥. *لهذا لاتجد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ذكراً لأكذوبة نقض قريش للصحيفة ،*

وأبطاله المزعومين ، لأن الذي نقضها هو الله تعالى ، وليس طغاة قريش !

وكذلك لا صحة لما زعموه من مساعدة بعضهم لبني هاشم في سنوات الحصار وقد ناقش صاحب الصحيح من السيرة (٢١١/٣) ذلك ، كالذي رواه ابن إسحاق (١٤٥/٢) عن هشام بن عمرو:«كان يأتي في الشعب ليلاً قد أوقر جملاً طعاماً حتى إذا أقبل

في الشعب حل خطامه من رأسه ، ثم ضرب جنبه فدخل الشعب عليهم ، ويأتي به وقد أوقره براً أو بزاً فيفعل به مثل ذلك» !

وما رووه عن حكيم بن حزام أنه أتى بحمل بعير حنطة لعمته خديجة بنت خويلد عليها السلام، وعن أبي العاص بن أمية زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله أو ربيبته أنه كان يوصل مواد غذائية الى الشعب ، فقال ملخصاً:« لا نجد أثراً لابن عم خديجة حكيم بن حزام الذي تدعي الروايات أنه كان يرسل الطعام لهم وهم محصورون في الشعب.. فحكيم هذا كان من الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الغار ، وباتوا على باب النبي صلى الله عليه وآله يرصدونه فرد الله كيدهم ! وحكيم هذا كان يحتكر جميع الطعام الذي كان يأتي إلى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ! ومن كانت هذه نفسيته لايكون جواداً ويعرض نفسه لخطر عداء قريش ، إلا أن يكون يمارس ذلك بروحه الإحتكارية التجارية فيبيع المسلمين الطعام بأغلى الأثمان ، ويعرض نفسه لهذه الأخطار حباً بالمال !

كما لا تجد في حصار الشعب مكاناً لأبي العاص بن الربيع الأموي ! الذي زعموا في أكذوبة خطبة علي عليه السلام لبنت أبي جهل أن النبي صلى الله عليه وآله أثنى عليه تعريضاً بعلي ! علي عليه السلام الذي كان يخاطر بنفسه ويأتي لهم بالطعام من مكة ».

٦. وزعموا أن أبا بكر أول من أسلم ، وأنه كان صاحب ثروة وأنفقها على النبي صلى الله عليه وآله

وزعموا أن قرار قريش بحصار النبي صلى الله عليه وآله كان بسبب رد النجاشي طلبها بأن يعيد اليها المهاجرين ، وبسبب إسلام عمر ! وزعموا أن الإسلام والمسلمين قد عَزّاً

بعمر فهابهم زعماءُ قريش ، وأنه قاتلهم بالسيف وفرض عليهم أن يصلي المسلمون في المسجد علانية ! (الحاكم: ٨٣/٣، والبخاري: ١٩٩/٤، و٢٤٢، وابن ماجة: ٣٩/١).

قال ابن هشام: ٢٢٦/١و٢٣٤:« فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم... اجتمعوا أن يكتبوا كتاباً..» .

فأين كان أبو بكر وثروته في سنوات الحصار والشدة ؟ وأين كان عمر وشجاعته طول هذه المدة ؟!

لقد كشفت سنوات الشعب أن الذين ضخمتهم الحكومات لم يكن لهم وجود يذكر في تاريخ الإسلام ، فهم غائبون في البأساء والضراء ، حاضرون في الرخاء !

ولو كان أبو بكر أنفق عشرة دراهم على بني هاشم في سنوات الحصار ، أو أرسل اليهم صاع حنطة الى الشعب ، لصار ذلك عند رواة السلطة آلافاً مؤلفة وأحمالاً من الحنطة ، وروايات متواترة صحيحة على شرط الشيخين والخليفة !

ولو أن عمر شهر سيفاً أو رمحاً أو نبلاً أوعصاً ، أو قال كلمة في مواجهة زعماء قريش ، لحكاها في خلافته وكرر حديثها ، وشرحها أتباعه ورفعوها علماً !

٧. لم يسجل رواة السلطة جهاد علي عليه السلام في سنوات الحصار ، ووصل الينا مجملاً

برواية أبي جعفر الإسكافي أحد كبار علماء المعتزلة ! فقد نقل في شرح النهج: ٢٥٤/١٣ ، رده على الجاحظ فقال: « وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات ، المتجرع لغصص

المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما ، والمصطلي لكل مكروه ، والشريك لنبيه في كل أذى ، قد نهض بالحمل الثقيل وناء بالأمر الجليل .

ومَن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق يخفي نفسه ويضائل شخصه ، حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كمطعم بن عدي وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، ولو ظفروا به لأراقوا دمه ! أعليٌّ كان يفعل دلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر... ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله صلى الله عليه وآله ويظمئ نفسه ويسقيه ، وهو كان المعلل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسه مما يمسهم ألم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولايعلم بشئ من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ثلاث سنين محرمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم ، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتصرف في أنفسهم ! فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسي هذه الخصيصة ولا نظير لها » !

٨ _وقد عمل رواة السلطة على التخفيف من جريمة حصار قريش للنبي صلى الله عليه وآله،_

وتقليل مدته ! فقد ذكرت مصادرهم أن مدة الحصار ثلاث سنين ، وذكر بعضها أنه أربع سنين ، لكنهم اتفقوا على أن أبا طالب رحمه الله توفي بعد كسر الحصار بشهرين أو نحوها ، وقالت بعض الروايات إن وفاته رحمه الله كانت قبل

الهجرة بسنة وشهور ، لأنه توفي في شوال وهاجر النبي ﷺ في مطلع السنة الثانية ، وهذا يعني أن الحصار استمر أكثر من خمس سنوات !

٧- بعد تحمل سنوات الحصار جاءت المعجزة الإلهية

قال في إعلام الورى:١/١٢٧:« فلما أتى لرسول الله ﷺ الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور ، وتركت إسم الله ! ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب فقام أبو طالب ولبس ثيابه ، ثم مشى حتى دخل المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه ، فلما بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلم ابن أخيه ».

«أوحى الله عز وجل إليه أنه قد بعث أرضة على الصحيفة المكتوبة بين قريش في هجران النبي ﷺ وجميع بني هاشم ، المختومة بأربعين خاتماً ، المعدلة عند زمعة بن الأسود ، فأكلت ما كان فيها من قطيعة رحم ، وتركت ما كان فيها من اسم الله عز وجل ». (الهداية للصدوق/١٤٤).

« فما راع قريشاً إلا وبنو هاشم عنقاً واحداً ، قد خرجوا من الشعب ! فقالت قريش: الجوع أخرجهم ! فجاؤوا حتى أتوا الحجر وجلسوا فيه ، وكان لا يقعد فيه إلا فتيان قريش. فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك.

قال: قد جئتكم بخبر ، إبعثوا إلى صحيفتكم لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح.

قال: فبعثوا إليها وهي عند أم أبي جهل ، وكانت قبل في الكعبة فخافوا عليها السرق فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم عليها.

فقال أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً ؟ قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة ، فأكلت كل قطيعة وإثم ، وتركت كل اسم هو لله ، فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا ، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه .

فصاح الناس: نعم يا أبا طالب، ففتحت ثم أخرجت فإذا هي مشربة كما قال فكبر المسلمون ، وامتقعت وجوه المشركين. فقال أبو طالب: أتبين لكم أينا أولى بالسحر والكهانة؟ فأسلم يومئذ عالم من الناس». (الخرائج:٨٥/١).

وفي سيرة ابن إسحاق: ١٤٢/٢:« فأخبر الله عز وجل بذلك رسوله (ص) فأخبر أبا طالب ، فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدثك هذا ، وليس يدخل الينا أحد ، ولا تخرج أنت إلى أحد ، ولست في نفسي من أهل الكذب؟ فقال له رسول الله (ص) أخبرني ربي هذا ! فقال له عمه: إن ربك لحق وأنا أشهد أنك صادق. فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم ما أخبره به رسول الله كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة الخبث والمكر ، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد والمشركون من قريش في ظل الكعبة فلما أبصروه تباشروا به وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله (ص) فيقتلوه ! فلما

انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم ، وفي حياته فرقتكم وفسادكم ! فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة ، فاقبلوا ذلك منا. هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا ، فجاؤوا بها ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله إليهم إذا نشروها ، فلما جاؤوا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم ، وإن ابن أخي قد خبرني ولم يكذبني أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة فلم يدع لله فيها إسماً إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان كاذباً فلكم عليَّ أن أدفعه إليكم تقتلونه ، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا ؟ فأخذ عليهم المواثيق وأخذوا عليه ! فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله (ص) ! وكانوا هم بالغدر أولى منهم واستبشر أبو طالب وأصحابه وقالوا أينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان».

« وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع... وقطعوا عنهم الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب.. فأرسل الله عز وجل على الصحيفة دابة فأكلت كل شئ إلا اسم الله عز وجل... فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها فإذا هي كما قال رسول الله (ص) فسقط في أيديهم ، ونكسوا على رؤوسهم ! فقال أبو طالب: علامَ نُحبس ونُحصر وقد بان الأمر ! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل

ما يحرم عليه منا ! ثم انصرفوا إلى الشعب» ! (الطبقات:٢٠٨/١، والصحيح من السيرة:١٩٣/٣).

فالصحيح ما رواه في إعلام الورى:١٢٧/١، وأن زعماء قريش أسقط في أيديهم من المعجزة الربانية ، وقويت عين أبي طالب وبني هاشم:«فتفرق القوم ولم يتكلم أحد.. وقال عند ذلك نفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم ، منهم مطعم بن عدي بن عامر بن لؤي ، وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد ، وأبو البختري بن هشام ، وزهير بن أمية المخزومي ، في رجال من أشرافهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة ! وقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل ! وخرج النبي صلى الله عليه وآله من الشعب ورهطه وخالطوا الناس ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة بعد ذلك ».

الفصل الثالث والعشرون

عام الحزن: وفاة أبي طالب وخديجة عليهما السلام

١. أبو طالب رحمه الله يقود عملية كسر الحصار قبيل وفاته

عندما رأى بحيرا الراهب النبي صلى الله عليه وآله في مدينة بصرى الشام، أخبر عمه أبا طالب بأنه النبي الموعود، وحذره أن يدخل به دمشق خوفاً عليه من اليهود، ونصحه أن يرجع به الى مكة!

يومها أطلق أبو طالب قصائده في مدح حبيبه صلى الله عليه وآله، وعاد به من الشام عملاً بنصيحة الراهب، حتى إذا دخل مكة طاف حول الكعبة داعياً ربه أن يحفظ ابنه الحبيب من كيد اليهود، ويتم نعمته عليه.

ونجح أبو طالب في حراسة النبي صلى الله عليه وآله من شر اليهود لأكثر من ثلاثين سنة!

وما أن أتم الله عليه نعمته وبعثه نبياً، حتى واجهته قريش بشرٍّ أخطر من شر اليهود، فطالبوا أبا طالب بوقاحة أن يسلمهم إياه ليقتلوه! لأنه بادعائه النبوة هدد تقاسم الزعامة بين قبائل قريش!

من ذلك اليوم دخل أبو طالب رحمه الله في مواجهة حامية مع فراعنة شرسين وجبناء ، وقاد بني هاشم بحكمة وحنكة ، وجمعهم حول النبي صلى الله عليه وآله مؤمنهم وكافرهم ، يحمونه بشجاعتهم الهاشمية التي لاتجارى ، واستعدادهم لحرب قريش !

ونجح أبو طالب في حماية حبيبه محمد صلى الله عليه وآله من شر قريش ، لبضع عشرة سنة ، كانت أشدها السنوات الأربع أو الخمس في حصار الشعب !

كان محمد صلى الله عليه وآله: الولد العزيز لأبي طالب ، والصديق الحميم ، والمحبوب المفدى ، والنبي الصادق .

وكان يوجه عمه الجليل بأدب الإبن مع أبيه ، وحنان الرسول على المؤمن . جاءه يوماً بعد أربع سنوات من حصار قريش فقال له: ياعم إن الله عز وجل قد أرسل على صحيفة القوم أَرَضَةً فأكلت كل بنودها الظالمة ، وأبقت منها إسم الله تعالى ! فسأله أبو طالب: أخبرك ربك بذلك يا ابن أخي؟ قال: نعم. قال له: إن ربك لحق وأنا أشهد أنك صادق. واتفق مع النبي صلى الله عليه وآله وأصدر أمره الى بني هاشم أن البسوا كلكم أحسن ثيابكم وخذوا أسلحتكم ، لنذهب الى المسجد !

ولم يخبرهم بما أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وآله حتى لايتسرب الخبر !

« فما راع قريشاً إلا وبنو هاشم عنقاً واحداً ، قد خرجوا من الشعب ! نحو أربعين رجلاً يمشون خلف بعضهم بامتداد وشموخ ، عُنُقاً واحداً كعُنق البعير وعُنق الزرافة ، بأجسام مميزة بنباتها الحسن ، ووراثةً من أبيهم إسماعيل وإبراهيم ، لايشاركهم فيها غيرهم من قريش ، فهم أبناء هاشم الذين قال فيهم أكثم بن صيفي رئيس بني تميم: «يا بني تميم ! هذا غرس الله لا غرس الرجال ! قال هشام: لم يكن في العرب عدة بني

عبد المطلب أشرف منهم ولا أجسم ! ليس منهم رجل إلا أشم العرنين، يشرب أنفه قبل شفتيه ، ويأكل الجَذع ويشرب الفَرْق». (المنمق/٣٤. واليعقوبي: ١١/٢).

أخرجهم الوحي وخطة أبي طالب رضي الله عنه ، ولم يخرجهم الجوع فهم أقوى ، ولا طأطأ هاماتهم الحصار فهي أعلى ! يتقدمهم شيخ بهي الطلعة ابن التسعين عاماً ، والى جنبه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وجلسوا في حجر إسماعيل عند قبر أمهم هاجر وجدهم إسماعيل ، حيث لايجلس هناك إلا سُراة قريش !

فجاء زعماء قريش يستطلعون الخبر ، وأدار أبو طالب الكلام ، وأقام الحجة الجديدة على فراعنة قريش ، وأثبت لهم صدق النبي الأمين صلى الله عليه وآله ، وأحضروا الصحيفة فوجدوها كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله. لكن هيهات أن تنفع الحجج مع قوم قرروا أن لايسمعوا لمنطق ولا يخضعوا لمعجزة ، لأن ذلك يوجب عليهم طاعة نبي من بني هاشم ! وكان من حكمة أبي طالب وخبرته بهم أنه أطمعهم بأن يسلمهم محمداً صلى الله عليه وآله للقتل إن ثبت كذبه ، وأخذ عليهم عهداً أن يُنهوا حصارهم إن ثبت صدقه ! وكان ذلك كافياً لأ، يعلن هو كسر الحصار ، وعودة بني هاشم الى مساكنهم في مكة !

٢. أبو طالب يُوَدِّع حبيبه صلى الله عليه وآله ويوصيه بالهجرة الى المدينة

انتصر أبو طالب رضي الله عنه في كسر الحصار ، وحلَّت الفرحة قلب ناصر النبي صلى الله عليه وآله وحاميه ، وفاديه بنفسه وبنيه ، وحطَّ في بيته في مدخل الشعب ، شجرة باسقة أظلت رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من أربعين سنة ، وأظلت دعوته وأتباعه عشر سنين !

خرج أبو طالب من الحصار قرير العين، بما أنعم الله على ابن أخيه وعليه، وأخذ يدير عملياته في ظروف جديدة، مليئة بالأمل، حتى عندما جاءه المرض.

وفي هذه المدة، نظم بقية قصائده في نصرة الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله، وراسل ابنه جعفراً في الحبشة بإحداها يخبره بالمعجزة الربانية وفشل الحصار!

وكان يعقد الجلسات مع حبيبه الغالي صلى الله عليه وآله ويتداول معه أخبار قريش، ومستقبل النبي صلى الله عليه وآله والإسلام، والخطر الذي سيواجهه بعد وفاته.

كان يعرف أن فراعنة قريش عنيدون حاقدون، وأنه بمجرد أن يغمض عينيه سيقولون مات حامي محمد صلى الله عليه وآله الذي وحَّد بني هاشم لحمايته، وجاءت الفرصة لقتل محمد صلى الله عليه وآله! وسينفلتون كالخنازير، بل كالذئاب الجائعة لدم محمد صلى الله عليه وآله!

كان يعرف أن قبائل العرب تخاف من قريش، ومن لا يخاف منها يريد الثمن من محمد صلى الله عليه وآله أن تكون خلافته له، ومحمد صلى الله عليه وآله يجيبهم بأن للأمر أهلاً، ويطلب منهم أن يبايعوه على أن لاينازعوا الأمر أهله!

لذلك لم يكن عند أبي طالب أمل في قبائل العرب، إلا في المدينة وبني النجار خاصة، لذا روت المصادر أنه:« لما حضرت أبو طالب الوفاة دعا رسول الله (ص) فقال له: ابنَ أخي: إذا أنا متُّ فائت أخوالك من بني النجار، فإنهم أمنع الناس لما في بيوتهم». (تاريخ دمشق: ٣٣٨/٦٦، والطبقات: ٥٤٣/٣، وتاريخ الذهبي: ٢٣٣/١).

كما روت مصادر السنيين أن أبا طالب سأل النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم:« هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال: يريدون أن يسجروني أو يقتلوني أو يخرجوني! قال: من خبرك

بهذا ؟ قال: ربي ، قال: نعم الرب ربك استوص به خيراً ، قال: أنا أستوصي به ؟ بل هو يستوصي بي. فنزلت: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.. الآية». (عمدة القاري: ٢٤٦/١٨ ، وتفاسير: الطبري: ٢٩٩/٩، وابن أبي حاتم: ١٦٨٨/٥، والثعلبي: ٣٥٠/٤، وابن كثير: ٣١٤/٢. وقال في الدر المنثور: ١٧٩/٣: وأخرج سنيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبيد بن عمير ».

وقال في لباب النقول/١١٠:«قال ابن كثير: ذكر أبي طالب فيه غريب بل منكر ، لأن القصة ليلة الهجرة وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين » !

وسبب استغرابهم بغضهم لأبي طالب ! وإلا فقد رووا أن المشركون كانوا يأتمرون بالنبي صلى الله عليه وآله من أول بعثته وقرروا قتله أو سجنه أو نفيه عدة مرات ، وكان الله تعالى يخبره بذلك فيخبر عمه ويتداول الموقف ، ونزلت الآية بعد ذلك .

أما قولهم «فاستوص به خيراً» فهو للطعن بأبي طالب رحمه الله ، والصحيح ما رووه هم في قصة الصحيفة كما سيأتي:« فقال له رسول الله (ص) أخبرني ربي هذا ! فقال له عمه: إن ربك لحق ، وأنا أشهد أنك صادق». (سيرة ابن إسحاق: ١٤٢/٢).

٣. جمع بني هاشم قبل وفاته وأوصاهم بالنبي صلى الله عليه وآله

بلغه أن زعماء قريش:« تحالفوا وتقاعدوا لئن مات أبو طالب لتجمعن قبائل قريش كلها على قتله... فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش ، فوصاهم برسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إن ابن أخي نبيٌّ كما يقول.. إن محمداً نبي صادق وأمين ناطق وإن شأنه أعظم شأن ، ومكان من ربه أعلى مكان ، فأجيبوا دعوته ، واجتمعوا

على نصرته ، وارموا عدوه من وراء حوزته ، فإنه الشرف الباقي لكم مدى الدهر ، وأنشأ يقول:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده ... علياً ابني وعمَّ الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشي صولته ... وجعفراً أن تذودوا دونه الباسا
وهاشماً كلها أوصي بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فداءً لكم نفسي وما ولدت ... من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباسا »

(مناقب آل أبي طالب: ٥٥/١ ، وروضة الواعظين/٥٤).

٤. وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يا عم.. وجزاك الله عني خيراً

شاء الله أن تتوفى خديجة قبل أبي طالب عليه السلام، بعد كسر الحصار بقليل ، فحزن عليها النبي صلى الله عليه وآله حزناً عميقاً ، وكان يمضي وقته في بيته ، أو يزور عمه أبا طالب .

وذات يوم جاءه الخبر: مات ناصرك أبو طالب وهوت الشجرة الظليلة الحانية!

«توفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام ، وله ست وثمانون سنة وقيل بل تسعون سنة. ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن أبا طالب قد مات ، عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ، ثم قال: يا عم ، ربيت صغيراً ، وكفلت يتيماً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عني خيراً. ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً.

وقال صلى الله عليه وآله: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان ، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً ، يعني مصيبة خديجة وأبي طالب ». (اليعقوبي: ٢/٣٥).

إن فعل النبي صلى الله عليه وآله وكلامه بليغ ، ورحم الله ابن واضح اليعقوبي على أمانته وهو أقدم من الطبري (توفي ٢٨٤) ، فإن مصيبة موت خديجة وأبي طالب صلى الله عليه وآله مصيبتان على أمة الإسلام ، وليستا على رسوله فقط صلى الله عليه وآله ، لأنهما مجاهدان في مرحلة تأسيس هذه الأمة وحمايتها ، ونصرة نبيها ومؤسسها صلى الله عليه وآله.

وروى ابن أبي حاتم في الدر النظيم/٢٢١، عن علي عليه السلام قال: «أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب فبكى ، ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره ، غفر الله له ورحمه ، ففعلت ثم أمرني فاغتسلت ونزلت في قبره ، وجعل صلى الله عليه وآله يستغفر له ، وبقي أياماً لا يخرج من بيته ».

كما روى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما مات أبو طالب وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبره فقال: جزاك الله من عم خيراً ، فقد ربيتني يتيماً ، ونصرتني كبيراً ».

أقول: كانت قريش تتأهب لقتل النبي صلى الله عليه وآله بمجرد وفاة أبي طالب رحمه الله! ولعل هذا السبب في أنه صلى الله عليه وآله شارك في مراسم تشييعه في بيته القريب ، وعندما حملوه على سريره ، ولم يذهب مع جنازته يومها الى الحجون بسبب الخطر على حياته .

ومعنى قول الإمام الصادق عليه السلام إنه وقف على قبره ، أنه زار قبره بعد ذلك .

وفي الجواهر السنية/٢١٩ ، عن عن عبد الرحمن بن كثير قال: « قلت لأبي عبد الله (الإمام الصادق عليه السلام): إن الناس يقولون إن أبا طالب في ضحضاح من النار ! فقال: كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل ! قلت: وبماذا نزل جبرئيل؟ فقال أتى جبرئيل في بعض ما كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إن أهل الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك ، فآتاه الله أجره مرتين . ثم قال عليه السلام: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد ، أخرج من مكة فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب ».

وفي الكافي: ٤٣٩/١، و: ٣٤١/٨:«عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما توفي أبو طالب أوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وآله:« أخرج من القرية الظالم أهلها ، فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب ». وكمال الدين/١٧٤، ومختصر البصائر/١٣١).

ثم روى عن الإمام العسكري صلى الله عليه وآله قال: «إن الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً ، فسيدهم وأفضلهم أبو طالب ، وشيعة تنصرك علانية ، فسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب ».

وفي كمال الدين/١٧٤ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط. قيل له: فما كانوا يعبدون ؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به ». وفي البحار:١١٦/٣٥ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً ».

وفي مناقب آل أبي طالب:١/٦٢:«وقالوا: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن النساء ولأمكنه جميع الآيات ولأمكنه منع الموت عن أقاربه . ولمّا مات أبو طالب وخديجة ! فنزل قوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ». (الرعد: ٣٨).

٥. وفاة خديجة وأبي طالب قبل الهجرة بسنة لا بثلاث !

روى في الكافي:٨/٣٤١، بسند صحيح عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:« لما ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة ، ومات أبو طالب بعد موتها [بسنة] حزن رسول الله صلى الله عليه وآله حزناً شديداً ، وخاف على نفسه من كفار قريش ، فأوحى الله إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها ، وهاجر إلى المدينة ، فليس لك بمكة ناصر ، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة ».

ونحوه الكافي: ١/٤٤٠، وفيه:«فلما فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله شنئ المقام بمكة ودخله حزن شديد ، وشكا ذلك إلى جبرئيل عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها ، فليس لك بمكة ناصر بعد أبي طالب ، وأمره بالهجرة ».

أقول: وضعنا كلمة «بسنة» بين معقوفين لأنها زائدة من النساخ ظاهراً ، لأن المقطوع به أن هجرته صلى الله عليه وآله لم تكن بعد وفاة أبي طالب مباشرة بل بعد سنة وكسراً فقد توفي أبو طالب في شوال ، وهاجر النبي صلى الله عليه وآله في ربيع الأول من السنة التالية.

وفي مستدرك الحاكم: ٣/١٨٢: «توفيت خديجة قبيل الهجرة بسنة».

وفي تفسير ابن كثير: ١٧٦/٤: « وخروجه (ص) إلى الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين ، كما قرره ابن إسحاق وغيره ».

وتحير علماء السلطة في تاريخ موت أبي طالب وخديجة ، ففي الإستيعاب: ٣٨/١: «وقيل كان بين موت أبي طالب وموت خديجة شهر وخمسة أيام . وتوفي أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وتوفيت خديجة وهي ابنة خمس وستين سنة فكانت مصيبتان توالتا على رسول الله(ص) بوفاة عمه ووفاة خديجة رضي الله عنها... وكانت وفاة أبي طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل بسنة ، وقيل كانت وفاتهما سنة عشر من المبعث ، في أولها. والله أعلم ». انتهى.

لكن المتتبع لما روته المصادر من عمل النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة أبي طالب رحمه الله لا يراه يستغرق ثلاث سنوات أبداً ، فليس فيه إلا ذهابه صلى الله عليه وآله الى الطائف والى بعض القبائل في الموسم . كما أن روايتهم بأنه تزوج في مكة بسودة أو عائشة لا تصح ، فلو صحت لأمر علياً أن يهاجر بها مع الفواطم من أسرته صلى الله عليه وآله.

وفي دلائل الإمامة/٨١:«وتزوج سودة أول دخوله المدينة فنقل فاطمة إليها ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية». ورووا ذلك عن عائشة كما يأتي في محله (الحاكم:٥/٤).

٦. معنى شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لأبي طالب رحمه الله

ورد في حزن النبي صلى الله عليه وآله على عمه أبي طالب وتأبينه له قوله صلى الله عليه وآله:« أما والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين ». (إيمان أبي طالب للمفيد/٢٥، وإعلام الورى/٢٨٢، والبحار: ٢٦١/٢٢، و: ١٢٥/٣٥، والغدير: ٣٨٦/٧ ، وإيمان أبي طالب للأميني/٧٧).

وليست هذه الشفاعة لنجاة أبي طالب عليه السلام من النار كما زعم القرشيون، لأنه كان مسلماً مؤمناً مجاهداً، ويكفيه عمل صغير من أعماله العظيمة لدخول الجنة، بل هي شفاعة لرفع درجته في الجنة، بدليل قوله صلى الله عليه وآله: «يعجب بها أهل الثقلين».

وكذا الحديث القدسي في الكافي: ٤٤٦/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حَرَّمْتُ النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية: وفاطمة بنت أسد».

فمعناه رفع درجة وتكريم للنبي صلى الله عليه وآله بتكريم من له علاقة بنشأته ونصرته عليهم السلام.

٧. القرشيون ينتقمون من أبي طالب رحمه الله بعد موته!

ما أن استولى الطلقاء على دولة النبي صلى الله عليه وآله ورفعوا شعار نبوته ليأكلوا به الدنيا، صار عتاة قريش الذين كذبوه وأبغضوه وعملوا لقتله.. من المؤمنين الذين دعا لهم النبي صلى الله عليه وآله بالخير، وشهد في حقهم بأنهم أبرارٌ أخيارٌ من أهل الجنة!

أما عمه وناصره وفاديه بنفسه وأولاده وعشيرته، فأنكروا إسلامه، وغيبوا شعره الصريح بإسلامه وشهادات النبي صلى الله عليه وآله في حقه، ومع ذلك أفلت منها في مصادرهم كالذي رواه ابن سعد في الطبقات: ١٢٣/١: عن علي عليه السلام قال: « أخبرت رسول الله (ص)

بموت أبي طالب فبكى ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره ، غفر الله له ورحمه . قال ففعلت ما قال وجعل رسول الله يستغفر له أياماً ، ولا يخرج من بيته ».

وعلق عليه في هامش الخصائص للنسائي/٣٨: « قال البرزنجي كما في أسنى المطالب/٣٥: أخرجه أبو داود وابن الجارود وابن خزيمة. وإنما ترك النبي المشي في جنازته اتقاء شر سفهاء قريش ، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ ».

لكنهم تجاهلوا أمثال هذه الرواية ، ورووا بدلها أن الله نهى نبيه عن الإستغفار لأبي طالب ، وأنزل آية في ذمه: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ.. !

وإن قلت لهم إن هذه الآية نزلت بعد سنين طويلة من وفاة أبي طالب رحمه الله لم يسمعوك ! لأنهم قرروا أن يجعلوا أبا طالب كافراً عنيداً ، وأبا سفيان مؤمناً سعيدا !

ثم افتروا بلسان راويهم ناجية بن كعب ، فوضع لهم رواية عن علي عليه السلام أن أباه أبا طالب مشرك نجس ! وأنه عندما مات أمره النبي صلى الله عليه وآله أن يدفنه فقال: لا أدفنه لأنه نجس ، فقال له: إدفنه ثم طهر نفسك ! قال علي عليه السلام كما زعموا: « لما مات أبو طالب أتيت رسول الله فقلت إن أبا طالب عمك الكافر قد مات ! فقال رسول الله (ص): إذهب فواره. فقلت: والله لا أواريه ! فقال: فمن يواريه إن لم تواره فانطلق فواره ، ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني. فانطلقت فواريته ثم رجعت إلى رسول الله(ص) فقال: إنطلق فاغتسل ثم أئتني ففعلت ، ثم أتيته فلما أن أتيته دعا لي بدعوات ما أحب أن لي بهن ما على الأرض من شئ ». وفي رواية لهم «إن عمك الضال قد مات»! (سيرة ابن إسحاق: ٢٢٣/٤، وأم الشافعي:١٧٣/٧والإصابة:٢٠٠/٧، وتلخيص الحبير:١٤٨/٥،

عن أحمد ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن شيبة ، وأبي يعلى ، والبزار ، والبيهقي.. عن ناجية بن كعب عن علي.. وقال: مدار كلام البيهقي على أنه ضعيف ولايتبين وجه ضعفه ، وقد قال الرافعي إنه حديث ثابت مشهور» !

أقول: ذكروا سبب تضعيف البيهقي لناجية أن شعبة المحدث وجده يلعب بالشطرنج فلم يكتب عنه ! (الثقات لعمر بن شاهين/٢٤٣).

وتحمس الألباني في أحكام الجنائز/١٣٤، لتصحيح حديث ناجية محتجاً بتوثيق ابن حبان له ، لكن ابن حبان جرحه فقال في المجروحين:٥٧/٣:«في حديثه تخليط..قال النسائي ليس بثقة. وقال ابن عدي: يسرق الحديث..وقال الجوزجاني مذموم ».

ومن عجيب أمرهم أنهم نسبوا القسوة والجلافة الى النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ليطعنوا بأبي طالب ! ثم نقضوا كلامهم ورووا رثاء علي لأبيه عليه السلام !

قال ابن إسحاق: ٢٢٤/٢: «وقال علي بن أبي طالب يرثي أباه حين مات:

قت لنوح آخر الليل غردا	ا طالب مثوى الصعاليك ذا الندى
:ا الحلم لاجلفاً ولم يك قعددا	ـيخي ينعي والرئيس المسودا
ـا الهلك خلى ثلمة سيشدها	ـو هاشم أو تستباح وتضهدا
مست قريش يفرحون لفقده	ـت أرى حياً لشئ مخلدا
ادوا أموراً زينتها حلومهم	ـتوردهم يوماً من الغي موردا
جون تكذيب النبي وقتله	أن يفتروا بهتاً عليه وجحدا
ـذبتم وبيت الله حتى نذيقكم	ـدور العوالي والصقيع المهندا
يبدوَ منا منظر ذو كريهة	ا ما تسربلنا الحديد المسردا

مـــا تبيـــدونا وإمـــا نبيـــدكم إمــا تــروا ســلم العشــيرة أرشــدا
إلا فـــإن الحـــي دون محمـــد ـــو هاشـــم خيـــر البريـــة مجنـــدا
ـي أتـاه الـوحي فـي كـل حطـة ـسماه ربـي فـي الكتـاب محمـدا
ـر كضوء الشـمس صـورة وجهـه ـلا الغـيم عنـه ضـوؤه فتعـددا
ـين علـى مـا اسـتودع الله قلبـه إن قـال قـولاً كـان فيـه مسـددا »

ثم لم يكتفوا بكذبة ناجية ! فزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله عرض الإسلام على عمه أبي طالب في مرض وفاته فأبى أن يقول لاإله إلا الله وقال أخاف أن يعيروني بها ! بل أنا على ملة أبي عبد المطلب ! قال بخاري: ٢/٩٨ و: ٤: ٢٤٧: « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ص) فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. قال رسول الله لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ! فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب ! وأبى أن يقول لا إله إلا الله ! فقال رسول الله(ص): أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فأنزل الله تعالى فيه: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. ونزلت: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَأَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ». انتهى.

زعم البخاري ذلك في آية من سورة براءة ، وقد روى هو في صحيحه:٥/١٨٥ و٢٠٢: أن «آخر سورة نزلت براءة» ! وروى في:٥/١١٥:«آخر سورة نزلت كاملة براءة».

لكن هؤلاء لايهمهم التناقض لأن الهدف الطعن في أبي طالب رضي الله عنه! راجع الغدير: ٤/٨.

ثم لم يكتفوا بذلك ! فكذب لهم الزهري أن علي بن الحسين عليه السلام:«أخبره أن أبا طالب توفي في عهد رسول الله (ص) فلم يَرِثْهُ جعفر ولا علي ، وورثه طالب وعقيل، وذلك لأنه لايرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم». (الطبقات: ١٢٤/١).

وغرضهم أن يثبتوا أن النبي لم يرث شيئاً من آبائه عليهم السلام ولا أعمامه ، لأنهم كفارٌ كغيرهم من زعماء قريش بل أسوأ !

فالإسلام عندهم يقطع الوراثة فلا يرث المسلم من أبيه الكافر شيئاً ، حتى قوته وقوت أطفاله ! وهم حاضرون أن يلغوا كل أحكام الوراثة الشرعية ليتساووا مع بني هاشم في النبي صلى الله عليه وآله فترث قريش سلطانه دون الأنصار لأنهم غرباء ، ودون بني هاشم لأن الإسلام يقطع الوراثة ، ولأن بني هاشم تكفيهم النبوة ولايجوز في شرعهم أن تجمع لها النبوة والخلافة !

فهذا هو الفقه القرشي الذي اخترعوه لأخذ دولة النبي صلى الله عليه وآله ، فقال عمر في السقيفة:« من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مُدْلٍ بباطل أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة ». (الطبري:٤٥٧/٢).

٨. وفاة خديجة ناصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأم المؤمنين

١. في الخصال/٢٢٥، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شئ أربعة: اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، واختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم و داود وموسى وأنا

، واختار من البيوتات أربعة ، فقال: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. واختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ. فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سينين الكوفة وهذا البلد الأمين مكة. واختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة..». ونحوه في الخصال/٢٠٥، ومناقب آل أبي طالب: ١٠٤/٣، وفي/١٠٥:« إن آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة يمشين أمام فاطمة كالحُجَّاب لها إلى الجنة».

٢. «في اليوم العاشر منه (رمضان) سنة عشر من البعثة وهي قبل الهجرة بثلاث سنين توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ». (مسارّ الشيعة للمفيد/٢٢).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٣٥/٢: «توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ولها خمس وستون سنة ، ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تجود بنفسها فقال: بالكُرْهِ مني ما أرى ، ولعل الله أن يجعل في الكره خيراً كثيراً. إذا لقيت ضُرَّاتك في الجنة يا خديجة فاقرئيهن السلام. قالت: ومن هنَّ يا رسول الله ؟ قال: إن الله زوجنيك في الجنة ، وزوجني مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وكلثوم أخت موسى. فقالت: بالرفاء والبنين !

ولما توفيت خديجة ، جعلت فاطمة تتعلق برسول الله وهي تبكي وتقول: أين أمي أين أمي؟ فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال قل لفاطمة: إن الله تعالى بنى لأمك بيتاً في الجنة [من قصب] لانصب فيه ولاصخب ». والفقيه: ١٣٩/١ ، أوله ، وأمالي الطوسي/١٧٥، آخره ، وفيه: «فقالت فاطمة عليها السلام: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام».

«ودفنت خديجة بالحجون، ونزل في قبرها رسول الله صلى الله عليه وآله». (الحاكم: ١٨٢/٣).

« ويستحب أن يزور خديجة عليها السلام بالحجون، وقبرها معروف هناك، قريب من سفح الجبل». (الدروس الشرعية: ٤٦٨/١).

أقول: مقبرة الحجون في مكة على يسار الذاهب الى منى، وفيها قبور أجداد النبي صلى الله عليه وآله، والمشهور منها قبر جده عبد المطلب وعمه أبي طالب وزوجته خديجة رضوان الله عليهم، وكان المسلمون من الجيل الأول يزورونها ويصلون ويدعون الله تعالى عندها، ويستشفعون اليه بأصحابها، وبنوا عليها قباباً. الى أن جاء الوهابيون فهدموها بحجة أن زيارتها شرك !

قال الحائري في شجرة طوبى: ١٧٥/٢، يصف هدمهم لها: « وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون بالقوافي، ويستهزؤن بالقبور التي هدموها ! هدموا قبة مولد النبي صلى الله عليه وآله وقالوا هذا الموضع الذي ولدت في تلك المرأة ذلك المولود! وقالوا عندما هدموا قبر خديجة: طالما عبدك الناس فالآن قومي وامنعينا ! ونادى بعضهم هاك يا خديجة ! وقالوا: أطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الأصنام وارموها، حتى لا يكون لكم معبود غير الله ! وهدموا مولد سيدتنا فاطمة عليها السلام.. ودخلوا حرم النبي صلى الله عليه وآله... فأقدمت جماعة من الأعراب على تخريب قبور أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله!..ثم منعوا الناس عن قول يا رسول الله، ويضربونهم ! وجعلوا ينادون غيرهم بلفظ يامشرك وياكافر ! ».

٩. تفاقم الخطر على النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة أبي طالب رحمه الله

١. كانت وفاة أبي طالب وخديجة عليها السلام قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر تقريباً ،

وكانت هذه الفترة خطيرة على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولعلها الأخطر على الإطلاق فقد روت عامة مصادرهم قوله صلى الله عليه وآله: «ما زالت قريش كاعَّة عني حتى مات أبو طالب». (إعلام الورى: ٥٣/١، والحاكم: ٦٢٢/٢). **وكاعة أي جبانة .**

قال الإمام الصادق عليه السلام(الكافي: ٤٤٩/١): **«لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أخرج من مكة فليس لك فيها ناصر ، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون ، فصار إليه».**

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام(العياشي: ٢٥٧/١):**« فلما فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله سئم المقام بمكة ، ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفار قريش ، فشكى إلى جبرئيل ذلك ، فأوحى الله إليه: يا محمد أخرج من القرية الظالم أهلها ، وهاجر إلى المدينة ، فليس لك اليوم بمكة ناصر ، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله إلى المدينة ».**

وفي تفسير القمي: ٤٣١/٢ ، أنهم تنادوا لقتله وقالوا: « هلموا فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ناصره ! فقال الله تعالى: فليدعُ ناديه سندعو الزبانية ».

وقال اليعقوبي في تاريخه: ٣٦/٢: « واجترأت قريش على رسول الله بعد موت أبي طالب وطمعت فيه ، وهموا به مرة بعد أخرى ».

وفي الطبري: ٨٠/٢: « وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه ، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب ».

وفي الطبقات: ٢١٠/١: « لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد وكان بينهما شهر وخمسة أيام ، اجتمعت على رسول الله مصيبتان فلزم بيته وأقلَّ الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به ».

وفي شرح النهج: ٢٨٢/٦: « وروى الواقدي أيضاً وغيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا رسول الله صلى الله عليه وآله هجاء كثيراً ، وكان يعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون برسول الله إذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي بالحجر: اللهم إن عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر ، فالعنه بعدد ما هجاني. وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص ، عهدوا إلى سلا جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه ، فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم ، فجاءت ابنته فاطمة وهي باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته ، وقامت على رأسه تبكي ، فرفع رأسه صلى الله عليه وآله وقال: اللهم عليك بقريش، قالها ثلاثاً، ثم قال رافعاً صوته: إني مظلوم فانتصر ، قالها ثلاثاً ، ثم قام فدخل منزله ، وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين ».

فقد كثفت قريش محاولاتها لقتل النبي صلى الله عليه وآله فكانت تتجسس عن مكانه وتضع الخطط لقتله ، وكان جبرئيل يخبره ، وأمره ذات مرة أن يفر مع علي عليه السلام ويختبئ في جبل الحجون ، لأن بيته صلى الله عليه وآله وبيوت بني هاشم كانت قرب المسجد .

ولم يذكر لنا رواة السلطة أين كان عمر في تلك الفترة وكيف تبخرت بطولاته التي زعموها له ! لكن أبطال السلطة أبطال في الرخاء ، ثم يذوبون كالملح في البأساء ؟!

وينبغي أن نذكر هنا: أن الخطر الشديد على حياة النبي صلى الله عليه وآله كان في ثلاث فترات ، أولاها السنوات الثلاث الأولى من أول البعثة الى هلاك المستهزئين، والثانية فترة حصار الشعب التي استمرت بضع سنوات ، والثالثة بعد وفاة أبي طالب رحمه الله التي كانت قريب هجرته صلى الله عليه وآله ، وليس قبلها بسنين كما زعموا .

١٠. سفر النبي صلى الله عليه وآله الى الطائف يطلب الحماية من ثقيف

في تاريخ اليعقوبي:٣٦/٢: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم شريف كل قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ، ويقول: لا أكره أحداً منكم ، إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي ، فلم يقبله أحد وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به !

فعمد لثقيف بالطائف فوجد ثلاثة نفر إخوة هم يومئذ سادة ثقيف وهم: عبد ياليْل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه وشكى إليهم البلاء ، فقال أحدهم: ألا إنه يسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك؟ وقال الآخر: أعجزَ الله أن يُرسل غيرك؟ وقال الآخر: والله لا أكلمك أبداً ، لئن

كنت رسولاً كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك! وتهزؤوا به وأفشوا في قومهم ما قالوه له وقعدوا له صفين، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وآله رجموه بالحجارة حتى أدموا رجله! فقال رسول الله: ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلا على حجر!

ووافاه بالطائف عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعهما غلام لهما نصراني ويقال له عداس، فوجها به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما سمع كلامه أسلم».

وفي حلية الأبرار: ١٢٩/١، و١٣١: «فعمد لحائط من كرومهم وجلس مكروباً فقال: اللهم إني أشكو إليك غربتي وكربتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت رب المكروبين. اللهم إن لم يكن لك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك. لا أحصي الثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لك الحمد حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ونحوه المناقب: ٦١/١، وإعلام الورى: ١٣٥/١، والدرر/٦٢، و شرح النهج: ٩٦/١٤، والدعاء للطبراني/٣١٥، وابن هشام: ٢٨٥/٢.

وفي المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي/١١: «وتوفيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام... وخرج إلى الطائف بعد ذلك بثلاثة أشهر وثمانية أيام، وأقام بالطائف..شهراً ويومين».

أقول: الأرجح أن ذهابه صلى الله عليه وآله الى الطائف كان بعد وفاة أبي طالب رحمه الله بمدة وجيزة، فقد توفي أبو طالب في شوال، فاستغل النبي صلى الله عليه وآله الأشهر الحرم التي تبدأ بذي القعدة، ويأمن فيها العرب.

١١- كان علي عليه السلام وزيد مع النبي صلى الله عليه وآله في سفره الى الطائف

اتفقت أكثر مصادرهم على أن النبي صلى الله عليه وآله كان وحده في سفره الى الطائف ، أو معه زيد فقط ! قال في الطبقات:١/٢١١:« فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال بقين من شوال... فأقام بالطائف عشرة أيام ».

لكن ابن أبي الحديد المعتزلي روى عن المدائني وهو إمام عندهم أن علياً عليه السلام كان مع النبي صلى الله عليه وآله في سفرته تلك ، قال في شرح النهج: ٤/١٢٧: «فكان معه علي وزيد بن حارثة في رواية أبي الحسن المدائني ، ولم يكن معهم أبو بكر . وقال ابن إسحاق كان معه زيد بن حارثة وحده .

وكان غياب النبي صلى الله عليه وآله في سفرة الطائف أربعين يوماً.(راجع الصحيح من السيرة:٣/٢٦٦).

١٢. أرسله الله تعالى الى الإنس والجن

روى الجميع أن الله تعالى صرف الى النبي صلى الله عليه وآله في عودته من الطائف عند منطقة نخلة ، نفراً من الجن ، وأمره أن يتلو عليهم القرآن فآمنوا. ورويَ ذلك أيضاً في عودته من سوق عكاظ عند وادي مجنة ، بكسر الميم وهي قرب مكة.

قال الله تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. (الأحقاف: ٢٩).

وقال تعالى في سورة الجن: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا .

وتدل الآية وغيرها على أن الجن أصحاب مستوى ذهني عال ، وأن بعضهم قد استوعب بمجرد سماع القرآن من النبي صلى الله عليه وآله ، وتخرجوا منذرين لأقوامهم !

قال ابن هشام: ٢٨٧/٢: «ثم إن رسول الله (ص) انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي ، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه (ص) قال الله عز وجل: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ».

ونخلة: موضع بين الطائف ومكة على مسير ليلة من مكة. (معجم البلدان: ٢٧٨/٥).

وفي تفسير القمي:٢٩٩/٢:« ثم رجع إلى مكة فلما بلغ موضعاً يقال له وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل ، فمر به نفر من الجن فلما سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله استمعوا له فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: أنصتوا.. فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلموا وآمنوا وعلمهم رسول الله شرائع الإسلام... ومنهم كانوا يعودون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في كل وقت فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلمهم ويفقههم فمنهم مؤمنون ومنهم كافرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس وهم ولد الجان . وسئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن أيدخلون الجنة ؟ فقال لا ، ولكن لله حظائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنو الجن وفساق الشيعة».

وروى في المحاسن:٣٧٩/٢:« عن عمر بن يزيد قال: ضللنا سنة من السنين ونحن في طريق مكة فأقمنا ثلاثة أيام نطلب الطريق فلم نجده ، فلما أن كان في اليوم الثالث وقد نفد ماكان معنا من الماء ، عمدنا إلى ما كان معنا من ثياب الإحرام ومن الحنوط ، فتحنطنا وتكفنا بإزار إحرامنا ، فقام رجل من أصحابنا فنادى: يا صالح يا أبا الحسن ، فأجابه مجيب من بُعد ! فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا من النفر الذي قال الله عز وجل في كتابه: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ... ولم يبق منهم غيري ، فأنا مرشد الضال إلى الطريق ! قال: فلم نزل نتبع الصوت حتى خرجنا إلى الطريق ».

وفي الإحتجاج: ٣٣٠/١ ، من حديث يهودي مع أمير المؤمنين عليه السلام:«ولقد سخرت لنبينا محمد صلى الله عليه وآله الشياطين بالإيمان ، فأقبل إليه من الجنة تسعة من أشرافهم... وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ.. وهم التسعة فأقبل إليه الجن والنبي صلى الله عليه وآله ببطن النخل فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً. ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين ، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً » راجع أيضاً المناقب: ٤٤/١ و١٩١، والمحاسن: ٣٨٠/٢ ، والأمان/١٢٣ ، والحاكم: ٤٥٦/٢، و٥١٨ ، ومجمع الزوائد: ١٠٦/٧. والبحار: ٤٤/١٠، و: ٧٦/١٨و٩٠، و: ٥٥/٦٠ . وفيه:« ولم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجن قبله صلى الله عليه وآله..وإنما سميا ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما».

١٣- طلب النبي صلى الله عليه وآله الجوار ليوم واحد لكسر قرار قريش

كان مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف زعيم بني نوفل ، من الذين واجهوا النبي صلى الله عليه وآله، مع أن عبد مناف جدهم المشترك . وقد ورد ذكره في شعر أبي طالب وعاش مطعم سبعاً وتسعين سنة ، وتوفي قبل بدر. (فتح الباري: ٢٤٩/٧، وأسد الغابة: ٢٧١/١)

وشارك أخوه طعيمة في بدر وقتل ، وشارك فيها ابنه جبير ، وفاوض النبي صلى الله عليه وآله باسم قريش على أسرى بدر ، وزعم رواة السلطة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له» ! (بخاري:٢٠/٥).

وجبير هو صاحب وحشي الذي وعده أن يعتقه إن قتل محمداً أو علياً أو حمزة وشجعته هند آكلة الأكباد وجعلت له جائزة ، فقتل حمزة ! (شرح الأخبار: ٢٦٨/١ ، ومناقب آل أبي طالب: ١٦٦/١، و ابن إسحاق: ٣٠٢/٣ ، وتاريخ دمشق: ٤١١/٦٢ ، وشرح النهج: ١١/١٥).

وبقي جبير على كفره حتى أسلم مع الطلقاء في فتح مكة . (أسد الغابة: ٢٧١/١).

وكان يقول: « كنت آذى قريش لمحمد صلى الله عليه وآله» (الخرائج: ١٣٠/١).

وسكن المدينة وجاء مع عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله وطلبا أن يجعل لهم سهماً في الخمس لأنهم من بني عبد مناف فقالا: يا رسول الله قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً ، وقرابتنا مثل قرابتهم ! فقال لهما:« إنما بنو المطلب وبنو هاشم شئ واحد. ولم يقسم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً». (صحيح بخاري: ٧٩/٥).

وكان مطعم بن عدي صديقاً لبني أمية ، وهذا سبب كرم رواة السلطة عليه ومدحه بأنه عمل لنقض صحيفة المحاصرة ، وأنه أجار النبي صلى الله عليه وآله في رجوعه من الطائف ، وقولهم إن النبي صلى الله عليه وآله بقي سنتين في جواره الى أن هاجر !

والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يستطيع دخول مكة وأداء مناسك عمرته بحماية حمزة وعلي وحدهما ، فكيف ببقية بني هاشم !

لكنه أراد أن يخفف غلواء قريش بعد محاولاتهم المتعددة لقتله على أثر وفاة عمه وحاميه أبي طالب رحمه الله ، فيدخل مكة علناً وهو معتمر فيطوف ويسعى بحماية أحد أعدائه من زعماء قريش ، فبعث الى مطعم أن يحميه حتى يؤدي عمرته فقَبِلَ مطعم حمايته ، فدخل صلى الله عليه وآله وطاف وسعى ، ثم شكره ورد عليه جواره ! وبذلك كسر ولأول مرة منذ بعثته ، قرار قريش وإجماعهم على قتله ، وخفض جو الخطر منهم على حياته ، لأن قتله صار يعني الخلاف بين زعماء قريش أنفسهم !

وفي نفس الوقت خفف عن بني هاشم بعد أبي طالب رحمه الله ، فصار من السهل عليهم إعلان حمايته بعد أن حماه مطعم من شركائه زعماء قريش !

ففي تفسير القمي:٤٣١/٢:« لما مات أبو طالب عليه السلام نادى أبو جهل.. هلموا فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ناصره فقال الله: فليدع ناديه سندع الزبانية..لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أجاره مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ولم يجسر عليه أحد».

وقال الطبرسي في إعلام الورى:١٣٥/١:«قال علي بن إبراهيم بن هاشم: ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من الطائف وأشرف على مكة وهو معتمر ،كره أن يدخل مكة

وليس له فيها مجير، فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سراً فقال له: إئت الأخنس بن شريق فقل له: إن محمداً يسألك أن تجيره حتى يطوف ويسعى فإنه معتمر. فأتاه وأدى إليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الأخنس: إني لست من قريش، وإنما أنا حليف فيهم والحليف لايجير على الصميم، وأخاف أن يخفروا جواري فيكون ذلك مسبة. فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في شعب حراء مختفياً مع زيد فقال له: إئت سهيل بن عمرو فاسأله أن يجيرني حتى أطوف بالبيت وأسعى. فأتاه وأدى إليه قوله فقال له: لا أفعل.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إذهب إلى مطعم بن عدي فسله أن يجيرني حتى أطوف وأسعى. فجاء إليه وأخبره فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه فقال: هو قريب، فقال: إئته فقل له: إني قد أجرتك فتعال وطف واسع ما شئت.

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وقال مطعم لولده وأختانه (أصهاره) وأخيه طعيمة بن عدي: خذوا سلاحكم فإني قد أجرت محمداً، وكونوا حول الكعبة حتى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السلاح، وأقبل رسول الله حتى دخل المسجد، ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمد وحده، وقد مات ناصره فشأنكم به. فقال له طعيمة بن عدي: يا عم لا تتكلم، فإن أبا وهب قد أجار محمداً!

فوقف أبو جهل على مطعم بن عدي فقال: أبا وهب أمجير أم صابئ؟ قال: بل مجير. قال: إذاً لا يخفر جوارك! فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم فقال: أبا وهب قد أجرت وأحسنت فرد عليَّ جواري. قال: وما عليك

أن تقيم في جواري؟ قال: أكره أن أقيم في جوار مشرك أكثر من يوم. قال مطعم: يا معشر قريش إن محمداً قد خرج من جواري».

أقول: شكك صاحب الصحيح من السيرة: ٢٦٩/٣، في جوار مطعم للنبي صلى الله عليه وآله بحجة أن النبي صلى الله عليه وآله: « لم يكن يقبل أن يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها وهذه يد ولا شك». لكن لا دليل في سيرة نبينا صلى الله عليه وآله أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على إبائهم ذلك ، فقد قال يوسف عليه السلام لرئيس وزراء مصر: اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأرض إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ. (يوسف: ٥٥) **وهذه يد على يوسف توجب الشكر دون شك.**

وقال موسى عليه السلام لفرعون: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.(الشعراء: ٢٢). **ولو فعلها فرعون لكانت يداً له على موسى عليه السلام وشكره عليها.**

واحتج صاحب الصحيح أيضاً بأن طلب الجوار من مطعم ركون للظالمين ، والله تعالى يقول: وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ. (سورة هود: ١١٣).

وجوابه: أنه ليس ركوناً ، وأن باب الضرورات والتقية أوسع من ذلك . ولم أرَ أحداً من فقهائنا أفتى بحرمة طلب الجوار من كافر ، أو إعطائه لكافر .

وقد حث أمير المؤمنين عليه السلام على الوفاء بالجوار والذمام مطلقاً ، فقال في نهج البلاغة: ١٥٠/٢: « فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام..».

وبقطع النظر عن رواية السلطة لهذه الحادثة ، فقد رواها علي بن إبراهيم والطبرسي وابن شهرآشوب(المناقب: ١٥/١) **وقبلها علماؤنا وذكروها كما تذكر مسلَّمات السيرة .**

ونشير في الختام الى حكيم بن جبير بن مطعم ، فهو بعكس جده مطعم ، من خاصة أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام. وقد ترجمنا له في جواهر التاريخ: ٢٨٤/٤.

١٤. لم يتزوج النبي في مكة بعد وفاة خديجة عليها السلام

لايصح قولهم إنه صلى الله عليه وآله تزوج بعد وفاة خديجة عليها السلام قبل الهجرة ، لأن تلك الفترة كانت أشد الفترات خطراً على حياته صلى الله عليه وآله ، وكانت بضعة عشر شهراً .

وقد روى علماء السلطة عن عائشة أن خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون عرضت على النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة خديجة عليها السلام أن تخطب له فقبل، وخطبت له سودة بنت زمعة من أبيها وكان كافراً ، فوافق النبي صلى الله عليه وآله وجاء الى بيته وزوجه ، وأن أخاها عبد بن زمعة لما عرف بزواج أخته من النبي صلى الله عليه وآله حثا التراب على رأسه !

كما رووا أن خولة اقترحت على النبي صلى الله عليه وآله أن يتزوج بعائشة وقالت له: بنت أبي بكر أحب خلق الله اليك ! فأرسلها لخطبتها فوافق أبو بكر وذهب رسول الله صلى الله عليه وآله الى بيته فعقد عليها ! وقالت عائشة إن عمرها كان يومها ست سنين ، وتزوجها في المدينة بعد أن أكملت تسع سنين. (مجمع الزوائد: ٢٢٥/٩ و٢٤٦ ، والطبقات: ٥٧/٨).

لكنهم رووا أن عائشة كانت متزوجة قبل النبي صلى الله عليه وآله: « خطب رسول الله عائشة بنت أبي بكر فقال: إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير ، فدعني حتى أسُلَّها منهم فاستلها منهم فطلقها فتزوجها رسول الله ». (الطبقات: ٥٩/٨).

وروى الذهبي في تاريخه (٢٧٩/١) أنه صلى الله عليه وآله بقي سنتين لم يتزوج بعد خديجة.

وفي الطبقات: ٥٢/٨، ومذيل للطبري/٩٢: « تزوج رسول الله (ص) سودة في رمضان سنة ١٠ من النبوة ، بعد وفاة خديجة ».ونحوه الإستيعاب: ٣٨/١.

والصحيح ما رواه الطبري الشيعي في دلائل الامامة/٨١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله النساء وتزوج سودة أول دخوله المدينة ، فنقل فاطمة إليها ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية ، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله وفوض أمر ابنته إليَّ ، فكنت أدلها وأؤدبها ، وكانت والله آدب مني ، وأعرف بالأشياء كلها ».

راجع الملحق رقم(٢٠) عن سودة بنت زمعة . والملحق رقم(٨) عن أم سلمة رضي الله عنها.

○ ○

الفصل الرابع والعشرون

النبي صلى الله عليه وآله يعرض نفسه على القبائل لحمايته من قريش

١ - في السنة الثالثة بدأ النبي صلى الله عليه وآله يعرض نفسه على القبائل

أ. *كان العرب يحجون الى مكة في موسم الحج ، ويعتمرون في رجب ، ويقيمون* بعد موسم الحج سوقهم المشهور: سوق عُكاظ . لذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يلتقي بشخصياتهم ويطلب منهم أن يحموه ليبلغ رسالة ربه ، لأن قريشاً منعته من تبليغها.

ففي تفسير العياشي:٢٥٣/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة سنين ليس يظهر وعلي معه وخديجة عليهما السلام ، ثم أمره الله أن يصدع بما يؤمر فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب ».

وعدَّ منها المقريزي في إمتاع الأسماع:٤٩/١ ، خمس عشرة قبيلة ، قال:« عرض نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام وهم: بنو عامر وغسان ، وبنو فزارة وبنو مرة ، وبنو حنيفة ، وبنو سليم، وبنو عبس ، وبنو نصر ، وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة ، وقيس بن الخطيم».

ولا بد أن نضيف اليهم قبيلة ثقيف حيث قصدهم في الطائف ، والأوس والخزرج ، الذين قبلوا عرضه وبايعوه ، فهاجر اليهم .

وقال اليعقوبي:٣٦/٢:« وكان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم شريف كل قوم ، لايسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ، ويقول: لا أكره أحداً منكم، إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي».

وقال ابن هشام:٢٨٩/٢:« لايسمع بقادم يقدم مكة من العرب له إسم وشرف ، إلا تصدى له ، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده ».

وفي الطبقات: ٢١٦/١: « مكث رسول الله (ص) ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي الموسم كل عام ، يتتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة.. جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ ومجنة وبذي المجاز ، يدعونا إلى الله عز وجل وأن نمنع له ظهره حتى يبلغ رسالات ربه». وسبل الهدى:٤٥١/٢ ، والحلبية:١٥٣/٢، والطبري:٨٤/٢ .

وفي مسند أحمد:٣٢٢/٣:«يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة. حتى أن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه فيقولون إحذر غلام قريش لا يفتنك».

ب. كان يذهب الى دعوة القبائل ومعه زيد بن حارثة أو علي ﷺ، وروت المصادر

أن أبا بكر بعد أن أسلم ذهب معه ذات مرة ، كما في ثقات ابن حبان: ٨٠/١ عن علي ﷺ قال: « لما أمر الله رسوله (ص) أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامتها أم من لهازمها؟ فقالوا: لا ، بل من هامتها العظمى. قال أبو بكر: وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر. قال أبو بكر: فمنكم عوف الذي يقال له لا حر بوادي عوف ؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا: لا. قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال أبو بكر: فلستم إذا ذهلاً الأكبر، أنتم ذهل الأصغر.

فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دغفل حين بَقَل وجهه فقال: على سائلنا أن نسأله ! يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً ، فممن الرجل؟ فقال أبو بكر: أنا من قريش. فقال الفتى: بخ بخ أهل الشرف والرئاسة ، فمن أي القرشيين أنت ؟ قال: من ولد تيم بن مرة. قال: أمكنت والله الرامي من صفاء الثغرة ، فمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر ، فكان يدعى في قريش مجمعاً ؟ قال: لا. قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت ؟ قال: لا. قال: فمنكم

شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه القمر يضئ في الليلة الظلماء الداجية ؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية؟ قال: لا.

واجتذب أبو بكر زمام الناقة فرجع إلى رسول الله (ص) فقال الغلام:

صادف درأ السيل درأ يدفعه يُهيضه حيناً وحيناً يصدعه !

أما والله لو ثبت ! قال فتبسم رسول الله(ص) فقال علي: فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة (داهية) ! فقال لي: أجل يا أبا الحسن ما من طامة إلا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق !

قال علي: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر [وكان مقدماً في كل خير] فسلَّم وقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله (ص) فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما وراء هؤلاء القوم عز ، هؤلاء غرر قومهم وفيهم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك. وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً ، وكان غديرتان تسقطان على تربيته ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف ، ولن يغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم ؟ قال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم جد. قال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ قال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى ، وإنا لأشد ما نكونن لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا

أخرى. لعلك أخو قريش ؟ قال أبو بكر: وقد بلغكم أنه رسول الله (ص) فها هو ذا. قال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك . قال: فإلى مَ تدعو يا أخا قريش؟ قال: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وأن تؤووني وتنصروني ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله فكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد. فقال مفروق بن عمرو: إلى ما تدعونا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله(ص): قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. (الأنعام: ١٥١).

قال مفروق: وإلى مَ تدعو يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله(ص): إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالاَحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. (النحل: ٩٠). فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة ، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا.

فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا ، زلةٌ في الرأي وقلة فكر في العواقب ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ! وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا.

فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك ، وإنما أنزلنا بين ضرتين !

فقال رسول الله(ص): ما هاتان الضرتان؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نؤي محدثاً ، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا .

فقال رسول الله (ص): ما أسأتم في الرد ، إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم ، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم نعم .

قال: فتلا رسول الله (ص): يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.(الأحزاب: ٤٥-٤٦). ثم نهض قابضاً على يد أبي بكر وهو يقول: يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض».

ورواه في تاريخ دمشق:٢٩٣/١٧، برواية أطول وليس فيه مديح أبي بكر على لسان علي عليه السلام وفيه:« قال فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله» ورواه السمعاني في الأنساب: ٣٨/١، وابن كثير في النهاية: ١٧٣/٣ ، والسيرة: ١٦٠/٢ ، واعتبره غريباً فقال:« وأغرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي...».

أقول: هذه الرواية على ما فيها تعطي صورة عن دعوة النبي ﷺ لقبائل العرب في المواسم ، كما تدل على أن وقتها في آخر الفترة المكية عندما بايع الأنصار.

ج. كان النبي ﷺ يقول للذين يزورهم:«يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه ، وأن تؤمنوا وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به ».

« قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل لكم العجم. وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة». (سبل الهدى: ٤٥١/٢). « هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ». (تاريخ الذهبي: ٢٨١/١).

« لا أكره أحداً على شئ. من رضي الذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي ». (السيرة الحلبية: ١٥٨/٢).

« ألا رجل يعرض على قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل. فأتاه رجل من همذان فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همذان ، فقال: هل عند قومك من منعة؟ قال: نعم ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله فقال: آتيهم أخبرهم ثم آتيك من قابل. قال: نعم. فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب» (السيرة الحلبية: ١٥٣/٢، ومجمع الزوائد: ٣٥/٦ ، وفتح الباري: ١٧١/٧).

د. وكانت القبائل ترفض دعوته ، لأن فراعنة قريش قاموا من السنة الأولى للبعثة بحملة على وفود الحجاج:« يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالخارج منا ، والمدعي النبوة». (مجمع البيان: ١٣١/٦، والكشاف: ٤٠٦/٢ ، والواحدي: ٥٩٨/١).

وفسر بعضهم المقتسمين في سورة الحجر/٨٩، بالستة عشر الذين أرسلهم الوليد بن المغيرة ليحذروا الوفود من النبي صلى الله عليه وآله، لكنه بعيد.

والمؤكد أن موقع قريش في العرب، ونشاطها المعادي للنبي صلى الله عليه وآله في موسم الحج والعمرة كانا السبب في رفض القبائل طلبه الحماية فكانت تجيبه:«أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك». «ترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه». (السيرة الحلبية: ٢/١٥٥و١٥٨، وسبل الهدى: ٢/٤٥١). **«يا محمد إعمد لطيتك. أي إمض لوجهك وقصدك. ويقال: إلحق بطيتك وبنيتك، أي بحاجتك».** (لسان العرب: ١٥/٢٠).

هـ- وقد قبلت عدة قبائل دعوة النبي صلى الله عليه وآله لكنه اشترطت أن يكون لها الحكم بعده،

فأجابهم بأن الأمر ليس له بل لله تعالى وقد عين له أهلاً، وكان يشرط عليهم أن لاينازعوا الأمر أهله !« أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ! فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم

معه ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف ، هل لذناباها من مُطَّلب؟! والذي نفس فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلي قط وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم) ! (ابن هشام: ٢/٢٨٩، والطبري: ٢/٨٤).

وكذا قبيلة كندة اليمانية:« حدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله(ص): إن الملك لله يجعله حيث يشاء ، فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به».(سيرة ابن كثير:٢/١٥٩ ونحوه: ٤/١١٤).

وفي التراتيب الإدارية للفاسي: ٢/١: «كان يطوف على القبائل في أول أمره لينصروه فيقولون له ويكون لنا الأمر من بعدك؟ فيقول: إني قد منعت من ذلك ».

و. وأخذ ﷺ بيعة الأنصار على حمايته وحماية أهل بيته عليهم السلام وأن لا ينازعوهم الأمر.

ففي المناقب:١/٣٠٥ ، وأوسط الطبراني:٢/٢٠٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«أشهد لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي، قال: لما جاءت الأنصار تبايع رسول الله ﷺ على العقبة قال: قم يا علي. فقال علي: على ما أبايعهم يا رسول الله؟قال: على أن يطاع الله فلا يعصى وعلى أن يمنعوا رسول الله وأهل بيته وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم. ثم كان الذي كتب الكتاب بينهم ».

وفي الكافي: ٨/٢٦١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وأخذ عليهم عليٌّ أن يمنعوا محمداً وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم..نجا من نجا ، وهلك من هلك».

وفي مناقب ابن سليمان: ٢/١٦٥: «فالتزمتها رقاب القوم ووفى بها من وفى».

وفي شرح الأخبار: ١٥٩/٢: «عن الحسن البصري أنه قال: قاتل الله معاوية سلب هذه الأمة أمرها ، ونازع الأمر أهله ، واستعمل على المؤمنين علجاً ، يعني زياداً ».

هذا ، وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام ذمٌّ الأنصار لأنهم لم يفوا ببيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في حماية أهل بيته ، وأن لا ينازعوهم الأمر بعده !

وفي تفسير الطبري: ٥٩/٢٨ ، عن قتادة:« بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار ، ذكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا . ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله ، إشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني وأهل بيتي وذريتي مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم. قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا يانبي الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة ».

وفي صحيح بخاري: ٨٨/٨ ، وموطأ مالك: ٤٤٥/٢، عن عبادة بن الصامت:« بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في اليسر والعسر المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله». وفي فتح الباري: ٦/١٣، وعمدة القاري: ١٧٩/٢٤: «والمراد بالأمر الملك والإمارة ».

وعلى ذلك كانت بيعة الحديبية ! قال النووي في شرح مسلم:٢/١٣: «وفي حديث ابن عمر وعبادة: بايعنا على السمع والطاعة ، وأن لا ننازع الأمر أهله».

ز. وبعد أن نازعت قريش الأمر أهله ، وأخذت دولة النبي صلى الله عليه وآله واضطهدت عترته ،

كذبت حديثاً يزعم أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقصد بشرط عدم منازعة الأمر أهله ، عدم منازعة قريش في الأمر وليس عترته !

قال السيوطي في الدر المنثور:١٨/٦:« عن علي وابن عباس قالا: كان رسول الله (ص) يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور ، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك فلم يجبهم بشئ ، لأنه لم يؤمر في ذلك بشئ حتى نزلت: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ (الزخرف: ٤٤) ، فكان بعدها إذا سئل قال: لقريش ، فلا يجيبوه ! وقبلته الأنصار على ذلك ». وتفسير الثعلبي:٣٣٦/٨.

أقول: لاحظ أنهم زعموا أن الوحي نزل عليه: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ، ومعناه أن القرآن لك ولقريش ، فالخلافة لقريش ! وقد جعلوا ذلك على لسان علي وابن عباس ليقولوا إن بني هاشم أنفسهم رووا أن الملك بعد النبي صلى الله عليه وآله حق شرعي لقريش ، وليس لبني هاشم ، ولا للأنصار لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله على ذلك !

وهم بذلك يكذبون أنفسهم بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يوصِ وأن أحداً لم يسأله عن الخلافة ! ويعترفون بأن خلافته صلى الله عليه وآله كانت مطروحة من أول بعثته ، وأن القبائل كانت تطمع بها وتشرط على النبي صلى الله عليه وآله أن تكون لها بعده فلا يقبل ، فترفض حمايته ! ثم كذبوا عليه بأنه كان يجيب القبائل بأن الملك بعده لقريش ! فلو قال ذلك لأجابته القبائل: كيف تريد أن نحميك من قريش لأنها تريد قتلك ، وتجعل لهم الخلافة بعدك دوننا ؟!

ولو كان الذكر في قوله تعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ، يعني الخلافة ، لوجب أن تكون الخلافة لكل الناس ، لأنه تعالى قال: إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ .

فهذا الحديث واحدٌ من مكذوباتهم لإعطاء الشرعية لنظام (الخلافة) الذي أقاموه في السقيفة ! وقد اعترف بعض علمائهم بأنه موضوع !

قال الذهبي في ميزان الإعتدال:٢٥٥/٢، في ترجمة راويه:« سيف بن عمر الضبي الأسيدي: مصنف الفتوح والردة وغير ذلك.. قال أبو حاتم: متروك. وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة.. مكحول البيروتي ، سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبي تميمي... كان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة ».

٢- استمرت مفاوضة النبي صلى الله عليه وآله مع الأنصار خمس سنين

أ. روى الطبري في تفسيره: ٤٦/٤ ، والثعلبي: ١٦٤/٣ ، وغيرهما ، في تفسير قوله تعالى:
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا: «فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام . يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة... وهم أخوان لأب وأم ! فلم يسمع بقوم كان بينهم من العدواة والحرب ما كان بينهم... ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام وألف بينهم برسوله محمد(ص) فذكرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً وخوف بعضهم من بعض، وما صاروا إليه بالإسلام واتباع الرسول (ص) والإيمان به وبما جاء به من الإئتلاف والإجتماع ».

ب.وكانت آخر الحروب بين الأوس والخزرج حرب بُعاث وهو إسم حصن للأوس
قبل الهجرة بخمس سنين (الحاكم:٤٢١/٣) وقيل بثلاث (فتح الباري:٣٦٧/٢) .

وكانوا حينذاك يتفاوضون مع النبي صلى الله عليه وآله ، ورووا أن أياس بن معاذ الأشهلي الأوسي كان أسلم وبايع النبي صلى الله عليه وآله ورجع الى قومه ، فوقعت الحرب وقتل فيها ، فعدوه من

الصحابة. (معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ١٥٩/٤). ومعناه أن المفاوضة استمرت نحو خمس سنين ، حتى بيعة العقبة التي هاجر النبي صلى الله عليه وآله على أثرها .

ج. وأول من سمع من النبي صلى الله عليه وآله من أهل المدينة فتية فيهم أياس بن معاذ الأشهلي

الأوسي كما في رجال الطوسي/٢٢ ، وعده من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، وكبير الطبراني: ٢٧٦/١: « لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله (ص) فأتاهم فجلس إليهم فقال: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل الله عليَّ الكتاب ، ثم شرع لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قومي ، هذا والله خير مما جئتم له ! قال فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها في وجه إياس وقال: دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال فصمت إياس وقام عنهم رسول الله (ص) وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج ، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات. فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع». ورواه في الطبقات: ٤٣٧/٣ ، والإستيعاب: ١٢٥/١، وتاريخ الطبري: ٨٥/٢، ووثقه مجمع الزوائد: ٣٦/٦. وقيل أول من رأى النبي صلى الله عليه وآله أبو الحيسر أو سويد بن الصامت . (تفسير الطبري: ٤٦/٤).

د. ثم جاء بعدهما أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس، فالتقيا بالنبي صلى الله عليه وآله وأسلما. قال الطبرسي في إعلام الورى:١/١٣٦: «قال علي بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهراً طويلاً، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم. فقال له عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغل لا نتفرغ لشئ. قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله سفَّه أحلامنا وسب إلهتنا وأفسد شباننا وفرق جماعتنا! فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً! وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم - النضير وقريظة وقينقاع - أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب. فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب. فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت! قال: ضع في أذنيك القطن. فدخل أسعد المسجد وقد حشا

أذنيه بالقطن ، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم ، فنظر إليه نظرة فجازه !

فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني ! أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم ؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: قد أبد لنا الله به ما هو أحسن من هذا ، تحية أهل الجنة السلام عليكم .

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب ، إلى ما تدعو يا محمد ؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأدعوكم إلى ألا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج ، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة ، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك ، ومعي رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك ، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك ، ويبشروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك ، وأرجو أن تكون دارنا دار

هجرتك وعندنا مقامك ، فقد أعلمنا اليهود ذلك ، فالحمد لله الذي ساقني إليك. والله ما جئنا إلا لنطلب الحلف على قومنا ، وقد آتانا الله بأفضل مما أتينا له .

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته ، فهلمّ فأسلم فأسلم ذكوان ، ثم قالا: يا رسول الله إبعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمصعب بن عمير ، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهما ، ولم يخرج من مكة ، فلما أسلم جفاه أبواه ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج مع أسعد ، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً ، فخرجا إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان ، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة ، وكان يخرج في كل يوم فيطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث ، وكان عبد الله بن أبيّ شريفاً في الخزرج وقد كان الأوس والخزرج اجتمعوا على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه ، وقد كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها ، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعاث ، ولم يعن على الأوس وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم ، فرضيت به الأوس والخزرج ، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره . فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس ، هو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف ، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا ، فهلم نأتي محلتهم ، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعد على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن ، فبلغ ذلك سعد ابن

معاذ فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلتنا مع هذا القرشي يفسد شباننا ، فأته وانهه عن ذلك !

فجاء أسيد بن حضير فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إن هذا رجل شريف ، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا فأصدق الله فيه. فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا ولا تفسد شباننا وأحذر الأوس على نفسك. فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه ؟ فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟ قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر ثم خرج وعصر ثوبه ، ثم قال: أعرض فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالها ثم صلى ركعتين ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة ، أنا أبعث إليك الآن خالك ، وأحتال عليه في أن يجيئك. فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ ، فلما نظر إليه سعد قال: أقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا ، وأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. فلما سمعها قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين.

ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحداً. ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف ، لا يبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلا خرج ، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب. فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك أمراً ، فمرنا بما شئت . فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم علي حرام حتى

تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فالحمد لله الذي أكرمنا بذلك ، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به ! فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة ، وحول مصعب بن عمير إليه ، وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية ، وشاع الإسلام بالمدينة وكثر ، ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود» .

هـ- أرسل النبي صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير رضي الله عنه الى المدينة قبل ثلاث سنوات من هجرته

وكان مصعب مع النبي صلى الله عليه وآله في الشعب يحميه من بني عبد الدار ، وقد أرسله الى المدينة بعد إسلام أسعد بن زرارة ، وذلك قبل بيعة العقبة الأولى بسنة أو نحوها ، فلا يصح قول ابن حجر: « كان قبل الهجرة بسنة واحدة ». (فتح الباري: ٦٠/٣).

وكان يأتي الى مكة ثم يرجع الى المدينة . قال ابن هشام: ٢٩٩/٢: «ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة ».

و.كان لمصعب دور أساسي في بناء قاعدة الإسلام في المدينة، كما كان أحد القادة

في معركة أحد ، فهو من بني عبد الدار الشجعان الذين لهم لواء الحرب في قريش ، وأعطى النبي صلى الله عليه وآله لمصعب لواء الأنصار في أحُد فأجاد القتال ، وعندما انهزم المسلمون في الجولة الثانية ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وقاتل حتى استشهد رضي الله عنه ، قتله أُبيُّ بن خلف بن قميئة ، وقيل ظنه رسول الله صلى الله عليه وآله . راجع الملحق رقم (١٤).

○ ○

الفصل الخامس والعشرون

النبي ﷺ يأخذ البيعة من الأنصار استعداداً للهجرة

النبي ﷺ يكوِّن قاعدة لدعوته في المدينة

١. بعد تكوين قاعدة الإسلام في المدينة وانتشاره بين أهلها تواصل طلبهم من النبي ﷺ أن يهاجر اليهم: قال في إعلام الورى:١/١٣٦: «وبلغ رسول الله ﷺ أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبوه، فكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يخرجوا إلى المدينة، فكانوا يتسللون رجلاً فرجلاً، فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم.

قال: فلما قدمت الأوس والخزرج مكة جاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم: تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟

قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربك ما شئت. فقال: موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق. فلما حجوا رجعوا إلى منى، وكان فيه ممن قد أسلم بشر كثير، وكان أكثرهم مشركين على دينهم، وعبد الله بن أبيّ فيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ في اليوم الثاني من أيام التشريق: فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نائماً، وليتسلل واحد فواحد.

وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب ، وحمزة وعلي والعباس معه ، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار ، فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة ؟ فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حرام: نعم يا رسول الله فاشترط لنفسك ولربك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تمنعوني مما تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم وأولادكم ؟

قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: الجنة ، وتملكون بها العرب في الدنيا ، وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً. فقالوا: قد رضينا .

فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج تعلمون على ما تقدمون عليه ؟ إنما تقدمون على حرب الأبيض والأحمر ، وعلى حرب ملوك الدنيا ، فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه ، فإن رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عز ومنعة.

فقال له عبد الله بن حرام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان: ما لك وللكلام! يا رسول الله ، بل دمُنا بدمك وأنفسنا بنفسك ، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فقالوا: إختر من شئت. فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم فقال: هذا نقيب ، وهذا نقيب ، حتى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن حرام أبو جابر بن عبد الله ، ورافع بن مالك ، وسعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، وعبد الله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، وعبادة

بن الصامت. وثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم ابن التيهان وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن خيثمة ».

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٥٧/١: « ثم عاد مصعب إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم ، فاجتمعوا في الشعب عند العقبة ، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، في أيام التشريق بالليل ، فقال ﷺ: أبايعكم على الإسلام ، فقال له بعضهم: نريد أن تعرفنا يا رسول الله ما لله علينا وما لك علينا وما لنا على الله؟ قال: أما ما لله عليكم فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

وأما مالي عليكم فتنصروني مثل نساءكم وأبناءكم ، وأن تصبروا على عض السيف وأن يقتل خياركم ، قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟ قال: أما في الدنيا فالظهور على من عاداكم وفي الآخرة الرضوان والجنة .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك بما تمنع به أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كباراً عن كابر.

فقال أبو الهيثم إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنا إن قطعناها أو قطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ، فتبسم رسول الله ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، ثم قال: أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً ، فاختاروا ثم قال: أبايعكم كبيعة عيسى بن مريم للحواريين كفلاء على قومهم بما فيهم ، وعلى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فبايعوه على ذلك. فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجباجب هل لكم في محمد والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم » !

وفي الطبقات: ٢٢٢/١:« فقال رسول الله (ص) إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً ، فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره ، فإنما يختار لي جبريل فلما تخيرهم قال للنقباء: أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي؟ قالوا: نعم ».

أقول: معنى ذلك أن نظام الإثني عشر من الدين الإلهي ، وأن النبي صلى الله عليه وآله اعتمد النقباء الإثني عشر لضمان وفاء الأنصار ببيعتهم.

بل تدل الرواية على أن الإثني عشر نظام تكويني ، فالنقباء الكافلون لقومهم بالبيعة اثنا عشر ، والأئمة الربانيون بعد النبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر ، والأئمة المضلون الذين حذر منهم النبي صلى الله عليه وآله ، لأنهم يدعون الى النار إثنا عشر إماماً أيضاً !

٢ ذكر ابن عبد البر في الدرر/٦٦، أن العقبة الأولى كانت في الموسم قبل حرب

بعاث ، وأن النبي صلى الله عليه وآله التقى فيها بستة من الخزرج فأسلموا ، ورجعوا إلى المدينة فدعواإلى الإسلام حتى انتشر فيهم ، وأن العقبة الثانية كانت في العام المقبل مع اثني عشر رجلاً بايعهم رسول الله (ص) عند العقبة على بيعة النساء ، ولم يكن أُمِرَ بالقتال. ثم كانت العقبة الثالثة عندما رجع مصعب بن عمير إلى مكة وجاء معه إلى الموسم جماعة ممن أسلم من الأنصار ، يريدون لقاء رسول الله (ص) في جملة قوم كفار منهم لم يسلموا بعد ، فأسلموا وبايعوا ، وكانواة سبعين رجلاً وامرأتين ، واختار رسول الله (ص) منهم اثنا عشر نقيباً... وكانت بيعتهم على حرب الأسود والأحمر ، وأخذ لنفسه واشترط عليهم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة ».

٣. اختار النبي صلى الله عليه وآله دار جده عبد المطلب عليه السلام بمنى عند جمرة العقبة ، مكاناً للبيعة

وتقدم من تفسير القمي:٢٧٢/١، وإعلام الورى: ١٤٢/١، قوله ﷺ: « فاحْضَروا دارَ عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نائماً وليتسلل واحد فواحد. وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب وحمزة وعلي والعباس معه ، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار». لكن رواة السلطة لم يذكروا بيت عبد المطلب وقالوا:«فواعدوا رسول الله العقبة من أواسط أيام التشريق ». (ابن هشام: ٢٩٩/٢، والدرر/٦٨).

وقد تعجبت في هذه السنة (١٤٢٩) من أن الوهابيين أقاموا مسجداً صغيراً مكان بيت عبد المطلب جعلوه رمزاً لبيعة الأنصار للنبي ﷺ، ويقع قرب جمرة العقبة على يمين الخارج منها الى مكة ، مع أنهم اشتهروا بحرصهم على إزالة آثار الإسلام والنبي وآله ﷺ ، لكن لا ندري كيف حولوه الى مسجد ومن أوقفه مسجداً ؟! ولعلهم استندوا الى نص في طبقات ابن سعد (١٢١/١) يقول إن الموضع كان مسجداً ، قال: « وعَدَهُم (النبي ﷺ) منى وسط أيام التشريق ، ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل ، أن يوافوه في الشعب الأيمن ، إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة ، حيث المسجد اليوم ». أي في زمن ابن سعد في القرن الثالث.

٤. كانت قريش في تلك السنة مستنفرة لمراقبة النبي ﷺ وبني هاشم ، لأنها رأت أن عدداً من أهل المدينة دخلوا في الإسلام ، وأن النبي ﷺ يأمر أصحابه الذين يتعرضون الى مضايقات في مكة بالهجرة الى المدينة.

ورغم رقابتهم استطاع النبي ﷺ أن يرتب لقاءه بالأنصار بدون علمهم ، وجعله في بيت عبد المطلب في منى ، وواعدهم وقتاً يكون الحجاج فيه قد ناموا «فخرجوا في ثلث الليل الأول متسللين من رحالهم إلى العقبة » ولا بد أنه رتب حراسةً عند مدخل الشعب ومدخل الدار.

قال في إعلام الورى: ١٤٣/١:« فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب ، هذا محمد والصباة من الأوس والخزرج على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم ! فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح ! وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله النداء فقال للأنصار: تفرقوا ، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم. فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا ؟ قال: أنتظر أمر الله.

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح ، وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعلي بن أبي طالب عليه السلام فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا وما ها هنا أحد ، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي ! فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أبيّ وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا ! فحلف لهم عبد الله أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك ، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم، فصدقوه. وتفرقت الأنصار ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة ».

أقول: مضافاً الى نداء إبليس ، فقد تكون قريش عرفت خبر بيعة الأنصار من جواسيسها ، أو من تحركات الأنصار .

أما امتناعها عن مواجهة النبي صلى الله عليه وآله فسببه موسم الحج والأشهر الحرم ، وأنها تعرف من هو حمزة وعليٌّ وبنو هاشم ، فلم تجرؤ على فتح معركة معهم !

لكنهم واصلوا اجتماعاتهم بقية الشهر حتى قرروا بالإجماع قتل النبي صلى الله عليه وآله بعد انتهاء الأشهر الحرم ، وعينوا الأشخاص لتنفيذه .

○ ○

الفصل السادس والعشرون

خطة قريش المبرمة لقتل النبي صلى الله عليه وآله

١- قريش تستنفر لقتل النبي صلى الله عليه وآله بعد بيعة الأنصار

أ. بعد الحج شاع خبر بيعة العقبة، فثارت قريش على الأنصار ! ففي المناقب:١/١٥٨:

«نفر الناس من منى وفشى الخبر ، فخرجوا في الطلب فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه وربطوه بنسع رحله وأدخلوه مكة يضربونه ، فبلغ خبره إلى جبير بن مطعم والحرث بن حرب بن أمية فأتياه وخلصاه». (مناقب آل أبي طالب: ١/١٥٨).

وفي سيرة ابن هشام:٢/٣٠٦:« فلما بايعنا رسول الله (ص) صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب (المنازل) هل لكم في مذمم والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله(ص): هذا أزب العقبة أتسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك. ثم قال رسول الله(ص): إرفَضُّوا إلى رحالكم... قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم. قال:

فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه. قال: وقد صدقوا لم يعلموه... أتوا عبد الله ابن أبي ابن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول». ونحوه الطبري: ٩٥/٢.

وفي أمالي الطوسي/١٧٦، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:« تمثل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن جعشم المدلجي فقال لقريش: وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ.. وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: إن محمداً والصباة معه عند العقبة فأدركوهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: لا تخافوا فإن صوته لن يعدوهم.

وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد ، وأشار عليهم في النبي صلى الله عليه وآله بما أشار فأنزل الله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

وتصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله في صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية ، وسِّعوها تتسع ، فلا تردوها في بني هاشم ، فتنتظر بها الحبالى» !

ب. وتواصلت مشاورات قريش بقية محرم وصفر ، حتى كانت جلستها الشهيرة في أواخر صفر ، وقررت فيها قتل النبي صلى الله عليه وآله ، وعينت المنفذين ووقت التنفيذ .

ففي تفسير القمي:٢٧٣/١:« فرجعوا إلى مكة وقالوا: لا نأمن من أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمد ، فاجتمعوا في الندوة وكان

لايدخل دار الندوة إلا من قد أتى عليه أربعون سنة ، فدخلوا أربعون رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس في صورة شيخ كبير فقال له البوَّاب: من أنت ؟ فقال أنا شيخ من أهل نجد لا يعدمكم مني رأي صائب ، إني حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم ، فقال الرجل: أدخل فدخل إبليس. فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنه لم يكن أحد من العرب أعزّ منا ، نحن أهل الله تغدو الينا العرب في السنة مرتين ويكرموننا ، ونحن في حرم الله لايطمع فينا طامع فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمد بن عبد الله فكنا نسميه الأمين لصلاحه وسكونه وصدق لهجته ، حتى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادعى أنه رسول الله وأن أخبار السماء تأتيه ، فسفه أحلامنا وسب آلهتنا وأفسد شبابنا وفرق جماعتنا ، وزعم أنه من مات من أسلافنا ففي النار ، فلم يرد علينا شئ أعظم من هذا ! وقد رأيت فيه رأياً. قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن ندس إليه رجلاً منا ليقتله ، فإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديات ، فقال الخبيث: هذا رأي خبيث ! قالوا وكيف ذلك ؟ قال: لأن قاتل محمد مقتول لا محالة ، فمن ذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم؟ فإنه إذا قتل محمد تغضب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة ، وإن بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض ، فتقع بينكم الحروب في حرمكم وتتفانوا .

فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر قالوا: وما هو ؟ قال نثبته في بيت ونلقي إليه قوته حتى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير والنابغة وامرؤ القيس ،

فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر ! قالوا: وكيف ذلك ؟ قال لأن بني هاشم لا ترضى بذلك ، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه ! قال آخر منهم: لا ولكنا نخرجه من بلادنا ونتفرغ نحن لعبادة آلهتنا.

قال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدمين ! قالوا: وكيف ذاك؟ قال: لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً وأنطق الناس لساناً وأفصحهم لهجة ، فتحملونه إلى وادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه ، فلا يفجأكم إلا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً ! فبقوا حائرين ثم قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ ؟

قال: ما فيه إلا رأي واحد. قالوا وما هو ؟ قال يجتمع من كل بطن من بطون قريش واحد ، ويكون معهم من بني هاشم رجل ، فيأخذون سكيناً أو حديدة أو سيفاً ، فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة ، حتى يتفرق دمه في قريش كلها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه ، فإن سألوكم أن تعطوا الدية فأعطوهم ثلاث ديات ! فقالوا: نعم وعشر ديات .

ثم قالوا: الرأي رأي الشيخ النجدي ! فاجتمعوا ودخل معهم في ذلك أبو لهب عم النبي ، ونزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك ، وأنزل عليه في ذلك: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ .

واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه ، وخرجوا إلى المسجد يُصَفِّرون ويُصفِّقون ويطوفون بالبيت ، فأنزل الله: وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . فالمكاء التصفير ، والتصدية صفق

اليدين ، وهذه الآية معطوفة على قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وقد كتبت بعد آيات كثيرة . فلما أمسى رسول الله جاءت قريش ليدخلوا عليه فقال أبو لهب: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل ، فإن في الدار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة. فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ».

قال في الصحيح من السيرة: ٨/٤ «إن أولئك القوم الذين انتدبتهم قريش اجتمعوا على باب النبي ﷺ وهو باب عبد المطلب على ما في بعض الروايات ، يرصدونه يريدون بياته ، وفيهم: الحكم بن أبي العاص ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو لهب ، وأبو جهل ، وأبو الغيطلة ، وطعمة بن عدي ، وأبي بن خلف ، وخالد بن الوليد ، وعتبة ، وشيبة ، وحكيم بن حزام ، ونبيه ، ومنبه ابنا الحجاج ».

أقول: أين كان الذين ادعوا لهم البطولة وأن الإسلام عز بهم كعمر وسعد وأبي بكر وطلحة؟! تراهم يغيبون في الشدائد ويظهرون في الرخاء ؟!

ج. قال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه: المواجهة مع رسول الله ﷺ/١٨١:

«في دار الندوة ، اتفقت زعامة البطون على قتل النبي ووضعت خطة القتل ، وتطرقت لأدق التفاصيل ! ومهمة الفتية الذين تم اختيارهم من كل البطون تتلخص بتنفيذ خطة الجريمة ، وتقضي الخطة بمراقبة البيت المبارك الذي يقيم فيه حتى إذا ما خيم الظلام وهجع السامر ، زحف فتية البطون بعزم وهدوء وطوقوا البيت المبارك ، فإن خرج النبي خلال فترة التطويق انقضوا عليه بسيوفهم وضربوه

ضربة واحدة ، وإن لم يخرج خلال مدة معقولة ، دخلوا عليه البيت جميعاً وضربوه وهو نائم ضربة رجل واحد !

وقرار زعامة البطون واضح بأن تلك الليلة يتوجب أن تكون آخر ليالي محمد من الحياة. فالأمور مرتبة ترتيباً محكماً ، ولا طاقة لبني هاشم على مواجهة البطون خاصة بعد موت سيدهم وعميدهم شيخ البطاح أبي طالب.

كل شئ جهزته البطون لتنفيذ الجريمة وبأعصاب هادئة ، مع أن محمداً من قريش ، ومع أن الهاشميين بنو عمومتهم ، ولكن عندما يتمكن الحقد من النفوس فإنها تبور ولا شئ يصلحها.

هيأ الرسول صلى الله عليه وآله نفسه للهجرة والخروج من مكة ، وكلف ولي عهده والإمام من بعده علي بن أبي طالب ، أن يتدثر ببرد النبي الحضرمي الأخضر ، وأن ينام في فراش النبي ، ليوهم المتآمرين القتلة أن النائم هو النبي وليس علياً فينشغلوا عنه. وكلف النبي ولي عهده أيضاً أن يتولى تأدية الأمانات الموجودة عند الرسول إلى أهلها ، وبعد أن يفعل ذلك يحمل أهل النبي ، ويتبعه مهاجراً إلى المدينة المنورة .

وبعد أن رتب النبي أموره ودع ولي عهده وأهل بيته وخرج مهاجراً. شاهد النبي المتآمرين القتلة يحيطون بالبيت المبارك إحاطة السوار بالمعصم ، ويطوقونه تطويقاً كاملاً ، بحيث يتعذر الدخول أو الخروج من البيت !

وقف النبي صلى الله عليه وآله وقرأ: يَس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ... وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ . ثم سار بخطى ثابتة وبقلب ملئ بالإيمان

وتَخَطّى القتلة فلم يبصروه ، ثم تابع طريقه إلى المدينة يرافقه أبو بكر بن أبي قحافة وعبد الله بن أريقط .

وطال انتظار المتآمرين ولم يخرج النبي وبدأت الوساوس تعمل في صدورهم ! لقد انبلج الفجر ولاحت الدنيا ، ومن المستحيل أن يتأخر خروج محمد إلى هذا الحد ، واقتحموا بيت النبي ودخلوا الحجرة المقدسة ، واقتربوا من فراش النبي وكشفوا الغطاء ، فإذا النائم بفراش النبي علي وليس محمداً !

فهاج القتلة وسألوا علياً عن النبي فقال لهم علي بهدوء المؤمن ورباطة جأشه: «قلتم له أخرج عنا فخرج عنكم» !

أحيطت زعامة بطون قريش علماً بما حدث ، فهاجت وماجت وجن جنونها ، فأطلقت فرسانها ورجالها ليبحثوا عن محمد وليعودوا به حياً أو ميتاً ، وخصصت جائزة كبرى مقدارها مائة ناقة لمن يقبض على محمد ، وبذلت زعامة بطون قريش كل وسعها للقبض على محمد ، ولكنها فشلت ولم تفلح ، حيث دخل النبي الغار وقضى فيه ثلاثة أيام ، حتى يئست زعامة البطون من العثور عليه ، وبعد ذلك شق طريقه بيمن الله ورعايته إلى عاصمة دولته المباركة ».

٢- مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله يفديه بنفسه

أ. اتفق الرواة على أن مندوبي قريش باتوا يرصدون النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم في ساحة داره وينتظرون خروجه في الصباح ليقتلوه ، وعندما طلع الفجر ولم يخرج ، دخلوا البيت وهم شاهرون سيوفهم يتقدمهم خالد بن الوليد ، فتفاجؤوا بأن النائم مكانه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فنهض في وجههم وهو شاهر سيفه ، وتلاسنوا معه

وأساء معه الكلام خالد ، فأمسك علي عليه السلام بيده وجذبه وعصر عضده ، فصاح خالد كالبعير ، ونزع علي سيفه فتدخل البقية وقالوا لعلي إنهم لايريدون به شراً!

وقد روت حديث المبيت مصادرنا ، وأجزاء منه مصادرهم.

ففي أمالي الطوسي/٤٦٦ ، عن عمار وأبي رافع:« فخرج القوم عزين (متفرقين) وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيل ، فتلا هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. فلما أخبره جبرئيل عليه السلام بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له: يا علي إن الروح هبط علي بهذه الآية آنفاً ، يخبرني أن قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي ، وأنه أوحى إليَّ ربي عز وجل أن أهجر دار قومي وأن انطلق إلى غار ثور تحت ليلتي ، وأمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي ليخفى بمبيتك عليه أثري ، فما أنت قائل وصانع؟

فقال علي عليه السلام: أوَتسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم ، فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً بما أنبأه رسول الله صلى الله عليه وآله من سلامته ، وكان علي عليه السلام أول من سجد لله شكراً ، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رفع رأسه قال له: إمض لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي ، ومرني بما شئت أكن فيه بمسرتك ، واقعاً منه بحيث مرادك ، وإن توفيقي إلا بالله. قال صلى الله عليه وآله: وإنه ألقي عليك شبه مني ، فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي. ثم إني أخبرك يا علي أن الله تعالى

يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه ، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل ، وقد امتحنك يا ابن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل عليهما السلام ، فصبراً صبراً فإن رحمة القريب من المحسنين . ثم ضمه النبي صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى إليه وجداً به ، وبكى علي عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله.

واستتبع رسول صلى الله عليه وآله أبا بكر بن أبي قحافة وهند بن أبي هالة ، فأمرهما أن يقعدا له بمكان ذكره لهما من طريقه إلى الغار ، ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكانه مع علي يوصيه ويأمره في ذلك بالصبر حتى صلى العشاءين ، ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة والرصد من قريش قد أطافوا بداره ، ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ . وأخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم فما شعر القوم به حتى تجاوزهم ! ومضى حتى أتى إلى هند وأبي بكر فنهضا معه حتى وصلوا إلى الغار ، ثم رجع هند إلى مكة بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر إلى الغار .

فلما غلق الليل أبوابه وأسدل أستاره وانقطع الأثر ، أقبل القوم على علي عليه السلام يقذفونه بالحجارة والحلم (العُوَد) ولا يشكُّون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح ، هجموا على علي عليه السلام ، وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا أبواب لها ، فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا

عليه بها ، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة ، وثب له علي عليه السلام فختله وهمز يده (عصرها) فجعل خالد يقمص قماص البكر (يرفس كالفصيل) ويرغو رغاء الجمل ويذعر ويصيح ، وهم في عرج الدار (منعطفها) من خلفه ، وشد عليهم علي عليه السلام بسيفه يعني سيف خالد ، فأجفلوا أمامه إجفال النعم إلى ظاهر الدار ، فتبصروه فإذا هو علي عليه السلام، فقالوا: إنك لعلي ؟ قال: أنا علي. قالوا: فإنا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به. وقد كان علم يعني علياً عليه السلام أن الله تعالى قد أنجى نبيه صلى الله عليه وآله بما كان أخبره من مضيه إلى الغار واختبائه فيه ، فأذكت قريش عليه العيون وركبت في طلبه الصعب والذلول .

وأمهل علي عليه السلام حتى إذا أعتم من الليلة القابلة انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين ، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب. فقال: إني لا آخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن. قال: فهي لك بذلك ، فأمر صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فأقبضه الثمن ، ثم أوصاه بحفظ ذمته وأداء أمانته .

وكانت قريش تدعو محمداً صلى الله عليه وآله في الجاهلية الأمين ، وكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها ، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم ، وجاءته النبوة والرسالة والأمر كذلك ، فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوةً وعشياً: ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة ، فليأت فلتؤد إليه أمانته. وقال النبي صلى الله عليه وآله (كتب الى علي من المدينة): إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا

علي بأمر تكرهه حتى تقدم عليَّ، فأد أمانتي على أعين الناس ظاهراً، ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما، وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم.

قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله، يعني ابن أبي رافع: أوَكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إني سألت أبي عما سألتني وكان يحدث بهذا الحديث فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟ وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وهو يوصيه: وإذا أبرمت ما أمرتك فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله وسر إليَّ لقدوم كتابي إليك ولا تلبث بعده.

وانطلق رسول الله لوجهه يؤم المدينة، وكان مقامه في الغار ثلاثاً، ومبيت علي على الفراش أول ليلة. قال عبيد الله بن أبي رافع: وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام شعرا يذكر فيه مبيته على الفراش ومقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحِجْرِ
محمدُ لما خاف أن يمكروا به	فوقَّاه ربي ذو الجلال من المكر
وبتُّ أراعيهم متى ينشرونني	وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً	هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص	قلائص يفرين الحصا أينما تفري»

وفي إعلام الورى:١٤٦/١:« وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتموا أمرهم ، فقال أبو لهب: بل نحرسه فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فباتوا حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفرش له ، وقال لعلي بن أبي طالب: يا علي إفدني بنفسك. قال: نعم يا رسول الله. قال: نم على فراشي والتحف ببردي. فنام عليه السلام على فراش رسول الله والتحف ببردته، وجاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أخرج ، والقوم يشرفون على الحجرة فيرون فراشه وعلي عليه السلام نائم عليه فيتوهمون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله » .

وفي تفسير القمي:٢٧٥/١:«وأمر رسول الله أن يفرش له ففرش له ، فقال لعلي بن أبي طالب: إفدني بنفسك ، قال نعم يا رسول الله . قال: نم على فراشي ، والتحف ببردتي ، فنام علي على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله والتحف ببردته ، وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لايُبْصِرُونَ. وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور ، فدخل الغار وكان من أمره ما كان . فلما أصبحت قريش وأتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش ، فوثب عليٌّ في وجوههم فقال: ما شأنكم؟ قالوا له أين محمد ؟ قال أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم ! فأقبلوا يضربون أبا لهب ويقولون أنت تخدعنا منذ الليلة ، فتفرقوا في الجبال ، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له أبو كرز يقفو الآثار ، فقالوا له يا أبا كرز اليومَ اليوم ، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه قدم محمد والله إنها لأخت القدم التي في المقام ! وكان أبو بكر استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فرده معه

فقال أبو كرز: وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه ، ثم قال: وهاهنا عبر ابن أبي قحافة . فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار ، ثم قال: ما جاوزا هذا المكان ! إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا تحت الأرض. وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار ، وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار ثم قال: ما في الغار واحد فتفرقوا في الشعاب وصرفهم الله عن رسوله صلى الله عليه وآله ثم أذن لنبيه في الهجرة». والصحيح: ٩/٤ ، واليعقوبي: ٣٩/٢ .

ب. وروى الجميع حديث مباهاة الله تعالى لملائكته بفداء علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله . ففي أمالي الطوسي/٤٦٩: « قال أبو اليقظان: فحدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن معه بقباء عما أرادت قريش من المكر به ومبيت علي عليه السلام على فراشه ، قال: أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه ؟ فكلاهما كرها الموت ، فأوحى الله إليهما: عبديَّ ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين نبيي فآثره بالحياة على نفسه ، ثم رقد على فراشه يفديه بمهجته ، إهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه ، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله عز وجل يباهي بك الملائكة ! قال: فأنزل الله عز وجل في علي عليه السلام: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ .

وفي مناقب آل أبي طالب: ٣٣٩/١: « الثعلبي في تفسيره ، وابن عقبة في ملحمته ، وأبو السعادات في فضايل العشرة ، والغزالي في الإحياء ، وفي كيمياء السعادة أيضاً، برواياتهم عن أبي اليقظان. وجماعة من أصحابنا ومن ينتمي الينا ، نحو ابن بابويه ، وابن شاذان ، والكليني ، والطوسي ، وابن عقدة ، والبرقي ، وابن فياض ، والعبدلي ،

والصفواني ، والثقفي ، بأسانيدهم عن ابن عباس ، وأبي رافع ، وهند بن أبي هالة ، أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كره الموت فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين محمد نبيي ، فآثره بالحياة على نفسه ، ثم ظل باتاً على فراشه يقيه بمهجته ! إهبطا إلى الأرض جميعاً فاحفظاه من عدوه . فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول: بخٍ بخٍ ، من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي بك الملائكة ، فأنزل الله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ». وشواهد التنزيل: ١٢٣/١، والثعلبي في تفسيره: ١٢٥/٢، والمسترشد لابن جرير الطبري/٣٦٠ والصراط المستقيم: ١٧٣/١ ، وأسد الغابة: ٢٥/٤، وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة/١٧٩ ، وكشف اليقين/٨٩ ، والصراط المستقيم: ١٧٣/١ ، والصحيح من السيرة: ٣٢/٤ ، وأمالي الطوسي/٤٦٨ ، والعمدة/٢٣٩ ، والطرائف/٣٧ ، وسعد السعود/٢١٦، وخصائص الوحي المبين/١٢٠، والجواهر السنية/٣٠٧. والمراجعات/٢١٦. وراجع الملحق رقم (٣) في تفسير الآية .

ج. وذكر علي عليه السلام في مناسبات قصة هجرة النبي صلى الله عليه وآله ومبيته في فراشه يفديه بنفسه

ففي الخرائج:١٤٣/١:«قال علي عليه السلام: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن قريشاً دبرت كيت وكيت في قتلي ، فنم على فراشي حتى أخرج أنا من مكة ، فقد أمرني الله تعالى بذلك. فقلت له: السمع والطاعة ، فنمت على فراشه وفتح رسول الله الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ . ومضى وهم لا يرونه ، فرأى أبا بكر قد خرج في الليل يتجسس عن خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم فأخرجه معه إلى الغار. فلما طلع الفجر تواثبوا إلى الدار وهم يظنون أني محمد ، فوثبت في

وجوههم وصحت بهم ، فقالوا: علي! قلت: نعم. قالوا: وأين محمد؟ قلت: خرج من بلدكم. قالوا: والى أين خرج ؟ قلت: الله أعلم فتركوني وخرجوا » .

وروى الصدوق في الخصال/٣٦٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام أن حاخام اليهود الأكبر أتى علياً عليه السلام فقال:«يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن أشياء لايعلمها إلا نبي أو وصي نبي ! قال: سل عما بدا لك يا أخا اليهود ؟قال: إنا نجد في الكتاب أن الله عز وجل إذا بعث نبياً أوحى إليه أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أمته من بعده ، وأن يعهد إليهم فيه عهداً يحتذي عليه ويعمل به في أمته من بعده ، وأن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء ويمتحنهم بعد وفاتهم. فأخبرني كم يمتحن الله الأوصياء في حياة الأنبياء ، وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من مرة؟ وإلى مَ يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضي محنتهم؟ فقال له عليه السلام: والله الذي لا إله غيره ، الذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى عليه السلام لئن أخبرتك بحق عما تسأل عنه لتقرَّن به ؟ قال: نعم. قال: والذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى لئن أجبتك لتسلمن؟ قال: نعم. فقال له علي عليه السلام: إن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء عليهم السلام في سبعة مواطن ليبتلي طاعتهم ، فإذا رضي طاعتهم ومحنتهم أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء في حياتهم وأوصياء بعد وفاتهم ، ويصيِّر طاعة الأوصياء في أعناق الأمم ممن يقول بطاعة الأنبياء. ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاة الأنبياء عليهم السلام في سبعة مواطن ليبلو صبرهم فإذا رضي محنتهم ختم لهم بالسعادة ليلحقهم بالأنبياء عليهم السلام وقد أكمل لهم السعادة . قال له رأس اليهود: صدقت يا أمير المؤمنين ، فأخبرني كم امتحنك الله في حياة محمد من مرة ؟ وكم امتحنك بعد وفاته من مرة ؟ وإلى ما يصير أخر أمرك ؟ فأخذ علي بيده وقال: انهض بنا أنبئك بذلك ، فقام إليه

جماعة من أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين أنبئنا بذلك معه ، فقال: إني أخاف أن لا تحتمله قلوبكم ! قالوا: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأمور بدت لي من كثير منكم !

فقام إليه الأشتر فقال: يا أمير المؤمنين أنبئنا بذلك فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصي نبي سواك ، وإنا لنعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا صلى الله عليه وآله نبياً سواه ، وأن طاعتك لفي أعناقنا موصولة بطاعة نبينا. فجلس علي عليه السلام وأقبل على اليهودي فقال: يا أخا اليهود إن الله عز وجل امتحنني في حياء نبينا محمد صلى الله عليه وآله في سبعة مواطن فوجدني فيهن ، من غير تزكية لنفسي ، بنعمة الله له مطيعاً. قال: فيمَ وفيم يا أمير المؤمنين ؟ قال: أما أولاهن...وأما الثانية يا أخا اليهود ، فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي صلى الله عليه وآله حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار دار الندوة وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف ، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل ، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ، ثم يأتي النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها ، فيمضي دمه هدراً ! فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك ، وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها ، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار ، فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي ، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً بأن أقتل دونه ، فمضى صلى الله عليه وآله لوجهه واضطجعت في مضجعه ، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله ، فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله ».

الفصل السابع والعشرون

هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة

١- خطة قريش المتقنة جداً لقتل النبي صلى الله عليه وآله

أ- اتفقت الروايات على تاريخ الهجرة وآيتها: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ..

قال المفيد في مسارّ الشيعة/٤٨: « شهر ربيع الأول: أول ليلة منه هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة سنة ثلاث عشرة من مبعثه ، وكانت ليلة الخميس. وفيها كان مبيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ومواساته له بنفسه حتى نجا صلى الله عليه وآله من عدوه ، فحاز بذلك أمير المؤمنين عليه السلام شرف الدنيا والدين ، وأنزل الله تعالى مدحه لذلك في القرآن المبين.

وهي ليلة فيها عظيمة الفخر لمولى المؤمنين ، بما يوجب مسرة أوليائه المخلصين. وفي صبيحة هذه الليلة صار المشركون إلى باب الغار عند ارتفاع النهار لطلب النبي صلى الله عليه وآله فستره الله تعالى عنهم ، وقلق أبو بكر بن أبي قحافة وكان معه في الغار بمصيرهم إلى بابه ، وظن أنهم سيدركونه فحزن لذلك وجزع ، فسكَّنه النبي صلى الله عليه وآله ورفق به وقوَّى نفسه بما وعده من النجاة منهم وتمام الهجرة له.

وهذا اليوم يتجدد فيه سرور الشيعة بنجاة رسول الله صلى الله عليه وآله من أعدائه وما أظهره الله تعالى من آياته، وما أيده به من نصره، وهو يوم حزن للناصبية لاقتدائهم بأبي بكر في ذلك، واجتنابهم المسرة في وقت أحزانه. وفي الليلة الرابعة منه كان خروج النبي صلى الله عليه وآله من الغار متوجهاً إلى المدينة، فأقام بالغار وهو في جبل عظيم خارج مكة غير بعيد منها، إسمه ثَوْر، ثلاثة أيام وثلاث ليال، وسار منه فوصل المدينة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، عند زوال الشمس».

وقد تقدم من أمالي الطوسي/٤٦٧، عن أبي رافع: «فخرج القوم عزين (متفرقين) وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيل، فتلى هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ... فلما أخبره جبرئيل بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له..»

وفي أمالي الطوسي/٤٤٥، عن ابن عباس قال: «فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهم جلوس على الباب عددهم خمسة وعشرون رجلاً، فأخذ حفنة من البطحاء ثم جعل يذرها على رؤوسهم هو يقرأ: يس والقرآن الحكيم، حتى بلغ: فأغشيناهم فهم لايبصرون.. فقال لهم قائل: ما تنظرون قد والله خبتم وخسرتم، والله لقد مر بكم وما منكم رجل إلا وقد جعل على رأسه تراباً! فقالوا: والله ما أبصرناه...».

وفي تفسير العياشي: ٢/٥٣، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن قريشاً اجتمعت فخرجت من كل بطن أناساً، ثم انطلقوا إلى دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هم بشيخ قائم على الباب فإذا ذهبوا إليه ليدخلوا قال: أدخلوني معكم، قالوا:

ومن أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من بني مضر ولي رأى أشير به عليكم ، فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس ، وأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه فقال: ليس هذا لكم برأي ، إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم ، قالوا: صدقت ما هذا برأي ! ثم تشاوروا فاجمعوا أمرهم على أن يوثقوه.

قال: هذا ليس بالرأي ، إن فعلتم هذا ومحمد رجل حلو اللسان أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم ، وما ينفع أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه أو امرأته ! ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه ويخرجوا من كل بطن منهم بشاهر ، فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة. ثم قرأ: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ.. الآية ».

وفي تفسير القمي: ٢٧٥/١: « ونزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك ، وأنزل عليه في ذلك: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ».

وفي الدر المنثور: ١٧٩/٣: « فأطلع الله نبيه (ص) على ذلك فبات علي على فراش النبي..». وسيرة ابن هشام: ٣٣٤/٢، والصحيح من السيرة: ٨/٤، وعامة المصادر.

٢- خلاصة هجرة النبي صلى الله عليه وآله

أ. قال اليعقوبي: ٣٩/٢: « فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه ، وأعمى الله عليهم المواضع ،

فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة ، فقالوا: مافي هذا الغار أحد وانصرفوا. وخرج رسول الله متوجهاً إلى المدينة ، ومرَّ بأم معبد الخزاعية فنزل

عندها ، ثم نفذ لوجهه حتى قدم المدينة. وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه ».

ب. وفي إعلام الورى: ١٤٨/١: «وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثة أيام ، ثم أذن الله له في الهجرة وقال: أخرج عن مكة يا محمد فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الغار ، وأقبل راع لبعض قريش يقال له: ابن أريقط فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: يا ابن أريقط أأتمنك على دمي؟ قال: إذن والله أحرسك وأحفظك ولا أدل عليك ، فأين تريد يا محمد؟ قال: يثرب. قال: والله لأسلكن بك مسلكاً لا يهتدي فيه أحد.

قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إئت علياً وبشره بأن الله قد أذن لي في الهجرة فيهيئ لي زاداً وراحلة... وقال أبو بكر: إئت أسماء ابنتي وقل لها: أن تهيئ لي زاداً وراحلتين وأعلم عامر بن فهيرة أمرنا وكان من موالي أبي بكر وقد كان أسلم وقل له: إئتنا بالزاد والراحلتين. فجاء ابن أريقط إلى علي فأخبره بذلك ، فبعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بزاد وراحلة ، وبعث ابن فهيرة بزاد وراحلتين.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الغار ، وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال فلم يرجعوا إلى الطريق إلا بقديد ، فنزلوا على أم معبد هناك ».

ج. يسأل البعض: مادام الله تعالى أظهر معجزة تعشيش الحمامة ونسج العنكبوت فلماذا لم ينقل نبيه الى المدينة بمعجزة كما أسرى به الى القدس في دقائق ، وعرج به الى السماوات في دقائق أو بلمح البصر ؟!

والجواب: أنه تعالى على كل شئ قدير ، وهو العليم متى يستعمل المعجزة ومتى يترك الأمر للأسباب الطبيعية ، والنبي ﷺ يعمل بالأسباب الطبيعية ولا يطلب من ربه المعجزة إلا أن يأمره. وقد صرح بذلك الإمام زين العابدين عليه السلام عندما شكى له رجل ديْنه الذي أثقله فأعطاه قرصيْن وأمره أن يذهب الى السوق ويشتري بهما شيئاً ، فوجد سمكتين غير مرغوبتين فاشتراهما فوجد في جوفها لؤلؤتين ثمينتين: « وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله فقال بعض المخالفين: ما أشد هذا التفاوت ! بينا علي بن الحسين لا يقدر أن يسد منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم ! كيف يكون هذا وكيف يعجز عن سد الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم ! فقال علي بن الحسين: هكذا قالت قريش للنبي ﷺ كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء عليهم السلام من مكة ويرجع إليها في ليلة واحدة ، من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثني عشر يوماً ؟! وذلك حين هاجر منها.

ثم قال عليه السلام: جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه ! إن المراتب الرفيعة لاتنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه ، وترك الإقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به. إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لمَّا يساوهم فيه غيرهم ، فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم ، لكنهم مع ذلك لايريدون منه إلا مايريده لهم » ! (أمالي الصدوق/٥٣٩). لاحظ قوله عليه السلام: «لايريدون منه إلا مايريده لهم»: فالمعصوم يعيش بالأسباب العادية ، إلا إذا أمره الله تعالى أن يطلب المعجزة .

٣- رفقاء النبي صلى الله عليه وآله في طريق الهجرة

أ.المشهور أن رفقاء النبي صلى الله عليه وآله في هجرته: أبو بكر وعبدالله بن أريقط وعامر بن فهيرة ، وهناك رأي بأن أبا بكر لم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله في الغار، وقد ألف في ذلك الباحث الشيخ نجاح الطائي كتاباً ، فتحامل عليه أتباع أبي بكر ، وأثاروا ضده ضجة لأنه خالف المتفق عليه عند المذاهب السنية ، والمسكوت عنه في مذهبنا ، ولا يتسع المجال لهذا البحث ، لذلك نكتب هذه الفقرة طبق هذا المشهور .

قال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: ٢٥٩/١: « ومضى صلى الله عليه وآله نحو الغار ، وقد واعد أبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط ، ليمضوا معه إلى المدينة وما يحتاج إليه ويدلوه على الطريق ». ونحوه الثاقب /٨٥

وفي المناقب: ١٤٢/١: « أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ».

ب. أما عبد الله بن أريقط فقالوا إن أبا بكر استأجره دليلاً وإنه لم يكن مسلماً ، والصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله استأجره وكان يعرفه ويعتمد عليه قبل الهجرة ، فقد أرسله عندما رجع من الطائف الى زعماء قريش. (النهاية: ١٦٨/٣، وسبل السلام: ٤٤٠/٢).

وفي الخرائج:١٤٥/١، في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أن ابن الأريقط أسلم يومها أو ازداد إيماناً ، قال: « ووافى ابن الأريقط بأغنام يرعاها إلى باب الغار وقت الليل يريد مكة بالغنم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أفيك مساعدة لنا؟ قال: إي والله ، فوالله ما جعل الله هذه القبجة على باب الغار حاضنة لبيضها ، ولا نسج العنكبوت عليه إلا وأنت صادق ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله:

الحمد لله على هدايتك ، فصر الآن إلى علي فعرفه موضعنا ، ومُرَّ بالغنم إلى أهلها إذا نام الناس ، ومُرَّ إلى عبد أبي بكر.

فصار ابن الأريقط إلى مكة وفعل ما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى علياً وعبد أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعدَّ لنا يا أبا الحسن راحلة وزاداً وابعثها إلينا ، وأصلح ما تحتاج إليه لحمل والدتك وفاطمة والحقنا بهما إلى يثرب .

وقال أبو بكر لعبده مثله ، ففعلا ذلك ، فأردف رسول الله صلى الله عليه وآله ابن الأريقط ، وأبو بكر عبده ». ونحوه إعلام الورى: ١/١٤٨.

وذكر بعضهم أن ابن أريقط عدوي حليف العاص بن وائل السهمي(المحبر/١٩٠) والصحيح أنه من جهينة ، وأنه كان معتمداً للنبي صلى الله عليه وآله ، وكان عيناً للنبي صلى الله عليه وآله على المشركين في بدر ، قال الثعلبي في تفسيره:٤/٣٣٠، في خبر بدر:«وبعث رسول الله (ص) أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى ابن الأريقط ، فأتاه بخبر القوم».

والطبري: ٩/٢٤٧ ، والبغوي: ٢/٢٣٢. وسمته بعض المصادر ابن أرقط كالدرر/٨٠ ، وبعضها أريقط كالإستيعاب: ٤/١٩٦١، وتاريخ دمشق: ٣٠/٨٦ وبعضها رقيط كأحكام القرآن: ٢/٥١٢.

ج. وأما عامر بن فهيرة فقالوا إنه غلام أسود سبق الى الإسلام ، فاشتراه أبو بكر

وأعتقه إشفاقاً عليه ، لأنه كان يعذب لإسلامه ، فهو مولى أبي بكر.

والصحيح أن الحارث بن سخبرة الأزدي قدم مكة وزوجته أم رومان الكنانية ، وتحالف مع أبي بكر ، وزوَّج عبده فهيرة من سوداء فولدت عامر بن فهيرة.

وقد أسلم عامر ومولاه الحارث قبل إسلام أبي بكر ، ثم مات الحارث فورثه ابنه الطفيل وهو صغير ، وتزوج أبو بكر أمه أم رومان ، فولدت له عبد الرحمن وعائشة ، فهما أخوا الطفيل من أمه. (بخاري: ٤٣/٥ ، والطبقات: ٢٧٨/٨، و طبقات خليفة/٤٨).

وقالوا كان عامر بن فهيرة يُعَذَّب ، ولم يذكروا من عذبه ، فمولاه الحارث مسلم وقد مات ، وابنه الطفيل صغير ! (تهذيب التهذيب: ٦٩/٥).

وقال في الصحيح من السيرة (٩٠/٣) إن ابن إسحاق والواقدي قالا إن النبي صلى الله عليه وآله اشتراه مع بلال وأعتقهما وليس أبا بكر . ومعناه أن علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله كانت قوية.

وقد استشهد ابن فهيرة في بئر معونة في السنة الرابعة للهجرة (الإستيعاب: ٧٩٧/٢) فضخمه رواة السلطة ورووا حوله أساطير وقال راويهم إنه رآه رفع الى السماء ! (صحيح بخاري: ٤٤/٥) وذلك من أجل تعظيم أبي بكر !

أما بلال وهو أفضل منه فلا يمدحونه كثيراً ، لأنه مع عدد من الصحابة كتبوا من الشام الى عمر معترضين على معاوية ، فماتوا ! « دعا عليهم (عمر) على المنبر فقال: اللهم اكفني بلالاً وأصحابه ! فما حال الحول وفيهم عين تطرف أي ماتوا جميعاً»! (مبسوط السرخسي: ١٦/١٠، وسنن البيهقي: ١٣٨/٩). وأشاعوا أنهم طمعوا في أرض الشام ، وقالوا ماتوا بالطاعون ، ويبدو أنهم ماتوا بالسم !

د- *رووا أن المهاجرين كانوا أربعة أشخاص ، على بعيرين ، وأنهم ترادفوا أو تعاقبوا*

والتعاقب أن يركب الشخص مرحلة ثم ينزل فيركب صاحبه ، والترادف أن يركبا معاً . ففي الدرر لابن عبد البر/٨٠: « فركبا الراحلتين ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ».

ونحوه الحاكم (٨/٣) وغيره. وهو يشير الى أن ابن أريقط كان يتعاقب مع النبي صلى الله عليه وآله ولا يركب خلفه احتراماً له. وفي الخرائج: ١٤٥/١: « فأردف رسول الله ابن الأريقط». ولعله تعبير عن تعاقبه .

لكن الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله هاجر على ناقته القصواء ، واشترى بعيراً من أبي بكر لدليله ابن أريقط ، فلما مات استأجر له بعيراً آخر. وهاجر أبو بكر على بعيره وكان يتعاقب عليه مع ابن فهيرة. فتكون الرواحل ثلاثة.

ففي الكافي: ٣٣٩/٨ ، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: « ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم عليه علي عليه السلام تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه ، يوم الجمعة مع طلوع الشمس فخط لهم مسجداً ، ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين ، ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها ».

وفي سيرة ابن هشام: ٣٣٦/٢: « فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله (ص) قدم له أفضلهما ثم قال: إركب فداك أبي وأمي ، فقال رسول الله (ص): إني لا أركب بعيراً ليس لي ، قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. قال: لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال: كذا وكذا ، قال: قد أخذتها به ، قال: هي لك يا رسول الله ، فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق ».

وفي صحيح بخاري: ٣٩/٧: « فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين. قال: النبي: بالثمن ».

وفي مقدمة فتح الباري/٣٠٠: «وفي سيرة عبد الغنى وغيره أن الثمن كان أربعمائة درهم ، وعند الواقدي أنه ثمان مائة ».

ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً عليه السلام أن يفديه بنفسه ، ثم لم يقبل من أبي بكر بعيراً إلا بثمنه ، فكيف يزعمون أنه كان ينفق عليه ! قال في فتح الباري: ١٨٣/٧: «عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله ! فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه » !

أقول: لكن البعير الذي اشتراه النبي صلى الله عليه وآله من أبي بكر مات في الطريق ! « وقف عليهم بعض ظهرهم ، وفي بعضها: أعيا » (جوامع السير/٩٣ ، وأسد الغابة: ١٤٧/١و: ١٠/٣).

قال ابن هشام: ٣٤٠/٢: «فحمل رسول الله (ص) رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له..إلى المدينة وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيدة (ليرد الجمل كما صرح في الدرر) ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية الغائر عن يمين رَكوبة.. حتى هبط بهما بطن رئم ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل». (الصحيح: ٢١٦/٤ ، ومناقب ابن سليمان: ٣٦٤/١ ، والدرر/٣٧).

٤- سراقة بن جشعم يحاول قتل النبي صلى الله عليه وآله أو أسره

قال الإمام الصادق عليه السلام (الكافي: ٢٦٣/٨): «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل ، فخرج

سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم اكفني شر سراقة بما شئت ، فساخت قوائم فرسه ! فثنى رجله ثم اشتدّ (جاء ماشياً راكضاً) فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك ، فادع الله أن يطلق لي فرسي ، فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلق الله عز وجل فرسه ، فعاد في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فعل ذلك ثلاث مرات ! كل ذلك يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله فتأخذ الأرض قوائم فرسه ! فلما أطلقه في الثالثة قال: يا محمد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي ، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه ، وهذا سهم من كنانتي علامة ، وأنا أرجع فأرد عنك الطلب ! فقال صلى الله عليه وآله: لا حاجة لنا فيما عندك ».

ونحوه الثاقب/١٤٥، عن ابن عباس، وفيه: «كان سراقة بن جعشم المدلجي قريباً من قريش في ناحية مكة فأتاه رجل فقال: يا سراقة لقد رأيت ركباناً ثلاثة قد مروا فقال سراقة: ينبغي أن يكون هذا محمد ، لأتخذن عند قريش يداً ! فركب فرسه وأخذ رمحه ، وكانت قريش قد بعثت الرجال في كل طريق..». ونحوه الخرائج:٢٣/١، ومناقب آل أبي طالب:٦٤/١، عن ابن إسحاق ، وفيه:« وأتبعة دخان حتى استغاثه ، فانطلق الفرس فعذله أبو جهل (لم يصدقه) وقال سراقة:

أبا حكم واللات لو كنت شاهداً	لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمُهْ
عجبت ولم تشكك بأن محمداً	نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك فكف الناس عنه فإنني	أرى أمره يوماً سيبدو معالمه »

وروى اليعقوبي:٤٠/٢، البيتين الأولين منها. وابن هشام: ٣٣٨/٢، برواية مطولة والدرر لابن عبد البر/٨١ وروى في قرب الإسناد/٣٧٩، بسند صحيح أن قريشاً أرسلت سراقة في طلب النبي صلى الله عليه وآله.

وفي الخرائج: ١٤٥/١، والثاقب في المناقب/١٠٩، وغيرهما: « فلما قرب قال صلى الله عليه وآله: اللهم خذه، فارتطم فرسه في الأرض فصاح: يا محمد خلص فرسي، لا سعيت لك في مكروه بعدها، وعلم أن ذلك بدعاء محمد صلى الله عليه وآله ! فقال: اللهم إن كان صادقاً فخلصه فوثب الفرس.

فقال: يا أبا القاسم ستمر برعاتي وعبيدي فخذ سوطي، فكل من تمرُّ به خذ ما شئت فقد حكمتك في مالي. فقال صلى الله عليه وآله: لا حاجة لي في مالك. قال: فسلني حاجة. قال صلى الله عليه وآله: رد عنا من يطلبنا من قريش. فانصرف سراقة فاستقبله جماعة من قريش في الطلب فقال لهم: إنصرفوا عن هذا الطريق فلم يمر فيه أحد، وأنا أكفيكم هذا الطريق، فعليكم بطريق اليمن والطائف ».

وكان سراقة من زعماء بني مدلج من كنانة (الطبري: ١٣٨/٢).

وبنو مدلج مزارعون في بطن ينبع. (المناقب: ١٦١/١، والمحبر/١١٠).

وكان سراقة كبقية زعماء كنانة حليفاً لقريش، وقد تصور الشيطان بصورته في بدر ! (المناقب: ١٦٣/١، ومغازي الواقدي/٣٨).

ولم يُسلم سراقة مع أنه رأى هذه المعجزة، ونجَّاه الله بدعاء رسوله صلى الله عليه وآله من الخسف ! وزعم أنه أسلم بعد ثمان سنين، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان كتب له كتاباً ! قال: «حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله (ص) وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة، قال: فدخلت في كتيبة من خيل

الأنصار. قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك ما تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله(ص) وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة (لب النخل من جمالها) قال: فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة بن جعشم. قال: فقال رسول الله: يوم وفاء وبر ، أدنه ، قال: فدنوت منه فأسلمت ». (سيرة ابن هشام: ٣٣٨/٢).

وكان عمر يحب سراقة ، وأعطاه من غنائم فارس سوارين من كنز كسرى وبرروا فعل عمر بأن النبي صلى الله عليه وآله نظر الى ذراعي سراقة وقال:«كأني بك وقد لبست سواري كسرى»! (أم الشافعي:١٦٥/٤). وكل هذا لأن سراقة حليف للطلقاء !

٥- لماذا أخذ النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر معه

١. قال في الصحيح من السيرة:٢١٢/٤:« ولعل الصحيح هو الرواية التي تقول: إن النبي صلى الله عليه وآله قد لقي أبا بكر في الطريق ، وكان أبو بكر قد خرج ليتنسم الأخبار ، وربما يكون استصحبه معه لكي لايسأله سائل إن كان قد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقر لهم بأنه رآه ، ثم يدلهم على الطريق التي سلكها ، خوفاً من أن يتعرض لأذاهم».

وفي شواهد التنزيل:١٢٧/١،عن ابن عباس:« أنام رسول الله علياً على فراشه ليلة انطلق إلى الغار ، فجاء أبو بكر يطلب رسول الله فأخبره علي أنه قد انطلق فاتبعه».

وفي الخرائج:١٤٤/١:« قال علي عليه السلام: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن قريشاً دبرت كيت وكيت في قتلي ، فنم على فراشي حتى أخرج أنا من مكة فقد أمرني الله

تعالى بذلك. فقلت له: السمع والطاعة ، فنمت على فراشه وفتح رسول الله ﷺ الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ.(يس: ٩). ومضى وهم لا يرونه ، فرأى أبا بكر قد خرج في الليل يتجسس عن خبره ، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم ، فأخرجه معه إلى الغار ».

وفي صحيح بخاري: ١٩٠/٤، ومسند أحمد: ٣/١ ، من حديث طويل عن أبي بكر قال: «فارتحلنا والقوم يطلبونا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم ، على فرس له ، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ، فقال: لاتحزن إن الله معنا حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قال قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت ! قال: لم تبكي؟ قال: قلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك ! قال: فدعا عليه رسول الله (ص) فقال: اللهم اكفناه بما شئت ، فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ! ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب..الخ.». والطبقات: ٣٦٦/٤، وأبو يعلى: ١٠٧/١ ، وابن شيبة: ٤٥٧/٨ ، وعامة مصادرهم.

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة:٢٣٨/١:« فلما لحقهم سراقة بن مالك وهو رجل واحد بكى الصاحب خوفاً...! أترى لو كان معهم علي عليه السلام هل كان يبكي ويهتم لرجل واحد ليس معه أحد ، وهو لم يهتم لثمانية فوارس» !

٢. قال الله تعالى في سورة التوبة التي نزلت في السنة التاسعة للهجرة، بعد غزوة تبوك: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ. إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. (٣٨-٤٠)».

٣. أقسمت عائشة بأنه لم ينزل في أبي بكر وأولاده شئ من القرآن إلا آية براءتها، وروى ذلك البخاري وغيره، وصححوا روايته بأعلى درجات الصحة، ومعناه أن آية الغار ليست في أبي بكر، أو ليس فيها شئ من المدح له.

ومع ذلك ردوا شهادة عائشة، وادعوا أن عدة آيات نزلت في فضل أبي بكر! ورفعوا آية الغار علماً وشعاراً، وجعلوه ثاني اثنين ليوهموا الناس بأن النبي الأول وأبا بكر الثاني، مع أن الآية جعلت النبي صلى الله عليه وآله الثاني، ولا يقصد منها العدد!

٤. روى بخاري في صحيحه: ٤١/٦: «كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ.. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري».

وفي تفسير أبي حيان: ٦١/٨: « وقد أنكرت ذلك عائشة فقالت وهي المصدوقة: لم ينزل في آل أبي بكر من القرآن غير براءتي ». والتسهيل: ١٣/٢، وغيره.

ومع ذلك قال ابن حجر في الإصابة: ١٤٨/٤: « ومناقب أبي بكر كثيرة جداً، وقد أفردها جماعة بالتصنيف، وترجمته في تاريخ بن عساكر قدر مجلدة، ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى: إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ... فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع، إذ لا يعترض بأنه لم يتعين لأنه كان مع النبي (ص) في الهجرة عامر بن فهيرة وعبد الله بن أبي بكر، وعبد الله بن أريقط الدليل، لأنا نقول لم يصحبه في الغار سوى أبي بكر... وثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي (ص) قال لأبي بكر وهما في الغار: ما ظنك باثنين الله ثالثهما ».

وفي فتح الباري: ١٨٠/١٣: « قال ابن التين: ما انفرد به أبو بكر وهو كونه ثاني اثنين وهي أعظم فضائله التي استحق بها أن يكون الخليفة من بعد النبي لذلك قال (عمر): وإنه أولى الناس بأموركم.. فقوموا فبايعوه ».

وفي تحفة الأحوذي: ١٠٦/١٠: « أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه في الآية يعني قوله تعالى: ثاني اثنين إذ هما في الغار، هو أبو بكر، وقد قالوا من أنكر صحبة أبي بكر كفر لأنه أنكر النص الجلي! بخلاف صحبة غيره ».

٥. مَعنى الآية أن الله تكفل بنصر النبي صلى الله عليه وآله وإن لم تنصروه، فقد نصره عندما كان وحيداً فاراً من قومه ليس معه إلا شخص واحد غير مقاتل، فأنزل عليه

السكينة والطمأنينة وجنوداً من ملائكته لم يرها رفقاءه. فليس في الآية إلا إشارة الى شخص كان معه ، بقطع النظر عن نوع ذلك الشخص ، ومن هُوَ.

وفي شرح الأخبار: ٢٤٦/٢: « إن الصحبة قد تكون للبر والفاجر ، وقد وصف الله تعالى في كتابه صحبة مؤمن لكافر فقال: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ».

فالآية متركزة على الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وحده ، وغير ناظرة الى غيره ، بل يشير إفراد الضمائر فيها الى أن أبا بكر لايشترك معه إلا في مجرد التواجد ، بل لايشترك في الإجبار على الهجرة ، فقد قالت الآية: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، ولم تقل إذ أخرجهما. وحتى تأييد النبي صلى الله عليه وآله جاء بجنود غير مرئيين وليس بصاحبه ورفاقه: فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا.

٦. قال المفيد رحمه الله ما حاصله:« لم ينزل الله سبحانه السكينة قط على نبيه صلى الله عليه وآله في موطن كان معه فيه أحد من أهل الإيمان ، إلا عمهم في نزول السكينة وشملهم بها ، فقال تعالى: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وقال: ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا. ولما لم يكن معه صلى الله عليه وآله في الغار إلا أبو بكر أفرد الله نبيه صلى الله عليه وآله بالسكينة دونه ولم يشركه معه فقال: فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ ! ولولا أنه أحدث بحزنه في الغار منكراً لما حرمه الله من السكينة التي تفضل بها على غيره من المؤمنين في المواطن الأخرى» ! (الفصول المختارة/٤٣).

٧. رفع علماء السلطة آية الغار سيفاً في وجه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فردوها عليهم ، وكانت مادة للمناقشة والمناظرة بين علماء الشيعة ومخالفيهم .

ففي الإحتجاج: ١٤٣/٢ ، بسنده عن الأعمش رحمه الله قال:« اجتمعت الشيعة والمحكِّمة (الخوارج) عند أبي نعيم النخعي بالكوفة، وأبو جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر ، فقال ابن أبي حذرة: أنا أقرر معكم أيتها الشيعة أن أبا بكر أفضل من علي ومن جميع أصحاب النبي بأربع خصال ، لا يقدر على دفعها أحد من الناس ، هو ثان مع رسول الله (ص) في بيته مدفون ، وهو ثاني اثنين معه في الغار ، وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله(ص)، وهو ثاني اثنين الصديق من هذه الأمة. فقال أبو جعفر مؤمن الطاق رحمه الله: يا بن أبي حذرة وأنا أقرر معك أن علياً أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بهذه الخصال التي وصفتها وأنها مثلبة لصاحبك ! وألزمك طاعة علي من ثلاث جهات: من القرآن وصفاً ، ومن خبر الرسول صلى الله عليه وآله نصاً ، ومن حجة العقل اعتباراً.

ووقع الإتفاق على إبراهيم النخعي ، وعلى أبي إسحاق السبيعي ، وعلى سليمان بن مهران الأعمش. فقال: أبو جعفر مؤمن الطاق: أخبرني يا ابن أبي حذرة عن النبي صلى الله عليه وآله كيف ترك بيوته التي أضافها الله إليه ، ونهى الناس عن دخولها إلا بإذنه ميراثاً لأهله وولده؟ أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قل ما شئت.

فانقطع ابن أبي حذرة ، لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما هو فيه ! فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه ، فإنه قبض عن تسع نسوة ،

وإنما لعايشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك ، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع ! وإن كان صدقة فالبلية أطم وأعظم ، فإنه لم يصب من البيت إلا ما لأدنى رجل من المسلمين ، فدخول بيت النبي صلى الله عليه وآله بغير إذنه في حياته وبعد وفاته ، معصية ! إلا لعلي بن أبي طالب عليه السلام وولده ، فإن الله أحل لهم ما أحل للنبي صلى الله عليه وآله !

ثم قال لهم: إنكم تعلمون أن النبي أمر بسد أبواب جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب علي عليه السلام فسأله أبو بكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فأبى عليه ، وغضب عمه العباس من ذلك فخطب النبي صلى الله عليه وآله خطبة وقال: إن الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقرب فيه النساء إلا موسى وهارون وذريتهما ، وأن علياً هو بمنزلة هارون من موسى وذريته كذرية هارون ، ولا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يبيت فيه جنباً إلا علي وذريته . فقالوا بأجمعهم: كذلك كان. قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يا بن أبي حذرة ، وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها ، ومثلبة لصاحبك !

وأما قولك: ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، أخبرني هل أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين في غير الغار؟ قال ابن أبي حذرة: نعم. قال أبو جعفر: فقد أخرج صاحبك في الغار من السكينة وخصه بالحزن ! وكان علي عليه السلام في هذه الليلة على

فراش النبي صلى الله عليه وآله وبذل مهجته دونه ، وهو أفضل من مكان صاحبك في الغار. فقال الناس: صدقت. فقال أبو جعفر: يا بن أبي حذرة ، ذهب نصف دينك !

وأما قولك ثاني اثنين: الصديق من الأمة ، فقد أوجب الله على صاحبك الإستغفار لعلي بن أبي طالب في قوله عز وجل: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ.. إلى آخر الآية..(الحشر: ١٠) والذي ادعيت إنما هو شئ سماه الناس ، ومن سماه القرآن وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممن سماه الناس ، وقد قال علي عليه السلام على منبر البصرة: أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدقت قبله. قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا بن أبي حذرة ، ذهب ثلاثة أرباع دينك !

وأما قولك في الصلاة بالناس ، كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تتم له ، وأنها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة ، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لما عزله عن تلك الصلاة بعينها ، أما علمت أنه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها ، ولا تخلو هذه الصلاة من أحد وجهين: إما أن تكون حيلة وقعت منه فلما أحس النبي صلى الله عليه وآله بذلك خرج مبادراً مع علته فنحاه عنها لكيلا يحتج بها بعده على أمته ، فيكونوا في ذلك معذورين !

وإما أن تكون هو الذي أمره بذلك وكان ذلك مفوضاً إليه كما في قصة تبليغ براءة ، فنزل جبرئيل وقال: لا يؤديها إلا أنت أو رجل منك ، فبعث علياً في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها ! فكذلك كانت قصة الصلاة ! وفي الحالتين

هو مذموم ، لأنه كشف عنه ما كان مستوراً عليه ، وفي ذلك دليل واضح أنه لا يصلح للإستخلاف بعده ، ولا هو مأمون على شئ من أمر الدين.

فقال الناس: صدقت. قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا بن أبي حذرة ذهب دينك كله ، وفضحتَ حيث مدحتَ!

فقال الناس لأبي جعفر: هات حجتك فيما ادعيت من طاعة علي عليه السلام.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: أما من القرآن وصفاً فقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ. فوجدنا علياً عليه السلام بهذه الصفة في القرآن في قوله عز وجل: وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ - يعني في الحرب والشعب- أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. (البقرة:١٧٧) فوقع الإجماع من الأمة بأن علياً أولى بهذا الأمر من غيره ، لأنه لم يفر من زحف قط كما فر غيره في غير موضع!

فقال الناس: صدقت. قال: وأما الخبر عن رسول الله ﷺ نصاً ، فقال: إني تارك فيكم الثقلين ، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. وقوله ﷺ: إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، ومن تقدمها مرق ومن لزمها لحق. فالمتمسك بأهل بيت رسول الله ﷺ هاد مهتد بشهادة من الرسول والمتمسك بغيرها ضال مضل. قال الناس: صدقت يا أبا جعفر.

قال: وأما من حجة العقل فإن الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم ، ووجدنا الإجماع قد وقع على علي عليه السلام بأنه كان أعلم أصحاب رسول الله ﷺ وكان الناس يسألونه ويحتاجون إليه ، وكان علي مستغنياً عنهم ، هذا من الشاهد والدليل عليه

من القرآن قوله عز وجل: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ.. فما اتفق يوم أحسن منه ودخل في هذا الأمر عالم كثير». راجع في الموضوع: عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢٠١، وفيه مناقشة المأمون لفقهاء عصره في آية الغار، وكتاب سليم بن قيس الهلالي/٣٤٨، والإفصاح للمفيد/١٨٥، والصوارم المهرقة/٣٠٧، والغدير: ٧/١٠، والصحيح من السيرة: ٤/٢٣٣.

٨. في آية الغار بحوث تعرض لها علماؤنا وعلماء المذاهب، لايتسع لها المجال. راجع: والصحيح من السيرة: ٤/٢٣، والصوارم المهرقة للتستري/٣٠٢، وفيه رد ادعائهم بنزول آيات في أبي بكر. وشرح الأخبار: ٢/٢٤٥، والإختصاص/٩٦، والاحتجاج: ٢/١٤٣، والمسترشد/٤٣٣، وتفسير العياشي: ٢/٨٨، والدر المنثور: ٦/ ٤١، وعمدة القاري: ١٩/١٦٩،والتسهيل: ٢/١٣.

٩. جعل رواة السلطة لبنات أبي بكر أسماء وعائشة مناقب في الهجرة، فقالوا إن أسماء كانت تحمل لهم الطعام الى الغار، وأنها شقت حزامها قطعتين لتربط الزاد فسماها النبي صلى الله عليه وآله ذات النطاقين، مع أنها كانت هاجرت قبلهم الى المدينة مع زوجها الزبير وكانت حاملاً في شهرها بعبدالله بن الزبير، وقد نص المؤرخ خليفة بن خياط/٢٠٧، وغيره، على أنها وضعت عبدالله بن الزبير هناك، وهذا ينفي زعم من زعم أنها وضعته في قباء أيام وصول النبي صلى الله عليه وآله.

قال في الصحيح من السيرة:٤/٢٨٢:«ولماذا هذا الدور لأسماء؟ ألم تكن زوجة للزبير حينئذٍ، ألم تهاجر معه إلى المدينة قبل ذلك؟!».

٦- النبي ﷺ في ضيافة أم معبد

«خرج رسول الله ص من الغار وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال فلم يرجعوا إلى الطريق إلا بقُدَيْد ، فنزلوا على أم معبد هناك». (إعلام الورى/٤١).

« أُثال وادٍ بصدر وادي ستارة ، و هو المعروف بقُدَيْد ، يسيل في وادي الخيمتين.. خيمتا أم معبد...ويقال بئر أم معبد بين مكة والمدينة ، نزله رسول الله (ص) في هجرته ». (معجم البلدان: ٤١٤/٢ ، والجبال و الأمكنة للزمخشري/٢) .

وفي الخرائج والجرائح:١٤٦/١:« سار حتى نزل خيمة أم معبد فطلبوا عندها قِرى فقالت: ما يحضرني شئ ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في ناحية الخيمة قد تخلفت من الغنم لضرها فقال: تأذنين في حلبها ؟ قالت: نعم ولا خير فيها ، فمسح يده على ظهرها فصارت أسمن ما يكون من الغنم ، ثم مسح يده على ضرعها فأرخت ضرعاً عجيباً ، ودرت لبناً كثيراً فقال: يا أم معبد هاتي العس ، فشربوا جميعاً حتى رووا ! فلما رأت أم معبد ذلك قالت: يا حسن الوجه إن لي ولداً له سبع سنين وهو كقطعة لحم لا يتكلم ولا يقوم ، فأتته به ، فأخذ تمرة قد بقيت في الوعاء ومضغها وجعلها في فيه ، فنهض في الحال ومشى وتكلم !

وجعل نواها في الأرض فصارت في الحال نخلة وقد تهدل الرطب منها وكانت كذلك صيفاً وشتاءً... ولما توفي ﷺ لم تُرْطِبْ تلك النخلة وكانت خضراء ! فلما قتل علي عليه السلام لم تخضرّ وكانت باقية فلما قتل الحسين عليه السلام سال منها الدم ويبست !

فلما انصرف أبو معبد ورأى ذلك وسأل عن سببه قالت: مرَّ بي رجل قرشي من حاله وقصته كذا وكذا ! قال: يا أم معبد إن هذا الرجل هو صاحب أهل المدينة الذي هم ينتظرونه ، ووالله ما أشك الآن أنه صادق في قوله إنه رسول الله ، فليس هذا إلا من فعل الله. ثم قصد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فآمن هو وأهله».

وفي الصحيح من السيرة:٨٦/٤ ، ومستدرك الحاكم:٩/٣:«فلما عاد أبو معبد ورأى ذلك سأل زوجته عن سببه قالت: مرَّ بنا رجل مباركٌ من حاله كذا وكذا ، قال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: رأيت رجلاً ظاهرَ الوَضاءة ، أبلجَ الوجه ، حسنَ الخلق لم تَعِبْهُ ثَجْلَةٌ (بطنة) ولم تُزْرِ به صَعْلَة (صغر الرأس) وسيمٌ قسيم (جميل حسن الملامح) في عينيه دَعَجٌ (سواد) وفي أشفاره وَطَف (أجفانه طويلة) وفي صوته صَحَل (ليس صوته حاداً بل فيه حركة محببة كالبحة) وفي عنقه سَطَع (طول) وفي لحيته كثَاثة(كثافة الشعر) أزجُّ أقْرَن (حاجباه مقوسان متصلان) إن صمتَ فعليه الوقار ، وإن تكلم سَمَاهُ وعلاه البهاء ، أجملُ الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب ، حلوُ المنطق ، فصلاً لا نزرٌ ولا هَذْر،كأن منطقه خرزات نظمٍ يتحدرن ، ربعةٌ لا تشنؤهُ من طول ، ولا تقتحمه عين من قِصَر ».

وفي الثاقب في المناقب/١١١: « عن هند بنت الجون قالت: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بخيمة أم معبد توضأ للصلاة ومجَّ ماء في فيه على عوسجة يابسة فاخضرَّت وأنارت ، وظهر خضر ورقها وحسن حملها ! وكنا نتبرك بها ونستشفي بها للمرضى. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ذهبت بهجتها ونضارتها ! فلما قتل أمير

المؤمنين عليه السلام انقطع ثمرها ! فلما كان بعد مدة طويلة أصبحنا يوماً وإذا بها قد انبعث من ساقها دم عبيط وورقها ذابل يقطر منه مثل ماء اللحم ، فعلمنا أنه حدث حدث عظيم ! فبتنا ليلتنا مهمومين فزعين نتوقع الداهية ، فلما أظلم الليل علينا سمعنا بكاءً وعويلاً من تحتها ووَجَبَةً شديدةً وضجة ورجة ، وصوت باكية تقول: يا ابن النبي ، يا ابن الوصي ، ويا ابن البتول ، ويا بقية السادة الأكرمين !

ثم كثرت الرنات والأصوات ولم أفهم كثيراً مما يقولون ، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة وجفَّت وذهب أثرها» !

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٠٥/١: « وقال خطيب منبج:

ومَنْ حَلَب الضئيلة وهي نِضْوٌ فأسبلَ درُّها للحالبينا

وكانت حائلاً فغدت وراحت بيمن المصطفى الهادي لبونا »

٧- وصول النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة

وصف الإمام زين العابدين عليه السلام هجرة النبي صلى الله عليه وآله، ففي الكافي: ٣٣٨/٨: «عن سعيد بن المسيب قال: سألت علي بن الحسين عليه السلام: إبن كم كان علي بن أبي طالب يوم أسلم ؟ فقال: أوَكان كافراً قط ، إنما كان لعلي عليه السلام حيث بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله عشر سنين ولم يكن يومئذ كافراً ، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وإلى الصلاة

بثلاث سنين ، وكانت أول صلاة صلاها مع رسول الله الظهر ركعتين وكذلك فرضها الله تبارك وتعالى على من أسلم بمكة ركعتين ركعتين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصليها بمكة ركعتين ويصليها علي عليه السلام معه بمكة ركعتين مدة عشر سنين ، حتى هاجر رسول الله إلى المدينة وخلف علياً في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره ، وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة في أول يوم من ربيع الأول ، وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث ، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس ، فنزل بقبا فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثم لم يزل مقيماً ينتظر علياً يصلي الخمس صلوات ركعتين ركعتين ، وكان نازلاً على عمرو بن عوف فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فنتخذ لك منزلاً ومسجداً ؟ فيقول: لا إني أنتظر علي بن أبي طالب وقد أمرته أن يلحقني ، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي وما أسرعه إن شاء الله ، فقدم علي عليه السلام والنبي في بيت عمرو بن عوف فنزل معه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم عليه علي عليه السلام تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس ، فخط لهم مسجداً ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين ، ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها ، وعلي عليه السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيه ، وليس يمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة ، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها

حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ، وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلي عنده بالجنائز، فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأقبل أبو أيوب مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله. ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه حتى بني له مسجده ، بنيت له مساكنه ومنزل علي عليه السلام ، فتحولا إلى منازلهما .

فقال سعيد بن المسيب لعلي بن الحسين: جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول الله حين أقبل إلى المدينة فأين فارقه؟ فقال: إن أبا بكر لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قبا فنزل بهم ينتظر قدوم علي عليه السلام فقال له أبو بكر: إنهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم ، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً ، فما أظنه يقدم عليك إلى شهر ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا ما أسرعه ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل ، وأحب أهل بيتي إليَّ ، فقد وقاني بنفسه من المشركين. قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام ، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام ، وأول خلاف على رسول الله صلى الله عليه وآله ! فانطلق حتى دخل المدينة وتخلف رسول الله صلى الله عليه وآله بقبا ينتظر علياً عليه السلام.

قال: فقلت لعلي بن الحسين: فمتى زوج رسول الله فاطمة من علي عليهما السلام؟ فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة ، وكان لها يومئذ تسع سنين.

قال علي بن الحسين عليه السلام: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام، وقد كانت خديجة ماتت قبل الهجرة بسنة ، ومات أبو طالب بعد موت خديجة [بسنة] فلما فقدهما رسول الله سئم المقام بمكة ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفار قريش ، فشكا إلى جبرئيل ذلك فأوحى الله عز وجل إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة ، فليس لك اليوم بمكة ناصر وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله إلى المدينة.

فقلت له: فمتى فرضت الصلاة على المسلمين على ما هم عليه اليوم؟ فقال: بالمدينة حين ظهرت الدعوة وقوي الإسلام ، وكتب الله عز وجل على المسلمين الجهاد ، وزاد رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة سبع ركعات: في الظهر ركعتين وفي العصر ركعتين وفي المغرب ركعة وفي العشاء الآخرة ركعتين ، وأقر الفجر على ما فرضت لتعجيل نزول ملائكة النهار من السماء ، ولتعجيل عروج ملائكة الليل إلى السماء ، وكان ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر ، فلذلك قال الله عز وجل: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً. يشهده المسلمون ويشهده ملائكة النهار وملائكة الليل ».

٨- نزل النبي صلى الله عليه وآله في قباء ضاحية المدينة

في إعلام الورى/٤١ ، عن الزهري:« كان بين ليلة العقبة و بين مهاجرة رسول الله ثلاثة أشهر ، وكانت بيعة الأنصار لرسول الله ليلة العقبة في ذي الحجة ، وقدوم رسول الله إلى المدينة في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الإثنين

وكانت الأنصار خرجوا يتوكفون أخباره، فلما أيسوا ورجعوا إلى منازلهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فوافى ذا الحليفة سأل عن طريق بني عمرو بن عوف فدلوه، فرفعه الآل (تلة في الطريق) فنظر رجل من اليهود وهو على أطم له إلى ركبان ثلاثة يمرون على طريق بني عمرو بن عوف فصاح: يا معشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى!

فوقعت الصيحة بالمدينة فخرج الرجال والنساء والصبيان، مستبشرين لقدومه يتعاودوْن، فوافى رسول الله صلى الله عليه وآله وقصد مسجد قبا ونزل، واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف، وسُرُّوا به واستبشروا واجتمعوا حوله. ونزل على كلثوم بن الهَدْم شيخ من بني عمرو صالح مكفوف البصر، واجتمعت بطون الأوس، وكان بين الأوس والخزرج عداوة فلم يجسروا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان بينهم من الحروب فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يتصفح الوجوه فلا يرى أحداً منَ الخزرج، وقد كان قدم على عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله ناس من المهاجرين فنزلوا فيهم».

وفي مناقب آل أبي طالب:١٥١/١:« هاجر إلى المدينة وأمر أصحابه بالهجرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وكانت هجرته يوم الإثنين، وصار ثلاثة أيام في الغار ليُخَيِّب من قصد إليه وروي ستة أيام، ودخل المدينة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول وقيل الحادي عشر، وهي السنة الأولى من الهجرة، فرد التاريخ إلى المحرم. وكان نزل بقبا في دار كلثوم بن الهدم، ثم بدار خيثمة الأوسي ثلاثة أيام ويقال اثني عشر يوماً إلى بلوغ علي وأهل البيت عليهم السلام.

وكان أهل المدينة يستقبلون كل يوم إلى قبا وينصرفون ، فأسس بقبا مسجدهم وخرج يوم الجمعة ونزل المدينة ، وصلى في المسجد الذي ببطن الوادي ».

وفي قصص الأنبياء/٣٣٥ ، وإعلام الورى:١٥٢/١:« فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار ، وبقي رسول الله بقبا نازلاً على كلثوم بن الهدم ، فلما صلى المغرب والعشاء الآخرة جاءه أسعد بن زرارة مقنَّعاً فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وفرح بقدومه ، ثم قال: يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك ، إلا أن بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم ، فكرهت أن آتيهم ، فلما أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأوس: من يجيره منكم؟ فقالوا: يا رسول الله ، جوارنا في جوارك فأجره. قال: لا ، بل يجيره بعضكم. فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: نحن نجيره يا رسول الله فأجاروه ، وكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيتحدث عنده ويصلي خلفه... فبقي خمسة عشر يوماً فوافى علي عليه السلام بعياله ، فلما وافى كان سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة يكسران أصنام الخزرج ، وكان كل رجل شريف في بيته صنم يمسحه ويطيبه ، ولكل بطن من الأوس والخزرج صنم في بيت لجماعة يكرمونه ويجعلون عليه منديلاً ويذبحون له ، فلما قدم الإثنا عشر من الأنصار أخرجوها من بيوتهم وبيوت من أطاعهم ، فلما قدم السبعون كثر الإسلام وفشا ، وجعلوا يكسرون الأصنام».

وقال اليعقوبي في تاريخه:٤٠/٢: « قدم رسول الله المدينة يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وقيل يوم الخميس لاثني عشرة ليلة خلت منه... فنزل على كلثوم بن الهدم فلم يلبث إلا أياماً حتى مات كلثوم ، وانتقل فنزل على سعد بن خيثمة في بني عمرو بن عوف فمكث أياماً.

ثم كان سفهاء بني عمرو ومنافقوهم يرجمونه في الليل ، فلما رأى ذلك قال: ما هذا الجوار؟ فارتحل عنهم وركب راحلته وقال: خلوا زمامها... ».

وفي سيرة ابن هشام:٣٤٠/٢:« كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله (ص) ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارة... فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله (ص) علينا فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلة هذا جدُّكم قد جاء...كان رسول الله (ص) إذا خرج من منزل كلثوم بن هندم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة.. ونزل أبو بكر الصديق على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح . (في الجهة الأخرى للمدينة).

ثم قال ابن هشام: « وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله(ص) الودائع التي كانت عنده الناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم بن هدم.. قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله (ص) بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده.. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ».

٩- نشيد أهل المدينة: طلع البدر علينا

في المبسوط للطوسي: ٢٢٤/٨: « وأما الحداء وهو الشعر الذي تحث بـه العـرب الإبـل على الإسراع في السير ، فهو مباح وهو ممدود لأنه من الأصـوات كالـدعاء والنـداء والثغاء والرغاء... وروي أن النبي صلى الله عليه وآله كان في سفر فأدرك ركباً من تميم معهم حاد ، فأمرهم بأن يحدو وقال: إن حادينا نام آخر الليل... فأما الكلام في الشعر ، فهو مبـاح أيضاً ما لم يكن فيه هجو ولا فحش ولا تشبيب بـامرأة لا يعرفهـا.. روى عمـرو بـن الشريد ، عن أبيه قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هل معك من شعر أمية بـن أبـي الصلت شئ ؟ قال قلت: نعم ، قال: هيه ، قال فأنشدته بيتاً فقال: هيه ، فأنشدته حتـى بلغت مائة بيت... فإذا ثبت أنه مباح فقد روي كثير مما سمعه النبي صلى الله عليه وآله ولم ينكـره ، فمن ذلك ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة استقبله فتيان المدينة وأنشدوا:

طلـع البـدر علينـا ... مـن ثنيـات الـوداع
وجـب الشـكر علينـا ... مـا دعـا لله داع
[أنـت يـا مرسـل حقـاً ... جئـت بـالأمر المطـاع
جئتنـا تسـعى رويـداً ... مرحبـا يـا خيـر سـاع
جئـت شـرفت المدينـة ... مرحبـاً يـاخير داع
يـا نبيـاً مـن ضـياه ... أشـرقت كـل البقـاع
قـد لبسـنا ثـوب عـز ... بعـد تمزيـق الرقـاع
ربنـا صـل علـى مـن ... حـل فـي خيـر البقـاع]

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله أزقة المدينة فسمع جواري لبني النجار ينشدن:

نحـن جـوارٍ مـن النجـار ... يـا حبـذا محمـدٌ مـن جـار

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتحبوني؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله. قال: أنا والله أحبكم ثلاث مرات ». وإعلام الورى: ١٥١/١، والصراط المستقيم: ١٥٨/١، والبحار: ١٠٥/١٩ ، ومستدرك سفينة البحار: ٤٤٦/٥ ، وفتح الباري: ٩٨/٨، وعمدة القاري: ٦٠/١٧.

وأشكل في الصحيح من السيرة: ١٠٩/٤، على رواية هذا النشيد بأن ثنيات الوداع ليست من جهة مكة بل من جهة الشام ، لكن لو صح ذلك جغرافياً فلا يضر بالرواية ، لأن ثنيات الوداع تعني التلال التي يودع منها أهل البلد مسافريهم ويستقبلونهم ، فيكون المطلع شائعاً عند أهل المدينة ، فأنشدوه للنبي صلى الله عليه وآله وأكملوه بما يناسب. وقد ورد أن إماء مكة استقبلن النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة بنفس النشيد. (تاج العروس:٥٠٠/١١).

١٠- ترك أبو بكر النبي صلى الله عليه وآله بقباء وذهب غاضباً !

تقدم من إعلام الورى:١٥٢/١، وقصص الأنبياء/٣٣٥ ، أن أبا بكر أراد من النبي أن يدخل المدينة فقال صلى الله عليه وآله:« لأريم من هذا المكان حتى يوافيني أخي علي بن أبي طالب..فقال أبو بكر: ما أحسب علياً يوافي! قال: بلى ما أسرعه إن شاء الله. فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار».

وفي الكافي: ٣٣٨/٨:« فقال له أبو بكر: إنهض بنا إلى المدينة ، فإن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولاتقم هاهنا تنتظر علياً ، فما أظنه يقدم عليك إلى شهر ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا ما أسرعه ، ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إليَّ ، فقد وقاني بنفسه

من المشركين. قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز ، وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام.. فانطلق حتى دخل المدينة ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وآله بقبا ينتظر علياً».

أقول: غطى رواة السلطة ترك أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله في قباء ، فلم يصرحوا به ، قال ابن هشام: ٣٤٢/٢: «نزل النبي صلى الله عليه وآله في قباء... ونزل أبو بكر على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح » .

وفي الطبقات: ١٧٤/٣:« نزل أبو بكر على خارجة بن زيد بن أبي زهير وتزوج ابنته ولم يزل في بيت الحارث بن الخزرج بالسنح حتى توفي رسول الله (ص)».

وفي أسد الغابة: ٢١٩/٣: «وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر ، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى المدينة ».

وقال ابن خلدون (٢ق١٥/٢):« ونزل عليه السلام بقبا على سعد بن خيثمة ، وقيل على كلثوم بن الهدم ، ونزل أبو بكر بالسنح في بني الحرث ».

وكذب ابن أبي الحديد كذباً صريحاً للتغطية على أبي بكر ! فقال في شرح النهج:٣٠٥/١٣:«وأما حال علي فلما أدى الودائع ، خرج بعد ثلاث من هجرة النبي صلى الله عليه وآله فجاء إلى المدينة راجلاً قد تورمت قدماه فصادف رسول الله صلى الله عليه وآله نازلاً بقباء على كلثوم بن الهدم فنزل معه في منزله. وكان أبو بكر نازلاً بقباء أيضاً في منزل خبيب بن يساف ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهما معه من قباء».

ومنزل ابن يساف في السنح وليس بقباء ! والسنح يقع في العالية ، وهي خارج المدينة باتجاه نجد ، « قال عياض: هذا حد أدناها وأبعدها ثمانية أميال ، وبه جزم ابن عبد البر ، وصاحب النهاية ». (الصحيح من السيرة: ٦٣/١١).

١١- إسلام سلمان الفارسي في قباء

١. جاءت مجموعات من اليهود بعد نبي الله عيسى عليه السلام، وسكنت الجزيرة بانتظار النبي الموعود ، وكان بعض الناس من غير اليهود ينتظرون ظهوره أيضاً ، منهم سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي أعجبته المسيحية فترك المجوسية وهاجر الى الشام ، ثم الى العراق وتركيا وعاش مع علمائهم ورهبانهم ، ثم جاء الى أرض العرب ينتظر النبي الموعود .

ففي كمال الدين/١٦١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«كان بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وآله خمسمائة عام ، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر . قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام. قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين. ثم قال عليه السلام: ولا يكون الأرض إلا وفيها عالم .

وكان ممن ضرب في الأرض لطلب الحجة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فلم يزل ينتقل من عالم إلى عالم ومن فقيه إلى فقيه ، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار ، منتظراً لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وآله ، أربعمائة سنة ، حتى بشر بولادته ، فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبي» .

ووجد سلمان في المدينة امرأة فارسية، جاءت قبله تنتظر النبي الموعود صلى الله عليه وآله ! « قال سلمان: لما قدمت المدينة رأيت امرأة إصبهانية كانت قد أسلمت قبلي ، فسألتها عن

رسول الله فهي التي دلتني على رسول الله صلى الله عليه وآله». (طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان: ١٢٣/١، والإصابة لابن حجر: ٢٩/٨، وأخبار إصبهان: ٤٤/١)

«كان سلمان الفارسي عبداً لبعض اليهود ، وقد كان خرج من بلاده من فارس يطلب الدين الحنيف الذي كان أهل الكتب يخبرونه به ، فوقع إلى راهب من رهبان النصارى بالشام فسأله من ذلك وصحبه فقال: أطلبه بمكة مخرجه ، واطلبه بيثرب فَثَمَّ مهاجره. فقصد يثرب فأخذه بعض الأعراب فسَبَوْهُ ، واشتراه رجل من اليهود فكان يعمل في نخله ، وكان ذلك اليوم على النخلة يصرمها ، فدخل على صاحبه رجل من اليهود فقال: يا أبا فلان أشعرت أن هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيهم؟ فقال سلمان: جعلت فداك ما الذي تقول؟ فقال له صاحبه: ما لك وللسؤال عن هذا ! أقبل على عملك ! قال فنزل وأخذ طبقاً وصير عليه من ذلك الرطب وحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله: ما هذا ؟ قال: صدقة تمورنا ، بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد فأحببت أن تأكلوا من صدقتنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سَمُّوا وكلوا. فقال سلمان في نفسه وعقد بإصبعه: هذه واحدة يقولها بالفارسية ، ثم أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا؟ فقال له سلمان رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أهديتها إليك. فقال: سموا وكلوا ، وأكل ، فعقد سلمان بيده: اثنين ، وقال: هذه اثنان يقولها بالفارسية ، ثم دار خلفه فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتفه الإزار فنظر سلمان إلى خاتم النبوة و الشامة فأقبل يقبلها ! قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل فارس قد خرجت من

بلادي منذ كذا وكذا ، وحدثه بحديثه وبه طول ، فأسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أبشر واصبر ، فإن الله سيجعل لك فرجاً من هذا اليهودي». (إعلام الورى/٤٢).

وفي إعلام الورى:٦٠/١:« وكان آخر من أتى (سلمان) آبي ، فمكث عنده ما شاء الله ، فلما ظهر النبي قال آبي: يا سلمان إن صاحبك الذي تطلبه بمكة قد ظهر ، فتوجه إليه سلمان ». (كمال الدين/٦٦٥).

وحدَّث سلمان رحمه الله أنه عاش مع راهب في عمورية في تركيا ، فلما حضره الموت أوصاه أن يقصد بلاد العرب ، لأنه اقترب ظهور النبي الموعود صلى الله عليه وآله:

«قال: أي بني والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ! ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل ، وإن فيه علامات لاتخفى: بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه. فلما واريناه أقمت على خير، حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنمتي هذه وبقراتي، قالوا نعم فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى».

ثم باعه مالكوه الى أقاربهم من قريظة في المدينة ، فكان عبداً لهم نحو سنتين حتى هاجر النبي صلى الله عليه وآله قال:« فوالله إني لفي رأس عذق إذ جاء ابن عم له فقال: قاتل الله بني قَيْلَة ، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي ! فوالله ما هو الا أن سمعتها فأخذتني العرواء يقول الرعدة ، حتى

ظننت لأسقطن على صاحبي ، ونزلت أقول ما هذا الخبر وما هو؟ فرفع مولاي فلكمني لكمة شديدة وقال: ما لك ولهذا أقبل قبل عملك ! فقلت لا شئ إنما سمعت خبراً وأحببت أعلمه ، فلما أمسيت وكان عندي شئ من طعام فحملته وذهبت إلى رسول الله (ص) وهو بقبا فقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شئ للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به ، فها هو هذا فكل منه ، فأمسك رسول الله (ص) يده وقال لأصحابه: كلوا ولم يأكل فقلت في نفسي هذه خلة مما وصف لي صاحبي... فاستدرت لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رآني رسول الله (ص) أستدير عرف أني استثبت من شئ قد وصف لي فوضع رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي، فأكببت عليه أقبله وأبكي ! فقال: تحول يا سلمان هاكني، فتحولت فجلست بين يديه وأحب أن يسمع أصحابه حديثي فحدثته». (ابن إسحاق: ٦٨/٢ وأحمد:٤٤٣/٥) .

وحدَّث سلمان عن عمله الشاق عند ذلك اليهودي فقال:« فكنت أسقي كما يسقي البعير حتى دَبَر ظهري وصدري (تأثر وجرح) من ذلك ، ولا أجد أحداً يفقه كلامي حتى جاءت عجوز فارسية تستقي فكلمتها ففهمت كلامي، فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج دليني عليه؟ قالت: سيمر بك بكرة إذا صلى الصبح». (أخبار أصبهان: ٧٦/١). راجع الملحق رقم (١٥).

○ ○

الفصل الثامن والعشرون

الهجرة العلنية الوحيدة: هجرة علي عليه السلام

١- علي عليه السلام يؤدي أمانات النبي صلى الله عليه وآله جهاراً في مكة

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ٥٣/١: « ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله كان أمين قريش على ودائعهم ، فلما فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكة بغتةً ، لم يجد في قومه وأهله في يأتمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه في رد الودائع إلى أربابها ، وقضاء ما عليه من دين لمستحقيه ، وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه والهجرة بهم إليه ، ولم ير أن أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس ، فوثق بأمانته وعول على نجدته وشجاعته ، واعتمد في الدفاع عن أهله وحامته على بأسه وقدرته ، واطمأن إلى ثقته على أهله وحرمه ، وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن النفس معه إلى إئتمانه على ذلك.

فقام عليه السلام به أحسن القيام ورد كل وديعة إلى أهلها ، وأعطى كل ذي حق حقه ، وحفظ بنات نبيه عليه السلام وآله وحرمه ، وهاجر بهم ماشياً على قدمه يحوطهم من الأعداء ، ويكلؤهم من الخصماء ، ويرفق بهم في المسير ، حتى أوردهم عليه المدينة ، على أتم صيانة وحراسة ورفق ورأفة وحسن تدبير.

فأنزله النبي صلى الله عليه وآله عند وروده المدينة داره، وأحله قراره، وخلطه بحرمه وأولاده ولم يميزه من خاصة نفسه، ولا احتشمه في باطن أمره وسره ».

وقال في السيرة الحلبية: ٢/٢٣٢: « فلما توجه (ص) إلى المدينة قام عليٌّ بالأبطح ينادي: من كان له عند رسول الله وديعة فليأت تُؤَدَّى إليه أمانته.

فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله (ص) بالشخوص إليه، فابتاع ركائب، وقدم ومعه الفواطم ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ».

وروى نحوه مختصراً ابن كثير في النهاية: ٧/٣٧٠، والصالحي في سبل السلام: ٣/٢٦٧.

٢- علي عليه السلام يتحدى قريشاً ويعلن عزمه على الهجرة !

في نهج الإيمان لابن جبر/٣١١، والمناقب: ١/٣٣٥: « ذكر الواقدي وغيره أن علياً عليه السلام لما عزم على الهجرة قال له العباس: إن محمداً ما خرج إلا خِفْياً، وذكر حديثاً ثم قال له: ما أرى أن تمضي إلا في خفارة خزاعة، فقال علي عليه السلام:

إن المنيـة شَـرْبَةٌ مـورودةٌ لا تجـزعنَّ وشُـدَّ للترحيـل

إن ابـن آمنـة النبـي محمـداً رجل صدوقٌ قـال عـن جبريـل

أرْخ الزمام ولا تخفْ من عـائقٍ فـالله يـرديهم إلـى التنكيـل

إنـي بربـي واثـقٌ وبأحمـد وسـبيله متلاحـقٌ بسـبيلي »

أقول: يدل هذا على أن إعلان علي عليه السلام هجرته في ذلك الظرف كان مقصوداً وبأمر النبي صلى الله عليه وآله ! فبعد أن هاجر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أولاً، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وآله

وأفلت من أظافر قريش ! أراد الله تعالى أن تكون هجرة علي عليه السلام بأسرة النبي صلى الله عليه وآله آية لصدق النبوة ، ورسالة قوة ، فقريش تفهم القوة ولا تفهم غيرها !

٣- قريش تدبر محاولة لاغتيال علي عليه السلام قبل هجرته

روى في مناقب آل أبي طالب:٣٣٥/١ ، عن الواقدي ، وأبي الفرج النجدي ، وأبي الحسن البكري ، وإسحاق الطبراني:« أن علياً عليه السلام لما عزم على الهجرة قال له العباس...الى آخر ما تقدم من أبياته عليه السلام ، ثم قال: فكمن له مهلع غلام حنظلة بن أبي سفيان في طريقه بالليل ، فلما رآه سل سيفه ونهض إليه ، فصاح عليٌّ به صيحة خرَّ على وجهه ، وجلله بسيفه ! فلما أصبح توجه نحو المدينة ، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب بثمانية فوارس».

أقول: هذه أول صيحة وأول ضربة سيف من علي عليه السلام صلوات الله عليه .

٤- قريش تدبر مكيدة مالية لعلي عليه السلام قبل هجرته

روى في مناقب آل أبي طالب: ١٧٥/٢ ، عن الواقدي ، وإسحاق الطبري:« أن عمير بن وابل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان أن يدعي على علي عليه السلام ثمانين مثقالاً من الذهب وديعة عند محمد صلى الله عليه وآله ، وأنه هرب من مكة وأنت وكيله ، فإن طلب بينة الشهود فنحن معشر قريش نشهد عليه ، وأعطوه على ذلك مائة مثقال من الذهب ، منها قلادة عشر مثاقيل لهند ، فجاء وادعى على علي عليه السلام ، فاعتبر

الودايع كلها ورأى عليها أسامي أصحابها ، ولم يكن لما ذكره عمير خبر ، فنصح له نصحاً كثيراً فقال: إن لي من يشهد بذلك وهو أبو جهل ، وعكرمة ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبو سفيان ، وحنظلة !

فقال عليه السلام: مكيدة تعود إلى من دبرها ، ثم أمر الشهود أن يقعدوا في الكعبة ، ثم قال لعمير: يا أخا ثقيف أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أي الأوقات كان؟ قال: ضحوة نهار فأخذها بيده ودفعها إلى عبده .

ثم استدعى بأبي جهل وسأله عن ذلك قال: ما يلزمني ذلك .

ثم استدعى بأبي سفيان وسأله فقال: دفعها عند غروب الشمس ، وأخذها من يده وتركها في كمه ! ثم استدعى حنظلة وسأله عن ذلك فقال: كان عند وقت وقوف الشمس في كبد السماء ، وتركها بين يديه إلى وقت انصرافه !

ثم استدعى بعقبة وسأله عن ذلك فقال: تسلمها بيده وأنفذها في الحال إلى داره وكان وقت العصر ! ثم استدعى بعكرمة وسأله عن ذلك فقال: كان بزوغ الشمس أخذها فأنفذها من ساعته إلى بيت فاطمة !

ثم أقبل على عمير وقال له: أراك قد اصفر لونك وتغيرت أحوالك !

قال: أقول الحق ولا يفلح غادر ، وبيت الله ما كان لي عند محمد وديعة ، وإنهما حملاني على ذلك ، وهذه دنانيرهم وعقد هند عليه اسمها مكتوب !

ثم قال علي: إيتوني بالسيف الذي في زاوية الدار فأخذه ، وقال: أتعرفون هذا السيف؟ فقالوا: هذا لحنظلة . فقال أبو سفيان: هذا مسروق .

فقال عليه السلام: إن كنت صادقاً في قولك ، فما فعل عبدك مهلع الأسود؟

قال: مضى إلى الطائف في حاجة لنا ! فقال: هيهات أن يعود تراه ، إبعث إليه أحضره إن كنت صادقاً ! فسكت أبو سفيان .

ثم قام عليه السلام في عشرة عبيد لسادات قريش فنبشوا بقعة عرفها ، فإذا فيها العبد مهلع قتيل ، فأمرهم بإخراجه فأخرجوه وحملوه إلى الكعبة ، فسأله الناس عن سبب قتله فقال: إن أبا سفيان وولده ضمنوا له رشوة عتقه وحثَّاه على قتلي ، فكمن لي في الطريق ووثب عليَّ ليقتلني ، فضربت رأسه وأخذت سيفه !

فلما بطلت حيلتهم أرادوا الحيلة الثانية بعمير !

فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله» !

٥- انتظر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في قباء وكتب اليه وطمأنه

في أمالي الطوسي/٤٦٩: «قال أبو عبيدة: قال أبيٌّ وابن أبي رافع: ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التَّلوُّم (التأخر) وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي ، فلما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله تهيأ للخروج والهجرة ، فآذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين ، فأمرهم أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذي طوى.

وخرج علي عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله

وأبو واقد مولى رسول رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم فقال علي: إرفق بالنسوة يا أبا واقد إنهن من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركنا الطلب ! فقال علي عليه السلام: إربع عليك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه ، ثم جعل يعني علياً عليه السلام يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول: ليس إلا الله فارفع ظنَّكا يكفيك رب الناس ما أهمَّكا ».

٦- علي عليه السلام يدوس غطرسة قريش في طريق الهجرة

في أمالي الطوسي/٤٧٠:«وسار فلما شارف ضجنان أدركه الطلب ، وعددهم سبعة فوارس من قريش مستلثمين وثامنهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناحاً ، فأقبل علي عليه السلام على أيمن وأبي واقد ، وقد تراءى القوم ، فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها ، وتقدم حتى أنزل النسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم عليه السلام منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه فقالوا: أظننت أنك يا غُدَر ناج بالنسوة؟! إرجع لا أباً لك !

قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً أو لنرجعن بأكثرك شعراً ، وأهون بك من هالك ! ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها ، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها ، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي عليه السلام عن ضربته ، وتختله علي فضربه على عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مسَّ كاثبة فرسه ، فكان عليه السلام يشد على قدمه شد الفارس على فرسه ، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهدِ آليت لا أعبدُ غير الواحدِ

فتصدع عنه القوم وقالوا له: أغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب. قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله بيثرب فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه فليتعقبني أو فليدن مني. ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما ».

والكائبة: مجتمع الكتف ! وهذه ثاني ضربة سيف لعلي ، صلوات الله عليه .

٧- فاطمة بنت أسد أول مسلمة هاجرت مشياً

اختارت فاطمة بنت أسد رحمها الله أن تهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وآله ماشية على قدميها ، تحتسب ذلك عند الله تعالى ، ففي الكافي:٤٥٣/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها ، وكانت من أبر الناس برسول الله صلى الله عليه وآله .

وروى عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل مال قد خفت تواه (ذهابه) فشكوت إليه ذلك فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين ، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين ، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين ، ثم ادع أن يرد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا ، وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني ، تعال إقبض مالك».

٨- آيات القرآن تصف علياً عليه السلام ورفقاءه في الهجرة

في أمالي الطوسي/٤٧١:«ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان ، فتلوم بها قدر يومه وليلته ، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين ، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فظل ليلته تلك هو والفواطم أمه فاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت الزبير ، طوراً يصلون ، وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى عليه السلام بهم صلاة الفجر ، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل ، لا يفتر عن ذكر الله ، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه ، حتى قدموا المدينة ، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم ، بقوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ.

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاتُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاتُخْلِفُ الْمِيعَادَ. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. (آل عمران: ١٩٠-١٩٥).

الذَّكَر علي عليه السلام ، والأنثى الفواطم المتقدم ذكرهن ، وهن فاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير . بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ: يقول: علي من فاطمة أو قال: الفواطم ، وهن من علي عليه السلام. وتلا صلى الله عليه وآله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ، وقال: يا علي ، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله ، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله ، وآخرهم عهداً برسوله ، لا يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر ».

٩- بخل السلطة برواية هجرة أمير المؤمنين عليه السلام

كأن رواة السلطة تلقوا تعليماً بأن يختصروا هجرة علي عليه السلام ولا يذكروا ما حدث معه في مكة ، ولا لحاق فرسان قريش به وقتله كبيرهم جناح ، وكذا نزول آيات في عبادته ووالدته وفاطمة عليها السلام ورفقائهم في طريق الهجرة ، ولا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في مدحه ! فذلك يرفع من قدره ، ويجعل خلفاء السلطة تحت الشعاع !

قال ابن هشام: ٣٣٥/٢: « قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر. أما علي فإن رسول الله (ص) فيما بلغني أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته ».

وقال في: ٣٤٢/٢: «وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده الناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم بن هدم». ونحوه تاريخ الطبري: ١٠٦/٢، وغيره!

وتفضل بعضهم فزاد شيئاً لعلي عليه السلام فقال: «لما قدم علي من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه، فاعتنقه النبي (ص) وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرَّهما على قدميه، فلم يشكهما بعد ذلك! ولا مانع من وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه، لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشياً، رغبة في عظيم الأجر». (السيرة الحلبية: ٢٣٣/٢).

وفي طبقات ابن سعد: ٢٢/٣: «عن أبي رافع عن علي قال: لما خرج رسول الله (ص) إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثاً فكنت أظهر، ما تغيبت يوماً واحداً، ثم خرجت، فجعلت أتبع طريق رسول الله (ص) حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله (ص) مقيم فنزلت على كلثوم بن الهدم وهنالك منزل رسول الله... قدم علي للنصف من شهر ربيع الأول ورسول الله بقباء لم يُرمْ بعد». (تاريخ دمشق: ٦٩/٤٢).

وكثرت مكذوبات الحكومة في أحاديث هجرة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وأسرته، حتى زعموا أن علياً عليه السلام لم يؤد أمانات النبي صلى الله عليه وآله، ولم يهاجر بأسرة النبي صلى الله عليه وآله!

قال في الطبقات: ٢٣٧/١: « وبعث رسول الله من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة ، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله(ص) وسودة بنت زمعة » !

١٠- حسدوا علياً عليه السلام وسرقوا مناقبه وأعطوها لعمر !

فقد هاجر عمر قبل النبي صلى الله عليه وآله بسنة ، سراً خوفاً من قريش ، وواعد هشام بن العاص عند إضاة بني غفار في المدينة ، ولم يواعده في أطراف مكة ولا في الطريق ! (التنبيه للمسعودي/٢٠٠، والدرر/٧٧، والإمتاع: ١٨٨/٩، والسيرة الحلبية: ١٨٣/٢، وغيرها).

بل روى الذهبي في تاريخه: ٣١٣/١، بسند صحيح عندهم: «فلما اشتدوا على رسول الله (ص) وأصحابه أمر رسول الله أصحابه بالهجرة فخرجوا رَسْلاً رسلاً..». وعدَّدَ في الذين هاجروا عمر وجماعة ، وكان ذلك قبل شهور أو سنة من هجرة النبي صلى الله عليه وآله !

ومع ذلك سرقوا صفة هجرة علي عليه السلام وحرفوها وألبسوها لعمر ، ثم جعلوا روايتها على لسان علي عليه السلام ! فقال كما زعموا: « ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب» ! (أسد الغابة: ٥٨/٤).

قال في الصحيح من السيرة: ١٩٥/٤: «ونحن نقطع بعدم صحة هذا الكلام ، لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعة.. لما تقدم في حديث إسلامه عن البخاري وغيره من أنه حين أسلم اختبأ في داره خائفاً حتى جاءه العاص بن وائل فأجاره فخرج حينئذٍ ». ثم عدد صاحب الصحيح فراره في الحروب وما عرف من جبنه .

أقول: وثق في مجمع الزوائد (٦١/٦) حديث عمر عن نفسه ، بأنه تواعد مع اثنين عند مشارف المدينة ، فحبس أحدهما ونجا الآخر ! وقال البخاري(٢٦٤/٢) إن عمر هاجر في عشرين ولم يسمهم أحداً منهم ! ولا وصف هجرته كيف كانت !

لكن ابن الجوزي قال في المدهش/٢٢٤: «هاتوا لنا مثل عمر كل الصحابة هاجروا سراً وعمر هاجر جهراً ، وقال للمشركين قبل خروجه: ها أنا على عزم الهجرة ، فمن أراد أن يلقاني فليلقني في بطن هذا الوادي» !

لكن كيف نصدق كلامهم ونحن نرى أن عمر غاب عند كل خطر تعرض له النبي صلى الله عليه وآله ، وتركه وهرب في معارك أحد والخندق وخيبر وحنين ، وغيرها !

كما لا نجد له دوراً في نزول النبي صلى الله عليه وآله في قباء ، ولا في بناء المسجد النبوي. بل حرص أن ينزل في المدينة قرب اليهود وكان يحضر دروسهم ، فنزل في العوالي وهي خارج المدينة ، وقال كما في صحيح بخاري:٣١/١: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله(ص)ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك». وبنو أمية بن زيد جيران يهود بني قريظة ، وبني زريق . (تاريخ المدينة: ١٧٠/١، وابن إسحاق: ٢٩٩/٣، وابن هشام: ٥٦٩/٢).

وبنو زريق هم الذين كتبوا لعمر التوراة ليتبناها النبي صلى الله عليه وآله:«جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله فقال يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق فتغير وجه رسول الله» ! (مجمع الزوائد: ١٧٤/١، ووثقه).

○ ○

الفصل التاسع والعشرون

النبي صلى الله عليه وآله يؤسس مسجد قباء

١- مسجد قباء: أول مسجد أسس على التقوى

قال الله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. (١٠٧).

وفي التهذيب: ١٧/٦، قال الإمام الصادق عليه السلام لمعاوية بن عمار رحمه الله: «لا تدع إتيان المشاهد كلها: مسجد قُبا فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يومٍ، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد الفضيخ، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح».

وقال عليه السلام كما في جواهر الكلام: ١٠٨/٢٠: «هل أتيتم مسجد قبا أو مسجد الفضيخ أو مشربة أم إبراهيم؟ فقلت: نعم، فقال: إنه لم يبق من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله شئ إلا وقد غُيِّر غير هذا! وقال عليه السلام أيضاً في مرسل حريز المروي عن مزار ابن قولويه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مسجد قبا فصلى فيه ركعتين رجع بعمرة... إبدأ بقبا فصل فيه وأكثر فيه، فإنه أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه العرصة». راجع: تفسير العياشي: ١١١/٢، والصحيح من السيرة: ١٣٠/٤، وكامل الزيارات/٦٤، و٦٦، والفقيه: ٢٢٩/١.

ويظهر أن لروح النبي صلى الله عليه وآله ارتباطاً بمسجد قباء، فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام احتج على أبي بكر بعد السقيفة وقال له هل تتوب إن رأيت النبي صلى الله عليه وآله وأمرك برد

الحق الى صاحبه؟ قال نعم ، فأخذه الى مسجد قباء ورأى النبي صلى الله عليه وآله جالساً في محرابه وأمره برد الحق الى صاحبه ! (بصائر الدرجات/٢٩٧، والإختصاص/٢٧٢).

٢- مسجد الضرار خطة رومية مقابل مسجد قباء !

قال الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لايَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. (التوبة: ١٠٧-١١٠).

كان مسجد الضرار عملاً من جماعة أبي عامر الراهب ، الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله أبا عامر الفاسق ، وقد بنوهُ في السنة التاسعة للهجرة ليكون مقراً لهم ، فكشفهم الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله أن يهدمه فهدمه ، وجعله المسلمون موضع كناسة !

وقد رأيت موضعه قبل نحو أربعين سنة ، الى يسار الداخل الى مسجد قباء ، وكان محل قمامة ، لكن الوهابيين أزالوه .

وفي تفسير القمي:١/٣٠٥: « قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ، فإنه كان سبب نزولها أنه جاء قوم من المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم للعليل والليلة المطيرة والشيخ الفاني؟

فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على الخروج إلى تبوك ، فقالوا: يا رسول الله لو أتيتنا فصليت فيه؟ قال صلى الله عليه وآله: أنا على جناح سفر فإذا وافيت إن شاء الله أتيته فصليت فيه فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد وأبي عامر الراهب... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ، يعني أبا عامر الراهب كان يأتيهم في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه. وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ: يعني مسجد قبا ، أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. قال كانوا يتطهرون بالماء. وقوله: أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: مسجد ضرار الذي أسس عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ.. فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله مالك بن الدخشم الخزاعي وعامر بن عدي على أن يهدموه ويحرقوه ، فجاء مالك فقال لعامر: إنتظرني حتى أخرج ناراً من منزلي، فدخل فجاء بنار وأشعل في سعف النخل ثم أشعله في المسجد فتفرقوا ، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البلية ، ثم أمر بهدم حائطه».

وقال ابن هشام (٩٥٦/٤):« وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خذام بن خالد ، من بني عبيد بن زيد ، أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب ، من بني أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد. وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو

بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه: مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية. ونبتل بن الحارث من بني ضبيعة. وبحزج من بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو من بني أمية بن زيد». وهم على مبناهم صحابة عدول !

٣- أبو عامر الراهب الفاسق مندوب هرقل

في أعيان الشيعة: ٢٨٤/١: « وقوله تعالى: وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ: يراد به أبو عامر الراهب ، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح (ثياب خشنة من الشعر ونحوه) فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة حزَّب عليه الأحزاب ، ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا عامر الفاسق ».

وفي الصحيح من السيرة: ١٣٠/٤: « عن سعيد بن المسيب...أبو عامر النعمان بن صيفي الراهب ، الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله: الفاسق ، كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وآله: ما هذا الذي جئت به ؟

قال: جئت بالحنيفية دين إبراهيم ، قال: فأنا عليها ، فقال صلى الله عليه وآله: لست عليها لكنك أدخلت فيها ما ليس منها. فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: نعم أمات الله الكاذب منا كذلك ! وإنما قال هذا يعرض برسول الله صلى الله عليه وآله حيث خرج من مكة .

فلما كان يوم أحُد قال أبو عامر لرسول الله: إن أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الروم، وكتب إلى المنافقين: إستعدوا فإني آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمداً من المدينة ، فمات

بالشام طريداً وحيداً. وفيه نزل: وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ». وبحار الأنوار: ٣٦/٢٢، وتفسير الثعلبي: ٩٢/٥، وأسباب النزول للواحدي/١٧٥).

وفي شرح النهج: ٢١٩/١٤: «وكان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلاً من الأوس حتى قدم بهم مكة حين قدم النبي صلى الله عليه وآله يحرضها ويعلمها أنها على الحق وما جاء به محمد باطل ! فسارت قريش إلى بدر ولم يسر معها ، فلما خرجت قريش إلى أحد سار معها ، وكان يقول لقريش: إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم اثنان ، وهؤلاء معي نفر منهم خمسون رجلاً. فصدقوه بما قال ، وطمعوا في نصره».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٤٨٨: «قال موسى بن جعفر عليه السلام: وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله غانماً ظافراً (من تبوك) وأبطل الله تعالى كيد المنافقين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإحراق مسجد الضرار ، وأنزل الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً.. الآيات . فهذا العجل في حياته صلى الله عليه وآله دمر الله عليه وأصابه بقولنج وبرص وجذام وفالج ولقوة ، وبقي أربعين صباحاً في أشد عذاب ، ثم صار إلى عذاب الله تعالى ». راجع في قصة أبي عامر الراهب: البحار: ٢٥٢/٢١، وشرح النهج: ٢١٩/١٤، و٢٤٤، وابن هشام: ٤٢٣/٢و: ٩٥٦/٤، ونظرية عدالة الصحابة/٤٥، وقصص الأنبياء للراوندي/٣٥٠، وتفسير الطبري: ٣٨/١١، والإستيعاب: ٣٨١/١.

٤- حنظلة بن أبي عامر الفاسق وابنه عبد الله !

جاء أبو عامر الفاسق مع قريش الى حرب أحُد مع النبي صلى الله عليه وآله وشارك فيها ، وحفر في مواجهة المسلمين حفائر وغطاها ، ليقع المسلمون فيها !

وكان له ولد إسمه حنظلة أسلم ، سمع بحركة النبي صلى الله عليه وآله الى أحد فترك عروسه وقاتل مع النبي صلى الله عليه وآله ، وقصد أبا سفيان وكاد أن يقتله فتكاثر عليه المشركون وقتلوه رضي الله عنه ، فسبحان من يخرج الحي من الميت ، وسيأتي خبره في معركة أحُد.

قال الصدوق في من لايحضره الفقيه: ١٥٩/١: « واستشهد حنظلة بن أبا عامر الراهب بأحُد ، فلم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بغسله وقال: رأيت الملائكة بين السماء والأرض تغسل حنظلة بماء المزن في صحاف من فضة ، وكان يسمى غسيل الملائكة ».

وكان لحنظلة ولد إسمه عبدالله كان رئيس الأنصار في زمنه ، وأوفدوه الى الشام ليتعرف على حقيقة يزيد بن معاوية وما شاع من فسقه وتهتكه: « فقدموا على يزيد وهو بحوارين فنزلوا على الوليد بن عتبة ، فأقاموا عشرة أيام لم يصلوا إلى يزيد ! وانتقل يزيد من حوارين متنزهاً ، وشَخَصَ الوفد معه فأذن لهم يوم جمعة...واعتذر إليهم من تركه الإذن لهم عليه وقال: لم أزل وجعاً من رجلي إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إليَّ أن صخرة سقطت عليها...وأذن لهم في الإنصراف فرجعوا ذامين له مجمعين على خلعه»! (تاريخ دمشق:٢٥٨/٢٦ ، والطبري:٣٨٠/٤).

قال في الطبقات:٦٦/٥:«أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له ، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ! إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ! والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً ! فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي».

وهكذا كانت ثورة أهل المدينة بعد كربلاء بسنتين ، فأرسل اليهم يزيد جيشاً أمعن تقتيلاً في بقية الصحابة والتابعين ، واستباح المدينة وقتل عبد الله بن حنظلة . راجع ما كتبناه عن الموضوع في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام.

○ ○

الفصل الثلاثون

فريضة الهجرة وحقوق المهاجرين في الإسلام

١- أمر النبي صلى الله عليه وآله جميع المسلمين بالهجرة

اتفقت المصادر على أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل مصعب بن عمير الى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى، وكان عدد المسلمين فيها أربعين مسلماً، ثم تكاثروا وجاء منهم في الموسم نحو سبعين وبايعوا النبي صلى الله عليه وآله، فأمر المسلمين بالهجرة اليهم، فهاجروا وانتظر هو حتى أمره ربه بالهجرة فهاجر، ثم هاجر على أثره علي عليه السلام.

وبهذا نجحت خطة النبي صلى الله عليه وآله في إيجاد قاعدة تحميه من قريش، وتوفر له الجو المناسب ليبلغ رسالة ربه عز وجل، على رغم أنف قريش وفعالياتها المستميتة لقتله صلى الله عليه وآله، ومنعها هجرة أصحابه!

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٠٠: «كان رسول الله (ص) أمر أصحابه قبل هجرته بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً فكان أولهم قدوماً أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش الأسدي، وعمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة».

وفي أسباب النزول للواحدي/١٦٤: «لما أمر رسول الله (ص) بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى

ذلك ويعجبه ، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده ، فيقولون: نشدناك الله أن تدعنا إلى غير شئ فنضيع ، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة ، فنزل بعتابهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإيمان.. ونزل في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ..».

وقال المقريزي في إمتاع الأسماع:١/٥٥: « واشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله (ص) في الهجرة إلى المدينة ، فبادروا إلى ذلك وتجهزوا إلى المدينة في خفاء وستر وتسللوا ، فيقال: إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة وجعلوا يترافدون بالمال والظهر ويترافقون ، وكان من هاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجلاً من قومه ، فمنهم من حفظ من أودعه ، ومنهم من باع... أول من هاجر بعد العقبة الأخيرة وخرج أول الناس أبو سلمة...ثم هاجر عمر...ثم تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة أرسالاً» .

٢- جعل الله الهجرة ميزاناً للإيمان والحقوق

١. اعتبر الإسلام الهجرة ميزاناً في تقييم المسلمين وعلاقاتهم وحقوقهم . وقد بدأت

منذ أمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين المضطهدين بالهجرة الى الحبشة ، ثم أمر الباقين بالهجرة الى المدينة قبل هجرته هو بأكثر من سنة . ثم أوجب الهجرة الى المدينة

على من يسلم ، إلا أن يطلب منه البقاء في مكانه ، واستمرت الهجرة الى فتح مكة فلا هجرة بعد الفتح ، إلا الهجرة الى الإمام عليه السلام ، والى طلب العلم ، والهجرة من البلاد التي ينقص فيها دينه !

٢. *وتضمنت آيات الهجرة مديحاً كبيراً للمهاجرين ، بشرط أن يكونوا مخلصين ،*

فقال تعالى: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.(النحل: ٤١-٤٢).

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ.(الحج: ٥٨-٥٩).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (البقرة:٢١٨). وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنصار وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. (١٠٠).

وقد نزلت أوائل آيات الهجرة في مدح علي والزهراء عليهما السلام ومن هاجر معهما كما تقدم ، فقال تعالى:« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ..الآيات من آل عمران.

٣. *وتضمنت حث الأنصار والمسلمين الميسورين على مساعدة المهاجرين ،*

وشرعت لهم حقوقاً، فقال تعالى: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاتُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (النور: ٢٢).

مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . (الحشر:٧-١٠).

٤. وجعلها الإسلام شرطاً لوجوب الولاية والتناصر ، فمن لم يهاجر لاتجب ولايته:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. (الأنفال:٧٢-٧٥).

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً. وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا

تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا. إلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً.(النساء: ٨٨-٩٠).

٥. وأوجب الله الهجرة على كل المسلمين يومذاك ، وأسقطها فقط عن العاجزين: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأرض قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً. فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَعَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا. وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأرض مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا. (النساء: ٩٧-١٠٠).

٦. والمهاجرون درجات ككل الناس ، ومنهم من يذنب ثم يتوب يتوب الله عليه:

لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصار الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَالتَّوَّابُ الرَّحِيمُ . ((١١٧-١١٨).

٧. ومع فضل المهاجرين ، فضل الله المجاهدين منهم ومن غيرهم على القاعدين:

لايَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ

الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيمًا. دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيمًا . (النساء: ٩٥-٩٦).

٨. بل فضّل الله الجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله على كل مناصب الشرف التي تفخر بها قريش:

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لايَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإيمان وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. ((١٦-٢٤).

٩. ومع ولاية المهاجرين وأخوّتهم لبعضهم ، أبقى الله التوارث بقي حسب النسب

فقال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً. (الأحزاب: ٦).

٣- معنى حجية ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار

تتكون أمة النبي صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، وقد أخرج منها طلقاء قريش وعتقاء ثقيف وذرياتهم الى يوم القيامة فقال صلى الله عليه وآله: «المهاجرون

والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة» . روته مصادر السنيين بأسانيد فيها الصحيح على شرط الشيخين ، كأحمد:٣٦٣/٤، بروايتين ، ومجمع الزوائد:١٥/١٠. وأفتى عمر بأن الحكم محرم على الطلقاء فقال كما في الطبقات:٣٤٢/٣:«هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطليق، ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شئ». وتاريخ دمشق:١٤٥/٥٩.

وقد جعل الإسلام ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار حجة شرعية وكاشفاً عن الحكم الشرعي الصحيح ، وسببه أن العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام في هذه المجموعة فإجماعها يتضمن رأي الإمام المعصوم عليه السلام الذي هو حجة شرعية كالقرآن ، بنص النبي صلى الله عليه وآله:«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» .

ولذا احتج علي عليه السلام على معاوية بأنك إن لم تعترف بالنص النبوي على الخلافة ، فإن المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا على بيعتي فوجب عليك القبول !

قال عليه السلام لأبي هريرة وأبي الدرداء عندما جاءاه برسالة معاوية:« قد أبلغتماني عنه فأبلغاه عني وقولا له: إن عثمان بن عفان لا يعدو أن يكون أحد رجلين ، إما إمام هدى حرام الدم واجب النصرة لا تحل معصيته ولا يسع الأمة خذلانه ، أو إمام ضلالة حلال الدم لا تحل ولايته ولانصرته ، فلا يخلو من إحدى الخصلتين. والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً ، مظلوماً كان أو ظالماً حلال الدم أو حرام الدم، أن لايعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً ولا يقدموا يداً ولا يبدأوا بشئ ، قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً

عارفاً بالقضاء والسنة ، يجمع أمرهم ويحكم بينهم ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه ، ويحفظ أطرافهم ويجبي فيأهم ويقيم حجتهم وجمعتهم ويجبي صدقاتهم ، ثم يحتكمون اليه في إمامهم المقتول ظلماً ويحاكمون قتلته اليه ليحكم بينهم بالحق، فإن كان إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه، وإن كان قتل ظالماً نظر كيف الحكم في ذلك. هذا أول ما ينبغي أن يفعلوه أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم إن كانت الخيرة لهم ويتابعوه ويطيعوه .وإن كانت الخيرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وآله ، فإن الله قد كفاهم النظر في ذلك والإختيار ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد رضي لهم إماماً وأمرهم بطاعته واتباعه». (كتاب سليم/٢٩١).

٤- من أعمال السلطة لتحريف الهجرة ومصادرتها

أ- ظهر مما تقدم أن الهجرة في الإسلام نوعان:

الأول: الهجرة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في عصره وانتهت بفتح مكة ، ففي الكافي:٤٤٣/٥ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا رضاع بعد فطام ، ولا وصال في صيام ، ولا يتم بعد احتلام ، ولا صمت يوم إلى الليل ولا تعرب بعد الهجرة ، ولا هجرة بعد الفتح ، ولا طلاق قبل النكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يمين للولد مع والده ، ولا للمملوك مع مولاه ، ولا للمرأة مع زوجها ، ولا نذر في معصية ، ولا يمين في قطيعة».

ونحوه في مبسوط السرخسي:١٣٥/٥، عن جابر:« لارضاعَ بعد الفصال ، ولايتم بعد الحلم ، ولا صمت يوم إلى الليل ، ولا وصال في صيام ، ولا طلاق قبل النكاح ، ولا

عتق قبل الملك ، ولا وفاء في نذر في معصية ، ولا يمين في قطيعة رحم ، ولاتغـرب بعد الهجرة ، ولا هجرة بعد الفتح».

والنوع الثاني: الهجرة بعد وفاة النبيﷺالى الإمامعليه السلام ، والهجرة الى طلب العلم ، والهجرة من البلاد التي ينقص فيها دينه ولا يستطيع أداء واجباته ! راجع: جواهر الكلام: ٣٦٣/١٣، و:٣٣٧/١٧، و: ٣٤/٢١ ، والمغني: ٥١٣/١٠.

ب. من أعمال بطون قريش: أنهم جعلوا الهجرة امتيازاً مطلقاً لقريش وحقاً مكتسباً لكل مهاجر ، فرفعوها شعاراً في مقابل الأنصار وأهـل البيـتعليهم السلام ، لأنهـا بـرأيهم ميزت كل المهاجرين على الأنصار ، وساوتهم بأهل البيتعليهم السلام !

وأراد عمر أن يحذف الواو من قوله تعالى: وَالسَّـابِقُونَ الأَوَلُـونَ مِـنَ الْمُهَـاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» ، ليجعل الأنصار تبعـاً للمهـاجرين ، فوقـف فـي وجهه الأنصار وكانوا مستعدين للحرب من أجل الواو ! (الحاكم: ٣٠٥/٣).

ب. ومن أعمالهم: أنهم غَلَّبُوا الهجرة على الجهـاد ، فالمهـاجر ممتـازٌ علـى النـاس حتى لو كان فرَّاراً هرَّابا في الحرب ، ناكثاً لبيعته للنبيﷺعلى أن لايفر !

ج. ومن أعمالهم: أنهم أهملوا شرط الهجرة ، وهو أن تكون نية المهاجر لله تعـالى لا لمكسب دنيوي ، مع أنهم رووا تشديد النبيﷺللمسلمين على نية الهجرة عندما قال لعمر: إنما لامرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى مـا هـاجر إليـه». (صحيح بخاري: ٢/١، وكرره في مواضع. وكذلك الغازي المقاتل (مسائل علي بن جعفر/٣٤٦) .

وقد أخفوا الذين كانت نياتهم من هجرتهم دنيوية معروفة ، أوكانوا يصرحون بها مثل مهاجر أم قيس الذي قال إنه هاجر ليتزوج أم قيس وقد ضيعوا إسمه ! قال في فتح الباري:١٦/١:« مهاجر أم قيس ولم نقف على تسميته» !

ويظهر أن تحريف الهجرة بدأ في عهد النبي صلى الله عليه وآله ولذلك قال:« ألا أنبئكم لمَ سمي المؤمن مؤمناً؟ لإيمانه الناس على أنفسهم وأموالهم . ألا أنبئكم من المسلم؟ من سلم الناس يده ولسانه. ألا أنبئكم بالمهاجر؟ من هجر السيئات وما حرم الله عليه». (علل الشرائع:٥٣٢/٢، ونحوه الكافي: ٢٣٥/٢، والمحاسن:٢٨٥/١، وصفات الشيعة/٣١ ، وفتح الباري:٥١/١).

د. ومن أعمالهم: أنهم غطوا على القرشيين الذين ارتدوا أو عصوا ولم يهاجروا ، وزعموا أنهم كانوا محبوسين من قبائلهم ! ومن أمثلتهم ثلاثة من أقارب عتاة قريش ، فقد زعم البخاري في سبع مواضع من صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله دعا لهم شهوراً في قنوته أن ينجيهم الله من أيدي المشركين ، ويقول: « اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين» ! (صحيح بخاري: ١٩٤/١، و: ١٥/٢، و: ٢٣٣/٣، و: ١٢٢/٤، و: ١٧١/٥،و: ١١٨/٧، و١٦٥). وهم ابن الوليد بن المغيرة ، وأخ أبي جهل ، وابن عمه ! (فتح الباري:١٧٠/٨).

ومعنى دعاء النبي صلى الله عليه وآله لهم أنهم من الأخيار ! ورووا أن هؤلاء اتفقوا على الهجرة مع عمر فمنعهم قومهم فنزلت فيهم آية التوبة فأرسلها لهم عمر..(تفسير الطبري:٢١/٢٤).

لكنهم اعترفوا بأن عياشاً أخ أبي جهل:« قتل رجلاً مؤمناً ،كان يعذبه مع أبي جهل» ! وقالوا إنه أسلم وهاجر مع المهاجرين ، فجاء أبو جهل الى المدينة وربطه

وأرجعه الى مكة ، فقال المشركون:« إن أبا جهل ليقدر من محمد على ما يشاء.. فيأخذ أصحابه فيربطهم» ! (تفسير الطبري: ٢٧٦/٥).

ورووا:«كان الوليد بن الوليد على دين قومه وشهد بدراً مع المشركين فأسر وافتدى ، ثم أسلم ورجع إلى مكة فوثب عليه قومه فحبسوه مع عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام فألحقه رسول الله بهما في الدعاء». (الطبقات: ١٣١/٤).

قال المقريزي في إمتاع الأسماع: ١١٤/٩:« وكان قوم من الأشراف قد أسلموا ثم فتنوا (ارتدوا) ! منهم سلمة بن هشام بن المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص السهمي» !

فحقيقة هؤلاء (المهاجرين) أنهم كانوا ارتدوا وبعضهم حارب النبي صلى الله عليه وآله في بدر !

هـ ـ *ومن أعمالهم:* أنهم استغلوا الآية التي أخبرت عن وجود مسلمين مستضعفين لم يستطيعوا الهجرة من مكة ، فقال الله عنهم في غزوة الحديبية: وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. (الفتح: ٢٥).

فادَّعوا ذلك لمن أحبوا من مشركي قريش وطلقائها ! وجعلوهم مسلمين قبل فتح مكة أو مهاجرين ! لذا ينبغي الحذر ممن ادعوا لهم أنهم أسلموا وأرادوا الهجرة فمنعهم المشركون .

على أنه ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن الآية تقصد المؤمنين في أصلاب المشركين قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان لله ودايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين

فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى تخرج الودايع ، فلما خرج ظهر على من ظهر وقتله ، وكذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر أبداً حتى تخرج ودايع الله ، فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله ». (تفسير القمي: ٣١٦/٢).

والمؤكد أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو كان مسلماً ممنوعاً من الهجرة ، ولعل منهم طالب بن أبي طالب رحمه الله ، أما عقيل والعباس بن عبد المطلب فكان هواهما مع النبي ، لكنهما جاءا مع قريش الى بدر فأخذا أسيرين ، ونزل فيهما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى..

قال الإمام الصادق عليه السلام: « نزلت في العباس وعقيل ونوفل ، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري فأسروا ، فأرسل علياً فقال: أنظر من هاهنا من بني هاشم ، قال: فمر علي على عقيل بن أبي طالب فحاد عنه فقال له عقيل: يا ابن أم علي ، أما والله لقد رأيت مكاني ! قال: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان ، وهذا عقيل في يد فلان ، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى عقيل فقال له: يا أبا يزيد قتل أبو جهل ! قال: إذا لا تنازعون في تهامة. فقال: إن كنتم أثخنتم القوم وإلا فاركبوا أكتافهم ! فقال: فجيئ بالعباس فقيل له: إفد نفسك وافد ابن أخيك ، فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفي ! فقال: أعط مما خلفت عند أم الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شئ فأنفقيه على ولدك ونفسك ، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل ! فقال ومحلوفه: ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي ! أشهد أنك رسول الله ، قال: فرجع الأسرى كلهم مشركين إلا العباس وعقيل ونوفل ، وفيهم نزلت هذه الآية...». (الكافي:٢٠٢/٨).

الفصل الحادي والثلاثون

معالم السيرة النبوية في القرآن المكي

١- هَزَّت آيات القرآن وجدان العرب وعقولهم

أ. في إعلام الورى: ١١٠/١: «كان رسول الله ﷺ لا يكف عن عيب آلهة المشركين ويقرأ عليهم القرآن فيقولون: هذا شعر محمد ! ويقول بعض: بل هو كهانة ! ويقول بعضهم: بل هو خطب. وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً وكان من حكام العرب ، يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار ، فما اختاره من الشعر كان مختاراً ، وكان له بنون لا يبرحون مكة ، وكان له عبيد عشرة عند كل عبد ألف دينار يتجر بها ، وملك القنطار في ذلك الزمان ، والقنطار جلد ثور مملوء ذهباً ، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ ، وكان عم أبي جهل بن هشام ، فقالوا له: يا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد أسحرٌ أم كهانة أم خُطَب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه ! فدنا من رسول الله وهو جالس في الحجر فقال: يا محمد أنشدني من شعرك. فقال: ما هو شعر ولكنه كلام الله الذي بعث أنبياءه ورسله. فقال: أتلُ عليَّ منه. فقرأ عليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما سمع الرحمن استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليمامة يسمى الرحمن؟ قال: لا ولكني أدعو إلى الله

وهو الرحمن الرحيم. ثم افتتح حم السجدة، فلما بلغ إلى قوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، وسمعه اقشعر جلده، وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته ثم قام ومضى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش! فقالت قريش: يا أبا الحكم، صبا أبو عبد شمس إلى دين محمد! أما تراه لم يرجع إلينا، وقد قبل قوله ومضى إلى منزله! فاغتمت قريش من ذلك غماً شديداً وغدا عليه أبو جهل فقال: يا عم نكست برؤوسنا وفضحتنا. قال: وما ذلك يا بن أخي؟ قال: صبوت إلى دين محمد! قال: ما صبوت وإني على دين قومي وآبائي ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود. قال أبو جهل: أشعر هو؟ قال: ما هو بشعر. قال: فخطب هي؟ قال: لا إن الخطب كلام متصل وهذا كلام منثور، لا يشبه بعضه بعضاً، له طلاوة. قال: فكهانة هو فكأنه هي؟ قال: لا. قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه. فلما كان من الغد، قالوا: يا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس فأنزل الله تعالى فيه: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. وَبَنِينَ شُهُوداً. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ».

وتفسير القمي: ٣٩٣/٢، والتسهيل: ١٦١/٤.

ب. في تفسير جوامع الجامع:٦٧٣/٣:« روي أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعذق، وإنه يعلو وما

يعلى! فقالت قريش: صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش ! فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه ، فقام فأتاه فقال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق؟! وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يحدث بما يتحدث به الكهنة؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟ وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا. قالوا له: فما هو ؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر ! ما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ، وما يقوله سحر يؤثر عن أهل بابل ، فتفرقوا معجبين به » !

ج. في إمتاع الأسماع:٣٤٥/٤:« أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش (دعاهم الى طعام) وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ! قالوا: فأنت يا عبد شمس ، قم وأقم لنا رأياً نقل به ، فقال: بل أنتم تقولون وأسمع ، قالوا: نقول: إنه كاهن ، قال: فما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا سجعهم. قالوا: فنقول: إنه مجنون ، قال: ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا بتخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول إنه شاعر ، قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشاعر. قالوا: فنقول ساحر ، قال: ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده. فقالوا: فما نقول يا عبد شمس ؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لمغدق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن يقولوا: هو ساحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره ! فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ». وابن إسحاق: ١٣٢/٢، والدر المنثور: ١٠٦/٤.

د. في تفسير العياشي: ٢٩٥/٢، وتفسير فرات/٢٤١، عن عمرو بن شمر قال:« سألت جعفر بن محمد عليه السلام: إني أؤمُّ قومي فأجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال: نعم فاجهر بها ، قد جهر بها رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، فإذا قام من الليل يصلي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته (وكان منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وجماعة) فإذا قال: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا ، فإذا فرغ من ذلك جاؤوا فاستمعوا ! قال: وكان أبو جهل يقول: إن ابن أبي كبشة ليردد اسم ربه إنه ليحبه. فقال جعفر عليه السلام: صدق وإن كان كذوباً. قال: فأنزل الله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ! وهو: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». والكافي: ٢٦٦/٨.

وروى العياشي: ٢١/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:« ما لهم قاتلهم الله ! عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله ، فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها» !

٢- المكي والمدني من القرآن

لايقاس القرآن بكتب البشر ، وهو المعجزة الخالدة التي ما زالت تتحدى أهل الأرض فيخضعون أمامها ، أو يتولون معرضين !

وهو كتاب متوسط الحجم يقع في نحو أربع مئة صفحة ، لأن مجموع كلماته نحو ٨٠.٠٠٠ كلمة ، ومعدل السطر عشر كلمات ، ومعدل الصفحة عشرون سطراً.

وقد تنزَّل في مدة بعثة النبي صلى الله عليه وآله خلال ثلاث وعشرين سنة ، منها ثلاث عشرة سنة في مكة ، نزل فيها بضع وثمانون سورة ، في٤٤٧٥ آية ، أي ثلاثة أرباع القرآن لأن مجموعه٦٢٢٦ آية ، ونزل بقيته نحو بضع وثلاثين سورة في المدنية في نحو١٧١٦آية. وقلنا (بنحو) بسبب اختلاف الإجتهاد في تعداد الآيات. راجع: تفسير التبيان للطوسي: ٤٣٨/١٠، وفهرست ابن النديم/٢٨، وشواهد التنزيل: ٤١٠/٢، والبرهان للزركشي: ١٩٤/١. ومواقع:

http: //wahat.sahara.com/index.php

http: //www.alhashemih.com/vb/showthread.php?p=١٨٢٨٨

http: //www.lomazoma.com/forum/showthread.php?t=١٥٤٠

وقد كتب بعضهم عن المكي والمدني في القرآن والفرق بينهما ، في محاولة معادية تهدف الى إثبات أن القرآن من تأليف النبي صلى الله عليه وآله ! وأنه خضع للتطور البشري في التأليف ، في فترة معاداة قريش ومحاصرتها له في مكة ، ثم في فترة حروبه صلى الله عليه وآله وانتصاره ، ثم مرحلة تكوينه الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي .

وكتب بعض المسلمين ، محاولاً أن يحدد فروقاً للسور المكية عن المدنية ، ووقع في تعميمات لاتصح وظنون لاتغني عن الحق، وتأثر بعضهم بالمستشرقين !

والصحيح أنه لافرق في البلاغة والإعجاز والجوهر بين النص المكي والمدني ، وإن اختلف ظرفاهما ، فالمنبع والصيغة ورؤية المؤلف عز وجل فيهما واحدة ، ولو نطق النص عن شخصية مؤلفه لقال إنه كلام العليم بالمطلق سبحانه .

أما عن أسباب نزول الآيات وأمكنتها وأوقاتها ، فقد أثبتنا في المقدمة أنه لا يمكن الإعتماد على رواياتهم إلا ما ندر ، لكثرة مكذوبات السلطة فيها .

هذا ، وقد تعرضنا الى بعض الآيات في فصول الكتاب ، كآيات الأنفال في معركة بدر ، وآيات معركة أحُد ، وغيرها من مقاطع السيرة .

ولا يتسع المجال لعرض معالم السيرة النبوية في القرآن ، لأنه يخرج الكتاب عن الإختصار ، فينبغي أن يكون كتاباً مستقلاً .

٣- تأخر الوحي أو احتباس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله

١- نزل قوله تعالى: وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.. جواباً لمن قال إن محمداً صلى الله عليه وآله ودعه ربه وقلاه أي أبغضه !

وقد رووا في سبب نزولها أن الوحي فَتَرَ أو انقطع عن النبي صلى الله عليه وآله أربعة أيام ، أو شهوراً ، أو سنوات ! وتقدم زعم البخاري إنه كان في أوائل البعثة بعد نزول مطلع سورة إقرأ ، فحزن النبي صلى الله عليه وآله وذهب مراراً الى شواهق الجبال لكي ينتحر !

وقال بخاري أيضاً (٤٣/٢): « احتبس جبريل على النبي فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه ! فنزلت: والضحى». وكان ذلك في مكة .

وروى أيضاً (٩٧/٦):« اشتكى النبي (ص) فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ! فأنزل الله عز وجل: والضحى».

وكان ذلك في المدينة .

ونسب ابن إسحاق: ١١٥/٢، وابن هشام: ١٥٩/١، الى النبي صلى الله عليه وآله أنه:«شق عليه وأحزنه ثم قال في نفسه: قد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني ! فجاء جبريل بسورة والضحى».

وقال في فتح الباري: ٦/٣، إنهما قضيتان ، بل يفهم من رواياتهم أنها وقعت أكثر من مرتين فبعضهم ذكر أنها أول البعثة ، وبعضهم جعلها بعد نزول سورة المسد ، وبعضهم جعلها عندما سئل النبي صلى الله عليه وآله عن أهل الكهف .

وزعم بعضهم أن سبب انقطاع الوحي أنه كان في غرفة النبي صلى الله عليه وآله جرو كلب ، فمات تحت السرير ولم ينتبه له النبي صلى الله عليه وآله ! (أسباب النزول/٣٠٢، والإتقان: ٩٤/١).

وما يحتمل صحته هو ما رواه في الفقيه: ٣٦٢/٣ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي.إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه ناس من اليهود فسألوه عن أشياء فقال لهم: تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثن ، فاحتبس جبرئيل عنه أربعين يوماً ، ثم أتاه فقال: وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ».

ولم يُرْوَ عن أهل البيت عليهم السلام إلا ما تقدم من احتباس الوحي على أثر سؤال اليهود ، وأن ذلك كان بعد البعثة بسنوات ، وكانت مدته أربعين يوماً .

كما روي عنه صلى الله عليه وآله أن الوحي كان يحتبس عنه لمدة وجيزة بسبب الروائح الكريهة من أجسام الناس ! ففي الكافي: ٤٩٢/٦ ، وقرب الإسناد/٢٣، قال الإمام الصادق عليه السلام: «احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وآله فقيل له: احتبس الوحي عنك؟ فقال صلى الله عليه وآله: وكيف لايحتبس وأنتم لا تقلمون أظفاركم ولاتنقون رواجبكم »!

وفي مسند أحمد: ٢٤٣/١: «ولم لايبطئ عني وأنتم حولي لاتستنون ولا تقلمون أظفاركم ، ولا تقصون شواربكم ، ولا تنقون رواجبكم». وكبير للطبراني: ٣٤١/١١، ومسند الشاميين: ٣٧٤/٢، ومجمع الزوائد: ١٦٧/٥، ووثقه.

والرواجب رؤوس الأصابع ، والوسخ تحتها يسمى«الرفغ» وكان بعض الصحابة يهملون أظافرهم ولاينظفون ما تحتها حتى تكون لها رائحة كريهة ، فلا ينزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله نفرةً من رائحتهم ! (راجع النهاية لابن الأثير:٢٤٤/٢).

وهذا النوع من احتباس الوحي وقتي ، بسبب قذارة بعض الناس .

وقد وردت أحاديث في مصادر الطرفين تدل على حساسية الملائكة من بعض الروائح المادية ، ومن روائح النوايا أيضاً .

ففي صفات الشيعة للصدوق/٣٨: «عن عبد الله بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن الملكين يعلمان الذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو بالحسنة؟ قال فقال عليه السلام: فريح الكنيف والطيب عندك واحدة ؟ قال: قلت: لا. قال عليه السلام: العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح ، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال قف فإنه قد هم بالحسنة ، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه ، وريقه مداده فيثبتها له وإذا هم

بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فيثبتها عليه».

وفي كتاب الزهد للحسين بن سعيد/٥٣: «فيثبتان ما كان من خير وشر ويلقيان ماسوى ذلك».

٣- معنى قوله تعالى لنبيه ﷺ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى: أن من نعم الله عليك أن هيأ لك جدك عبد المطلب وعمك أبا طالب ﷺ فكفلاك في يتمك ونشأتك . ومن نعمه عليه أنه هداك من صغرك ، لكنك كنت متحيراً ضالاً فيما يجب عليك عمله ، فهداك بالرسالة الى دعوة الناس الى دينه. ووجدك عائلاً عليك نفقة بيتك ومن تريد مساعدتهم ، فأغناك بوسائل منها أنه هيأ لك خديجة فوهبتك ثروتها ، كما وهبت سارة ثروتها لإبراهيم عليه السلام.

وأفرط بعض أتباع السلطة ففسروا: وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ، بأنه ﷺ كان كافراً والعياذ بالله ! ونقله الرازي في تفسيره: ٢١٦/٣١، ولم يقبله ، وفسره بأن النبي ﷺ كان ضالاً عن النبوة ، لأنه لم يكفر بالله تعالى طرفة عين ، ووافقه أكثر علماء السلطة .

وقد تقدم أن مذهبنا الإعتقاد بنبوته ﷺ من صغره ، وأنه كان يرافقه ملك من لدن أن كان فطيماً ، فلا بد أن يكون معنى الضلال هنا الحيرة فيما يجب أن يفعله لهداية الناس ، وليس الحيرة في ربه عز وجل .

قال الشريف المرتضى رحمه الله في تنزيه الأنبياء عليهم السلام/١٥٠: «في معنى هذه الآية أجوبة: أولها: أنه أراد وجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها ، أو عن شريعة الإسلام التي

نزلت عليه وأمر بتبليغها إلى الخلق... لأن الضلال هو الذهاب والإنصراف فلا بد من أمر يكون منصرفاً عنه ».

وورد عن أهل البيت عليهم السلام أن معنى آوى: آوى اليك المؤمنين ، ومعنى فهدى: هداهم اليك ، ومعنى: ووجدك عائلاً فأغنى: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً».

عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٧/٢، ونحوه تفسير القمي: ٤٢٧/٢، وتنزيه الأنبياء/١٥١. وراجع: تفسير التبيان: ٣٦٩/١٠، والمناقب: ٣٤٥/١، والصحيح من السيرة: ٢٠٠/٢. وعمدة القاري: ٢٩٩/١٩، ومفردات الراغب/٢٩٨، وتفسير الرازي: ٢١٦/٣١، والثعالبي: ٦٠٢/٥، وابن إسحاق: ١١٥/٢، والشفا: ١١٢/٢، وكتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي/٩٢، وأكثره أخذه من عصمة الأنبياء للشريف المرتضى رحمه الله !

٣- تضمنت سورة الضحى الوعد الإلهي لرسوله صلى الله عليه وآله في الآخرة بقوله: وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. وقد فسرتها الأحاديث الشريفة بأنها المقام المحمود والشفاعة لأمته .

○ ○

الفصل الثاني والثلاثون

بعض صفات النبي وأخلاقه ومعجزاته صلى الله عليه وآله

١- من وصف أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله

في أمالي الطوسي/٣٤٠، قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام: «صف لنا نبينا صلى الله عليه وآله كأننا نراه، فإنا مشتاقون إليه! قال: كان النبي صلى الله عليه وآله أبيض اللون، مشرباً حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة، دقيق المسربة (شعر الصدر) كأنما عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبته إلى سرته كقضيب خيط إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنما ينقلع من صخر، إذا أقبل كأنما ينحدر من صبب، إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه كله، ليس بالقصير المتردد، ولا بالطويل الممغَّط (المفرط)، وكان في وجهه تدوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أطيب من ريح المسك، ليس بالعاجز ولا باللئيم، أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وأجودهم كفاً. من خالطه بمعرفةٍ أحبه، ومن رآه بديهةً هابه. له غرةٌ بين عينيه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله».

وفي الغارات للثقفي:١٦١/١: «كان علي عليه السلام إذا نعت النبي صلى الله عليه وآله قال: لم يك بالطويل الممعط، ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، ولم يك بالجعد

القطط ولا السبط كان جعداً رجِلاً (ممشط الشعر) ولـم يـك بـالمطهم ولا المكلثم ، وكان في وجهه تدوير ، (يميل الى التدوير) ، أبيض مشرب حمـرة ، أدعـج العينـين ، أهـدب الأشـفار ، جليـل المشـاش والكتـد (بين الكتفين) ، أجـرد ذا مسـربة ، شـثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين. أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، أوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكـة ، وأكـرمهم عشـرة. مـن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ».

«اختاره من شجرة الأنبياء ، ومشكاة الضّياء ، وذؤابـة العليـاء ، وسـرّة البطحـاء ، ومصابيح الظّلمة ، وينابيع الحكمة. (نهج البلاغة/الخطبة١٠٦ ، ٢٠٥).

«مستقرّه خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد السّلامة. قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار ، وثُنيت إليه أزمّة الأبصـار. دفـن الله بـه الضّـغائن ، وأطفأ به الثوائر. ألف به إخواناً ، وفرّق به أقرانـاً ، أعـزّ بـه الذلـة ، وأذلّ بـه العـزّة. كلامه بيان ، وصمته لسان ». (نهج البلاغة/الخطبة٩٤ ، ١٨٧).

«فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله فإنّ فيه أسوةً لمن تأسّـى ، وعـزاءً لمـن تعـزّى. وأحبّ العباد إلى الله المتأسِّي بنبيه ، والمقتصّ لأثره. قضم الدنيا قضماً ، ولم يُعِرْهَـا طرفاً. أهضم أهل الدنيا كشحاً ، وأخمصهم من الدنيا بطناً. عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. علم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه ، وحقـر شـيئاً فحقّـره ، وصـغّر شـيئاً فصغَّره. ولو لم يكن فينا إلاّ حبنا ما أبغض الله ورسوله ، وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله ، ومحادَّةً عن أمر الله !

ولقد كانﷺ يأكل على الأرض ، ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع بيده ثوبه ، ويركب الحمار العاري ، ويردف خلفه . ويكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التّصاوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه غيّبيه عنّي ، فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدّنيا وزخارفها . فأعرض عن الدّنيا بقلبه ، وأمات ذكرها من نفسه ، وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتّخذ منها رياشاً ، ولا يعتقدها قراراً ، ولا يرجو فيها مقاماً. فأخرجها من النّفس ، وأشخصها عن القلب ، وغيّبها عن البصر. وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه ، وأن يذكر عنده.

و لقد كان في رسول اللهﷺ ما يدلّك على مساوئ الدنيا وعيوبها ، إذ جاع فيها مع خاصّته ، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته.

فلينظر ناظر بعقله ، أكرم الله محمّداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال: أهانه فقد كذب والله العظيم بالإفك العظيم. وإن قال أكرمه ، فليعلم أنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدّنيا له ، وزواها عن أقرب النّاس منه ». (نهج البلاغة/ ٨٨ ح ، ٥٨٠).

«فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، يسوقهم إلى منجاتهم ، ويبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير (يعالج الضعيف) ويقف الكسير فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته ، إلاّ هالكاً لا خير فيه. حتّى أراهم منجاتهم ، وبوّأهم محلّتهم ، فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم ». (نهج البلاغة/ الخطبة ١٠٢ ، ١٩٨).

« اللهم داحي المدحوات. وداعم المسموكات ، وجابل القلوب على فطرتها ، شقيها وسعيدها ، إجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، على محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما انغلق ، والمعلن الحق بالحق ، والدافع

جيشات الأباطيل ، والدامغ صولات الأضاليل ، كما حمل فاضطلع قائماً بأمرك ، مستوفزاً في مرضاتك ، غير ناكلٍ عن قدم ، ولا واه في عزم ، واعياً لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك ، حتى أورى قبس القابس ، وأضاء الطريق للخابط ، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن ، وأقام موضحات الأعلام ونيرات الأحكام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك بالحق ، ورسولك إلى الخلق.

اللهم افسح له مفسحاً في ظلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعْل على بناء البانين بناءه ، وأكرم لديك منزلته ، وأتمم له نوره ، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، ومرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطة فصل.

اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش ، وقرار النعمة ، ومنى الشهوات ، وأهواء اللذات ، ورخاء الدعة ، ومنتهى الطمأنينة ، وتحف الكرامة ». (نهج البلاغة: ١٢٠/١).

٢- من وصف بقية الأئمة عليهم السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله

في تفسير العياشي: ٢٠٣/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:« جاء أعرابي أحد بني عامر فسأل عن النبي صلى الله عليه وآله فلم يجده فقالوا هو بقزح (مكان بالمزدلفة) فطلبه فلم يجده ، قالوا: هو بمنى. قال: فطلبه فلم يجده ، فقالوا: هو بعرفة ، فطلبه فلم يجده ، قالوا: هو بالمشعر قال: فوجده في الموقف ، قال: حَلُّوا (صِفُوا) لي النبي صلى الله عليه وآله فقال الناس: يا أعرابي ما أنكرت ! إذا وجدت النبي وسط القوم وجدته مفخماً. قال: بل حَلُّوهُ لي حتى لا أسأل عنه أحداً ، قالوا: فإن نبي الله أطول من الربعة ، وأقصر من الطويل الفاحش ، كأن لونه

فضة وذهب ، أرجَلُ الناس جُمَّة (شعره ممشط احسن من غيره) وأوسع الناس جبهة ، بين عينيه غُرَّة ، أقنى الأنف ، واسع الجبين ، كث اللحية ، مفلج الأسنان ، على شفته السفلى خال ، كأن رقبته إبريق فضة ، بعيد ما بين مشاشة المنكبين ، كأن بطنه و صدره سواء ، سبط البنان ، عظيم البراثن (الكفين) إذا مشى مشى متكفياً ، وإذا التفت التفت بأجمعه ، كأن يده من لينها متن أرنب ، إذا قام مع إنسان لم ينفتل حتى ينفتل صاحبه ، وإذا جلس لم يحلل حبوته حتى يقوم جليسه.

فجاء الأعرابي فلما نظر إلى النبي صلى الله عليه وآله عرفه فقال بمحجنه (أشار بعصاته كأنه يضرب) على رأس ناقة رسول الله عند ذنب ناقته ، فأقبل الناس تقول ما أجرأك يا أعرابي؟

قال النبي صلى الله عليه وآله: دعوه فإنه أريب (عنده حاجة) ثم قال: ما حاجتك ؟

قال: جاءتنا رسلك أن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتحجوا البيت ، وتغتسلوا من الجنابة ، وبعثني قومي إليك رائداً ، أبغي أن استحلفك وأخشى أن تغضب !

قال صلى الله عليه وآله: لا أغضب ، إني أنا الذي سماني الله في التوراة والإنجيل محمد رسول الله المجتبى المصطفى ، ليس بفاحش ولاسخاب (عالي الصوت) في الأسواق ، ولا يتبع السيئة السيئة ، ولكن يتبع السيئة الحسنة ، وأنا الذي سماني الله في القرآن: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فسلني عما شئت.

قال: آلله الذي رفع السماوات بغير عمد هو أرسلك ؟ قال: نعم هو أرسلني. قال: آلله الذي قامت السماوات بأمره هو الذي أنزل عليك الكتاب وأرسلك بالصلاة المفروضة والزكاة المعقولة ؟ قال: نعم ، قال: وهو أمرك بالإغتسال من الجنابة وبالحدود كلها ؟ قال: نعم. قال: فإنا آمنا بالله ورسله وكتابه واليوم الآخر والبعث والميزان والموقف والحلال والحرام صغيره وكبيره ! قال: فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله ودعا له » .

وفي الكافي: ٤٤٣/١ ، عن جابر الجعفي قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: صف لي نبي الله صلى الله عليه وآله قال: كان نبي الله صلى الله عليه وآله أبيض مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، مقرون الحاجبين شثن الأطراف ، كأن الذهب أفرغ على براثنه ، عظيم مشاشة المنكبين ، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله ، سربته سائلة من لبته إلى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة ، وكأن عنقه إلى كاهله إبريق فضة ، يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، وإذا مشى تكفأ كأنه ينزل في صبب ، لم ير مثل نبي الله قبله ولا بعده».

وفي الكافي: ٤٤٦/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رُئي في الليلة الظلماء ، رئي له نور كأنه شقة قمر ».

وفي علل الشرائع: ٥٥/١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: إنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه ، قالت: إني لا أخاف من يخاف الله ، فلما دخلت قال لها: يا زليخا مالي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً !

قال لها: ما الذي دعاك يا زليخا إلى ما كان منك ؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف. فقال: كيف لو رأيت نبياً يقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً ، وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفاً؟

قالت: صدقت. قال: وكيف علمت إني صدقت ؟ قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي. فأوحى الله عز وجل إلى يوسف: إنها قد صدقت ، إني قد أحببتها لحبها محمداً ، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها ».

وفي كتاب المؤمن للحسين بن سعيد/٣١ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « لاتقدر الخلائق على كنه صفة الله عز وجل ، فكذلك لاتقدر على كنه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله !

وكما لاتقدر على كنه صفة الرسول صلى الله عليه وآله كذلك لاتقدر على كنه صفة الإمام عليه السلام.

وكما لا تقدر على كنه صفة الإمام ،كذلك لايقدرون على كنه صفة المؤمن».

وفي المحاسن: ١٤٣/١، عن مالك بن أعين الجهني: « وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا وما أعطانا الله وما أوجب الله من حقوقنا فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن ، والله يا مالك إن المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل واحد منهما صاحبه ، فما يزال الله تبارك وتعالى ناظراً إليهما بالمحبة والمغفرة ، وإن الذنوب لتحَاتُّ عن وجوههما وجوارحهما حتى يفترقا فمن يقدر على صفة الله وصفة من هو هكذا عند الله »؟!

٣- حديث الإمام الحسن عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله

وأشمل ما روته عامة المصادر في صفة النبي صلى الله عليه وآله حديث الإمام الحسن عليه السلام قال:

« سألت خالي هند أبي هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إن انفرقت عقيقته فرق ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ في غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ،

أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادناً ، متماسكاً ، سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، عريض الصدر ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط ، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، سبط القصب ، خمصان الأخمسين ، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال قلعاً ، يخطو تكفؤاً ، ويمشي هوناً ، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدر من لقيه بالسلام.
قال: فقلت: فصف لي منطقة ، فقال: كان صلى الله عليه وآله متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، يتكلم بجوامع الكلم فصلاً ، لا فضول فيه ولا تقصير ، دمثاً ليناً ليس بالجافي ولا بالمهين ، تعظم عنده النعمة وإن دقت ، لا يذم منها شيئاً ، غير أنه كان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحدٌ ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها ، فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حب الغمام .

قال الحسنعليه السلام: سألت أبيعليه السلامعن مدخل رسول اللهﷺفقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك ، فإذا أوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدخر عنهم منه شيئاً ، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم ، وبإخبارهم بالذي ينبغي ، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها ، ثبت الله قدميه يوم القيامة. لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقيد من أحد عثرة ، يدخلون رواداً ، ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة.

قال: فسألته عن مخرج رسول اللهﷺ كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول اللهﷺ يخزن لسانه إلا عما يعنيه ، ويؤلفهم ولاينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويهونه ، معتدل الأمر ، غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه فقال: كان صلى الله عليه وآله لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أباً وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، ولا ترتفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتأته، متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى متواضعين، يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كان سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته. ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب

الحاجة يطلبها فارفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولايقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر. فأما التقدير ففي تسوية النظر والإستماع بين الناس ، وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى ، وجمع له الحلم في الصبر ، فكان لا يغضبه شئ ولا يستفزه. وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاده الرأي في صلاح أمته ، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة». مناقب آل أبي طالب: ١٣٤/١ ، والعدد القوية للحلي/١٢٠ ، ومسند أحمد: ٩٦/١ ، والحاكم: ٦٠٥/٢ ، ومجمع الزوائد: ٢٧١/٨ و٢٧٦، وابن أبي شية: ٧/ ٤٤٦، والشمائل المحمدية للترمذي/١٥، ومسند أبي يعلى: ٣٠٤/١ ، والأحاديث الطوال/٧٨ ، والمعجم الكبير: ١٥٥/٢٢ ، والفايق: ١٨٦/٢، الطبقات الكبرى: ٤٢٢/١ ، والشفا للقاضي عياض: ١٥٥/١ ، وغيرها.

وعقَّب عليه الصدوق رحمه الله (معاني الأخبار/٧٩) بما خلاصته:

« سألت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن تفسير هذا الخبر ، فقال: قوله: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً: معناه كان عظيماً معظماً في الصدور والعيون.. يتلألأ تلألؤ القمر: ينير ويشرق كإشراق القمر. أطول من المربوع وأقصر من المشذب: المشذب الطويل الذي ليس بكثير اللحم.

وقوله: رجل الشعر: في شعره تكسر وتعقف. العقيقة: الشعر المجتمع في الرأس. أزهر اللون: نير اللون. أزج الحواجب: طويل امتداد الحاجبين.

أقنى العرنين: في عظم الأنف احديداب في وسطه. كث اللحية: لحيته قصيرة كثيرة الشعر. ضليع الفم: كبير الفم. الأشنب: الشنب في الفم تحدد ورقة وحدة في أطراف الأسنان. دقيق المسربة: الشعر المستدق الممتد من اللبة إلى السرة... بادناً متماسكاً: تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا بكثيره. سواء البطن والصدر: بطنه ضامر وصدره عريض. والكراديس: رؤوس العظام.

أنور المتجرد: نيِّر الجسد الذي تجرد من الثياب. رحب الراحة: واسع الراحة كبيرها. شثن الكفين: خشن الكفين. سائل الأطراف: تامها غير طويلة ولا قصيرة. مسيح القدمين: ليس بكثير اللحم فيهما. زال قلعاً: معناه متثبتاً. يخطو تكفؤاً: خطاه كأنه يتكسر فيها ولا تبختر فيها ولا خيلاء. ويمشي هوناً: معناه السكينة والوقار. ذريع المشية: واسع المشية. كأنما ينحط في صبب: الصبب الإنحدار.

إذا غضب أعرض وأشاح: أشاح جَدَّ في الغضب وانكمش. يفتر عن مثل حب الغمام: يكشف شفتيه عن ثغر أبيض يشبه حب الغمام. لكل حال عنده عتاد: أعد للأمور أشكالها ونظائرها. ثم يرد ذلك بالخاصة على العامة: يعتمد في هذه الحال على أن الخاصة ترفع إلى العامة علومه وآدابه وفوائده.

ولا يفترقون إلا عن ذواق: عن علوم يذوقون من حلاوتها ما يذاق من الطعام المشتهي ، لا تؤبن فيه الحُرم: أي لا تعاب. ولا تنثى فلتاته: من غلط فيه غلطة لم يشنع ولم يتحدث بها ، يقال: نثوت الحديث أنثوه نثواً إذا حدثت به.

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير: لإجلالهم نبيهم صلى الله عليه وآله لايتحركون . ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ: من صح عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه عنده ».

وقد نقد روايته صاحب الصحيح من السيرة(١٣٢/٢) ، بضعف سندها ، لأن الإمام الحسن عليه السلام عاش مع جده النبي صلى الله عليه وآله وروى عنه ، فلايحتاج في وصفه الى هند بن أبي هالة ، وهو عليه السلام أفصح العرب وأعلم الأمة ، رباه النبي صلى الله عليه وآله في حجره وكان يعرف عنه كل شئ مما دق وجل ، بأنه لايوجد نص يشير إلى أن هنداً كان يعيش مع رسول الله صلى الله عليه وآله أو بالقرب منه ، أو أنه كان يحضر مجالسه. وتساءل صاحب الصحيح: لا ندري لماذا كتم الحسن عليه السلام أخاه هذا الأمر .

ثم استنتج: « أن ما تقدم كله يدفع هذا الحديث». وختم بقوله: « لاندري من هو ابن أبي هالة الراوي عن الإمام الحسن عليه السلام ، فهل هو من أبناء خديجة أيضاً ! فإن كان الجواب بالإيجاب فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ. وإن كان هو ابن لأبي هالة من امرأة أخرى غير خديجة ، فهذا لم يذكره التاريخ لنا أيضاً» !

لكن هذه الإشكالات إن صحت فهي تدل على وجود خلل في سند الحديث ، ولاتصل الى نفي الصفات التي تضمنها ، فقد روت مضمونه أو أيدته روايات مستفيضة ، ولهذا أوردناه وقبلنا مضمونه .

٤- حديث الإمام الكاظم عليه السلام في معجزات النبي صلى الله عليه وآله

كما نكتفي بحديث واحد يُبين عدداً من معجزات النبي صلى الله عليه وآله ، فقد روى أبو العباس الحميري في قرب الإسناد/٣١٧ ، بسند صحيح عن الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عليهما السلام قال:«كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم وأنا طفل خماسي إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا: أنت ابن محمد نبي هذه الأمة والحجة على أهل الأرض؟

قال لهم: نعم . قالوا: إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى آتى إبراهيم عليه السلام وولده الكتاب والحكم والنبوة ، وجعل لهم الملك والإمامة ، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لاتتعداهم النبوة والخلافة والوصية ، فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم ونلقاكم مستضعفين مقهورين لا ترقب فيكم ذمة نبيكم ؟!

فدمعت عينا أبي عبدالله ثم قال: نعم لم تزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق ، والظلمة غالبة ، وقليل من عباد الله الشكور.

قالوا: فإن الأنبياء وأولادهم علموا من غير تعليم ، وأوتوا العلم تلقيناً ، وكذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم ، فهل أوتيتم ذلك ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدن يا موسى فدنوت فمسح يده على صدري ثم قال: اللهم أيده بنصرك بحق محمد وآله ، ثم قال: سلوه عما بدا لكم.

قالوا: وكيف نسأل طفلاً لا يفقه ؟ قلت: سلوني تفقهاً ودعوا العنت !

قالوا: أخبرنا عن الآيات التسع التي أوتيها موسى بن عمران.

قلت: العصا ، وإخراجه يده من جيبه بيضاء ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ورفع الطور ، والمن والسلوى آية واحدة ، وفلق البحر.

قالوا: صدقت ، فما أعطي نبيكم من الآيات اللاتي نفت الشك عن قلوب من أرسل

إليه. قلت: آيات كثيرة ، أعدها إن شاء الله ، فاسمعوا وعوا وافقهوا:

١. أما أول ذلك: أنتم تقرون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه ، فمنعت في أوان رسالته بالرجوم وانقضاض النجوم ، وبطلان الكهنة والسحرة.

٢. ومن ذلك: كلام الذئب يخبر بنبوته ، واجتماع العدو والولي على صدق لهجته وصدق أمانته ، وعدم جهله أيام طفوليته وحين أيفع وفتى وكهلا. لا يعرف له شكل ولا يوازيه مثل .

٣. ومن ذلك: أن سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة وفد عليه وفد قريش ، فيهم عبد المطلب ، فسألهم عنه ووصف لهم صفته ، فأقروا جميعاً بأن هذا الصفة في محمدﷺ، فقال: هذا أوان مبعثه ، ومستقره أرض يثرب وموته بها.

٤. ومن ذلك: أن أبرهة بن يكسوم قاد الفيلة إلى بيت الله الحرام ليهدمه قبل مبعثه فقال عبد المطلب: إن لهذا البيت رباً يمنعه ، ثم جمع أهل مكة فدعا ، وهذا بعدما أخبره سيف بن ذي يزن ، فأرسل الله تبارك وتعالى عليهم طيراً أبابيل ودفعهم عن مكة وأهلها .

٥. ومن ذلك: أن أبا جهل عمرو بن هشام المخزومي ، أتاه وهو نائم خلف جدار ومعه حجر يريد أن يرميه به ، فالتصق بكفه .

٦. ومن ذلك: ان أعرابياً باع ذوداً له من أبي جهل فمطله بحقه ، فأتى قريشاً وقال: أعدوني على أبي الحكم فقد لوى حقي ، فأشاروا إلى محمدﷺوهو يصلي في الكعبة ، فقالوا: إئت هذا الرجل فاستعده عليه ، هم يهزؤون بالأعرابي ! فأتاه فقال له: يا عبد الله أعدني على عمرو بن هشام فقد منعني حقي. قال: نعم ، فانطلق معه فدق

على أبي جهل بابه ، فخرج إليه متغيراً. فقال له: ما حاجتك ؟ قال: أعط الأعرابي حقه. قال: نعم. وجاء الأعرابي إلى قريش فقال: جزاكم الله خيراً ، انطلق معي الرجل الذي دللتموني عليه فأخذ حقي !

فجاء أبو جهل فقالوا: أعطيت الأعرابي حقه ؟ قال: نعم. قالوا: إنما أردنا أن نغريك بمحمد ونهزأ بالأعرابي ! قال: يا هؤلاء دق بابي فخرجت إليه فقال: أعط الأعرابي حقه ، وفوقه مثل الفحل فاتحاً فاه كأنه يريدني ، فقال: أعطه حقه ، فلو قلت: لا ، لابتلع رأسي ، فأعطيته !

٧. ومن ذلك: أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبي معيط بيثرب إلى اليهود ، وقالوا لهما: إذا قدمتما عليهم فسائلوهم عنه ، وهما قد سألوهم عنه فقالوا: صفوا لنا صفته ، فوصفوه. وقالوا: من تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا. فصاح حبر منهم فقال: هذا النبي الذي نجد نعته في التوراة، ونجد قومه أشد الناس عداوة له.

٨. ومن ذلك: أن قريشاً أرسلت سراقة بن جعشم حتى خرج إلى المدينة في طلبه ، فلحق به فقال صاحبه: هذا سراقة يا نبي الله ، فقال: اللهم اكفنيه ، فساخت قوائم ظهره فناداه: يا محمد خل عني بموثق أعطيكه أن لا أناصح غيرك ، وكل من عاداك لا أصالح. فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهم إن كان صادق المقال فأطلق فرسه. فانطلق فوفى وما انثنى بعد ذلك.

٩. ومن ذلك: أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أتيا النبي صلى الله عليه وآله ، فقال عامر لأربد: إذا أتيناه فأنا أشاغله عنك فاعله بالسيف ، فلما دخلا عليه قال عامر: يا محمد خالّني (أي أخلني بك - الطبري: ٣٨٩/٢) قال: لا ، حتى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. وهو

ينظر إلى أربد وأربد لا يحير شيئاً. فلما طال ذلك نهض وخرج وقال لأربد: ما كان أحد على وجه الأرض أخوف على نفسي فتكاً منك ، ولعمري لا أخافك بعد اليوم ، فقال له أربد: لا تعجل ، فإني ما هممت بما أمرتني به إلا ودخلت الرجال بيني وبينك حتى ما أبصر غيرك ، فأضربك ؟!

١٠. ومن ذلك: أن أربد بن قيس والنضر بن الحارث اجتمعا على أن يسألاه عن الغيوب فدخلا عليه ، فأقبل النبي ﷺ على أربد فقال: يا أربد ، أتذكر ما جئت له يوم كذا ومعك عامر بن الطفيل؟ فأخبره بما كان فيهما ، فقال أربد: والله ما حضرني وعامراً أحد ، وما أخبرك بهذا إلا ملك من السماء ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله. (وإربد هذا أخ لبيد الشاعر).

١١. ومن ذلك: أن نفرا من اليهود أتوه ، فقالوا لأبي الحسن جدي: إستأذن لنا على ابن عمك نسأله ، فدخل علي عليه السلام فأعلمه ، فقال النبي ﷺ: وما يريدون مني؟ فإني عبد من عبيد الله ، لا أعلم إلا ما علمني ربي ، ثم قال: إئذن لهم ، فدخلوا عليه فقال: أتسألوني عما جئتم له أم أنبئكم ؟ قالوا: نبئنا ، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين ، قالوا: نعم ، قال: كان غلاماً من أهل الروم ثم ملك ، وأتى مطلع الشمس ومغربها ، ثم بني السد فيها. قالوا: نشهد أن هذا كذا.

١٢. ومن ذلك: أن وابصة بن معبد الأسدي أتاه فقال: لا أدعُ من البر والإثم شيئاً إلا سألته عنه ، فلما أتاه قال له بعض أصحابه: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: أدنهْ يا وابصة ، فدنوت. فقال: أتسأل عما جئت له أو أخبرك ؟ قال: أخبرني. قال: جئت تسأل عن البر والإثم. قال: نعم. فضرب بيده على صدره ثم قال:

يا وابصة ، البر ما أطمأن به الصدر ، والإثم ما تردد في الصدر وجال في القلب ، وإن أفتاك الناس وأفتوك.

١٣. ومن ذلك: أنه أتاه وفد عبد القيس فدخلوا عليه ، فلما أدركوا حاجتهم عنده قال: إئتوني بتمر أهلكم مما معكم ، فأتاه كل رجل منهم بنوع منه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا يسمى كذا وهذا يسمى كذا ، فقالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا، فوصف لهم أرضهم فقالوا: أدخلتها؟ قال: لا، ولكن فسح لي فنظرت إليها. فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله ، هذا خالي وبه خبل ، فأخذ بردائه ثم قال: أخرج عدو الله ثلاثاً ثم أرسله ، فبرأ. وأتوه بشاة هرمة ، فأخذ أحد أذنيها بين أصابعه فصار ميسماً ، ثم قال: خذوها فإن هذا السمة في آذان ما تلد إلى يوم القيامة ! فهي تتوالد وتلك في آذانها معروفة غير مجهولة.

١٤. ومن ذلك: أنه كان في سفر ، فمر على بعير قد أعيا ، وقام منزلاً على أصحابه فدعا بماء فتمضمض منه في إناء وتوضأ وقال: إفتح فاه فصب في فيه. فمر ذلك الماء على رأسه وحاركه ، ثم قال: اللهم أحمل خلاداً وعامراً ورفيقيهما وهما صاحبا الجمل ، فركبوه وإنه ليهتز بهم أمام الخيل.

١٥. ومن ذلك: أن ناقة لبعض أصحابه ضلت في سفر كانت فيه ، فقال صاحبها: لو كان نبياً لعلم أمر الناقة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: الغيب لا يعلمه إلا الله ، إنطلق يا فلان فإن ناقتك بموضع كذا وكذا ، قد تعلق زمامها بشجرة ، فوجدها كما قال .

١٦. ومن ذلك: أنه مر على بعير ساقط فتبصبص له ، فقال: إنه ليشكو شر ولاية أهله له ، يسأله أن يخرج عنهم ، فسأل عن صاحبه فأتاه فقال: بعه وأخرجه عنك ، فأناخ

البعير يرغو ثم نهض وتبع النبي صلى الله عليه وآله فقال: يسألني أن أتولى أمره. فباعه من علي عليه السلام ، فلم يزل عنده إلى أيام صفين .

١٧. ومن ذلك: أنه كان في مسجده ، إذ أقبل جمل نادٌّ ، حتى وضع رأسه في حجره ثم خرخر ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يزعم هذا أن صاحبه يريد أن ينحره في وليمة على ابنه فجاء يستغيث. فقال رجل: يا رسول الله ، هذا لفلان وقد أراد به ذلك. فأرسل إليه وسأله أن لا ينحره ، ففعل .

١٨. ومن ذلك: أنه دعا على مضر فقال: اللهم أشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسنين يوسف ، فأصابهم سنون ، فأتاه رجل فقال: فوالله ما أتيتك حتى لا يخطر لنا فحل ولا يتردد منا رائح. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم دعوتك فأجبتني وسألتك فأعطيتني ، اللهم فاسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً سريعاً طبقاً سجالاً ، عاجلاً غير ذائب نافعاً غير ضار. فما قام متى ملأ كل شئ ودام عليهم جمعة ، فأتوه فقالوا: يا رسول الله انقطعت سبلنا وأسواقنا ، فقال النبي عليه السلام: حوالينا ولا علينا. فانجابت السحابة عن المدينة ، وصار فيما حولها وأمطروا شهراً .

١٩. ومن ذلك: أنه توجه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش ، فلما كان بحيال بحيراء الراهب نزلوا بفناء ديره ، وكان عالماً بالكتب ، وقد كان قرأ في التوراة مرور النبي صلى الله عليه وآله به وعرف أوان ذلك ، فأمر فدعى إلى طعامه ، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها ، فقال: هل بقي في رحالكم أحد ؟ فقالوا: غلام يتيم. فقام بحيراء الراهب فاطلع فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله نائم وقد أظلته سحابة ، فقال للقوم: أدعوا هذا اليتيم ، ففعلوا وبحيراء مشرف عليه وهو يسير ، والسحابة قد أظلته ، فأخبر القوم بشأنه وأنه

سيبعث فيهم رسولاً ، ويكون من حاله وأمره ، فكان القوم بعد ذلك يهابونه ويجلونه ، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك ، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه وهي سيدة نساء قريش ، وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم ، فزوجته نفسها للذي بلغها من خبر بحيراء .

٢٠. ومن ذلك: أنه كان بمكة أيام ألَبَ عليه قومه وعشائره ، فأمر علياً أن يأمر خديجة أن تتخذ له طعاماً ففعلت ، ثم أمره أن يدعو له أقرباءه من بني عبد المطلب ، فدعا أربعين رجلاً ، فقال: هات لهم طعاماً يا علي ، فأتاه بثريدة وطعام يأكله الثلاثة والأربعة فقدمه إليهم ، وقال: كلوا وسموا ، فسمى ولم يسم القوم فأكلوا وصدروا شبعى. فقال أبو لهب: جاد ما سحركم محمد يطعم من طعام ثلاث رجال أربعين رجلاً هذا والله هو السحر الذي لا بعده ! فقال علي عليه السلام: ثم أمرني بعد أيام فاتخذت له مثله ودعوتهم بأعيانهم ، فطعموا وصدروا .

٢١. ومن ذلك: أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم وذرة بدرهم ، فأتيت به فاطمة عليها السلام حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ قالت: لو دعوت أبي فأتيته وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً. فقلت له: يا رسول الله إن عندنا طعاماً ، فقام واتكأ علي ومضينا نحو فاطمة عليها السلام ، فلما دخلنا قال: هلم طعامك يا فاطمة فقدمت إليه البرمة والقرص ، فغطى القرص وقال: اللهم بارك لنا في طعامنا. ثم قال: أغرفي لعائشة فغرفت ، ثم قال: أغرفي لأم سلمة فغرفت ، فما زالت تغرف حتى وجهت إلى نسائه التسع قرصة قرصة ومرقاً.ثم قال: أغرفي لأبيك وبعلك ثم قال: أغرفي وكلي واهدي لجاراتك ، ففعلت ، وبقي عندهم أياماً يأكلون .

٢٢. ومن ذلك: أن امرأة عبد الله بن مسلَّم أتته بشاة مسمومة ، ومع النبي صلى الله عليه وآله بشر بن

البراء بن عازب ، فتناول النبيﷺالذراع وتناول بشر الكراع ، فأما النبيﷺ فلاكها ولفظها وقال: إنها لتخبرني أنها مسمومة. وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات ، فأرسل إليها فأقرت ، وقال: ما حملك على ما فعلت ؟ قالت: قتلت زوجي وأشراف قومي ، فقلت: إن كان ملكاً قتلته وإن كان نبياً فسيطلعه الله تبارك وتعالى على ذلك .

٢٣. ومن ذلك: أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت الناس يوم الخندق يحفرون وهم خماص ، ورأيت النبيﷺيحفر وبطنه خميص ، فأتيت أهلي فأخبرتها فقالت: ما عندنا إلا هذه الشاة ومحرز من ذرة. قال: فاخبزي ، وذبح الشاة وطبخوا شقها وشووا الباقي ، حتى إذا أدرك أتى النبيﷺفقال: يا رسول الله اتخذت طعاماً فائتني أنت ومن أحببت ، فشبك أصابعه في يده ثم نادى: ألا إن جابراً يدعوكم إلى طعامه. فأتى أهله مذعوراً خجلاً فقال لها: هي الفضيحة قد حفل بهم أجمعين. فقالت: أنت دعوتهم أم هو؟ قال: هو. قالت: فهو أعلم بهم. فلما رآنا أمر بالأنطاع فبُسطت على الشوارع ، وأمره أن يجمع التواري يعني قصاعاً كانت من خشب ، والجفان ، ثم قال: ما عندكم من الطعام ؟ فأعلمته ، فقال: غطوا السدانة والبرمة والتنور ، واغرفوا ، وأخرجوا الخبز واللحم وغطوا ! فما زالوا يغرفون وينقلون ولا يرونه ينقص شيئاً حتى شبع القوم ، وهم ثلاثة آلاف ! ثم أكل جابر وأهله ، وأهدوا وبقي عندهم أياماً .

٢٤. ومن ذلك: أن سعد بن عبادة الأنصاري أتاه عشية وهو صائم ، فدعاه إلى طعامه ودعا معه علي بن أبي طالبؑ، فلما أكلوا قال النبيﷺ: نبي ووصي ، يا سعد أكل طعامك الأبرار ، وأفطر عندك الصائمون ، وصلت عليكم الملائكة. فحمله سعد على حمار قطوف وألقى عليه قطيفة ، فرجع الحمار وإنه لهملاج ما يساير .

٢٥. ومن ذلك: أنه أقبل من الحديبية وفي الطريق ماء يخرج من وشل بقدر ما يروي

الراكب والراكبين ، فقال: من سبقنا إلى الماء فلا يستقين منه. فلما انتهى إليه دعا بقدح فتمضمض فيه ثم صبه في الماء ففاض الماء ، فشربوا وملؤوا أدواتهم ومياضيهم وتوضؤوا. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لئن بقيتم ، أو بقي منكم ، ليتسعن بهذا الوادي بسقي ما بين يديه من كثرة مائه ، فوجدوا ذلك كما قال صلى الله عليه وآله .

٢٦. ومن ذلك: إخباره عن الغيوب وما كان وما يكون ، فوجد ذلك موافقاً لما يقول. ومن ذلك أنه أخبر صبيحة الليلة التي أسري به بما رأى في سفره ، فأنكر ذلك بعض وصدقه بعض ، فأخبرهم بما رأى من المارة والممتارة ، وهيآتهم ومنازلهم وما معهم من الأمتعة ، وأنه رأى عيراً أمامها بعير أوْرَق ، وأنه يطلع يوم كذا من العقبة مع طلوع الشمس ! فغدوا يطلبون تكذيبه للوقت الذي وقته لهم ، فلما كانوا هناك طلعت الشمس فقال بعضهم: كذب الساحر ، وأبصر آخرون بالعير قد أقبلت يقدمها الأورق ، فقالوا: صدق ، هذه نِعَمٌ قد أقبلت !

٢٧. ومن ذلك: أنه أقبل من تبوك فجهدوا عطشاً ، وبادر الناس إليه يقولون: الماء الماء يا رسول الله. فقال لأبي هريرة: هل معك من الماء شئ ؟ قال: كقدر قدح في ميضاتي ، قال: هلم ميضاتك فصب ما فيه في قدح ودعا وأوعاه ، وقال: ناد: من أراد الماء ! فأقبلوا يقولون: الماء يا رسول الله. فما زال يسكب وأبو هريرة يسقي حتى روي القوم أجمعون ، وملؤوا ما معهم ، ثم قال لأبي هريرة: إشرب ، فقال: بل آخركم شرباً ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله .

٢٨. ومن ذلك: أن أخت عبد الله بن رواحة الأنصاري مرَّت به أيام حفرهم الخندق فقال لها: إلى أين تريدين ؟ قالت: إلى عبد الله بهذه التمرات ، فقال: هاتيهن ، فنثرت في كفه ، ثم دعا بالأنطاع وفرقها عليها وغطاها بالأزر ، وقام وصلى ، ففاض التمر

على الأنطاع ثم نادى: هلموا وكلوا. فأكلوا وشبعوا ، وحملوا معهم ، ودفع ما بقي إليها !

٢٩. ومن ذلك: أنه كان في سفر فأجهدوا جوعاً فقال: من كان معه زاد فليأتنا به. فأتاه نفر منهم بمقدار صاع ، فدعا بالأزر والأنطاع ، ثم صفف التمر عليها ، ودعا ربه فأكثر الله ذلك التمر حتى كان أزوادهم إلى المدينة !

٣٠. ومن ذلك: أنه أقبل من بعض أسفاره فأتاه قوم فقالوا: يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان القيظ اجتمعنا عليها ، وإذا كان الشتاء تفرقنا على مياه حولنا ، وقد صار من حولنا عدواً لنا فادع الله في بئرنا ، فتفل صلى الله عليه وآله في بئرهم ففاضت المياه المغيبة فكانوا لا يقدرون أن ينظروا إلى قعرها بعدُ ، من كثرة مائها. فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب فحاول ذلك في قليب قليل ماؤه ، فتفل الأنكد في القليب ، فغار ماؤه وصار كالجبوب !

٣١. ومن ذلك: أن سراقة بن جعشم حين وجهه قريش في طلبه ، ناوله نبلاً من كنانته وقال له: ستمر برعاتي فإذا وصلت إليهم فهذا علامتي ، أطعم عندهم واشرب ، فلما انتهى إليهم أتوه بعنز حائل ، فمسح صلى الله عليه وآله ضرعها فصارت حاملاً ودرت ، حتى ملؤوا الإناء وارتووا ارتواءً !

٣٢. ومن ذلك: أنه نزل بأم شريك فأتته بعكة فيها سمن يسير ، فأكل هو وأصحابه ثم دعا لها بالبركة ، فلم تزل العكة تصب سمناً أيام حياتها !

٣٣. ومن ذلك: أن أم جميل امرأة أبي لهب أتته حين نزلت سورة (تبَّت) ومع النبي أبو بكر بن أبي قحافة ، فقال: يا رسول الله ، هذه أم جميل محفظة أي مغضبة تريدك ، ومعها حجر تريد أن ترميك به. فقال: إنها لا تراني. فقالت لأبي بكر: أين صاحبك؟

قال: حيث شاء الله. قالت: لقد جئته ولو أراه لرميته فإنه هجاني واللات والعزى إني لشاعرة ! فقال أبو بكر: يا رسول الله لم تَرَك ؟ قال: لا ، ضرب الله بيني وبينها حجاباً .

٣٤. ومن ذلك: كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين ، مع ما أعطي من الخلال التي إن ذكرناها لطالت .

فقالت اليهود: وكيف لنا أن نعلم أن هذا كما وصفت؟

فقال لهم موسى عليه السلام: وكيف لنا أن نعلم أن ما تذكرون من آيات موسى على ماتصفون ؟ قالوا: علمنا ذلك بنقل البررة الصادقين. قال لهم: فاعلموا صدق ما أنبأتكم به ، بخبر طفل لقنه الله من غير تلقين ولا معرفة عن الناقلين .

فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله على خلقه. فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عيني ثم قال: أنت القائم من بعدي ، فلهذا قالت الواقفة ، إنه حي وإنه القائم. ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم وانصرفوا مسلمين». انتهى.

○ ○

الفصل الثالث والثلاثون

المدينة عند هجرة النبي صلى الله عليه وآله

١. النبي صلى الله عليه وآله يدخل عاصمته ويؤسس المسجد النبوي

في الكافي:٨/٣٣٩: «ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم عليه علي عليه السلام ، تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس ، فخط لهم مسجداً ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين .

ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها وعلي عليه السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيه ، وليس يمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة ، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضعٌ لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ، وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلي عنده بالجنائز ، فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل أبو أيوب مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله ، ونزل رسول الله وعلي عليه السلام معه ، حتى بني له مسجده ، وبنيت له مساكنه ومنزل علي عليه السلام فتحولا إلى منازلهما».

وفي ذكرى الشيعة:١١٦/٣:«قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فنزل في علو المدينة ، في بني عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا متقلدين بسيوفهم ، فجاء معهم حتى ألقى بفناء أبي أيوب ».

وفي المناقب: ١١٥/١:« فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري ، ولم يكن في المدينة أفقر منه ، فانطلقت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي صلى الله عليه وآله فنادى أبو أيوب: يا أماه إفتحي الباب فقد قدم سيد البشر وأكرم ربيعة ومضر ، محمد المصطفى والرسول المجتبى ، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء فقالت: واحسرتا ! ليت كان لي عين أبصر بها إلى وجه سيدي رسول الله ، فكان أول معجزة النبي صلى الله عليه وآله في المدينة أنه وضع كفه على وجه أم أبي أيوب ، فانفتحت عيناها » !

وفي الكافي:٣٣٢/٨ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:«كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله القصواء إذا نزل عنها علق عليها زمامها ، فتخرج فتأتي المسلمين فيناولها الرجل الشئ ويناوله هذا الشئ ، فلا تلبث أن تشبع. قال: فأدخلت رأسها في خباء سمرة بن جندب فتناول عنزة(حربة) فضرب بها على رأسها فشجها فخرجت إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكته» !

وفي المناقب:١٥٩/١:« ثم أتاه غسان بن مالك وعباس بن عبادة ، في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ، فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، يعني ناقته. ثم تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالا كذلك. ثم اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة. ثم اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال

من بني الحارث بن الخزرج. فانطلقت حتى إذا وازت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ، فلما بركت ورسول الله صلى الله عليه وآله لم ينزل ، ووثبت فسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت ، ثم تجلجلت ورزمت ووضعت جرانها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله. واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته ، ونزل النبي صلى الله عليه وآله في بيت أبي أيوب ، وسأل عن المربد فأخبر أنه لسهل وسهيل يتيمين لمعاذ بن عفراء فأرضاهما معاذ ، وأمر النبي ببناء المسجد .

وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، وأخذ المسلمون يرتجزون وهم يعملون ، فقال بعضهم:

لئن قعدنا والنبيُّ يَعْمَلُ   لَذَاكَ منَّا العملُ المُضَلَّلُ

والنبي صلى الله عليه وآله يقول: لا عيش إلا عيش الآخرة. اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة...

ثم انتقل من بيت أبي أيوب إلى مساكنه التي بنيت له. وقيل كان مدة مقامه بالمدينة إلى أن بني المسجد وبيوته من ربيع الأول إلى صفر من السنة القابلة ».

وفي الكافي: ٢٩٦/٣، أن الإمام الصادق عليه السلام سئل:«كم كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كان ثلاثة آلاف وستمائة ذراع تكسيراً ».

وفي إعلام الورى: ١٥٤/١:«وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من قبا يوم الجمعة ، فوافى بني سالم عند زوال الشمس فتعرضت له بنو سالم فقالوا: يا رسول الله هلمَّ إلى الجد والجلد والحلفة والمنعة ، فبركت ناقته عند مسجدهم ، وقد كانوا بنوا

مسجداً قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله، فنزل في مسجدهم وصلى بهم الظهر وخطبهم وكان أول مسجد صلى فيه بالجمعة ، وصلى إلى بيت المقدس وكان الذين صلوا معه في ذلك الوقت مائة رجل.ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقته وأرخى زمامها فانتهى إلى عبد الله بن أبيّ ، فوقف عليه وهو يُقَدِّر أنه يعرض عليه النزول عنده ، فقال له عبد الله بن أبي بعد أن ثارت الغبرة وأخذ كمه ووضعه على أنفه: يا هذا إذهب إلى الذين غروك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم، ولاتغشنا في ديارنا !

فسلط الله على دور بني الحبلى الذر (النمل الصغير) فخرق دورهم ، فصاروا نُزَّالاً على غيرهم ، وكان جد عبد الله بن أبي يقال له ابن الحبلى ، فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله لايعرض في قلبك من قول هذا شئ ، فإنا كنا اجتمعنا على أن نملكه علينا وهو يرى الآن أنك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه ، فأنزل عليَّ يا رسول الله فإنه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر مني ، ونحن أهل الجلد والعز ، فلا تَجُزْنا يا رسول الله.

فأرخى زمام ناقته ومرت تَخِبُّ به ، حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم ولم يكن مسجداً ، إنما كان مربداً ليتيمين من الخزرج يقال لهما سهل وسهيل ، وكانا في حجر أسعد بن زرارة ، فبركت الناقة على باب أبي أيوب خالد بن زيد ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نزل اجتمع عليه الناس وسألوه أن ينزل عليهم ، فوثبت أم أبي أيوب إلى الرحل فحلته وأدخلته منزلها ، فلما أكثروا عليه قال

رسول الله ﷺ: أين الرحل؟ فقالوا: أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها. فقال ﷺ: المرء مع رحله. وأخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحولها إلى منزله.

وكان أبو أيوب له منزل أسفل وفوق المنزل غرفة، فكره أن يعلو رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي العلو أحب إليك أم السفل؟ فإني أكره أن أعلو فوقك. فقال ﷺ: السفل أرفق بنا لمن يأتينا.

قال أبو أيوب: فكنا في العلو أنا وأمي، فكنت إذا استقيت الدلو أخاف أن تقع منه قطرة على رسول الله، وكنت أصعد وأمي إلى العلو خفياً من حيث لا يعلم ولا يحس بنا، ولا نتكلم إلا خفياً، وكان إذا نام ﷺ لا نتحرك، وربما طبخنا في غرفتنا فنجيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله ﷺ دخان.

ولقد سقطت جرة لنا وأهريق الماء فقامت أم أبي أيوب إلى قطيفة لم يكن لها والله غيرها، فألقتها على ذلك الماء تستنشف به، مخافة أن يسيل على رسول الله ﷺ من ذلك شئ!

وكان يحضر رسولَ الله ﷺ المسلمون من الأوس والخزرج والمهاجرين، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يبعث إليه في كل يوم غداء وعشاء، في قصعة ثريد عليها عراق (قطع لحم) وكان يأكل معه من حوله حتى يشبعوا، ثم تُرَدُّ القصعة كما هي! وكان سعد بن عبادة يبعث إليه في كل يوم عشاء ويتعشى معه من حضره وترد القصعة كما هي! فكانوا يتناوبون في بعثة الغداء والعشاء إليه: أسعد بن زرارة، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمرو، وسعد بن الربيع، وأسيد بن

حضير. قال: فطبخ له أسيد يوماً قدراً فلم يجد من يحملها فحملها بنفسه وكان رجلاً شريفاً من النقباء، فوافاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رجع من الصلاة، فقال: حملتها بنفسك ؟ قال: نعم يا رسول الله، لم أجد أحداً يحملها. فقال: بارك الله عليكم من أهل بيت...

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي في المربد بأصحابه، فقال لأسعد بن زرارة: إشتر هذا المربد من أصحابه. فساوم اليتيمين عليه فقالا: هو لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله: لا، إلا بثمن، فاشتراه بعشرة دنانير، وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فَسُيِّلَ وأمر باللبن فضرب، فبناه رسول الله صلى الله عليه وآله فحفره في الأرض ثم أمر بالحجارة فنقلت من الحرة، وكان المسلمون ينقلونها فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل حجراً على بطنه، فاستقبله أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمله عنك. قال: لا، إذهب فاحمل غيره.

فنقلوا الحجارة ورفعوها من الحفرة حتى بلغ وجه الأرض، ثم بناه أولاً بالسعيدة لبنة لبنة، ثم بناه بالسميط وهو لبنة ونصف، ثم بناه بالأنثى والذكر لبنتين مخالفتين، ورفع حائطه قامة، وكان مؤخره ذراع في مائة. ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو: أظللت عليه ظلاً، فرفع أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب، ثم ظلله وألقى عليه سعف النخل فعاشوا فيه فقالوا: يا رسول الله لو سقفت سقفاً. قال: لا، عريش كعريش موسى، الأمر أعجل من ذلك.

وابتنى رسول الله صلى الله عليه وآله منازله ومنازل أصحابه حول المسجد، وخط لأصحابه خططاً فبنوا فيها منازلهم، وكل شرع منه باباً إلى المسجد، وخطَّ لحمزة وشرع بابه إلى المسجد، وخط لعلي بن أبي طالب مثل ما خط لهم، وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تأمر كل من كان له باب إلى المسجد يسده، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلا لك ولعلي، يحل لعلي فيه ما يحل لك. فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: أنا عمه يأمر بسد بابي ويترك باب ابن أخي وهو أصغر مني!

فجاءه فقال صلى الله عليه وآله: يا عم لاتغضبن من سد بابك وترك باب علي، فوالله ما أنا أمرت بذلك ولكن الله أمر بسد أبوابكم وترك باب علي! فقال: يا رسول الله رضيت وسلمت لله ولرسوله. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حيث بني منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده».

وروى ابن هشام: ٣٤٣/٢، دخول النبي صلى الله عليه وآله وقال في وصف بناء المسجد:« فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله، قتلوني، يحملون عليَّ مالا يحملون! قالت أم سلمة زوج النبي(ص): فرأيت رسول الله ينفض وفرته بيده، وكان رجلاً جعداً، وهو يقول: ويح ابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية! وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأبُ فيه قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا...

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظن رجل من أصحاب رسول الله (ص) أنه إنما يعرض به فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق، وقد سمى ابن إسحاق الرجل (وهو عثمان) فقال: قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، والله إن لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك! قال وفي يده عصاً! قال: فغضب رسول الله (ص) ثم قال: ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! إن عماراً جلدة ما بين عينيَّ وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يَسْتَبْقِ، فاجتنبوه».

أقول: عمل النبي صلى الله عليه وآله بيده فخجل المسلمون وشاركوا في العمل، لكن عثمان بقي يحمل بيده عصاً ويحيد عن الغبار ويضع ثوبه على أنفه، وجرى بينه وبين عمار كلام فأنشد علي عليه السلام هذه الأبيات فأخذ عمار يرددها، فسبه عثمان فأجابه النبي صلى الله عليه وآله بقوة! لكن عثمان لم يعتبر بكلام النبي صلى الله عليه وآله فعندما صار خليفة وكتب له الصحابة عريضة انتقاد لتصرفات عماله، وبعثوها له مع عمار: «فأخذ عمار الكتاب فأتاه به، فقرأ منه صدراً ثم قال له: أعليَّ تُقْدِم من بينهم! فقال: لأني أنصحهم لك. قال: كذبت يا ابن سمية! فقال: أنا والله ابن سمية وابن ياسر! فأمر عثمان غلماناً له فمدوا بيديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه»! (شرح النهج: ٥٠/٣ والشافي: ٢٨٦/٤. ونبه في الصحيح من السيرة: ٢١٦/٤، الى أن القصة وقعت في توسيع المسجد النبوي بعد خيبر).

٢. المدينة واحات زراعية سكنها العرب اليمانيون

قال الحموي في معجم البلدان:٨٢/٥:« سبخة من الأرض ، ولها نخيل كثيرة ومياه ، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار ، عليها العبيد ، وللمدينة سور ، والمسجد في نحو وسطها ، وقبر النبي صلى الله عليه وآله في شرقي المسجد... وبقيع الغرقد خارج المدينة .

وقُباء خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلي القبلة ، وهي شبيهة بالقرية . وأحُد جبل في شمال المدينة وهو أقرب الجبال إليها ، مقدار فرسخين. وبقربها مزارع فيها نخيل وضياع لأهل المدينة ، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفرع ، والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبيها.. وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجبي خراجها (حاكم القطيف من قبل كسرى- معجم البلدان: ١٢٦/٣) ، وكانت قريظة والنضير اليهود ملوكاً حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج من الأنصار.. وكانت الأنصار قبل تؤدي خراجاً إلى اليهود ، ولذلك قال بعضهم: نؤدي الخرْج بعد خراج كسرى وخرج بني قريظة والنضير

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة وثب على أصحابه وباء شديد حتى أهمدتهم الحمى ، فما كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا اليسير فدعا لهم...

ومن خصائص المدينة أنها طيبة الريح ، وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها ، وتمرها الصيحاني لا يوجد في بلد من البلدان مثله ، ولهم حَبُّ اللبَّان ومنها يحمل إلى سائر البلدان ، وجبلها أحد قد فضله رسول الله صلى الله عليه وآله...

وأخبار مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرة ، وقد صنف فيها وفي عقيقها وأعراضها وجبالها كتب...

وأما المسافات ، فإن من المدينة إلى مكة نحو عشر مراحل ، ومن الكوفة إلى المدينة نحو عشرين مرحلة ، وطريق البصرة إلى المدينة نحو من ثماني عشرة مرحلة ، ويلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة ، ومن الرقة إلى المدينة نحو من عشرين مرحلة ، ومن البحرين إلى المدينة نحو خمس عشرة مرحلة ، ومن دمشق إلى المدينة نحو عشرين مرحلة ، ومثله من فلسطين إلى المدينة ».

أقول: روت مصادر التاريخ والسيرة أن الأوس والخزرج قبيلة يمانية سكنت في واحة يثرب من زمن الملك تُبَّع الأول ، وعرفوا ببني قَيْلَة ، وهي أمهم بنت كال بن عذرة ، ورووا أن تُبَّعاً الأول كان ملكاً لليمن والحجاز والعراق، وكان يعرف بعثة النبي صلى الله عليه وآله فأسكن فيها يمانيين وكتب معهم رسالة الى النبي صلى الله عليه وآله.

ففي مناقب آل أبي طالب: ١٧/١، عن كتاب النبوة لابن بابويه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن تبعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي ، أما لو أدركته لخدمته ولخرجت معه». راجع: ابن هشام: ١٠/١ ، والطبري: ٥٣٤/١ ، والعدد القوية/١١٣ ، وعمدة القاري: ١٧٦/٤، والصحيح من السيرة: ٩١/٤.

وكان اليهود جاءوا بعد المسيح عليه السلام (الكافي: ٣١٠/٨) لانتظار نبي موعود يكون مهاجره المدينة ، ثم جحدوه لأنه من أبناء إسماعيل ويريدونه من أبناء إسحاق !

قال ابن خلدون: ٣٥٦/١، ونحوه اليعقوبي: ٢٠٣/١: «وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها».

ولا يعني ذلك أن المدينة كانت مملكة ، بل واحة فيها قلة من اليهود ، وكانت دزءً من الجزيرة واليمن التي يحكمها تُبّع ، فأسكن فيها الأوس والخزرج ، فهابهم اليهود وتحالفوا معهم . فلم يكن اليهود يوماً حاكمين في الجزيرة .

وتدل تبعية المدينة لمرزبان الزارة الفارسي أي حاكم البحرين ، على أن الجزيرة العربية كانت مطوقة بنفوذ الفرس ، من دولة المناذرة في العراق وحاكم البحرين وحاكم اليمن وكلهم تابعون لكسرى . وإذا صح بيت الشعر المتقدم ، فلا بد أن يكون خرج اليهود الذي يدفعه الأنصار بمعنى رباهم لأنهم كانوا مرابين .

٣. عدد سكان المدينة عند هجرة النبي صلى الله عليه وآله

كان مجموع سكان المدينة عند هجرة النبي صلى الله عليه وآله اليها بضعة آلاف نسمة ، وقد روي أن أربعة آلاف أكلوا في وليمة زواج علي وفاطمة عليهما السلام .

ففي أمالي الطوسي/٤٢ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«قال علي عليه السلام: وأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ودعوا لي بالبركة ، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ، ولم ينقص من الطعام شئ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فملئت ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة وجعل فيها طعاماً وقال: هذا لفاطمة وبعلها». والمناقب: ١٢٩/٣، والبحار: ٩٦/٤٣ و١١٤.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يأمر بعدِّ المسلمين كل مدة ، فعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أن يكتب له كل من تلفظ بالإسلام من أهل المدينة ، فكانوا سبع مئة . (ابن ماجة: ١٣٣٧/٢).

ثم قال صلى الله عليه وآله: « أكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمس مائة رجل ، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة» ! (صحيح بخاري: ٣٣/٤). **وكان ذلك في السنة الخامسة أو السادسة.** (فتح الباري: ١٢٤/٦).

٤. عدد المسلمين المهاجرين الى المدينة

يعرف عدد المهاجرين من أحاديث مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار ، أو بين المهاجرين أو بين الأنصار أنفسهم .

بل يعرف منها عدد المسلمين بعد شهور من الهجرة ، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يترك أحداً بدون مؤاخاة. (الإمتاع:٦٩/١، والصحيح من السيرة:١٧٦/٣).

وفي تاريخ دمشق:٥٢/٤٢:«آخى رسول الله (ص) بين المسلمين فقال لعلي: أنت أخي وأنا أخوك ، وآخى بين أبي بكر وعمر ، وآخى بين المسلمين جميعاً».

وذكر في الصحيح من السيرة: ٢٢٨/٤، أن المهاجرين كانوا في بدر خمسة وأربعين ، ثم وصلوا في المدينة الى مئة وخمسين .

ويضاف اليهم أربعة وعشرون من مهاجري الحبشة جاؤوا الى المدينة: « لما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وآله هاجر إلى المدينة رجع منهم إلى مكة ثلاثة و ثلاثون رجلاً فمات منهم رجلان بمكة وحبس منهم سبعة ، وتوجه إلى المدينة أربعة و عشرون رجلاً ، فشهدوا بدراً».(فتح الباري: ٦٠/٣).

وفي المبسوط للطوسي:٦٧/٤، قال:« كانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة ، فروي أن النبي صلى الله عليه وآله آخى بين المهاجرين والأنصار لما قدم المدينة ، فكان يرث المهاجري من الأنصاري والأنصاري من المهاجري ، ولا يرث وارثه الذي كان له بمكة وإن كان مسلماً ، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ..

ثم نسخت هذه الآية بالقرابة والرحم والنسب والأسباب ، بقوله تعالى: وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ.. ».

وفي الفقيه:٣٥٢/٤: « وقال الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام ، فلو قد قام قائمنا أهل البيت ورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ، ولم يورث الأخ في الولادة ».

٥. كيف تم إسكان المسلمين المهاجرين في المدينة

كان استقبال الأنصار للمسلمين المهاجرين فريداً من نوعه ، فقد استضافوهم في بيوتهم وفضلوهم على أنفسهم ، ثم وهبوا لهم بيوتاً وأراضي وساعدوهم على بنائها. ومدح الله الأنصار لإيثارهم ونصرتهم في أكثر من آية فقال تعالى: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمانِ وَلاتَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

وفي تفسير العياشي: ١٦٧/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « وهل الدين إلا الحب؟ إن الله يقول: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ. وقال: يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ».

وفي شرح النهج: ٢٩/٦ ، عن الزبير بن بكار أن عمرو بن العاص ذم الأنصار لموقفهم في السقيفة ضد خلافة أبي بكر وعمر وقال:« ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة» . ثم قال شعراً في ذمهم !

فجاء خالد بن سعيد بن العاص فغضب للأنصار وشتم عمرو بن العاص وقال: يا معشر قريش ، إن عمراً دخل في الإسلام حين لم يجد بداً من الدخول فيه ، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه ! وإن من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار.

والله ما حاربناهم للدين ولا للدنيا ، لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا ، وما بذلنا دماءنا لله فيهم ، وقاسمونا ديارهم وأموالهم ، وما فعلنا مثل ذلك بهم ، وآثرونا على الفقر وحرمناهم على الغنى ، ولقد وصى رسول الله بهم وعزَّاهم عن جفوة السلطان ، فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع والسلطان الجاني ».

وفي جامع أحاديث الشيعة: ٥٧٥/٨ ، من مناظرة المأمون مع فقهاء السنة:«قال النبي صلى الله عليه وآله للأنصار: إن شئتم أخرجتم المهاجرين من دوركم وأموالكم وقسمت لهم هذه الأموال دونكم ، وإن شئتم تركتم أموالكم وأقسمت لكم معهم. قالت الأنصار: بل إقسم لهم دوننا واتركهم معنا في دورنا وأموالنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ، يعني يهود قريظة ، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ ، لأنهم كانوا معهم بالمدينة أقرب من أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ، ثم قال: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».

وقال البلاذري في الفتوح: ٥/١: « ووهبت الأنصار لرسول الله (ص)كل فضل كان في خططها وقالوا: يا نبي الله إن شئت فخذ منازلنا ! فقال لهم خيراً ».

وفي معجم البلدان: ٨٦/٥: «كان (ص) يُقطع أصحابه هذه القطائع ، فما كان في عفا من الأرض فإنه أقطعهم إياه ، وما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له ، فكان يقطع من ذلك ما شاء. وكان أول من وهب له خططه ومنازله حارثة بن النعمان فوهب له ذلك وأقطعه».

وفي فتح الباري: ١٨١/٦:« جعلوا للنبي (ص) ما لا يبلغه المأمن من أرضهم ، فأقطع النبي(ص) من شاء منه ».

وقال الشيخ الطوسي في المبسوط: ٢٧٤/٣: «وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه اقطع الدور بالمدينة ». وذكر الأحمدي في مكاتيب الرسول(٣٥٠/١) نحو ثلاثين مورداً من إقطاعات النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه.

وفي الطبقات: ٢٢/٨: « لما قدم رسول الله (ص) المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها ، فلما تزوج علي فاطمة قال لعلي: أطلب منزلاً فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي(ص) قليلاً فبنى بها فيه ، فجاء النبي(ص)إليها فقال: إني أريد أن أُحَوِّلَك إليَّ ، فقالت لرسول الله (ص): فكلم حارثة بن نعمان أن يتحول عني. فقال رسول الله(ص): قد تحول حارثة عنا قد استحيت منه ، فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي(ص) فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك وهذه منازلي وهي أسقب بيوت نبي النجار بك ، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله ! والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إليَّ من الذي تدع ! فقال رسول الله(ص): صدقت ، بارك الله عليك ، فحولها رسول الله إلى بيت حارثة ».

وفي صحيح بخاري:٢٠٨/٤، أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر عن علي عليه السلام:« فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي (ص) ثم قال: لعل ذاك يسوءك؟ قال: أجل ! قال فأرغم الله بأنفك» ! وفي فتح الباري: ٥٩/٧: « سألت ابن عمر عن علي فقال: أنظر إلى منزله من نبي الله ليس في المسجد غير بيته».

وفي الكافي:٥٥٥/٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام:« إذا دخلت من باب البقيع فبيت علي صلوات الله عليه على يسارك ، قدر ممر عنز من الباب ، وهو إلى جانب بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباباهما جميعاً مقرونان ».

وقال في الطبقات: ١٦٦/٨، يصف بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله: « رأيت منازل أزواج رسول الله حين هدمها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة في خلافة الوليد بن

عبد الملك وزادها في المسجد: كانت بيوتاً باللبن ولها حجر من جريد، مطرور بالطين، عددت تسعة أبيات بحجرها، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي».

أقول: كان بيت عمر في العوالي وبيت أبي بكر في السنح، بعيدين عن المسجد عدة كيلو مترات، ولم يكن بجانب بيت النبي صلى الله عليه وآله إلا بيت علي عليه السلام، وكانت بيوت أزواجه ومنها حجرة عائشة بعيدة نسبياً عن بيته. وقد بحثنا ذلك في سيرة الإمام الحسن عليه السلام من جواهر التاريخ، وأثبتنا أن النبي صلى الله عليه وآله دفن في بيته لا في بيت عائشة.

٦. الوضع السياسي العالمي عند تأسيس النبي صلى الله عليه وآله لدولته

كانت الدولتان اللتان تحكمان العالم في عهد النبي صلى الله عليه وآله: فارس والروم.

فكان كسرى يحكم قسماً من العراق مباشرة، وقسماً بواسطة المناذرة، وكان فيه قبائل عربية كبيرة من أشهرها ربيعة، وكانت البحرين ومحيطها تحت حكم كسرى مباشرة أيضاً، يعين لها حاكماً يسمى المرزبان، وأبرز قبائلها عبد القيس من تميم، كما كانت اليمن تحت حكم كسرى ففيها حاكم فارسي الى جنب الملك، من أبناء الذين حرروها من الحبشة مع سيف بن ذي يزن، وكان فيها قبائل قوية عديدة كهمدان وكندة. وكانت قبائل الحجاز شبه مستقلة، وأبرزها قريش بسبب ولايتها للكعبة، وأكثرها عدداً تميم وهوازن في نجد.

وقد شمل حكم كسرى مضافاً الى ما ذكرنا بلاد فارس وما وراء النهر وقسماً من الهند، وكانت منطقة الشام وفلسطين موضع صراع بين الفرس والروم، وقد غلب

عليها الفرس بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله، وأخبر القرآن بأن الروم سيغلبونهم بعد بضع سنين، فغلبوهم أيام معركة بدر.

وكانت أمبراطورية الروم أوسع، فكانت روما الغربية تحكم كل أوروبا الغربية والشرقية، وكان قيصر روما الشرقية في القسطنطينية يحكم تركيا وبلاد الشام وفلسطين ومصر والحبشة، ويمد منها نفوذه الى أفريقيا، كما يمد نفوذه من جهة الشام الى الجوف ويطمع أن يخضع المدينة ويقضي على النبوة.

وكان اليهود عملاء للرومان الذين دمروا دولتهم، وبعضهم عملاء للفرس الذين دمروا دولتهم من قبل، وقد هاجرت قبائل منهم الى أرض العرب تنتظر النبي الموعود، على أمل أن يكون من أبنائهم!

أما بقية دول العالم فكان أهمها الهند والصين، وكان ينظر اليهما على أنهما دولتان نائيتان مقفلتان على نفسيهما. أو ممالك صغيرة تحكمها أسر وقبائل.

○ ○

الفصل الرابع والثلاثون

النبي صلى الله عليه وآله يرسي أسس الدولة الإسلامية

١- آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين ، واتخذ علياً عليه السلام أخاً له

تدل الأحاديث على أن المؤاخاة كانت مرتين في مكة والمدينة(فتح الباري: ٢١٠/٧).

وأن النبي صلى الله عليه وآله ربما آخى بين المسلم وأكثر من شخص ، فقد آخى بين سلمان الفارسي وأبي ذر ، وبينه وبين أبي الدرداء.. الخ.

وقد أحصينا في الملحق الخاص من وجدناه في المصادر ممن آخى النبي صلى الله عليه وآله بينهم ، ونكتفي هنا بروايات في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله بينه وبين علي عليه السلام:

ففي تاريخ دمشق:٥٣/٤٢:«إن رسول الله (ص) لما آخى بين المسلمين أخذ بيد علي فوضعها على صدره ، ثم قال: يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. أما تعلم أن أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بي فأقام عن يمين العرش في ظلة فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة ، ثم يدعى بأبيك إبراهيم فيقام عن يمين العرش فيكسى حلة خضراء من حلل الجنة.

ثم يدعى بالنبيين والمرسلين بعضهم على إثر بعض فيقومون سماطين فيكسون حللاً خضرا من حلل الجنة.

وأنا أخبرك يا علي أنه أول من يدعى بي من أمتي يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي ، فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد ، يستبشر به آدم وجميع من خلق الله عز وجل من الأنبياء والمرسلين ، فيستظلون بظل لوائي ، فتسير باللواء بين السماطين الحسن بن علي عن يمينك والحسين عن يسارك ، حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش ، فتكسى حلة خضراء من حلل الجنة فينادي مناد من عند العرش: يا محمد ، نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك وهو علي. يا علي إنك تدعى إذا دعيت وتحيا إذا حييت وتكسى إذا كسيت ».

وقال العلامة الحلي في كشف اليقين/٢٠٨: « قال حذيفة بن اليمان رحمه الله: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار ، وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: هذا أخي.

قال حذيفة: فرسول الله صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له في الأنام شبيه ولا نظير ، وعلي أخوه.

والأخبار في ذلك كثيرة ، وهذه منزلة شريفة ومقام عظيم ، لم يحصل لأحد مثله ».

وقال ابن أبي حاتم في الدر النظيم/٢٥٠: « قال أهل العدل: وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله لما آخى بين أصحابه ضم كل شكل إلى شكله وكل إنسان إلى مثله ، وكل نظير إلى نظيره ، فضم أبا بكر إلى عمر ، وعثمان إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وطلحة إلى الزبير ، وسعد بن أبي وقاص إلى سعيد بن نفيل ، وآخى بينهم على هذا المثال. وآخى بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام ».

وفي الدر المنثور: ٢٠٥/٣: «عن ابن عباس قال: كان رسول الله آخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ، فآخى بين حمزة بن عبد المطلب وبين زيد بن حارثة ، وبين عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء ، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وبين أبي بكر وطلحة ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وقال لسائر أصحابه: تآخوا ، وهذا أخي. يعني علي بن أبي طالب».

أما وقت المؤاخاة فقيل بعد الهجرة بثمانية أشهر وقيل بخمسة ، والصحيح أنها في الثاني عشر من شهر رمضان في السنة الأولى لهجرة النبي ﷺ عند نزول قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

ففي كتاب مسارّ الشيعة للصدوق رحمه الله /٧ ، وفي طبعة/٣٢: « وفي الثاني عشر نزل الإنجيل على عيسى بن مريم ، وهو يوم المؤاخاة التي آخى فيه بين أصحابه ، وآخى بينه وبين علي عليه السلام ».

وفي أمالي الطوسي/٥٨٧: «عن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان وعبد الرحمن ، وبين فلان وفلان ، حتى آخى بين أصحابه أجمعهم ، على قدر منازلهم، ثم قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أنت أخي وأنا أخوك ».

هذا، وفي مؤاخاة النبي ﷺ بين المسلمين وبينه وبين علي عليه السلام ، بحوث مهمة. قال ابن عبد ربه في الدرر/٩٠: « والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخاة التي عقدها رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار في حين قدومه إلى

المدينة ، أنه آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك... وآخى بين علي بن أبي طالب وبين نفسه فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة...

زيد بن وهب قال: سمعت علياً رضي الله عنه قال على المنبر: أنا عبد الله وأخو رسوله ، لم يقلها أحد قبلي ولا يقولها أحد بعدي إلا كذاب مفتر ».

راجع الملحق رقم (١٠) في تعداد أسماء الذين آخى النبي صلى الله عليه وآله بينهم .

٢- النبي صلى الله عليه وآله يرسي ميثاق الدولة الإسلامية ويحدد دستورها

نكتفي هنا بخلاصة ما كتبه المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه القيم: «حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة والفكر المعاصر»:

«عندما وصل رسول الى إقليم الدولة ومقر المجتمع الجديد ، آخى بين الأنصار ثم آخى بين المهاجرين والأنصار ، وآخى مرة ثانية بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب ، فأصبح المسلمون «المهاجرون والأنصار» كعائلة واحدة تربطهم وشائج الإسلام والإيمان وأخوته ، وأصبح النبي ولي هذه العائلة مجتمعة بالنص الشرعي علاوة على رئاسته العامة لكل مواطني يثرب من أتباع الديانات الأخرى....

أ. التعاقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين المسلمين:

تم التعاقد الفعلي والقانوني بين رسول الله صلى الله عليه وآله بصفته الولي، أو السلطة، أو القيادة المختارة إلهياً لقيادة المجتمع الجديد ، وبصفته أيضاً المتلقي للشريعة

الإلهية والمؤتمن على تطبيق أحكامها في المجتمع الجديد ، وبين المسلمين كأعضاء في المجتمع الجديد. وقد حرص رسول الله على أن يتم الدخول في الإسلام والإنتماء إلى المجتمع الجديد بموجب عقد حقيقي مع كل واحد يريد الدخول في الإسلام والإنتماء لمجتمعه الجديد ، وأن يكون من بنود العقد القبول بقيادة الرسول للمجتمع ، والقبول بطبيعة أحكام الشريعة الإلهية باعتبار أن « قيادة الرسول وتطبيق الشريعة الإلهية» الضمانة العملية لحماية الإنسان وتمكينه من ممارسة حقوقه كاملة غير منقوصة. فلم يرو راوٍ قط أن رجلاً أو أنثى دخل في الإسلام دون أن يبايع رسول الله ، فكل رجل كان يضع يده بيد الرسول كناية عن تمام التعاقد ، وكل أنثى كانت تبايع الرسول بالصيغة والشكل الذي حدده الرسولﷺ... تلك حقيقة مطلقة لايملك أحد إنكارها ، فالبيعة بين الطرفين كناية عن تمام التعاقد حسب الأعراف والأطر القانونية التي كانت سائدة آنذاك ، وكانت كل بيعة تتم بالرضا والطواعية التامين ، وبدون إكراه أو ضغط...

ب. التعاقد لتحديد إقليم الدولة ومكان المجتمع الجديد:

وقع الإختيار الإلهي على مدينة يثرب «المدينة المنورة» لتكون المكان الذي تقام فيه نواة المجتمع الجديد ، ومقر الدولة الإسلامية المباركة الجديدة ، وكلف الله نبيه أن يترجم هذه التوجيهات الإلهية ، فالتقى بعد أداء مناسك الحج بوفد مسلمي المدينة المنورة المكون من٧٣ رجلاً وامرأتين ، والذي كان يرأسه أسعد بن زرارة ، واتفق هذه الوفد المفوض مع رسول اللهﷺ وتعاقد معه على ما يلي:

١. أن يهاجر رسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله الى المدينة المنورة.

٢. أن يقوم الأنصار متكافلين ومتضامنين بحماية رسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله كما يحمي كل واحد منهم نفسه ونساءه وأولاده.

٣. أن تتاج الفرصة لمن يرغب من مسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة والإنتماء إلى المجتمع الجديد ، وأن يتولى الأنصار احتضان المهاجرين كأخوة لهم.

٤. أن لايترك رسول الله المدينة المنورة عندما تعلو كلمة الله ويظهر أمره.

وبعد الإتفاق على المضمون الآنف لهذا العقد قام أعضاء الوفد والمرأتان بمبايعة رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك فرداً فرداً ، كناية عن تمام العقد وإبرامه...

ج- التعاقد مع أتباع الديانات المقيمين في المدينة:

بوصول النبي والمهاجرين إلى المدينة المنورة تكونت كل مقومات الدولة:

١. السلطة: المكونة من الإمام وهو رسول الله وأهل شوراه أو حكومته الفعلية.

٢. الإقليم: وهو منطقة يثرب أو المدينة المنورة وما حولها.

٣.الشعب: من خلال البيعة العامة لرسول الله عندما استقر في المدينة تكون شعب الدولة الإسلامية وتحدد عملياً من:

١. المسلمين: وهم أمة واحدة من دون الناس ويتألفون من: المهاجرين والأنصار الأوس والخزرج ومواليهم.

٢. اليهود المتحالفين مع قبائل الأوس والخزرج ، وهم يهود بني النجار ويهود بني الحارث ، ويهود بني ساعدة ، ويهود بني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة.

٣. من قبائل اليهود التي تعيش في أحياء خاصة بها حول المدينة.

٤. ممن بقي على الشرك من الأعراب المتواجدين داخل المدينة وحولها.

وكان المسلمون يعرفون الشريعة الإلهية كقانون نافذ في المجتمع ، ويرتبطون مع الرسول دائماً في الصلاة يومياً ، أو مرة واحدة في الأسبوع على الأقل.

أما العناصر الأخرى في مجتمع الدولة الإسلامية من أتباع الديانات الأخرى غير الإسلام ، فهي لاتعرف الحلال من الحرام ، وبتعبير آخر فهي تجهل القانون النافذ في المجتمع الجديد الذي بدأت الدولة الإسلامية بتطبيقه ، ولم ترتبط مع النبي بأي عقد. صحيح أن الكلمة العليا والقول الفصل في هذا المجتمع للنبيﷺ وأن هذه العناصر قد استقبلته عند وصوله إلى يثرب وعبرت عن ترحيبها وفرحتها بقدومه، لكنهﷺلم ير من المناسب أن يمتد سلطان دولته إلى هذه العناصر دون رضاها والتعاقد معها ، لذلك وضع صحيفة تنظيمية بمثابة ملحق دستوري لتنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع الجديد وفئاته ، ليعرفوا حدودهم فلا يتجاوزوها، وتتكرس فكرة سيادة الشريعة الإسلامية على الأمة المسلمة ، وسيادة االقانون.

د. *تكييف هذا العقد:*

وهذا الملحق الدستوري عبارة عن كتاب من محمدﷺ: ١) للمؤمنين. ٢) لكافة فئات مجتمع المدينة. ٣) لمن تبعهم. ٤) لمن لحق بهم. ٥) لمن جاهد معهم.

ولا تثريب على النبيﷺلو قدم هذا الملحق كمواد نافذة على جميع المنتمين الى المجتمع الجديد ، لكن روح الإسلام القائمة على الرضا والقبول ، وخُلُق

النبي الرحيم اقتضت أن يكون بمثابة عقد خاص يشمل كل المسلمين الذين بايعوه، وتعاقدوا معه بدخولهم في الإسلام.

ثم إن هذا الملحق الدستوري... عقد حقيقي نظمه النبي صلى الله عليه وآله ووافق عليه أتباع الديانات الأخرى داخل المجتمع الجديد، الذين تربطهم بالأوس والخزرج علاقات القربى والموالاة. ويدل على ذلك المادة التي نصت على أن رسول الله هو المخول والمختص بفصل النزاعات الناتجة عن تطبيق هذه الصحيفة.

هـ- الخطوط العريضة لهذا الملحق أو العقد التنظيمي:

١. المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة من دون الناس.

٢. قريش عدوة للمجتمع اليثربي لا تُجَارُ أبداً.

٣. يشترك اليهود بالنفقات الحربية ويقتسمون الغنائم.

٤. يثرب للجميع وهي محرمة لا يقطع شجرها ولا يقتل طيرها ولا يروع ساكنها.

٥. دين الدولة الجديدة هو الإسلام، ورئيس الدولة هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مختص بفصل النزاعات التي تنشأ في المجتمع الجديد.

٦. المجرم عدو للمجتمع لايجوز إيواؤه. والقاتل يقتل، ويتعاون الجميع على تنفيذ الحكم عليه ولو كان ابن أحدهم.

٧. الجريمة شخصية لا يسأل غير مقترفها، والمجتمع كله ضد البغي.

٨. جار الإنسان كنفسه لا يضارّ.

٩. المجتمع مع المظلوم ضد الظالم.

١٠. لا تجار المرأة إلا بإذن أهلها.

١١. من خرج من المدينة فهو آمن ، ومن قعد في بيته فهو آمن.

١٢. وحتى يضمن الأمن لليهود ومنهم وضعت مادة: لا يجوز لأي يهودي أن يخرج من المدينة إلا بإذن محمد.

١٣. على المسلمين سداد دين الغارم منهم.

١٤. اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

١٥. يهود بني عون أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وكذلك يهود بني الحارث ، وبني النجار ، وبني ساعدة ، وبني جشم ، وبني الأوس ، وبني ثعلبة وبطانة الجميع كأنفسهم.

١٦. الله ومحمد جارٌ لمن بَرَّ واتقى ، ومن ظلم فلا أمن له.

وقد تألف هذا العقد أو الملحق من ٤٧ بنداً تعاقدياً ، وكرس البند التعاقدي رقم ٢١ الشريعة الإسلامية كقانون أعلى نافذ في المجتمع ، كما كرس بوضوح تام رئاسة محمد للدولة والمجتمع ، بإعطائه الحق بفصل النزاعات والخصومات...

وهذه عقود حقيقية تمت بين السلطة وأعضاء المجتمع ، وبين أعضاء المجتمع أنفسهم ، وليست عقوداً افتراضية كالتي تصورها روسو ! ونقول بكل موضوعية: إن مثل هذه التعاقدات سابقة إنسانية ، ليس لها مثيل في التاريخ البشري...

كل هذه الأسباب دعت النبي لاعتبار المدينة المنوّرة وطناً للجميع بما فيهم

اليهود واعترف بالتحالفات القبلية السابقة لقدومه وتركها على حالها ، وأعطى تشكيلات المجتمع الحرية بإدارة شؤونها ، وعند اختلافها فهو المرجع لحل هذه الإختلافات ، وظهر اليهود بمظهر الموالين للنبي صلى الله عليه وآله والترتيبات التي أعلنها ، وقبلوا بالملحق الدستوري بدليل أن النبي صلى الله عليه وآله كان يذكرهم بالعقد كلما هموا بالخروج عليه». انتهى.

٣. هل كانت حروب النبي صلى الله عليه وآله دفاعية أم هجومية؟

كان مجتمع المدينة مجتمعاً مقاتلاً ، لأن المسلمين كانوا مستهدفين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في أمالي الطوسي: ١٧٤: « فلما آووا رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه ونصروا الله ودينه ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وتحالفت عليهم اليهود وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة ، فتجردوا للدين وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل، وما بينهم وبين اليهود من العهود ، ونصبوا لأهل نجد وتهامة ، وأهل مكة واليمامة ، وأهل الحزن وأهل السهل ، قناة الدين والصبر ، تحت حماس الجلاد ».

وفي سيرة ابن إسحاق: ١٥٤/٢: « فمكث رسول الله (ص) بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه ، خائفاً هو وأصحابه ، يدعون الله عز وجل سراً وعلانية ، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وكانوا بها خائفين يمسون ويصبحون في السلاح ، فقال رجل من أصحاب رسول الله (ص): يا رسول الله أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع

السلاح؟ فقال رسول الله: لن تعبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم ، ليس فيه حديد ».

ولهذا، كان موقف النبيﷺ والمسلمين الدفاع عن كيانهم ووجودهم ، وحتى حروبهم مع قريش وغيرها كانت دفاعاً ، أو وقاية من اعتداء متوقع في أي وقت.

وقد تبنى هذا التحليل الكُتّاب المسلمون المعاصرون ، دفاعاً عن الإسلام ونبيهﷺ ورداً على الغربيين الذين اتهموا الإسلام بأنه دين دموي ، يتبنى القتال باسم الجهاد ، وأنه انتشر بالقوة في جزيرة العرب ، ثم في البلاد التي هاجمها وفتحها.

كما اتهم الغربيون نظام الحكم الإسلامي بأنه نظام ديكتاتوري (ثيوقراطي) يعطي الخليفة صلاحيات مطلقة ، ويقمع الرأي المخالف له بإسم الله تعالى.

فأجابهم الكتّاب المسلمون بأن نظام الحكم الإسلامي يقوم على الشورى ، واستدلوا بآية الشورى ، وحاولوا أن يجدوا تطبيقاً لها في السقيفة وغيرها ، فلم يوفقوا !

٤- حقائق غابت عن المتّهمين والمدافعين

لم يستند المنتقدون للإسلام الى أساس علمي ، بل الى العاطفة المعادية والدعاية المغرضة ، ضد الإسلام ونبيهﷺ.

وأجاب بعض المسلمين بإجابات ضعيفة ، فادعوا أن جميع حروب النبيﷺ دفاعية ، واحتجو بعدد منها ، واستندوا الى آية: لا إكراه في الدين..

فرد عليهم آخرون بأن آيات فريضة الجهاد والقتال صريحة في تشريع القتال للدفاع والهجوم ، وكذا ما دونه الفقهاء في أبواب الجهاد في مصادر الفقه ، كالكافي:١٣/٥ ، ومبسوط الطوسي:٢/٢ ، والجواهر:٣/٢١ ، والمجموع:٢٦٥/١٩ ، والمغني:٣٦٤/١٠.

والحقيقة أن المتهمين للإسلام بأنه قام على الحرب والمدافعين عنه ، وقعوا في خطأ عندما ركزوا على التطبيقات التي وقعت في تاريخ المسلمين ، ولم يبحثوا الأصل الحقوقي في هذه المسائل ! فمن الذي يملك الحق في دعوة الناس الى دين الله ، ويملك حق قتالهم إن خالفوه ؟

والجواب المختصر في هذه المسائل: أن المالك المطلق للأرض والكون وكل المخلوقات هو الله تعالى ، فهو خالقها وصاحبها ومديرها عز وجل ، وهو الذي يملك جميع الحقوق القانونية ، وكل ملكية وصلاحية لمخلوقاته من ملائكة وبشر وغيرهم ، لا بد أن تكون بتمليكه وإعطائه.

وبما أنه عز وجل عادل حكيم ، فلا يعطي حق دعوة الناس وحكمهم إلا للمطهرين المعصومين من أنبيائه وأوصيائه عليهم السلام.

١- قال الله تعالى في بيان خلقه وملكيته المطلقة للكون: « ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَايَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ». « قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأرض وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ». « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لايَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ».

٢- وقال تعالى في تسليط رسله عليهم السلام: «وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلارِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

٣- وقال تعالى في الإذن لرسوله وأوصيائه عليهم السلام: « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَوةَ وَآتَوُا الزَّكَوةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ». (الحج: ٤١).

٤- وقال تعالى يأمر المؤمنين بالقتال بقيادة نبيه وأوصيائه المعصومين عليهم السلام: « قَاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا. الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا. (النساء: ٧٥-٧٦).

وقد بينت أحاديث أهل البيت عليهم السلام صفات المأذون لهم بالدعوة والقتال (تهذيب الأحكام: ١٣١/٦) وهي تحصرهم بالمعصومين الذين اختارهم الله تعالى كالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، ولا تشمل الذين اختارهم الناس ، أو فرضوا حكمهم بقوة السلاح.

لذلك تجد عند فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام بحوثاً فقهية مفصلة في حق الحكم في عصر غيبة النبي والإمام عليهم السلام ، فهل هو حق للناس بالشورى ويتم تطبيقه

بالإنتخابات المعروفة ، أم هو حق للمعصوم فقط ، فإن غاب تعايش أتباعه مع الحكام الموجودين؟

وقد ذهب الى ذلك أكثر فقهاء الشيعة ، فقالوا إن الحكم في عصر الغيبة أن يتعايش المسلمون مع الحكومات الموجودة ، ويعملوا لتحسين أدائها وتقليل ظلمها. وقال بعضهم إن حق الحكم للناس فيكون من ينتخبونه ضمن الشروط الشرعية حاكماً شرعياً ، وإن لم يصح وصفه بأنه خليفة للنبي صلى الله عليه وآله.

وقال بعضهم كالسيد الخميني رحمه الله إن الحكم في عصر الغيبة للفقيه الجامع للشرائط (المرجع أو المجتهد) وله الولاية المطلقة على الناس شبيهاً بالمعصوم عليه السلام ، لكنه رحمه الله طبق نظاماً يعتمد الإنتخابات ، بشرط أن يمضي نتيجتها الفقيه ولي الأمر.

وأما فقهاء مذاهب السلطة فقالوا يجب على المسلمين أن يبايعوا حاكماً ويصير خليفة شرعياً للنبي صلى الله عليه وآله بمجرد أن يصفق على يده بالبيعة شخص واحد ، فيجب على الباقين بيعته ، ويجوز إجبارهم بالسيف عليها !

فإن قام ضده أحد وجب قتاله وقتله مع أنصاره لأنهم باغون معتدون بخروجهم على إمامهم ، فإن غلب هذا الباغي بعد دقائق تحول الى خليفة شرعي ووجبت بيعته ! وبهذا يكون الحكم عندهم لمن غلب ، ويكون الله تعالى مع من غلب !

وهذا أكثر من اعتراف بشرعية التسلط على الناس بالظلم والقهر والغلبة ، بل فيه نسبة هذه الشرعية الى الله تعالى !

٥- أذن الله لرسوله صلى الله عليه وآله بقتال المشركين

روى في الكافي: ٣٤١/٨، بسند صحيح عن عن سعيد بن المسيب ، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «إنه لما ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة ، ومات أبو طالب بعد موتها [بسنة] حزن رسول الله صلى الله عليه وآله حزناً شديداً، وخاف على نفسه من كفار قريش فأوحى الله إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها ، وهاجر إلى المدينة ، فليس لك بمكة ناصر ، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة ». وفي تفسير القمي: ٧١/١: « قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَكُرْهٌ لَكُمْ.. نزلت بالمدينة ونسخت آية: كُفُّوا أَيْدِيَكم.. التي نزلت بمكة ».

وفي جواهر الكلام: ٥٧/٢١: « فلما أرادوا ما هموا به من تبييته ، أمره الله بالهجرة وفرض عليه القتال ، فقال: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا.. ».

وفي الكافي: ١٣/٥، عن أبي عمرو الزبيري ، أنه قال للإمام الصادق عليه السلام: «أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله ، أهو لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم ، أم هو مباح لكل من وحد الله عز وجل وآمن برسوله صلى الله عليه وآله ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله ؟

فقال: ذلك لقوم لايحل إلا لهم ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم. قلت: من أولئك؟ قال: من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين ، فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عز وجل ، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز

وجل في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله ، حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد.

قلتُ: فبيِّن لي يرحمك الله. قال: إن الله تبارك وتعالى أخبر نبيه في كتابه الدعاء إليه ووصف الدعاة إليه فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعضاً ويستدل بعضها على بعض فأخبر أنه تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه ودعا إلى طاعته واتباع أمره فبدأ بنفسه فقال: وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ثم ثنى برسوله فقال: أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..يعني بالقرآن...

ثم ذكر من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ..

ثم أخبر عن هذه الأمة وممن هي وأنها من ذرية إبراهيم ومن ذرية إسماعيل من سكان الحرم ممن لم يعبدوا غير الله قط ، الذين وجبت لهم الدعوة ، دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا... ثم أخبر تبارك وتعالى أنه لم يأمر بالقتال إلا أصحاب هذه الشروط فقال عز وجل: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ.. وذلك أن جميع ما بين السماء والأرض لله عز وجل ولرسوله ولأتباعهما من المؤمنين من أهل هذه الصفة ، فما كان من الدنيا في أيدي المشركين والكفار والظلمة والفجار من أهل

الخلاف لرسول الله ﷺ والمولي عن طاعتهما مما كان في أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات وغلبوهم عليه مما أفاء الله على رسوله فهو حقهم أفاء الله عليهم ورده إليهم وإنما معنى الفيئ كل ما صار إلى المشركين ثم رجع مما كان قد غلب عليه أو فيه ، فما رجع إلى مكانه من قول أو فعل فقد فاء... وإن لم يكن مستكملاً لشرائط الإيمان فهو ظالم ، ممن يبغي ويجب جهاده حتى يتوب ! وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله عز وجل ، لأنه ليس من المؤمنين المظلومين الذين أذن لهم في القرآن في القتال... فليتق الله عز وجل عبدٌ ولا يغتر بالأماني التي نهى الله عز وجل عنها ، من هذه الأحاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن ، ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتها ».

وقال اليعقوبي في تاريخه:٤٤/٢:«وأقام رسول الله يتلوَّم ويتهيأ للقتال حتى أنزل الله ، عز وجل: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ.. والآية التي بعدها. وقال: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ.. إلى آخر الآية. فكان الرجل من المؤمنين يعد بعشرة من المشركين حتى أنزل الله عز وجل: الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ.. وأنزل الله عليه سيفاً من السماء له غمد ، فقال له جبريل: ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتى يقولوا: لا إله إلا الله وإنك رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. فكان أول سرية سارت ولواء عقد في الإسلام لحمزة بن عبد المطلب ».

وقال ابن هشام: ٣٢٠/٢: «أذن الله عز وجل لرسوله (ص) في القتال والإنتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم ، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

وفي الكافي: ٧/٥، و٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الله عز وجل بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال ! فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ، ولا يقيم الناس إلا السيف ، والسيوف مقاليد الجنة والنار ».

○ ○

الفصل الخامس والثلاثون

زواج علي وفاطمة عليها السلام

١- خَطَبَها كبار الصحابة فردهم النبي صلى الله عليه وآله!

روت مصادر الجميع أن أبا بكر وعمر وغيرهما خطبا الزهراء فردهم النبي صلى الله عليه وآله.

ففي الطبقات: ١٩/٨: «أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي(ص) فقال: يا أبا بكر أنتظر بها القضاء ، فذكر ذلك أبو بكر لعمر فقال له عمر: ردك يا أبا بكر. ثم إن أبا بكر قال لعمر: أخطب فاطمة إلى النبي(ص) فخطبها فقال له مثلما قال لأبي بكر: أنتظر بها القضاء ، فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره فقال: له ردك يا عمر » !

وفي تذكرة الخواص/٢٧٦ ، عن أحمد في الفضائل: « فقال رسول الله: إنها صغيرة وإني أنتظر بها القضاء ، فلقيه عمر فأخبره ، فقال: ردك ، ثم خطبها عمر فرده ».

وفي سنن النسائي: ٦٢/٦: « فقال رسول الله: إنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه ».

وفي مجمع الزوائد: ٢٠٤/٩ ، عن الطبراني الكبير: ٤٠٨/٢٢ ، ووثقه: « خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال النبي: هي لك يا علي ». وفيه: « فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه ».

وفي المناقب: ١٢٢/٣: « اشتهر في الصحاح بالأسانيد عن أمير المؤمنين عليه السلام، وابن عباس ، وابن مسعود ، وجابر الأنصاري ، وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، وأم سلمة ، بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ، أن أبا بكر وعمر خطبا إلى النبي صلى الله عليه وآله مرة بعد أخرى فردهما...

وروى ابن بطة في الإبانة أنه خطبها عبد الرحمن فلم يجبه. وفي رواية غيره أنه قال: بكذا من المهر ، فغضب صلى الله عليه وآله ومد يده إلى حصى فرفعها فسبحت في يده ، وجعلها في ذيله فصارت دراً ومرجاناً ، يعرض به جواب المهر.. ».

وفي الصحيح من السيرة: ٢٧٠/٥: «وقد عاتب الخاطبون النبي صلى الله عليه وآله على منعهم وتزويج علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله منعكم وزوجه ! وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفؤ ».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٠٣/٢: «عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي لقد عاتبتني رجال قريش في أمر فاطمة ، وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت علياً ؟! فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله تعالى منعكم وزوجه ! فهبط عليَّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض ، آدم فمن دونه » ! وروضة الواعظين/١٤٦، و مناقب آل أبي طالب: ٢٩/٢، وينابيع المودة: ٢٤٤/٢ ، عن فردوس الأخبار للديلمي عن عن أم سلمة ، وكذا كشف الغمة: ١٠٠/٢، ونقل منه أيضاً ، عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: « يا علي إن الله عز وجل زوجك فاطمة ، وجعل صداقها الأرض فمن مشى عليها مبغضاً لها مشى حراماً ».

ورد الشريف المرتضى روايتهم بأن علياً عليه السلام آذى فاطمة عليها السلام فقال: «إن الله تعالى هو الذي اختار علياً لفاطمة ، فكيف يختار لها من يؤذيها ويغمها » ! (الشافي: ٢٧٧/٢).

٢- تولى الله أمر فاطمة عليها السلام دون أبيها صلى الله عليه وآله

النبي صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، لكن لا ولاية له على ابنته الزهراء عليها السلام! فقد علل النبي صلى الله عليه وآله رده لمن خطبها غير علي عليه السلام بأن أمرها لله تعالى وليس له !

وفي الكافي: ٥٦٨/٥ ، بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم، إلا فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء».

وفي كشف الغمة: ٣٦٣/١ ، من كلام أبي بكر قال: « قد خطبها الأشراف من رسول الله (ص) فقال: إن أمرها إلى ربها ، إن شاء أن يزوجها زوجها ». انتهى.

وهذا يدل على أحد أمرين لا ثالث لهما: فإما أن تكون الزهراء منذورة لله تعالى كمريم عليها السلام ، وإما أن يكون الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يترك أمرها له ! وهذا مقام عظيم لم يبلغه قبلها رجل ولا امرأة !

وقد حاول بعضهم أن ينتقص من مقام الزهراء عليها السلام ويعمم هذه الفضيلة لكل بنات النبي صلى الله عليه وآله أو ربيباته ، فروى الحاكم: ٤٩/٤ ، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: « ما أنا أزواج بناتي ولكن الله تعالى يزوجهن ».

لكن النبي صلى الله عليه وآله زوج زينب وأم كلثوم ولم يقل إن أمرهن لله تعالى وليس له !

ويشبه عملهم هذا ما رواه الحاكم: ٢٠١/٢، وصححه على شرط الشيخين ، عن عروة عن خالته عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله قال عن ابنته زينب: « هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ. فبلغ ذلك علي بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك تحدثه تنتقص فيه حق فاطمة عليها السلام؟ فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها ! وأما بعد ، فلك أن لا أحدث به أبداً. قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. أدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَأَقْسَطُ عِنْدَ الله..».

يقصد عروة أن زينب ربيبة النبي صلى الله عليه وآله وليست بنته، ويعتذر عن خالته عائشة بأنها قالت إن النبي صلى الله عليه وآله عبر عنها بابنته قبل نزول النهي عن تحريم النسبة بالتبني.

٣- عرس الزهراء عليها السلام أعظم عرس في تاريخ الأنبياء عليهم السلام

أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يزوج فاطمة من علي عليه السلام ويحتفل بعرسها ، وكأنه لا بنت له غيرها ! وروى الجميع وصححوه نزول جبرئيل عليه السلام بأمر الله تعالى بتزويج فاطمة من علي عليهما السلام، فعن ابن مسعود وأنس قال: «كنت قاعداً عند النبي(ص) فغشيه الوحي فلما سُرِّيَ عنه قال: أتدري يا أنس ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قلت: بأبي وأمي ! وما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي». (تاريخ دمشق: ١٣/٣٧ ، ونحوه كبير الطبراني: ١٥٦/١٠، والزوائد: ٢٠٤/٩ ، والمناقب لابن مردويه/١٩٦، والجامع الصغير: ٢٥٨/١، وكنز العمال: ٦٠٦/١١ ، و٦٧١/١٣، والكشف الحثيث/١٧٤، وجواهر المطالب: ١٥٥/١ ، وسبل الهدى: ٣٨/١١، والحلبية: ٤٧١/٢ ، وغيرها).

ووصفت الأحاديث عمل النبيصلى الله عليه وآلهفي مراسم الزواج المفصلة التي أقامها في الخطبة ، ثم في العقد ، ثم في تهيئة المنزل وتأثيثه ، ثم في وليمة الزفاف ومراسمه ، فكان كعمله شبيهاً بعمله في تبليغ الرسالة وإنشاء الأمة !

ويبلغ ما روته مصادر الجميع في ذلك نحو خمسين حديثاً، منها أحاديث طويلة.

ففي المعجم الكبير للطبراني: ٤٠٧/٢٢: « عن عبد الله بن مسعود قال: سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله (ص) فلم أزل أطلب الشهادة للحديث فلم أرزقها ، سمعت رسول الله (ص) في غزوة تبوك يقول ونحن نسير معه: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي ففعلت ، قال جبريل: إن الله بني جنة من لؤلؤة قصب بين كل قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشذرة بالذهب ، وجعل سقوفها زبرجداً أخضر وجعل فيها طاقات من لؤلؤ مكللة بالياقوت ، ثم جعل عليها غرفاً لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من در ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ، ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها ، وحفت بالأنهار وجعل على الأنهار قباباً من در ، قد شعبت بسلاسل الذهب ، وحفت بأنواع الشجر ، وبني في كل غصن قبة ، وجعل في كل قبة أريكة من درة بيضاء غشاؤها السندس والإستبرق ، وفرش أرضها بالزعفران وفتق بالمسك والعنبر ، وجعل في كل قبة حوراء والقبة لها مائة باب ، على كل باب حارسان وشجرتان ، في كل قبة مفرش وكتاب ، مكتوب حول القباب آية الكرسي. قلت: يا جبريل لمن بني الله هذه الجنة؟ قال: بناها لفاطمة ابنتك وعلي بن أبي طالب ، سوى جنانها ، تحفة أتحفها وأقر عينيك يا رسول الله ». انتهى.

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٢٣/٣، عن تاريخ بغداد: (٤٣٢/٤): « اطلع النبي صلى الله عليه وآله ووجهه مشرق كالبدر فسأل ابن عوف عن ذلك فقال: بشارة أتتني من ربي لأخي وابن عمي وابنتي ، والله زوج علياً بفاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً بعدد محبي أهل بيتي ، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ، ودفع إلى كل ملك صكاً براءة من النار بأخي وابن عمي وابنتي ، فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي. وفي رواية: أنه يكون في الصكوك براءة من العلي الجبار لشيعة علي وفاطمة من النار...

دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أبشر يا علي فإن الله قد كفاني ما كان من همتي تزويجك ، أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فتناولتهما وأخذتهما فشممتهما ، فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنقل؟ قال: إن الله أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها ، وأمر ريحها فهبت بأنواع العطر والطيب ، وأمر حور عينها بالقراءة فيها طه ويس وطواسين وحم وعسق ، ثم نادى مناد من تحت العرش: ألا إن اليوم يوم وليمة علي ، ألا إني أشهدكم أني زوجت فاطمة من علي رضاً مني ببعضهما لبعض.

ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فقطرت من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها ، وقامت الملائكة فنثرن من سنبلها وقرنفلها ، وهذا مما نثرت الملائكة ».

وروى الطبراني في الأوسط: ٢٩٠/٦، وابن ماجة: ٦١٥/١: « عن عائشة وأم سلمة قالتا: أمرنا رسول الله (ص) أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي ، فعمدنا إلى البيت

ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء ، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمنا تمراً وزبيباً وسقينا ماء عذباً ، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء. فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة».

وكان أمير المؤمنينعليه السلام يسكن في بيت مع أمه فاطمة بنت أسد ، وعندما تزوج انتقل الى بيته الجديد وسكنت معه والدتهعليها السلام ، وقد ورد أنهعليه السلام قسَّمَ عمل البيت بينها وبين الزهراءعليها السلام.

ففي ذخائر العقبى/٥١ ، والإمتاع: ٣٥١/٥: «فقال علي لأمه فاطمة بنت أسد: إكفي بنت رسول الله الخدمة خارجاً ، سقاية الماء والحاجة وتكفيك العمل في البيت: العجن والطحن». راجع في وصف تزويج الزهراءعليها السلام الملحق رقم (٤) .

٤- ولادة الإمام الحسنعليه السلام

في أمالي الصدوق/١٩٧: « عن زيد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسينعليه السلام قال: لما ولدت فاطمةعليها السلام الحسن قالت لعلي: سمه . فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسولُ اللهصلى الله عليه وآله فأُخرج إليه في خرقة صفراء فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء ! ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها ، ثم قال لعليعليه السلام: هل سميته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه ؟ فقالصلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط واقرئه السلام وهنئه ، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى ، فسمه باسم ابن

هارون ، فهبط جبرئيل فهنأه من الله عز وجل ، ثم قال: إن الله عز وجل يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون . قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسن فسماه الحسن .

فلما ولد الحسين عليه السلام أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط إليه وهنئه ، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى ، فسمه باسم ابن هارون ، قال: فهبط جبرئيل فهنأه من الله تبارك وتعالى ثم قال: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسين ، فسماه الحسين» .

وفي الكافي:٤٦١/١:« ولد الحسن بن علي عليهما السلام في شهر رمضان في سنة بدر ، سنة اثنين بعد الهجرة. وروي أنه ولد في سنة ثلاث ومضى عليه السلام في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين ومضى وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر ».

أقول: اتفق جمهور المؤرخين على أن ولادة الإمام الحسن عليه السلام في نصف شهر رمضان ، واختلفوا هل كانت في السنة الثانية للهجرة أو الثالثة ، واختلفوا تبعاً لذلك في تاريخ زواج علي وفاطمة صلى الله عليه وآله.

قال في أعيان الشيعة:٣٨١/١:« اختُلف في سنة تزويج علي بفاطمة صلى الله عليه وآله فقيل بعد الهجرة بسنة ، وقيل بسنتين وقيل بثلاث . وقال ابن الأثير: قيل إن علي بن أبي طالب بني بفاطمة عليها السلام على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة. وروى ابن سعد في الطبقات أن تزوجه بها كان بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة بخمسة أشهر ».

وقال الإربلي في كشف الغمة:١٣٦/٢:«أصح ما قيل في ولادته أنه ولد بالمدينة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وكان والده علي بن أبي طالب عليه السلام قد بني بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة ».

وقال اليعقوبي:٤١/٢:« زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله من علي بعد قدومه بشهرين ، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا زوجته ولكن الله زوجه » .

وقال ابن سعد: ٨ /٢٢: «تزوج علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله (ص) في رجب بعد مقدم النبي (ص) المدينة بخمسة أشهر ، وبنى بها مرجعه من بدر ».

أقول: المرجح عندي أن الأمر الإلهي بزواج فاطمة بعلي عليهما السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله في أوائل هجرته عندما كثر الخاطبون للزهراء عليها السلام ، فعقد زواجهما في تلك الفترة كما روى ابن سعد واليعقوبي ، وأخر زفافها الى السنة الثانية ، فكان زفافها في ذي الحجة في السنة الثانية كما نصت رواية ابن المسيب عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: « فقلت لعلي بن الحسين: فمتى زوج رسول الله فاطمة من علي؟ فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين». (الكافي:٣٣٨/٨).

ومعنى تسع سنين أنها دخلت في العاشرة ، لأن ولادتها في العشرين من جمادى الثانية سنة خمس للهجرة ، أي بعد أربع سنوات ونصف من البعثة التي كانت في رجب نصف السنة فحسبت سنة ، ويكون عمرها عند هجرته صلى الله عليه وآله في ربيع الأول في السنة الثالثة عشرة من بعثته نحو ثمان سنين ، وعمرها عند زواجها في ذي

الحجة من السنة الثانية للهجرة نحو تسع سنين ونصفاً ، وولدت الحسن عليه السلام وعمرها نحو عشر سنوات ونصفاً .

وفي الكافي:٣٣/٦« عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التهنية بالولد متى؟ فقال إنه قال: لما ولد الحسن بن علي هبط جبرئيل بالتهنية على النبي صلى الله عليه وآله في اليوم السابع وأمره أن يسميه ويكنيه ويحلق رأسه ويعق عنه ويثقب أذنه ، وكذلك حين ولد الحسين عليه السلام أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك. قال: وكان لهما ذؤابتان في القرن الأيسر ، وكان الثقب في الأذن اليمنى في شحمة الأذن ، وفي اليسرى في أعلى الأذن ، فالقرط في اليمنى والشنف في اليسرى ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله ترك لهما ذؤابتين في وسط الرأس. وهو أصح من القرن».

وفي الهداية للصدوق/٧٠« وقال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: أنقبي على أذني ابني الحسن والحسين خلافاً على اليهود».

وفي قاموس الكتاب المقدس/٣١٦« وكانت عادة قومية عند الإسماعيليين أن يلبس الرجال أقراطاً . قضاة ٨:٢٥ و٢٦» .

٥- ولادة الإمام الحسين عليه السلام

في الكافي: ٤٦٣/١: « ولد الحسين بن علي عليهما السلام في سنة ثلاث ، وقبض عليه السلام في شهر المحرم من سنة إحدى وستين من الهجرة ، وله سبع وخمسون سنة وأشهر.
عن عبد الرحمن العرزمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهرٌ وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً ».

وفي مصباح المتهجد/٨٢٦ ، عن الإمام الباقر عليه السلام أن مولد الحسين عليه السلام في الثالث من شهر شعبان .

وفي كامل الزيارات/١٤٠: « عن إبراهيم بن شعيب الميثمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الحسين بن علي عليهما السلام لما ولد أمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنئ رسول الله صلى الله عليه وآله من الله ومن جبرئيل عليه السلام ، قال: وكان مهبط جبرئيل عليه السلام على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له: فطرس ، كان من الحملة فبعث في شي فأبطأ فيه فكسر جناحه وألقي في تلك الجزيرة يعبد الله فيها ستمائة عام حتى ولد الحسين عليه السلام ، فقال الملك لجبرئيل عليه السلام: أين تريد. قال: إن الله تعالى أنعم على محمد صلى الله عليه وآله بنعمة فبعثت أهنيه من الله ومني ، فقال: يا جبرئيل إحملني معك لعل محمداً صلى الله عليه وآله يدعو الله لي ، قال فحمله ، فلما دخل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وهنأه من الله وهنأه منه وأخبره بحال فطرس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا

جبرئيل أدخله ، فلما أدخله أخبر فطرس النبي صلى الله عليه وآله بحاله فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وقال له: تمسح بهذا المولود وعد إلى مكانك. قال: فتمسح فطرس بالحسين عليه السلام وارتفع ، وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أما أن أمتك ستقتله وله عليَّ مكافاة أن لا يزوره زائر إلا بلغته عنه ، ولا يسلم عليه مسلِّم إلا بلغته سلامه ، ولايصلي عليه مصل إلا بلغته عليه صلاته ، قال: ثم ارتفع» .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:٥٢/٢:«عن سُليم بن قيس الهلالي قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنت عند معاوية والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أبي سلمه ، وأسامة بن زيد يذكر حديثاً جرى بينه وبينه وأنه قال لمعاوية بن أبي سفيان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أخي علي بن أبي طالب عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم ابني الحسين عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي ، ثم ابني محمد بن علي الباقر أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا عبد الله ، وتكملة اثني عشر إماماً، تسعه من ولد الحسين. قال عبدالله: ثم استشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أبي سلمه وأسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية. قال سليم بن قيس: وقد كنت سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وأسامة أنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله»

○ ○

هدف سرايا النبي ﷺ وحروبه

١- هدف سرايا النبي ﷺ وغزواته وحروبه وعددها

أعلنت قبائل العرب عداءها لأهل المدينة لأنهم بايعوا النبي ﷺ على حمايته وقتال أعدائه بطون قريش: « فلما آووا رسول الله ﷺ وأصحابه ونصروا الله ودينه رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وتحالفت عليهم اليهود ، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة ». (أمالي الطوسي/١٧٣ ، وبمعناه الغارات للثقفي: ٤٧٩/٢ ، والحاكم: ٤٠١/٢).

وقد اعتمد النبي ﷺ لمواجهة هذا العداء سياسة إرسال السرايا ، وهي مجموعات مقاتلة صغيرة وكبيرة تبعث لأهداف محددة ومناطق محددة ، لمحاربة عدو يتعاون مع قريش ضد الإسلام ، أو يخشى منه أن يغزو المدينة .

واصطلح الرواة على تسميتها بالسرية إذا لم يكن النبي ﷺ فيها ، فإن كان فيها سميت غزوة وهو مجرد اصطلاح ، وقد تكون السرية أكثر عدداً وأشد قتالاً.

ثم نراهم خالفوا هذا الإصطلاح ، فسموا معركة مؤتة وغيرها غزوة .

ويمكن حصر أهداف سراياه وغزواته ﷺ بثلاثة: حماية الدولة ، وإظهار القوة لإرهاب من يفكر بالإعتداء ، ومحاولة جر قريش الى الحرب .

قال ابن هشام (١٠٢٧/٤):« وكان جميع ما غزى رسول الله (ص) بنفسه سبعاً وعشرين غزوة... قاتل منها في تسع غزوات: بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف.... وكانت بعوثه (ص) وسراياه ثمانياً وثلاثين ». فيكون المجموع أقل من سبعين ، وقال بعضهم اثنين وسبعين (شرح المغني: ٣٣٩/٥).

وقال أهل البيت عليهم السلام إن مجموع سراياه وغزواته صلى الله عليه وآله ثمانون ، فعندما سُمَّ المتوكل نذر إن عوفي أن يتصدق بمال كثير ، فتحير الفقهاء في مبلغ المال ، فأرسل الى الإمام الهادي عليه السلام فأجابه إن الكثير ثمانون ، لقوله تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وكانت ثمانين موطناً. وروي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام وأفتى به عدد من فقهائنا . (الكافي: ٤٦٣/٧ ، والفقيه: ٣٦٨/٣ ، و: ٢٠٦/٤ ، والتهذيب: ٨/ ٣٠٩ ، وفقه الرضا/٢٧٤ ، والمقنع/٤١١ ، والمقنعة/٥٦٥ ، والخلاف: ٣٥٩/٣ ، والمختلف: ١٨٨/٨، والجواهر: ٤١٦/٣٥).

وكانت أول غزواته صلى الله عليه وآله بدر، وآخرها غزوة تبوك قبيل وفاته صلى الله عليه وآله ، واستغرقت ثمانين يوماً ولم يقع فيها حرب ، لأن الروم انسحبوا من تبوك عندما توجه اليهم ، ووقع الأكيدر ملك الدومة في الأسر ، فكتب النبي صلى الله عليه وآله معه صلحاً .

وأهم حروبه صلى الله عليه وآله: بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، ومؤتة. والباقي إما سرايا ، أو لم تكن فيها معركة تذكر .

ومن عجائب نبينا صلى الله عليه وآله وخصائص شخصيته الربانية ، أنه استطاع أن ينشئ أكبر أمة وأكبر مد حضاري في تاريخ الأرض ، في مدة قياسية هي عشر سنوات بعد

هجرته ، وبأقل كلفة عرفتها حركة كبرى ! حيث لم يتجاوز عدد القتلى من جيشه وجيوش أعدائه ست مئة شخص !

ومما تلاحظه في روايات السلطة في سرايا النبي صلى الله عليه وآله وغزواته: أنهم عملوا لتوظيفها لتكبير أشخاص السلطة وأقاربهم وقبائلهم ، وطمس أدوار غيرهم !

فاخترعوا بطولات ومناقب كاذبة ، وادعوا حضور أشخاص لم يحضروا ، وإنكروا فرار أشخاص فروا ، وسرقوا أدوار أشخاص ونسبوها الى آخرين !

ووصل أمرهم الى إنكار غزوة بكاملها كغزوة ذات السلاسل التي كان قائدها علي عليه السلام، واخترعوا بدلها غزوة لا وجود لها وسموها بنفس الإسم !

ثم تراهم يحاولون التخفيف عن أعداء الإسلام خاصة من قريش ، حتى بإلقاء اللوم على النبي صلى الله عليه وآله أحياناً أو المسلمين ، كجعلهم أخذ الأسرى في بدر سبباً للعقوبة الإلهية للمسلمين بهزيمتهم في أحُد ، والعقوبة للنبي صلى الله عليه وآله بجرحه !

لذلك كذبوا على النبي صلى الله عليه وآله في فعله وقوله ، وانتقصوا من شخصيته صلى الله عليه وآله أحياناً ، لتبرير فعل حاكم أو صحابي أو ادعاء منقبة له !

٢- سرايا النبي صلى الله عليه وآله وغزواته قبل بدر

ذكرت مصادرنا وعدد من مصادرهم أن «أول سرية سارت ولواء عقد في الإسلام ، لحمزة بن عبد المطلب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين إلى سيف

البحر ، من ناحية العيص من أرض جهينة ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، فلقي أبا جهل في ثلاث مائه راكب من قريش ، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقين ، وانصرفوا ولم يك بينهم قتال ». (اليعقوبي: ٤٤/٢). وزعم في فتح الباري: ٦٧/٧، والإستيعاب: ٣٧٠/١، أنها كانت بإمرة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

وهذا فهرس للباقي من ذخائر العقبى/١٧٥ ، وإعلام الورى:١٦٣/١، والصحيح من السيرة: ٢٧٢/٥، والطبري:١٢١/٢، وابن هشام:٤٢٨/٢:

أول غزوة غزاها صلى الله عليه وآله في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه ، فخرج حتى بلغ الأبواء ، يريد قريشاً وبني ضمرة ، ثم رجع ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول ، وبعث عبيدة بن الحارث في ستين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار ، فالتقى هو والمشركون على ماء يقال له أحياء ، وكانت بينهم الرماية ، وعلى المشركين أبو سفيان بن حرب .

ثم غزا صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الآخر يريد قريشاً ، حتى بلغ بُوَاط ولم يلق كيداً .

ثم رجع صلى الله عليه وآله من العشيرة إلى المدينة فلم يقم بها عشر ليال ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه.

فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وأقام جمادى الآخرة ورجب وشعبان ، وكان بعث بين ذلك سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط ، فرجع ولم يلق كيداً .

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش إلى نخلة ، في اثني عشر رجلاً من المهاجرين وقال: كنْ بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال ، وكتب له كتاباً وقال: أخرج أنت وأصحابك حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر ما فيه وامض لما أمرتك. فلما سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه: أن امض حتى تنزل نخلة ، فائتنا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم ، فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعاً وطاعة ، من كان له رغبة في الشهادة فلينطلق معي ! فمضى معه القوم حتى إذا نزلوا النخلة مر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله ، معهم تجارة قدموا بها من الطائف ، أدَم وزبيب ، فلما رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله وكان قد حلق رأسه ، فقالوا: عُمَّار ، ليس عليكم منهم بأس ، وأتمر أصحاب رسول الله وهي آخر يوم من رجب ، فقالوا: لئن قتلتموهم إنكم لتقتلونهم في الشهر الحرام ، ولئن تركتموهم ليدخلن هذه الليلة مكة فليمتنعن منكم ! فأجمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمر بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وهرب المغيرة بن عبد الله فأعجزهم ، واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله فقال لهم: والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً ، وأسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام ، فأنزل الله سبحانه: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ

إنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَكَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

فلما نزل ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله العير وفداء الأسيرين، وقال المسلمون: أتطمع لنا أن نكون غزاة؟ فأنزل الله فيهم: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وكانت هذه قبل بدر بشهرين. ورد عبد الله بالخمس على رسول الله صلى الله عليه وآله وقسم الباقي بين أصحابه ، فكان أول خمس خمسه صلى الله عليه وآله.

وعلى رأس ثمانية أشهر من مهاجره الشريف ، عقد لعبيدة بن الحارث بن المطلب على ستين رجلاً، ليلقوا أبا سفيان في بطن رابغ وكان في مئتين. وفي هذه السرية فر المقداد ، وعتبة بن غزوان ، (مهاجرين) إلى المسلمين.

وبعد ذلك كانت سرية سعد بن أبي وقاص على فريق من المهاجرين أيضاً ليعترضوا عيراً لقريش فسبقتهم. وقيل كان ذلك بعد بدر.

ثم كانت غزوة الأبواء ، خرج فيها النبي صلى الله عليه وآله بنفسه يريد قريشاً وبني مرة بن بكر فتلقاه سيد بني مرة بالأبواء فصالحه ، ثم رجع صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

وبعدها كانت غزوة بواط ، جبل لجهينة ، قرب المدينة خرج صلى الله عليه وآله في مئتين من المهاجرين أيضاً ، يعترض عير بني ضمرة ، فبلغ بواطاً ورجع ولم يلق كيداً.

وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة ، يريد قريشاً ، حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، فأقام بها بقية جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وفيها كنّى علياً عليه السلام بأبي تراب ، فروي عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، فقال لي علي: هل لك يا أبا اليقظان في هذه الساعة بهذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون. فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة ثم غشينا النوم ، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء (تراب ناعم) من الأرض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء ، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا أبا تراب لما عليه من التراب. فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ، حتى يبل منها هذه ، ووضع يده على لحيته » !

٣- مشروعية سياسة النبي ﷺ في السرايا و الغزوات

١. *بهذه التحركات السريعة المتنوعة عرف أهل المدينة وجيرانهم اليهود ، ومن* ورائهم قريش والعرب ، أن الدولة التي أقامها النبي ﷺ قوية ومتوثبة. فقد كان هذا هو الطريق الوحيد لردع ذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ، وفراعنة قريش !

ولا بد أنهم عرفوا يقظة النبي صلى الله عليه وآله وتنبهه لتحركاتهم ، وحيويته وسرعة تحرك قواته ، ولو الى مسافات بعيدة ، تصل أحياناً الى مئات الكيلومترات.

ولذلك وادعه بنو مدلج وكتبوا معه صلحاً يتعهدون فيه بعدم قتاله ، ولا معاونة أحد على قتاله ! مع أنهم قريبون من مكة ، ومع أن زعيمهم سراقة بن جشعم اعترض النبي صلى الله عليه وآله في طريق هجرته ليقتله أو يأسره ويأخذ جائزة قريش ، وكانت مئة بعير من قريش! (اليعقوبي: ٣٩/٢، والثاقب/١٤٥)

فقد تفاجأ سراقة عندما رأى النبي صلى الله عليه وآله بعد خمسة عشر شهراً ، وسط مئات من المسلمين مملوئين شجاعة وتوثباً ، فعقد معه معاهدة عدم اعتداء !

٢. لم يكتف النبي صلى الله عليه وآله بإرسال القادة الشجعان في سرايا الإستطلاع والترهيب ، بل كان يشارك فيها شخصياً عندما يرى لزوم ذلك ، أو يأمره ربه به ، ونلاحظ أنه شارك في ثلاثة غزوات قبل بدر هي: الأبواء وبواط والعشيرة ، وهذا يعطي لدولته ودعوته جدية خاصة.

٣. من الواضح أن النبي صلى الله عليه وآله كان يهدف الى قطع طريق تجارة قريش الأساسية ، وهي التي تمر من جهة المدينة الى الشام وفلسطين ومصر ، وبذلك لا يبقى لها إلا طريق الطائف الى نجد والعراق ، وطريق جدة الى الحبشة ، وطريق اليمن ، لكن تجارتها الى هذه المناطق ثانوية. وقد حاولت قريش أن تسلك طريق العراق الى الشام بعد معركة بدر ، فأثبت لها النبي صلى الله عليه وآله أنها أيضاً تحت سيطرته !

ففي سيرة ابن إسحاق: ٢٩٦/٣، وابن هشام: ٥٦٣/٢: «أن قريشاً كانت قد أخافت طريقها التي تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهو معظم تجارتهم، واستأجروا من بني بكر بن وائل رجلاً يقال له فرات بن حيان يدلهم على الطريق، وبعث رسول الله زيد بن حارثة في ذلك الوجه ، فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ».

بل وقعت الطرق الأخرى تحت تهديد النبي ﷺ، كما حصل في السنة السابعة عندما عفا عن ثمامة بن أثال زعيم اليمامة ، فأسلم ثمامة وذهب الى مكة فقالوا له: «صبوتَ؟! قال: لا، ولكني أسلمت مع محمد ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ ». (الكافي: ٢٩٩/٨، وتاريخ المدينة: ٤٣٥/٢).

فجاء أبو سفيان الى المدينة مستغيثاً ، فكتب اليه النبي ﷺ أن يرفع عنهم الحصار فرفعه.(ابن هشام: ١٠٥٣/٤، وعوالي اللئالي: ٢٢٧/١ ، وأسباب النزول/٢١١، والإصابة: ٤٧١/٣).

٤. كان النبي ﷺ يعرف أن التحرش بقوافل قريش يعني الإستعداد لرد فعلها العنيف

الذي قد يصل الى الحرب ، بل هذا ما يريده ﷺ بالضبط ، فقد أوحى اليه ربه: «أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة ، فليس لك بمكة ناصر ، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة». (الكافي: ٣٤١/٨ ، وتفسيرالعياشي: ٢٥٧/١). ومعناه أن هذا المد الإسلامي يجب أن يتم ، والعقبة أمامه قريش ، ولا يمكن إزاحتها إلا بحربها وإخضاعها .

أما الوجه القانوني لأمر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله بحرب قريش ، فأجاب عنه سبحانه بأنه المالك للجميع وهو لا يتصرف إلا لمصلحتهم ، قال عز وجل: « وَلَكِـنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». (الحشر: ٦).

وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله في بدر: «قم يا علي ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة ، قاتلوا على حقكم الذي بعث به نبيكم ». (الفصول المهمة: ٣١٥/١).

فحقهم على قريش أن الله الخالق المالك أرسل رسولاً صلى الله عليه وآله ، وأمره أن يبلغ دينه لعباده ، فكذبته قريش ومنعته وأصحابه من تبليغه للناس ، وظلمتهم واضطهدتهم ، فأعطاهم الله حق حربها وإزاحتها من طريقهم.

○ ○

بهذا ينتهي المجلد الأول من كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وآله عند أهل البيت عليهم السلام
ويليه المجلد الثاني إن شاء الله من غزوة بدر الى غزوة حنين .

○ ○

فهرس السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام (١)

تمهيد

الفصل الأول

أول ما خلق الله تعالى نور النبي صلى الله عليه وآله

الفصل الثاني

جزيرة العرب في عصر النبي صلى الله عليه وآله

الفصل الثالث

اليهود في الجزيرة العربية

الفصل الرابع

مكانة الكعبة عند العرب

الفصل الخامس

مكانة آباء النبي صلى الله عليه وآله عند العرب

الفصل السادس

ولادة النبي صلى الله عليه وآله ونشأته

الفصل السابع

النبي ﷺ في بيت عمه الحنون أبي طالب رحمه الله

الفصل الثامن

زواجه ﷺ بخديجة عليها السلام ومقدمات بعثته

الفصل التاسع

ولادة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

الفصل العاشر

مقدمات بعثة النبي ﷺ

الفصل الحادي عشر

كيف بدأت بعثة النبي ﷺ

الفصل الثاني عشر
المرحلة الأولى ثلاث سنوات خاصة بدعوة بني هاشم

الفصل الثالث عشر
دعوة النبي صلى الله عليه وآله عشيرته واستنفار قريش ضدهم

الفصل الرابع عشر
أبو طالب يوحيد بني هاشم لحماية النبي صلى الله عليه وآله

الفصل الخامس عشر
الإسراء والمعراج

الفصل السادس عشر
اول من اسلم واول من أعلن إسلامه

الفصل السابع عشر
ولادة الصديقة الزهراء عليها السلام وبقية أولاد النبي صلى الله عليه وآله

الفصل الثالث والعشرون

عام الحزن: وفاة أبي طالب وخديجة عليها السلام

الفصل الرابع والعشرون

النبي صلى الله عليه وآله يعرض نفسه على القبائل لحمايته من قريش

الفصل الخامس والعشرون

النبي صلى الله عليه وآله يأخذ البيعة من الأنصار استعداداً للهجرة

الفصل السادس والعشرون

خطة قريش المبرمة لقتل النبي صلى الله عليه وآله

الفصل السابع والعشرون
هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة

الفصل الثامن والعشرون
الهجرة العلنية الوحيدة: هجرة علي عليه السلام

الفصل التاسع والعشرون

النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

الفصل الثلاثون

فريضة الهجرة وحقوق المهاجرين في الإسلام

الفصل الحادي ولثلاثون

معالم السيرة النبوية في القرآن المكي

الفصل الثاني والثلاثون

بعض صفات النبي وأخلاقه معجزاته ﷺ

الفصل الثالث والثلاثون

المدينة عند هجرة النبي ﷺ

الفصل الرابع والثلاثون
النبي صلى الله عليه وآله يرسي أسس الدولة الإسلامية

الفصل الخامس والثلاثون
زواج علي وفاطمة عليهما السلام

الفصل السادس والثلاثون
هدف سرايا النبي صلى الله عليه وآله وحروبه

○ ○

دار المرتضى

طباعة، نشر، توزيع
بيروت لبنان، ص.ب ٢٥/١٥٥ الغبيري
تلفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
مكتبة: ٠٠٩٦١١٢٧٩٥٥٧
خليوي: ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing - publishing - Distributing
Lebanon - Beirut
PO Box: 155/25 Ghobiery
Tel-Fax: 009611840392
Mobile: 0096170950412
E-mail:mortada14@hotmail.com
Printed In Lebanon

يُطلب هذا الكتاب وبقية منشورات
الدار من مكتبة القائم
العراق - بغداد - الكاظمية المقدسة - باب المراد
تلفون: ٠٠٩٦٤٧٩٠١٩٩٢٧٢٠

الطبعة الجديدة
1430 هجريـة
2009 ميلادية